الجامع
في أخبار أبي العلاء المعرّي وآثاره

ألّفه

محمد سليم الجندي

الجزء الثاني

علّق عليه وأشرف على طبعه

عبد الهادي هاشم

دار صادر
بيروت



مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

الجامع

في أخبار أبي العلاء المعرّي وآثاره

ألفه

محمد سليم الجندي

الجزء الثاني

علق عليه وأشرف على طبعه

عبد الهادي هاشم



دار صادر

بيروت

الجامع

في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره

٢

الطبعة الأولى دمشق ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م
الطبعة الثانية بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

طبع بإذن من المجمع العلمي العربي بدمشق
رقم ٥٠٤/ص بتاريخ ١٩٩١/١٢/٨





ص.ب. ١٠ بيروت ، لبنان / فاكس : ٠٤-٩٢٠٩٧٨
هاتف : ٠٤-٩٢٨٢٧١ ، ٠١-٤٤٨٨٢٧ ، ٠١-٤١٣٢٥٦


بسم الله الرحمن الرحيم

ثقافة أبي العلاء
ومَصَادِرُها

كل ما سمح لنا به التاريخ لم يوضح لنا حقيقة أبي العلاء العلمية ، ولم يبين مبلغه من العلم ، ولا منزلته من كل فن . وكل ما ذكر في هذا الباب موجز مجمل ، ولكن ما وقع في كلامه الذي انتهى إلينا يدل على أنه كان جامعاً لعلوم شتّى ، متمكناً في كل منها ، ولذلك استطاع أن يتصرف في مسائلها ، ويخضع كثيراً من مصطلحاتها وأحكامها فيما أراده من الأغراض من إشارة وتلميح وتورية واستنباط أمثال وحكم ونحو ذلك من النكت المنثورة في أضعاف سطوره ؛ ولو جاءنا كلُّ ما قاله وكتبه لرأينا أدباً غزيراً ، وعلماً جمّاً ، وخيالاً واسعاً ، وعبقرية فذة ، وثقافة عالية لا تضاهى . على أن القدر الذي أتيح لنا الوقوف عليه من كلامه يدل على علم واسع ، وأدب وافر ، يجعلانه أمة وحده ، لأننا لم نر في رجالات العرب ونوابغهم من اجتمع له من سعة الحفظ والاطلاع على مسائل العلم والأدب والحكمة مثل ما اجتمع لأبي العلاء ، ولا من استطاع أن يخضع العلم للشعر والأدب مثل ما استطاع ، ولو تأخر أبو نواس عنه لقال فيه :

وَلَيْسَ للهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ [1]

وإذا استعصى علينا الاستقصاء والاستيعاب ، فإننا نذكر على سبيل الإجمال ما قاله العلماء والمؤرخون وما استنبطناه من كلامه في العلوم التي كان

---

(١) ديوانه ص ١٨٥ — تحقيق إيفالد فاغنر

يعلمها ، ونستمد من كلامه ما نؤيد به كلامنا . وربما ذكرنا بعض شيوخه الذين تلقى عنهم تتميماً للفائدة .

القراءة

قال ابن العديم : « قرأ [أبو العلاء] القرآن العظيم بكثير من الروايات على شيوخ يشار اليهم في القراءة ، ذكر ذلك الحافظ السِّلفي بعد أن ذكر جماعة أدركهم من أصحابه [1] » . ولم يذكر أحداً من أولئك الشيوخ . وفي كلام أبي العلاء كثير من الألفاظ التي اصطلح عليها القراء مثل قوله [2]:

فَإِنْ تَقِفِ الْحَوَادِثُ دُونَ نَفْسِي ... فَمَا يَتْرُكْنَ إِشْمَامِي وَرَوْمِي

• • •

وقوله [3] :

خَفِّفِي الهَمْزَ فِي النَّوَائِبِ عَنِّي ... واحْمِلِينِي عَلَى قِرَاءَةِ وَرْشِ

ونقل في (لسان الميزان ج ١ ص ٢٠٤) عن السِّلفي أنه قرأ القرآن بروايات . وفي (مسالك الأبصار) : « قرأ القرآن [العظيم] بالروايات

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥١٤-٥١٥ عن الانصاف - لابن العديم ، وفي الخبر الذي أورده المؤلف اختلاف يسير عما ورد في الانصاف .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢٥١ والاشمام : أشم الحرف : أذاقه الضمة أو الكسرة بحيث لا تسمع ولا يعتد بها . والروم : حركة صوتية مختلسة مختفاة وهي أكثر من الاشمام لأنها تسمع . اهـ عن القاموس .

(٣) اللزوميات ٥ ص ٣٢٨ . وورش : لقب عثمان بن سعيد المقرئ المتوفى سنة ١٩٧ هـ .

على جماعة من الشيوخ [١] » . ولم يحصر واحد منهم تلك القراآت بعدد معين ، وقد حصرها أبو العلاء بقوله [٢] :

بِعَشْرٍ رِوَايَاتٍ قَرَأْتُ وَصَاحِبِي ... بِعِشْرِينَ مَا فِيهَا ادِّغَامٌ وَلَا نَبْرُ

. . .

وقوله [٣] :

خَمْساً أَوْ عَشْراً أَجَادُوا فِي قِرَاءَتِهِمْ ... وَوَفَّرُوا الْمَالَ مِنْ خُمْسٍ وَمِنْ عُشْرِ

وفي (رسالة الملائكة [٤]) ذكر قراءات فوق الأربع عشرة ، وسيأتي أن له كتابا يعرف بـ (تظلمّ السور) يتكلم فيه على لسان سور القرآن ، وتتظلم كل سورة ممن قرأها بالشواذ ، ويتعرض لوجه الشاذ .

الحديث

ذكرنا فيما سبق طائفة من شيوخه الذين روى عنهم الحديث ، وقد نقل في (لسان الميزان) عن السّلفي أنه « سمع الحديث بالشام على ثقات [٥] » ولكنه لم يذكر واحداً منهم . وذكر ابن العديم [٦] أنه خرّج من حديث أخيه أبي الهيثم سبعة أجزاء رويت عنه وكانت عند ابن العديم . وروى

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٢٢ عن مسالك الأبصار ـ للعمري .

(٢) اللزوميات هـ ص ١١٨ .

(٣) اللزوميات هـ ص ١٥٠ .

(٤) رسالة الملائكة تحقيق المؤلف الصفحات ١٨٥ — ١٩٥ و ٢٠٠ — ٢٢٢

(٥) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣١٤ عن لسان الميزان ـ لابن حجر .

(٦) المصدر السابق ص ٥١٦ ـ ٧ عن الانصاف ـ لابن العديم .

له حديثاً عن أبيه ، وحديثاً عن جده ، وحديثين عن أبي زكريا يحيى بن مسعر ، وحديثاً عن أبي الفتح محمد بن الحسين بن روح .

وقال الذهبي : « وقد سمع الحديث بالمعرة عاليا من يحيى بن مسعر التنوخي عن أبي عروبة الحراني »[1] . وقال في (البغية) : « حدث عن أبيه وجده . . . وقد أسندنا حديثه في الطبقات الكبرى . وله ذكر في جمع الجوامع »[2] . وروى له حديثاً فيه ، رواه عن يحيى بن مسعر عن أبي عروبة بن أبي معشر الحراني (البغية ١٢٦ و ٤٥١) . وقال ابن حجر في (لسان الميزان ج ١ ص ٢٠٤) : « سمع من يحيى بن مسعر صاحب أبي عروبة جزءاً من أبي الفتح محمد بن الحسين صاحب خيثمة ، وصار على تصانيفه » . وقال السمعاني : « سمع الحديث اليسير ، وحدث به[3] » وسيأتي أن له كتاباً فيه أمالي من حديث رسول الله ﷺ عن شيوخه ، وهو سبعة أجزاء ، سبع كراريس (كذا في ابن العديم) . وقال في (رسالة الغفران ص ١٧٦) : « وفي حديث آخر ، وقد سمعته بإسناد : أن تميم بن أوس الداري [— والدار قبيلة من لخم —] كان يهدي الى النبي ﷺ في كل سنة راوية من خمر ، فجاء بها في بعض السنين وقد حرجت الخمر ، فأراقها ، وبعض أهل اللغة يقول : فبعّها . . [4] » .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٩١ عن تاريخ الاسلام — الذهبي .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٣٢ ، ٢٣٤ عن بغية الوعاة — السيوطي .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٣ عن الأنساب — السمعاني .

(٤) الرسالة تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٤٦٤ ، وبها : صبها .

وقال في اللزوم [1] :

لَقَدْ أتَوْا بحَدِيثٍ لا يُثَبِّتُهُ عَقْلٌ فقُلْنا: عَنْ أيّ النّاسِ يَحْكُونَه

فأخْبَرُوا بِأسَانِيدٍ لَهُمْ كُذُبٍ لَمْ تَخْلُ مِنْ ذِكْرِ شَيْءٍ لا يُزَكّونَهْ

. . .

وقال في اللزوم [2] :

جاءتْ أحادِيثُ إنْ صَحّتْ فإنّ لَها شَأناً ولكنّ فِيها ضَعْفَ إسْنادِ

والحديث والإسناد والضعف والصحة من مصطلح أهل الحديث .

علم الكلام أو العقائد

لم نقف على كتاب لأبي العلاء خاص بعلم الكلام أو العقائد ، وإنما يتراءى في كلامه ما يدل على اطلاعه على مذاهب العلماء في الكلام والجدل ، وتقصيه آثارهم ، وانتقاده كثيراً من آرائهم وكتبهم ، ونحو ذلك مما سيأتي ، كقوله [3] :

وَمَا جَدَلُ الأقْوامِ إلاّ تَعِلّةٌ مُصَوَّرَةٌ مِنْ بَاطِلٍ وَتَوَهُّمِ

وقوله [4] :

لَوْلاَ التّنَافُسُ في الدُّنيا لَمَا وُضِعَتْ كُتْبُ التّنَاظُرِ لاَ المُغْني وَلاَ العُمَدُ

---

(1) اللزوميات هـ ص ٢٦٦ .

(2) اللزوميات هـ ص ١١٠ .

(3) اللزوميات هـ ص ٢٤٤ .

(4) اللزوميات هـ ص ٩٢ والعمد : كتاب القاضي عبد الجبار من رؤساء المعتزلة .

وقوله [1] :

وَأَعْلَمُ أَنَّ ابنَ المُعَلِّمِ هَازِلٌ ... بِأَصْحابِهِ والباقِلانِيُّ أَهْزَلُ

الفقه

ذكر ابن العديم أن « أكثر قضاة المعرة وفضلائها وعلمائها وشعرائها وأدبائها من بني سليمان [وهو سليمان] بن داود بن المطهر [2] » ، وكانت الفتاوى في بيتهم على مذهب الشافعي — رضي الله عنه — أكثر من مائتي سنة في المعرة . وقد ذكرنا أن قول أبي العلاء :

قَلَّدَتْنِي الفُتْيا فَتَوَّجَنِي غَداً ... تَاجاً بِإِعْفَائِي مِنَ التَّقْلِيدِ [3]

يدل على أنه قلد الفتيا . وأنا لا أعلم إن كان أبو العلاء احتذى على مثال آبائه في اتباع مذهب الشافعي أم لا بعد قوله :

وَيَنْفِرُ عَقْلِي مُغْضَباً إِنْ تَرَكْتُهُ ... سُدًى واتَّبَعْتُ الشَّافِعِيَّ وَمَالِكا [4]

وأمثاله مما ذكرناه في الكلام على عقيدته . على أن في شعره ما يدل على سعة اطلاعه على الفقه ، ووفرة نصيبه منه ، فمن ذلك قوله :

تَقَنَّعْ مِنَ الدُّنيا بِلَمْحٍ فَإِنَّها ... لَدَى كُلِّ زَوْجٍ حَائِضٌ مَالَهَا طُهْرُ [5]

---

(١) اللزوميات ه ص ١٩٥ وابن المعلم : هو أبو اسحاق بن المعلم من شيوخ المعتزلة . والباقلاني : هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٨٩ عن الانصاف والتحري .

(٣) اللزوميات ه ص ١١٤ .

(٤) اللزوميات ه ص ١٨٥ .

(٥) اللزوميات ه ص ١١٨ .

مَتَى مَا تُطَلِّقْ تُعْطِ مَهْراً وَإِنْ تَزِدْ ... فَنَفْسُكَ بَعْدَ الدَّيْنِ وَالرَّاحَةِ المَهْرُ

. . .

وقوله :

فَمِنْ مُحْرِمٍ لا يَحْرِمُ العَلَقَ الظُّبَا ... وَمِنْ مُحْرِمٍ أَظْفَارُهُ لا تُقَلَّمُ (١)

. . .

وقوله :

وَمَا زَالَ شَرْطٌ يُفْسِدُ البَيْعَ وَاحِدٌ ... فما باله لَمَّا تَظَاهَرَ شَرْطَانِ (٢)

. . .

وقوله :

قَرَنَّ بِحَجٍّ عُمْرَةً وَقَرَيْنَنَا ... غَرَاماً فَآهٍ مِنْ قَوَارٍ قَوَارِنِ (٣)

. . .

وقوله :

تَخُونُ أَمِينَكَ دِينَارَهُ ... وَفِي رُبْعِهِ يُقْطَعُ السَّارِقُ (٤).

. . .

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٢٩ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٧٢ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٧٣ ، وقوار : مفردها قارية وهي التي تقري الضيف أي تكرمه ، وقوارن : مفردها قارنة وهي التي تقرن حجها بعمرة .

(٤) اللزوميات هـ ص ٣٠٢ .

وقوله :

وَجِسْمُ المَرْءِ لِلأَعْرَاضِ رَبْعٌ فَهَلْ زَكَّاهُ تَزْكِيَةَ العُرُوضِ [1]

. . .

وقوله :

غَلَتِ الشُّرُورُ وَلَوْ عَقَلْنَا صُيِّرَتْ دِيَةُ القَتِيلِ كَرَامَةً لِلْقَاتِلِ [2]

وأبياته التي قالها في أبي حامد الإسفرائيني التي يقول فيها :

وَرُبَّ ظُهْرٍ وَصَلْنَاهَا عَلَى عَجَلٍ بِعَصْرِهَا في بَعِيدِ الوِرْدِ لَمَّاعِ [3]...

والظاهر من أقواله : إن يد السارق تقطع بربع دينار ، وُربَّ ظُهْرٍ وصلناها . . بعصر . وقوله : وغسل طمري سبعاً . وما أشبه ذلك ، كل هذا يدل على أنه كان متفقهاً على مذهب الشافعي ، لأن في مذهب أبي حنيفة تقطع يد السارق بعشرة دراهم ، ولا يجمع بين الظهر والعصر الا في مِنى ، ولا يغسل من شيء سبعاً وجوبا .

الفرائض

وفي كلامه ما يدل على تمكنه من علم الفرائض ، كقوله :

وَلَمْ أَرِثِ النِّصْفَ الفَتَاةَ وَلَمْ تَرِثْ

بِيَ الرُّبْعَ بَلْ رِبْعٌ تَطَاوَلَ أَوْ خِمْسٌ [4]

. . .

---

(١) اللزوميات ٥ س ٢٨٩ .

(٢) اللزوميات ٥ س ٢٢١ .

(٣) شروح سقط الزند ، ق ٢ س ٧٤٦ .

(٤) اللزوميات ٥ س ٣٠٩ والربع والخمس بالكسر : مدد إظماء الابل .

وَالأمُّ بِالسُّدْسِ عَادَتْ وَهْيَ أَرْأَفُ مِنْ
بِنْتٍ لَهَا النِّصْفُ أَوْ عِرْسٍ لَهَا الرُّبُعُ[١]

. . .

هِيَ الدُّنْيَا إِذَا طُلِبَتْ أَهَانَتْ وَعَالَتْ وَالفَرِيضَةُ ذَاتُ عَوْلِ[٢]

. . .

الرُّبْعُ لِلزَّوْجَةِ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَسْلٌ وَإِنْ كَانَ غَدَتْ بِالثُّمُنْ[٣]
وَالزَّوْجُ يَزْوِي النِّصْفَ أَبْنَاؤُهُ عَنْهُ وَفِي الدَّهْرِ خُطُوبٌ كُمُنْ

النحو

ألمعنا فيما سبق الى أن علماء النحو في العصر السابق كانوا فريقين : كوفيين وبصريين . وقد نبغت بعدهم طائفة أرادت أن تجمع بين المذهبين ، وتستخلص مذهبا وسطا ، وأن القرن الرابع الذي أظل أبا العلاء انتشرت فيه آراء وكتب لعلماء مختلفين . ويظهر من أقوال أبي العلاء أنه اطلع على كثير منها ، وربما كانت عنايته ببعضها أشد منها في بعض آخر .

منها : (كتاب سيبويه) ويظهر من رسالة كتبها الى أبي طاهر المشرف ابن سبيكة ، وهو ببغداد ، أنه سأله أن يحصل له على نسخة من

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٢ .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢١٩ والعول : عالت الفريضة في حساب الارث ، زادت .
(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٥ .

(كتاب سيبويه)[١] ويدل على أنه اطلع عليه ما ذكره في (رسالة الغفران ص ٣٥) من أن ابن القارح سأل نابغة بني جعدة : « كيف تنشد قولك :

فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صِحَاحاً، ولا مُسْتَنْكَراً أَنْ تُعَقَّرَا

أتقول :ولا مستنكراً ، أم ولا مستنكر؟ فيقول الجعدي : بل مستنكر[أ].
فيقول الشيخ : فإنْ أنشدكم منشد : مستنكرٍ ، فما تصنع ؟ قال : أزجره وأزبره ، نطق بأمر لا يخبره ، فيقول الشيخ : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أرى سيبويه إلا وهم في هذا البيت[٢] ... » وسيبويه ذكر هذا البيت في (كتابه ج ١ ص ٣٢) وأجاز فيه ، مستنكرٍ ، وبيّن وجه ذلك .
وذكر في (رسالة الغفران ص ٢٦) قول عدي بن زيد :

أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أَمْ بُكُورُ أَنْتَ فانْظُرْ لِأَيِّ أَمْرٍ تَصِيرُ

وأن سيبويه يزعم أن « أنت » يجوز أن ترفع بفعل مضمر يفسره قولك « فانظر ... » وأن عدياً يقول : دعني من هذه الاباطيل[٣] .
وهذا البيت ذكره سيبويه في (كتابه ج ١ ص ٧٠) وقد وصف كتاب سيبويه بالحزونة في (رسالة الغفران ص ١٨٥)[٤] .

ومنها : (شرح كتاب سيبويه) لأبي سعيد السيرافي ، فإن أبا العلاء كتب رسالة الى أبي طاهر أن يحصل له على نسخة من الكتاب وشرحه ،

---

(١) انظر رسائل أبي العلاء للمعري ـ شاهين عطية ـ ص ٨٦ .
(٢) انظر الرسالة تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ١٠٠ وفيها : « وليس ... » و : « بل مستنكراً » و : « ما تصنع به » . و : « فيقول : أزجره . . » .
(٣) انظر الرسالة تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٧٦ .
(٤) الرسالة تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ١٨٩ .

وفيها يقول : « أما الشرح ، فإن سمح به القدر ، وإلا فهو هدر [١] » .

وكتب الى أبي عمرو الإستراباذي كتاباً في أمر هـذا الشرح ، والظاهر أنه أصاب عناء في تحصيل الشرح ، وكتب إلى أبي العلاء يخبره بذلك ، فقال له في جوابه : « كان أيسرَ من عنائه في ذلك قذفُ الشرح في سَيح ، حتى يُعشبَ خدُّ شُريح .. إنما هو أفانين كلام أصبح وهو مجوع ، المقيس فيه والمسموع ، لا يخلد من رواه ، قد عاش الناس بسواه .. ولا أقرأ لكتاب أبي سعيد : ﴿ أولَـئِك يُنادَوْن مِنْ مَكَان بَعيد ﴾ .. والكتاب أيسر وأقل من أن يكلف خطوات ، ولو كُنَّ كَدبيب القَطَوات [٢] . . » .

وقد ذكر في (رسالة الغفران ص ١٠٩ [٣]) البيتين المنسوبين لآدم وهما :

تَغَيَّرَتِ البِلادُ وَمَنْ عَلَيْها   فَوَجْهُ الأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ [٤]   وَقَلَّ بَشَاشَةُ الوَجْهِ المَلِيحِ

وأن أبا سعيد ذكر وجها لجعل البيت الثاني خالياً من الإقواء ، وهو أن ينشد :

وقَلَّ [٥] بشاشةَ الوجهُ المليحُ

---

(١) رسائل أبي العلاء ــ شاهين عطية ــ ص ٨٦ .

(٢) رسائل أبي العلاء طبعة مرغليوث ص ٣٨ ــ ٣٩ ، ولم ترد هـذه الرسالة في رسائل أبي العلاء ــ لشاهين عطية والآية من سورة فصلت ٤٧/٤٤ .

(٣) انظر الرسالة تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٨٣ .

(٤) في الغفران ــ بنت الشاطىء ــ : « وأودى ربع أهليها فبانوا   وزال ... » .

(٥) في المصدر السابق : « وزال . . . . » .

على تقدير « بشاشةً » بفتحتين ، واستشهد لحذف التنوين ، فقال أبو العلاء : « قلت أنا : هذا الوجه الذي ذكره أبو سعيد شر من إقواء عشر مرات في القصيدة [الواحدة] » .

وقد بينا أن القرن الرابع نبغت فيه طائفة من أعلام الأمة في النحو ، كأبي سعيد السيرافي ، وأبي علي الفارسي ، وابن خـالويه وغيرهم ، ممن انتهت اليهم رآسة علم النحو . ولكن أبا العلاء لم يلق أحداً منهم ، ولم يأخذ عن أحد بالذات ، وإنما اطلع على آثارهم وآرائهم في كتبهم . وقد قدمنا شيئاً عن أبي سعيد السيرافي . وذكر في (رسالة الغفران ص ٥٧ [١]) أن يزيد بن الحكم أنكر على أبي علي الفارسي رفـع الماء في قوله :

. . . . وَخَيْرُكَ عَنِّي مَا ارْتَوَى المَاءُ مُرْتَوِي [٢]

وأنكر عليه فتح الميم في « مقتوى » من قوله :

. . . . فإني خليلاً صالحاً بكَ مَقْتَوَى [٣]

وأن راجزاً أنكر عليه تحريك الياء في « تأبيه » في بيت أورده [٤] . وآخر أنكر عليه أن تكون الهاء راجعة على الدرس في قوله :

هَذَا سُرَاقَةُ لِلْقُرْآنِ يَدْرُسُهُ [٥] . . . .

---

(١) انظر الرسالة تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٥٣ .

(٢) صدره : « فليت كفافاً كان شرك كله . . » .

(٣) صدره : « تبدل خليلاً بي كشكلك شكله . . » .

(٤) انظر الخبر في رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٥٣ .

(٥) الصدر الثاني وعجز البيت : « والمرء عند الرُّشا إن يلقها ذيب » .

وجماعة من هـذا الجنس يلومونه على تأويله . وأن ابن القارح قال لهم : « يا قوم ! إن هذه أمور هيّنة ، فلا تعنتوا هذا الشيخ ، فإنه يمت بكتابه [في القرآن] المعروف [بكتاب] الحجة . . . . »(١)

وأما ابن خالويه ، فقد أثنى عليه في (رسالة الغفران) حيث يقول في ص ١٩١ : « وأما أبو عبد الله بنُ خالويه ، وإحضاره للبحث النسخ ، فإنه ما عجز ولا أنسخ — أي نسي — ولكن الحازم يريد استظهارا ، ويزيد على الشهادة الثانية ظهارا . . . أين كأبي عبد الله ؟ . لقد عدمه الشام ! فكان كمكة إذ فقد هشام ، عَنَيْتُ هشامَ بنَ المغيرة ، لأن الشاعر رثاه فقال :

أَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرّاً كَأَنَّ الأَرْضَ لَيسَ بِهاهِشامُ.. »(٢)

ويظهر لي أن أبا العلاء كانت عنـايته بكتاب سيبويه المتوفى سنة ١٦١ هـ وكتاب (الجمل) لأبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ وكتاب (الكافي) للشيخ أحمد بن محمد المرادي النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وكتاب (مختصر محمد بن سعدان الكوفي) المتوفى سنة ٢٣١ هـ أشد من عنايته بغيرها ، فإنه شرح كتاب سيبويه ، ولم يتم ، وذكر له بعضهم تفسير أمثلة سيبويه . ووضع كتابا سماه (عون الجمل) شرح فيه شيئاً من كتاب الجمل للزجاجي ، أو شرح الشواهد ، وكتابا آخر سماه (تعليق الجليس) أو (تعليق الخلس) يتصل بكتاب الجمل ، وكتابا آخر سماه (إسعاف الصديق) يتصل بتعليق الجليس . وكتابا سماه (قاضي الحق) يتصل بالكتاب المعروف بالكافي . وكتابا سماه (المختصر الفتحي) يتصل بمختصر محمد بن سعدان الكوفي .

---

(١) رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٥٤ .

(٢) انظر رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٥١٠ — ١١ .

وقد قال أكثر المؤرخين : إن أبا العلاء قرأ الفقه والنحو على أبيه ، وعلى جماعة من أهل بلده ، كبني كوثر ، ولكنهم لم يسموا واحداً منهم إلا ابن العديم فإنه قال : « قرأ اللغة والنحو بمعرة النعمان على والده . . وأبي بكر محمد بن مسعود بن محمد بن يحيى بن الفرّج النحوي [1] » ، أما والده فقد روى عن جماعة منهم : أبوه سليمان ، ومنهم : ابن خالويه . . وأما أبو بكر محمد بن مسعود فلم أقف على ترجمته . وقال كثير من المؤرخين : إنه قرأ على محمد بن عبد الله بن سعد بحلب ، وظاهر قولهم أنه قرأ عليه شيئاً من العلم . والحق ما قاله ابن العديم ، وهو أنه دخل حلب وهو صبي فقرأ على محمد بن عبد الله بن سعد رواية أبي الطيب المتنبي . ثم نقل عن محمد بن الخضر بن أبي مهزول المعري المعروف بالسابق ، أن ابن سعد كان يروي في ديوان المتنبي في قصيدته التي مطلعها :

أزائرٌ ياخَيالُ أمْ عائدْ . . . [2]

هذا البيت :

أو مَوْضِعاً في فِناء ناحِيَةٍ تَحْمِلُ في التاجِ هَامَةَ العاقِدْ

وهذه القصيدة ليست مما قرأه على أبي الطيب المتنبي ، وإنما هي مما أنفذه اليه ، فرد عليه أبو العلاء وقد اجتمع معه بحلب وهو صبي وقال له البيت :

أو مُوضِعاً في فِتانِ نَاجِيةٍ . . . .

فلم يقبل ابن سعد ، ومضى الى نسخة عراقية صعدت مع أبي علي ابن أريس من العراق ، فوجد القول ما قاله أبو العلاء .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥١٥ عن الانصاف والتحري لابن العديم .

(٢) صدر بيت هو مطلع قصيدة يمدح بها عضد الدولة ، وعجزه : « أم عند مولاك أنني راقد » العرف الطيب ٢ : ٦٠١ .

وهذا يفيد أن أبا العلاء لم يقرأ على ابن سعد شيئاً من العلم ، ولم يأخذ عنه لغة ولا نحوا ، وإنما أراد أن يأخذ شعر المتنبي بالرواية عنه فقط ، وأن حفظه لكلام المتنبي أوثق من حفظ ابن سعد ، ولذلك كان القول قوله فيما اختلفا فيه .

والبيت المذكور من قصيدة مدح بها المتنبي عضد الدولة ، فقال :

تُهْدي لَهُ كُلُّ ساعَةٍ خَبَراً عَنْ جَحْفَلٍ تحتَ سَيْفِهِ بائِدْ [1]

أو مُوضِعاً في فِتانِ ناجِيَـــةٍ يَحْمِلُ في التاجِ هَامَةَ العَاقِدْ

والموضع : المسرع ، والفِتان : غشاء للرحل من أدم ، والناجية : الناقة السريعة ، والمعنى : تهدي له كل ساعة رسولاً يبشره بقتل جماعة من أعدائه ، أو مسرعا يحمل إليه رأس ملك في تاجه .

وذكر الميمني أنه قرأ على جماعة « من بني كوثر وأصحاب ابن خالويه ، ومنهم أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز [2] ، ولكنه لم يعزُ هذا القول إلى مرجع ، ولم يبين أحداً منهم إلا المبارك . ولعله أخــذ ذلك من قول أبي العلاء في رسالته الى أحمد بن عثمان النكتي ص ١٠٨ [3] : « وحدثنا صديقه أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز — رحمه الله — عن أبي عبد الله ابن خالويه ، عن ابن دريد .. أنه رأى شيطانه أبا زاجية في النوم ، وقال له : لم لا تقول في الخمر شيئا ؟ . . » .

---

(١) العرف الطيب ٢/٦٠٣

(٢) أبو العلاء وما اليه — الميمني — ص ٥١ .

(٣) انظر الرسائل — لشاهين عطية — .

ولكن مثل هذا لا يدل على أنه قرأ عليه لغة ولا نحواً ولا غيرهما . وقال في (لسان الميزان) : إنه « أخذ [العربية] عن أصحاب ابن خالويه[1] » . ولم يعين أحداً منهم . وسيأتي في كتبه أن له كتباً في النحو غير ما ذكرناه ، منها (ظهر المصري) و (الحقير النافع) و (الطل الطاهري) . وفي كلامه كثير من الإشارات الى ما اصطلح عليه النحاة ، كقوله في (السقط ج ١ ص ١٩٨) :

تَثَنٍّ وَنَصْبِي فِي أَنِينِكَ وَاجِبٌ　　كَمَا وَجَبَ النَّصْبُ اعْتِرافاً عَلَى إِنَّ[2]

وقوله في (ج ٢ ص ١٢٥) :

وَلِي حَاجَةٌ عِنْدَ العِرَاقِ وَأَهْلِهِ　　فَإِنْ تَقْضِيَاهَا فَالجَزَاءُ هُوَ الشَّرْطُ[3]

وفيه غير ذلك كقوله في (ج ٢ ص ٣٨ س ٤ ، و ص ٥٤ س ٤ ، و ص ٩٩ س ١٧[4]) .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣١٢ عن لسان الميزان ـ لابن حجر .

(٢) شروح السقط ق ٢ ص ٩٣٢ .

(٣) شروح السقط ق ٤ ص ١٦٦٨ .

(٤) انظر شرح التنوير على سقط الزند طبعة مصر سنة ١٢٨٦ هـ وهي التي اعتمدها المؤلف في تعقب الأمثلة ، ويقابلها في شروح سقط الزند (ق ٣ ص ١١٥٨ و ق ٣ ص ١٢٥٥ و ق ٤ ص ١٠٢٠) الأبيات التالية :

وأهونُ به في راحة أريحية　　كآخر ماض ليس من شأنه الضم

• • •

حروف سُرىً جاءت لمعنى أردْته　　برتْنيَ أسماء لهنّ وأفعالُ

• • •

وظننت وجدَّك ماضياً متصرفاً　　فلقيتني منه بفعل دائمِ

وقوله في اللزوم [١] :

وَتُرْفَعُ أجسَادٌ وَتُنْصَبُ مَرَّةً   وَتُخْفَضُ في هذا التُّرابِ وتُجْزَمُ

وقوله في اللزوم [٢] :

تَزَوَّجْ إنْ أرَدْتَ فَتَاةَ صِدْقٍ   كَمُضْمَرِ نِعْمَ دَامَ عَلَى الضَّمِيرِ

وقوله في اللزوم [٣] :

سَتُتْبِعُهُ كَعَطْفِ الفَاءِ لَيْسَتْ   بِمَهْلٍ أو كَثُمَّ عَلَى التَّرَاخِي

وقوله في اللزوم [٤] :

إنَّ أذَاهَا مِثْلُ أفْعَالِنَـــا   مَاضٍ وفي الحَال ومُسْتَقْبَلُ

وفي اللزوم أبيات كثيرة من هذا النوع ، منها في (الجزء الأول ص٢٤٣ سطر ١١ ، و ص ٣٩٩ س ٢ ، و ص ٤١٨ س ١٣)

وفي (الجزء الثاني ص٩٧ س١٥ ، و ص ١٤٧ س ١٦ ، و ص ٢٣٨ س١٢ ، وص ٢٦٥ س ١٦ ، و ص ٢٧٣ س٦ ، و ص ٣٦٦ س ٣ ، وص ٣٦٨ س٤ [٥]).

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٢٨ .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٥٥ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٨٧ .

(٤) اللزوميات هـ ص ٢٠ .

(٥) أنظر لزوم مالا يلزم طبعة عزيز زند وهي التي اعتمدها المؤلف في بحثه ويقابلها في طبعة هـ الصفحات (٩٠ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ٢٩٠ ، ١٨٤ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٤) . والأبيات ـ على التوالي ـ هي :

عفـــاة القوافي كالذي ولماتهـا   إذا هنَّ لم يوصلن فاللفظ فاسد

• • •

الصرف

ما رأيت أحداً ذكر أن أبا العلاء أخذ علم الصرف منفرداً عن أحد من الشيوخ ، ولا من ذكر له كتاباً خاصاً بهذا العلم . والظاهر أنه أخذه مع علم النحو ، وأكثر المتقدمين يجمعون بين العلمين في كتاب واحد . وأما (رسالة الملائكة) فقد أجاب بها عن مسائل صرفية ، ولكنه مزجها بغيرها ، وفي كلامه كثير من الإشارات الى ما اصطلح عليه أهل

— كنعمى نعم وبئس يجيئا فيها ويكون ذاك على اشتراط مضمر

• • •

عرّفتني حتى شهرتُ الليالي ثم صالت عليّ بالتنكير

• • •

ألا ترى جمع ما لا عقل يسنده جمع المؤنث فيه التاء والألف

• • •

وللمرء مثل الحرف بين سهاده وكراه يسكن تارة ويحرك

• • •

والمرء كان وظلّ كان وجدته حاليه في الإلغاء والإعمال

• • •

والمرء يرفع أفعالاً تخفضه حتى إذا مات أضحى وهو منجزم

• • •

والجسم ظرف نوائب وكأنه ظرف يؤخر تارة ويقدم

• • •

خذا لوىً لاضربات لسالم بلاً بل ولا مستدركات بلكنز

• • •

أرى الحق لي أمرين : ماض ومقبل وظرفين : ظرفي مدة ومكان

هذا العلم ، كقوله في اللزوم[1] :

إذا غَدَوْتَ عَنِ الأوْطانِ مُرْتَحِلاً فَضاهِ في البَيْنِ حَذْفَ الواوِ مِنْ يَعِدِ

وقوله[2] :

مَعنَى حَبيبِهِ عَلى ما بانَ مِنهُ كَمَا تُبنَى الزَّوائِدُ مِنْ يَا أوسُ لاَ تَنَمِ

• • •

وقوله[3] :

إذَا ما دُعِيَ القَوْمِ ضَاهَى صَرِيحَهُمْ فَلاَ تُنْكِرَنْ واعْدُدْهُ آخِرَ عَبْدَلِ

ألَيْسَ كَباقي أحْرُفِ الوَزْنِ لامُهُ وَمَا فُصِّلَتْ مِنْ لامِ سَهْلٍ وأهْدَلِ

• • •

وقوله[4] :

بِتُّ كَالواوِ بَيْنَ يَاءٍ وكَسْرٍ لا يُلامُ الرّجالُ إِنْ أسْقَطُوني

• • •

وقوله[5] :

وَكَيْفَ أُرَجّي مِن زَمانِي زِيادَةً وَقَدْ حَذَفَ الأَصْلِيَّ حَذْفَ الزَّوائِدِ

• • •

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٩٠ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٤٨ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢١١ واللام في « عبدل » زائدة .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٢ : يعني بات ثقيلاً على الناس ثقل الواو التي تجيء في مضارع (وعد) بين الياء والكسر فأسقطت استثقالاً .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ١٠٥ وفيها : « من زماني » .

وقوله (١) :

وَجدْتَنِيَ اللُّجَيْنَ أو الثُّرَيا ... وَتَصْغِيرُ المُصَغَّرِ لا يَجُوزُ

• • •

وقوله (٢) :

أعللتُ عِلةَ قالَ وَهِيَ قَدِيمَةٌ ... أعيَا الأطِبّةَ كُلَّهُمْ إبْرَاؤُها

وفيه كثير من أمثال هذا كقوله في (الجزء الأول ص ٢٥٦ س ٩ ، وص ٣١٠ س ١٧ ، وص ٣١١ س ٨)

وقوله في (الجزء الثاني ص ٤٠ س ٨ ، و ص ١٩٨ س ١٧[٣]) .

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٧٢ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٣ .

(٣) أنظر لزوم مالا يلزم طبعة عزيز زند ، ويقابلها في طبعة هـ الصفحات : (٩٥ ، ١٢٠ ، ١٢٠ ، ٣٠٣ ، ٢٠٥) . والأبيات — على التوالي — هي :

وخلت أني حرف الوقف سكّنه ... وقت وأدركه في ذاك تشديد

• • •

إذا صغر اسماً حاسدوك فلا تُرع ... لذلك والدنيا بسعدك تصغر

• • •

إذا اعتلت الأفعال جاءت عليلة ... كحالاتها أسماؤها والمصادر

• • •

أو لا وآ له العرسَ عن غزلٍ لها ... بالغزْل فهي شقيقة العرناسِ

زيدت بها الف ونون إنّ مِنْ ... فرْس الرقاب نطقت بالفرناس

• • •

جسم الفتى مثل قام فعلْ ... مذ كان مافارق اعتلالا

وقوله في السقط (١) :

فَصَرَّفَني فَغَيَّرَني زَمانٌ سَيُعْقِبُني بِحَذْفٍ وادِّغامِ

وفي كلامه إشارة الى أسماء طائفة من علماء النحو والصرف ، وشيء من كتبهم المؤلفة في هذين العلمين من ذلك قوله (٢) :

تَوَلَّى سِيبَوَيْهِ وَجاشَ سَيْبٌ مِنَ الأَيّامِ فاخْتَلَّ الخَليلُ

• • •

وقوله (٣) :

أَصابَ الأَخْفَشَيْنِ بَصيرُ خَطْبٍ أَعادَ الأَعْشَيَيْنِ بِلا حِوارِ ..

وَما نَفَعَ المُبَرَّدَ مِنْ حَميمٍ وَصادَفَ تَغْلَباً نُوَبٌ ضَوارِ ..

• • •

وقوله (٤) :

أَرَى ابْنَ أَبي إِسْحٰقَ أَسْحَقَهُ الرَّدَى وَأَدْرَكَ عَمْرُ الدَّهْرِ نَفْسَ أَبي عَمْرِو

• • •

وستأتي تتمة القول في هذا عند الكلام على النحاة واللغويين ورأيه فيهم .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٤٧٣ وفيها : « وصرّفني » .

(٢) اللزوميات ٥ ص ١٩٨ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ١٠٧ وفيها : « وصادف » .

(٤) اللزوميات ٥ ص ١٤٦ .

واذا أنعمنا النظر في أقواله في النحاة والصرفيين ، وأضفناها الى ما ذكره في (رسالة الملائكة ص ١٢) على لسان رضوان لمّا جاءه مع جماعة من ٌخان[1] الأدباء . وقالوا له : يا رضو . . . وذكروا له شيئاً من مسائل هذين العلمين ، قال : « فيتبسم رضوان ، ويقول لهم : إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون . فانصرفوا . . . فقد أكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه . وانما كانت هذه الأشياء أباطيل زخرفت في الدار الفانية ، فذهبت مع الباطل . . » ثم قوله : « وقد حرم علي الكلام في هذه الأشياء ، لأني طلقتها طلاقاً بائناً ، لا أملك فيه الرجعة ؛ وذلك أني وجدتها فوارك فقابلتها بالصلف . » ثم قوله : « وأحلف بجروة الكذوب .. لأن آزِمَ صابة أو مقرةً آثر لدي من أن أتكلم في هذه الصناعة كلمة .. وقد تكلفت الاجابة .. [2]» إلى قوله في (الأيك والغصون) : « يانحو يانحو حق لما كسب منك محو » الى آخره . ونحو ذلك من أقواله في هذا الموضوع.

إذا نظرنا إلى مجموع ذلك يتبين انا أنه كان ينظر إلى بعض مسائل هذين العلمين ورجالها نظر استخفاف ومقت ، ولعل سبب ذلك أن بعض العلماء كان يلتمس وجوهاً بعيدة أو ضعيفة لتقوية قوله ، ويتأول تأولات واهية متكلفة لا تطمئن اليها النفس ، ولا يتقبلها الذوق السليم بقبول حسن.

---

(١) ٌخان الناس : سفلتهم .

(٢) انظر رسالة الملائكة تحقيق المؤلف ص ٢٥—٥٥ ، وآزم : الأزم شدة العض . وصابة ومقرة : شجرتان مرتان .

اللغة

كان أبو العلاء آية باهرة في اللغة ، وطالما حدثتني نفسي أنه أحاط من مفرداتها ونوادرها وشواذها بما لم يحط به العرب الخلص ، وأنه أوثق فيها من بشار وابن هرمة ، وكنت أخشى أن يحمل ذلك على الغلو في حبه إذا جهرت به .

شهادة التبريزي في أبي العلاء :

ثم رأيت ابن العديم نقل عن ابن الشجري عن أبي زكريا التبريزي أنه قال : « ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعري .. [١] » . وقال البديعي بعد أن ذكر أن له كتاباً أربعة : « ويروى عن أحدهم أنه قال : لا أعلم أن العرب نطقت ... [٢] » .

طلاب أبي العلاء الذين اختبروه في اللغة :

« ولقد اتفق قوم ممن يقرأون عليه ، فوضعوا حروفاً وألفوها كلمات ، وأضافوا إليها من غريب اللغة ووحشيها كلمات أخرى ، وسألوه عن الجميع على سبيل الامتحان ، فكان كلما وصلوا إلى كلمة مما ألفوه ، ينزعج لها وينكرها ويستعيدها مراراً ، ثم يقول : دعوا هذه . والألفاظ اللغوية يشرحها ويستشهد عليها حتى انتهت الكلمات ، ثم أطرق ساعة مفكراً ، ورفع رأسه ، وقال : كأني بكم وقد وضعتم هذه الكلمات لتمتحنوا بها معرفتي وثقتي في روايتي ، والله لئن لم تكشفوا لي الحال ، وتدعوا

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء . ص ٥٦٩ عن الإنصاف والتحري — لابن العديم .
(٢) أوج التحري — للبديعي — ص ١٣ تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني .

الحال (١) . وإلا فهذا فراق بيني وبينكم . فقالوا له : والله الأمر كما قلت ، وما عدوت ما قصدناه ، فقال : سبحان الله ، والله ما أقول إلا ما قالته العرب ، وما أظن أنها نطقت... (٢) » . هذا ما وجد في كلام ابن العديم ، ثم ذكر بعد ذلك قوله : « والرائد لا يكذب أهله .. » وهو قطعة من كتاب كتبه إلى الوزير الفلاحي ، والظاهر أن النسخة التي وقعت إلينا فيها نقص ، فظن الناسخ أن الكلام في صدد واحد .

شهادة الصفدي :

وقد عدد الصفدي من رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نالها وقال : « وأبو العلاء المعري في الاطلاع على اللغة وفي البلغة في أئمة اللغة ، وقال محمد بن رادة : كان بالمشرق لغوي وبالمغرب لغوي في عصر واحد لم يكن لهما ثالث ، وهما أبو العلاء وابن سيده .. »

موازنة بين ابن سيده وأبي العلاء :

وابن سيده هذا تقدمت ترجمته في الكلام على اللغة في العصر العباسي ، وقد قال ياقوت (ج ١ ص ٨٥ (٣)) : « ولم يكن في زمنه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب ، وما يتعلق بعلومها » . ومما لاشك فيه أن ابن سيده كان غزير العلم واسع الاطلاع على اللغة ، ولكن بينه وبين أبي العلاء مشابهة من جهة ومفارقة من جهات ، أما جهة المشابهة ،

---

(١) كذا في الأصل (ج) .

(٢) وفي أوج التحري ص ١٣ . « .. العرب نطقت بعيء ولم أعرفه » (ج)
وانظر تعريف القدماء ص ٥٧٠ عن الانصاف — لابن العديم — .

(٣) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .

فإن أبا العلاء كان يشابهه في سعة الاطلاع على اللغة وغزارة العلم إن لم يزد عليه ، وأما جهات المفارقة فكثيرة .

منها : أن الصفدي نقل في(النكت ص ٢٠٤) قول ياقوت ، ثم قال : « وكان ابن سيده ثقة في اللغة ، حجة ، لكنه عثر في المحكم عثرات .. » وقد قدمنا أقواله في أبي العلاء في نكت الهميان ، والوافي بالوفيات . ولم ينقل عن أحد أن المعري عثر في اللغة ، وما وقع من اعتراض عليه فإنما نشأ من ضعف المعترض ، أو عدم اطلاعه ، أو عدم معرفته ماأراده المعري ، أو إن شئت فقل : من وهم أو سقم في الفهم كما سيتضح ذلك .

ومنها : أن أبا العلاء استطاع أن يسخر اللغة والعلم فيما أراده من الأغراض ، نظماً ونثراً .

أبو العلاء يحب إظهار علمه وقدرته في اللغة :

وقد كان أبو العلاء يحب أن يظهر سعة علمه ، وغزارة لغته ، وقدرته على التصرف فيها ، في كل موطن تسنحت له فيه فرصة . ونحن نذكر بعضاً من تلك المواطن لندل على صحة مانقول .

المواطن الدالة على اظهار علمه ولغته ، بيتا النمر وتحويلهما على حروف المعجم :

فمنها تحويله قافية بيتين للنمر بن تولب على جميع حروف المعجم وإتيانه بكلمة ملائمة للقافية والوزن وهي في (رسالة الغفران ص ١٢ [١]) . وقد قال الصفدي في (الغيث المسجم) : « ومن وقف على كلام أبي العلاء .. في ذينك البيتين .. وكيف غير القوافي منها ، ونزّلها على سائر حروف

---

(١) انظر الرسالة تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٣٣ ـ ٤٤ .

المعجم خلا حرف الطــاء (١) علم تمكّن أبي العلاء من الأدب واطلاعه على اللغة » .

الجمل الدعائية في المنيح :

ومنها أنه كان يكثر الجمل الدعائية، ويتفنن في ايرادها بصور مختلفة حتى في الرسائل الأخوية ، ويضع كل واحدة في الموضع المناسب لها .

ففي (رسالة المنيح) تجد مثل قوله : « أطال الله بقاء سيدنا . جعل الله لشانئه كوكب الرجم وحــادي النجم . أدام الله عزه ذريعة الانتفــاع . أدام الله تأييده . أدام الله سلطــانه . أدام الله قدرته (٢) » .

الجمل الدعائية في الإغريض :

وفي (رسالة الاغريض) تجــد مثل قوله (٣) : « فَحرسَ الله سيدَنا حتى تدغمَ الطاءُ في الهاءِ ، فتلك حراسة بغير انتهاء جعل الله رُتبتَه التي هي كالفاعِلِ والمبتدإ ، نظيرَ الفعل في أنها لاتنخفض أبداً . أدام الله لها القدرة ، مادام الضربُ الأولُ من الطويل صحيحاً ، والمنسرحُ خفيفاً سريعاً ، وقبَضَ اللهُ يمنىْ عدوّهما عن كل متَمْنٍ (٤) قبضَ

(١) هكذا في الأصل بالطاء المهملة ، وهو خطأ لأنه ذكر حرف الظاء ص ١٥ س ٦ وكذلك ذكر فيها الظاء المعجمة ، وقال : لن الأطعمة تقل فيها الظاء ، كقلتها في غيرها لأن الظــاء قليلة جداً . فتأمل (ج) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٠٥ .

(٢) رسائل أبي العلاء ـ لعاصين عطية ـ ص ٥ ـ ٣٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٦ ـ ٥٢ .

(٤) المتمن : الغني .

العروضِ من أولِ وزنٍ ، وُجمَ له من المهانة إلى التقييد ، كما جُمما في ثاني المديد ، وقُلِمَ قلْمَ القسيطِ (١) ، وخبل كباعي البسيط ، وعَصَبَ الله الشرَّ بهامة شانِئِيها وهو مخزوّ (٢) ، عصب الوافر (٣) وهو مجزوّ ، بل أضمرته الأرض اضمار ثالث الكامل ، وعداه أمل الآمل . وسلم سيدانا (٤) — أعز الله نصرهما — ومن أحبّاه وقرّباه سلامة متوسط المجموعات ، فإنه آمِنٌ من المُروّعات . وسيدنا أطال الله بقاءه . . . سيدنا أطال الله بقاءه معترفا ، أعز الله سلطانه . . . . » .

الجمل الدعائية في رسالته إلى النكتي :

وفي رسالته إلى أحمد بن عثمان النكتي البصري ، أورد طائفة من الجمل الدعائية ، وقد كرر فيهـا قوله : « أدام الله عزه » ست عشرة مرة (٥) .

وفي كتابه الذي كتبه الى بعض أولياء السلطان ، يشفع فيه بالحسين ابن عنبسة خمس جمل دعائية (٦) .

وفي قطعة من كلامه الذي كتبه الى أبي الحسن بن سنان ، نحو عشر جمل دعائية (٧) .

وهذا سبيله في أكثر رسائله القصيرة والمتوسطة .

---

(١) القسيط : قلامة الظفر .

(٢) مخزو : مقهور .

(٣) في الأصل : « الكامل » وفي الرسائل — لشاهين عطية — : « الوافر » والعصب مما يصيب الوافر .

(٤) في الأصل : « سلم الله سيدانا » واضافة اسم الجلالة من سبق القلم . وفي الرسائل : « سلم سيدانا » وهو الصواب .

(٥) الرسائل — لشاهين عطية ص ١٠٥ — ١٥١ .

(٦) المصدر السابق ص ٥٣ — ٥٩ .

(٧) المصدر السابق ص ٢٢١ — ٢٢٥ .

الجمل الدعائية في رسالة الغفران :

أما (رسالة الغفران) ففيها نحو من مائة وثلاثين جملة دعائية . وقد كرر فيها جملتين إحداهما : « أدام الله تمكينه » والثانية : « ثبت الله وطأته » .

وجمله في هذه الرسالة متفاوتة في القدر ، مختلفة الجهة ، فمنها ما هو جملتان ، كقوله : « كبت الله عدوّه ، وأدام رواحه الى الفضل وغُدُوّه » وقوله : « جعل الله أمنه متصلا ، والطالب شأوه من تقصير منتصلاً » .

ومنها ما هو جملة واحدة ، كقوله : « ثبت الله أركان العلم بحياته . . ، أكمل الله زينة المحافل بحضوره » .

ومنها ما هو دعاء له بالبقاء ، كقوله : « أبد الله مجده بالتأبيد » .

ومنها ما هو دعاء له بالثواب في الآخرة كقوله : « أزلفه الله مع الأبرار المتقين . . . أجزل الله عطاءه من الغفران » .

ومنها ما هو دعاء على حساده وأعدائه ، كقوله : « أرغم الله حاسده . . . أحل الله الهلكة بمبغضيه . . . ميّز الله من الغيظ قلب عدوه » .

وفي الرسالة جمل كثيرة فيها دعاء لغير ابن القارح أو على غيره كقوله : « ضفت عليك نعمة الله[1] » ص ٤٩ ، « رجع عليه حَجَرُه ، وطال في الآخرة ضَجَرُه[2] » ص ١٥٨ ، وربما زاد ما في هذه الرسالة وحدها من الجمل الدعائية على مائة جملة لابن القارح وحده . وفي بعض جمله الدعائية تلميح الى بعض المسائل العلمية ، كما نرى في رسالة الإغريض .

---

(١) رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٣٣ .
(٢) في المصدر السابق ص ٤١٣ .

إيجاده المناسبة لإظهار قدرته ، ذكر اللفظ وما يجانسه أو يوافقه :

ومنها ، أنه يذكر اللفظ ، ثم يمهد السبيل لذكر ما يجانسه أو يوافقه في صيغته أو مادته . كقوله في السقط :

وَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ ... بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ [١]

وقوله :

إِذَا هَمَى الْقَطْرُ شَبَّتْهَا عَبِيدُهُمُ ... تَحْتَ الْغَمَائِمِ لِلسَّارِينَ بِالْقُطُرِ [٢]

ذكر اللفظ وإيراد معان تتعلق به :

وقد يذكر اللفظ ، ثم يأتي بمعان أو بحوادث تتعلق به . كما ترى ذلك في لفظ الدنانير التي ذكرها في (ص ١٩٥ من رسالة الغفران) وفي لفظ الثمانين المذكورة فيها في (ص ٢٠١) وكذلك لفظ التاج (ص ١٥٧) والقضيب (ص ١٥٩) والفريد (ص ١٦٠) والمرجان (ص ١٦٠) والأباريق (ص ٩) والرباب (ص ٤٣) [٣] .

ذكر اللفظ وما يقابله أو يضاده :

وأحياناً يذكر اللفظ وما يقابله أو يضاده ، كقوله :

نَحْنُ قُطْنِيَّةٌ وَصُوفِيَّةٌ أَنْـ ... ـتُمْ فَقُطْنِي مِنَ التَّجَمُّلِ قُطْنِي [٤]

---

(١) شروح سقط الزند ، ق ١ ص ١٢٩ وفيها : « فالحسن » .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٢ وشبتها : أي شبت عبيدهم النار ، والقطر بضمتين : العود الطيب الذي يتبخر به .

(٣) الغفران طبعة أمين هندية ١٣٢١ هـ .

(٤) اللزوميات ٥ ص ٢٨١ ، قطني : بفتح القاف أي حسبي .

وقوله :

عَرَفْتُ سَجَايَا الدَّهْرِ أَمَّا شُرُورُهُ فَنَقْدٌ وأَمَّا خَيْرُهُ فَوُعُودُ[١]

ذكر اللفظ وما يرادفه أو يشابهه :

وأحياناً يذكر المعنى الواحد للفظ ، ثم يقفّي على آثار ذلك بمرادفاته أو مشابهاته ، ولو على سبيل التقريب ، كما ترى ذلك في لفظ الخمر التي ذكرها في (رسالة الغفران في ص ٣٢ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ [٢]) .

الخمر وما يرادفها تقريباً :

فقد ذكر من مرادفاتها ، مثل : « الخرداذي ، والقرقف ، والفيهج ، والإسفنط ، والقهوة ، والصهباء ، والمدام ، وأم زنبق ، والراح ، والجمهوري ، والبختج ، والمنصف ، والطلاء ، وأم ليلى ، والعقار ، والسبيئة ، والكميت ، والصرخدي ، والسلاف ، والخرطوم ، والعاني ، والمعتقة ، والشمول » .

المواطن التي تنسب اليها الخمر :

وعلى ذكر الخمر ذكر في (ص ١١) [٣] مواطن كثيرة ، تنسب اليها الخمر : « كمانة ، وأذرعات ، وغزة ، وبيت رأس ، والفِلِسْطِيَّة ، وبصرى ، ووَجّ ، وصرخد ، وبابل » وغيرها .

أجناس المسكرات :

وذكر من أجناس المسكرات : « مفوقــات للشارب ، وموكرات كالجعة والنبيعْ والمِزْر والسُّكُرْكَة .. [٤] » .

---

(١) اللزوميات هـ ص ٩٠ .

(٢) الغفران طبعة أمين هندية ١٣٢١ هـ

(٣) المصدر السابق .

(٤) رسالة الغفران ص ٣٠ تحقيق بنت الشاطئ ط ١ .

المعقيات (١) :

وذكر المعقيات (ص ١٦) فأورد الصاب ، والمقر ، والسلع ، والجعدة ، والشيح ، والهبيد .

وأحياناً يذكر مسميات متعددة ، ويذكر لكل مسمى اسماً مختصاً به ، كقوله في (ص ٦٥) : « فارتفع رغاء العكر ، ويعار المعز ، وثؤاج الضأن ، وصياح الديكة ... » .

تخصيص الاسماء بالمسميات :

وقوله في (ص ٢٧) : « فهل لك أن نركب فرسين من خيل الجنة ، فنبعثها على صيرانها ، وخيطان نعامها ، وأسراب ظبائها ، وعانات حمُرها (٢) » .

جعله لزوم ما لا يلزم ١١٣ فصلاً :

ومنها أنه جعل ديوانه (لزوم ما لا يلزم) مائة وثلاثة عشر فصلاً . وقد أورد فيه قوافي جميع الحروف الهجائية الثمانية والعشرين في أحوالها الأربع : الضم والكسر والفتح والسكون ، مع التزام حرف أو أكثر قبل الروي كما سيأتي .

جعله الفصول والغايات على جميع حروف المعجم :

ومنها أنه جعل (الفصول والغايات) على حروف المعجم ، والتزم أن يكون ما قبل الحرف المقصود ألفاً في جميع فواصله ، كما سيأتي أيضاً .

---

(١) أعقى الشيء : صار شديد المرارة ، والشيء أمقطه من فيه لشدة مرارته . رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطيء ط١ ص ٤٤ .

(٢) فالصيران : جمع صوار ، القطيع من البقر ، والخيطان : جمع خيط ، القطيع من النعام . والأسراب : جمع سرب ، القطيع من الظباء . والعانات : جمع عانة ، القطيع من حمر الوحش (ج) . الرسالة تحقيق بنت الشاطيء ص ٨١ .

جعله خماسية الراح مع خمس سجعات لكل حرف يتحرك :

ومنها أنه جعل في كتابه (خماسية الراح) لكل حرف يمكن أن يحرك خمس سجعات مضمومة ، وخمساً مفتوحة ، وخمساً مكسورة ، وخمساً موقوفة ، أي ساكنة .

جعله السجعات العشر على حروف المعجم عشراً لكل حرف :

ومنها أنه بنى كتابه (السجعات العشر) على حروف المعجم ، فجعل على كل حرف عشر سجعات .

بناؤه الأيك والغصون على إحدى عشرة حالة ، لكل حرف من حروف الهجاء :

ومنها أنه بنى كتابه (الأيك والغصون) على إحدى عشرة حالة ، لكل حرف من حروف الهجاء .

• • •

تفسيره وشرحه الألفاظ

ومن أبرز المواطن التي تتجلى فيها قدرته اللغوية ، ويتبين فيها عزمه على إظهار هذه القدرة ، الشروح والتفاسير التي أوضح فيها المراد ، وأزاح الغموض واللبس .

وهي قسمان :

١ — قسم شرح فيه ما في كتبه ورسائله التي هي من ثمرات قريحته .

٢ — وقسم شرح فيه كلام غيره .

وكل منهما نوعان : نوع يختص بالكتب الشعرية ، ونوع يختص بالكتب النثرية .

شرحه المنظوم من كتبه :

أما القسم الأول : فالنوع الأول منه ، مثل كتاب (ضوء السقط) الذي شرح فيه ديوانه (سقط الزند) وكتاب (راحة اللزوم) وكتاب (الراحلة) وكتاب (زجر النابح) المتعلقة بديوانه (لزوم مالا يلزم) .

شرحه المنثور من كتبه :

وأما النوع الثاني منه : فمثل كتاب (السادن) وكتاب (إقليد الغايات) اللذين شرح فيهما مافي كتابه (الفصول والغايات) من الغريب ، وأماط اللثام عن كثير من المقاصد فيه . وكتاب (خادم الرسائل) الذي شرح فيه الغريب في رسائله . وكتاب (تفسير خطبة الفصيح) الذي شرح فيه ماجاء من الغريب في كتابه (خطبة الفصيح) وكتاب (لسان الصاهل والشاحج) الذي فسر فيه كتابه (الصاهل والشاحج) وكتاب (منار القائف) الذي فسر فيه مافي كتابه (القائف) . وكتاب تفسير (الهمزة والردف) .

شرحه المنظوم من كتب غيره :

وأما النوع الأول من القسم الثاني : فمثل كتاب (ذكرى حبيب) في تفسير شعر أبي تمام . وكتاب (الرياش المصطفى) الذي شرح فيه مواضع من (الحماسة الرياشية) . وكتاب (عبث الوليد) الذي شرح فيه وصحح مافي شعر البحتري وكتاب (اللامع العزيزي) في شرح غريب شعر المتنبي . و (نشر شواهد الجمهرة) .

شرحه المنثور من كتب غيره :

وأما النوع الثاني من القسم الثاني : فمثل كتاب (عون الجمل) في شرح شيء من كتاب (الجمل) . (وشرح كتاب سيبويه) وشرح (خطبة أدب الكاتب) .

بقية كتبه ورسائله :

وسترى في فهرست كتبه كثيراً من الكتب ، لم نتمكن من الاطلاع عليها ، لنعلم ماتشتمل عليه من الأغراض والمواضيع والشروح . وإذا قيست إلى مارأيناه من كتبه ، فإنها تكون طافحة بالشروح والتفاسير .

شرح الألفاظ خلال كلماته المنظومة :

ويضاف إلى ماتقدم ذكره ، أن أبا العلاء كان يتصدى خلال كلامه إلى شرح بعض الألفاظ العويصة ، سواء أكانت من كلامه أو كلام غيره ، ويعيّن المعنى المراد من اللفظ ، إذا كان مشتركا بين معنيين فأكثر ، أو كان محتملا لأكثر من معنى واحد ، إما بواسطة أداة التفسير ، أو ببيان ماتشتق منه الكلمة أو تجمع عليه أو بيان مفردها ، أو غير ذلك من الطرق التي تزيل الإبهام والغموض ، وهذا النوع وقع منه في نظمه ونثره .

أما في النظم ففي مثل قوله في (لزوم مالا يلزم) :

يَاثَلَّةً فِي غَفْلَةٍ وَأُوَيْسُهَا الـــقَرَنِيُّ مِثْلُ أُوَيْسِهَا أَيْ ذِيبِهَا[1]

وقوله :

فَلاَ يُمْسِ فَخَّاراً مِنَ الفَخْرِ عَائِدٌ إِلَى عُنْصُرِ الفَخَّارِ لِلنَّفْعِ يُضْرَبُ[2]

---

(١) اللزوميات ه ص ٥١ والثلة : الجماعة الكثيرة من الضأن والمعزى .

(٢) اللزوميات ه ص ٣١ .

وقوله :

وَفوائِدُ الأَسفَارِ جَمعِ السِّفرِ في الدُّ ... نيا تَفُوقُ فوائِدَ الأَسفارِ[1]

وقوله :

نُوديتُ أُلْوَيتَ فانزِلْ لا يرادُ أَتى ... سَيرِي لِوَى الرَّمْلِ بَلْ لِلنَّبتِ إلواء[2]

فإنه فسر في البيت الأول الأُوَيْسَ بالذئب بواسطة أي . وبيّن في البيت الثاني أن فَخَارا مشتقة من الفخر ، وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغيره ، وليست من الفخار الذي هو من الطين المشوي . وبيّن في البيت الثالث أن الأسفار جمع سِفر بكسر فسكون وهو الكتاب ، لاجمع سَفَر بفتحتين وهو قطع المسافة .

شرحه الألفاظ خلال كلماته المنثورة :

وأمـا في النثر ، فقد وقع في كلامه ، ولكننا لم نر جميع رسائله وكتبه لنحكم عليها بما فيها ، وأكثر مارأينا ذلك في (رسالة الغفران) فإنه شرح فيها أكثر من مائة وأربعين كلمة ، وبين المراد منها واستشهد على بعض ذلك بكلام من يحتج بكلامه . وإيراد الألفاظ المفسَّرة والمفسِّرة يشغل فراغاً كبيراً لايحتمله هذا الكتاب ، وربما أورث القارىء مللًا وسآمة . ولذلك اكتفينا بذكر أكثر من مائة وأربعين كلمة من الكلمات التي شرحها أو فسرها أو عيّنها . وأشرنا إلى مواقعها في رسالة الغفران المطبوعة في مصر في مطبعه هندية بالموسكي سنة ١٣٢٥ هـ وسنة ١٩٠٧ م وضربنا صفحاً عن بعض الألفاظ ، توخياً للاختصار .

---

(١) اللزوميات ٥ ص ١٦٢ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢٢ .

فمن هذه الألفاظ « الحماطة في صفحة ٥ » « الحضب الأسود ص ٦ »
« ذات أنواط ص ٨ » « أباريق ص ٩ » .

الألفاظ التي غير بها قافية بيتي النمر وهي : « الكشء ، والصرب ، الكمت ، والبث ، والدج ، والمح ، والبـــح ، والرّح ، والجحّ ، والسّح ، والمخّ ، والثعد ، والشقذ ، والدبس ، والورش ، واللص ، والفرض ، والأقط ، والكظ ، والخلع ، والصبغ ، والرخف ، والعرق ، والربك أو اللبك ، والرخل ، والطرم ، والحوّ ، والوزه والأزي » . من صفحة « ١٢ إلى ١٦ » « والحظلة ، والسحر ، والمصاب ص ١٦ » . « القار والدهل ص ١٧ » . « الحباق ص ١٩ » « أغار ، ص٢١ » « الدقاري ، المطرّد ص ٢٩ » « مكبور ، يكب ص ٣٠ » « هَيّانك ص ٣١ » « ربش وسُهْمة وخَشْتَش ص ٣٥ » « الغرّاء ص ٤١ » . « السفة الدهماء . المُجلنجل والجَلجل الزبرجد ص ٥٢ » « الحرصات ، الومد ، مهياف . النفأ . الأرمل . المضرم . اللواب . زجة ص ٥٤—٥٥ » « حَممت ص ٥٦ » « التوبة ، القل ص ٥٨ » « الأثاوي ، زقفونة ص ٦٠ » « القرقوف ص ٦١ » « شزراً وبتاً ص ٦٤ » « العباريس ، الأوفاض ، البجد ، كُوي ّ وسري ّ ص ٦٥ » « العفز ص ٦٨ » « يرمّون . البواسن ص ٦٩ » « الاكرامن ص ٧٠ » « أميهة ص ٧١ » « هكبير ص ٧٣ » « بله ص ٧٤ » « عَضَل ص ٧٦ » « المغو ص ٧٨ » « هنيدة . هند ص ٨٢ » « صَرْد . محجّل ص ٨٦ » « نضيضة ص ٨٨ » « الحوم ص ٩٤ » « الخبير ص ٩٥ » « غرلا ، ص ٩٧ » « خزعال ص ١٠٠ » « مَعَنْكَم ص ١٠٠ » « هلهل الشعر ص ١٠٥ » « هلملت ص ١٠٥ » « النُضاضة ص ١٠٧ » « الصدوف ص ١١٢ » « الفُرهود ص ١١٨ » « الفيلق السيلق . المناجيب ص ١١٩ » « بجير ص ١٢١ » « الإلاقيّ ص ١٢٢ »

« كِناس ص ١٢٣ » « سادراً ، ص ١٢٥ » « شق التينة والتمرة ص١٢٧ » « أعظم ص ١٢٨ » « الملوهة ص ١٢٩ » « التبوه ص ١٣٣ » « الخَزْبَق ص ١٣٦ » « العذب ص ١٤٤ » « السُّواف ص ١٤٧ » « وَعلا ، ص ١٥٧ » « ماغ ، ص ١٥٨ » « قضيب ص ١٥٩ » « العَمر ص ١٦١ » « الجعفر ، ص ١٦٣ » « الماقط والمصادع ص ١٦٨ » « عواه . الحوف . الوقير ص ١٦٩ » « الإشاءة . العوانة والكافور ص ١٧٠ » « عرّف ص ١٧٤ » « الدار ص ١٧٦ » « البُهم ص ١٨٤ » « نثيشاً ص ١٨٥ » « لبنوك ص ١٨٧ » « تحلّ ص ١٨٨ » « السبَل . أنسَخ ص ١٩١ » « يسلأ ص ١٩٢ » « صنانير . عيمة . الرميّ ص ١٩٨ » « دينار النُّخة . الكاروكة ص ٢٠٠ » « القامة ٢٠١ » « معطار ص ٢٠٣ » .

وقد ذكر أبو العلاء في (ص ٢١ من الغفران) أبياتاً للأعشى فيها قوله :

. . . . أغارَ لَعَمْرِي في البِلادِ وأنْجَدَا (١)

وذكر ما قيل في هذا البيت واعتذر عن ذلك فقال : « وهو ـ أكمل الله زينة المحافل بحضوره ـ يعرف الأقوال في هذا البيت ، وإنما أذكرها لأنه قد يجوز أن يقرأ هذا الهذيان ناشىء لم يبلغه ذلك » .

واعتذر عن شرحه بعض الكلمات لابن القارح بقوله في (ص ١١٨) : « وهو ـ آنس الله الإقليم بقربه ـ أجلّ من أن يشرح له مثل ذلك ، وإنما أفرق من وقوع هذه الرسالة في يد غلام مترعرع ، ليس إلى الفهم

---

(١) عجز بيت من قصيدة الأعشى وصدره : « نبيّ يرى ما لا يرون وذكره . . . » انظر رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٦٢ .

بتسرع ، فتستعجم عليه اللفظة ، فيظل معها في مثل القيد ، لا يقدر على العجل ولا الرويد .[١] » .

وهذا اعتذار على سبيل التواضع ، والحق أن أبا العلاء كان يتعمد الشرح لإظهار مقدرته العلمية واللغوية ، وليفهم ابن القارح ما لا يعلمه منه ، كما كان يتعمد إيراد الألفاظ اللغوية ، لإظهار ذلك . وهذا سبيله في أكثر كتبه ، وهو — كما قلنا — غزير المادة ، فإذا لم يظهر معرفته بالمأنوس والوحشي منها لابن القارح وأمثاله فلمن يظهرها ؟ .

ومما تقدم ذكره يتضح لنا أن في (لزوم مالا يلزم) و (الفصول والغايات) و (رسالة الغفران) وغيرها من رسائله و (السقط) وما نقله التبريزي عنه في (شرح الحماسة) و (شرح السقط) من التفسير والتأويل والتوجيه والاشتقاق يكفي للدلالة على كثرة حفظه ، وسعة اطلاعه ، ومعرفته بأصول الكلمات وتخريجها وردها إلى أصولها ، ومقايستها بأشباهها ، ومعرفة الشاذ والنادر منها ، وفيها من النقد ومناقشة الشعراء وغيرهم والاستطراد إلى ذكر المسائل العلمية في فنون متعددة ، ما يدل على سعة علمه ، وبعد نظره ، وسلامة ذوقه ، واطلاعه على أسرار اللغة ودقائقها وغريبها . ولو وصلت الينا كتبه كلها لرأينا فيها أضعاف ما رأينا من الدلالة على بسطة في العلم واللغة ، وبراعة في الفهم والنقد . ولا ننكر ولا نستطيع أن ننكر ، ولا يستطيع غيرنا أن ينكر أن الشاعر لا يستطيع أن يصرف كل ما يعلمه من اللغة ومسائل العلم في شعره ، بل لا يمكنه أن يستخدم فيه ربع ما يعلمه ويحفظه .

---

(١) انظر الرسالة تحقيق بنت الشاطيء ط ١ ص ٣٠٧ .

تكلمه بالأعجمية

ولم يكن أبو العلاء يعرف غير العربية ، ولكنه استعمل بعض الكلمات من غيرها ، مما تكلم به الفصحاء قبله أو نقلوه . أو مما لم يتكلم به غيره . وإنما أوردها على سبيل التملح أو التظرف أو لغرض آخر لم نتبينه . فمن الأول كلمة « السور » في قوله في اللزوم [١] :

لا يُبصِرُ القَومُ في مَغناكَ غِسلَ يَدٍ على الطَّعامِ إلى أن يُرفَعَ السُّورُ

ولفظ السور استعملها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لأصحابه : « قوموا فقد صنع جابر سورا » . قال ابن الأثير في (النهاية) :أي صنع طعاماً يدعو اليه الناس . وفي (اللسان) وغيره : صنع طعاماً دعا الناس اليه .

ومنه لفظه « البواسن » قال في (رسالة الغفران ص ٦٩) : « فيقول .. لمن حضره من أهل العلم : ما تسمى هذه السلال بالعربية ؟ فيرمون : أي يسكتون : ويقول بعضهم : هذه البواسن ، واحدتها باسنة . فيقول قائل : من ذكر هذا من أهل اللغة ؟ فيقول . . : قد ذكرها ابن درستويه [٢] وهو في الحضرة ، فيقول له الخليل : من أين جئت بهذا الحرف ؟ فيقول : وجدته في كتاب النضر بن شميل [٣] ، فيقول الخليل : أتحق

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٢٤ .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه من علماء اللغة والنحو صحب المبرد وله كتب كثيرة توفي سنة ٣٤٧ هـ (ج) .

(٣) النضر بن شميل بن خرشة البصري الأصل أخذ عن الخليل والعرب وأقام بالبادية أربعين عاماً وله كتب كثيرة توفي سنة ٢٠٤ هـ كما في البغية (ج) .

هذا يا نضر ؟ فيقول : قد التبس عليّ الأمر » اهـ . قال ابن الأثير في حديث ابن عباس : نزل آدم عليه السلام من الجنة بالباسنة ، قيل : إنها آلات الصناع ، وقيل : هي سكة الحرث ، وليس بعربي محض . وقال ابن بري : البواسن جمع باسنة سلال القفاع . وقال الميمني في ذيل ص ٥٦ [1] : « وذكر في الغفران لفظ « الباسنة » والجمع : بواسن بمعنى الإناء . وهي هندية فيما أحسب » فتأمل . وعلى كل حال فإن ظاهر كلام أبي العلاء إنكار هذه الكلمة .

ومن الثاني كلمة « آرا » في قوله في اللزوم [2] : .

إِذَا قِيلَ لَكَ اخْشَ اللهَ مَوْلاَكَ فَقُلْ آرا

وقد استعملها في (الفصول والغايات) وقال في ص ٤٢١ : « آرى بالفارسية نعم » . وكلمة « منش » و « أبي ضابط » . وقد ذكرنا ما يتعلق بهاتين الكلمتين في رحلته الى طرابلس واللاذقية وأنطاكية .

وقد رأيت في كلام أبي العلاء بعض كلمات لم أجدها فيما لديّ من كتب اللغة ، ولا فيما رأيته من الكلام الفصيح .

من ذلك : كلمة « زقفونة » فقد ذكرها في (رسالة الغفران ص ٧٠) في بيتين ، أحدهما للجحجلول الكفرطابي . والثاني لم يسم قائله . وفسرها بأن يطرح الإنسان يديه على كتفي الآخر ، ويمسك بيديه ويحمله وبطنه الى ظهره . ولم أرها في غير هذا المكان .

ومنه لفظ « التلاف » بمعنى التلف والهلاك . وقد ذكرها في (لزوم مالا يلزم) في قوله ص ١١١ ج ٢ :

---

(١) أبو العلاء وما اليه .

(٢) الزوميات هـ ص ٢٨ .

تَلاَفَيْنَاهُمُ بِالقَوْلِ فِيــهِ فَجَاءَهُمُ التَّلاَفِي بِالتَّلاَفِ[1]

وقوله في ج ٢ ص ١٥٣ :

وَهَل أُلِمّ وِدَاداً رُمّ مِنْ شَعَثٍ وَقَدْلَمَحْتُ تَلاَفِي فِي تَلاَفِيكَا[2]

وقوله في ج ٢ ص ٩٨ :

تَلاَفَ أَمْرَكَ مِنْ قَبْلِ التَّلاَفِ بِهِ فَغَايَةُ النَّاسِ فِي دُنْيَاهُمُ التَّلَفُ[3]

وقوله في (رسالة الغفران ص ١٢٣) : « ولا تلافي بعيد التلاف »

فان المراد من التلاف بحسب الظاهر التلف والهلاك ولم أر من ذكر ذلك .

ورأيت له كلمات انتقدها بعض العلماء ، ولها وجه صحيح . من ذلك لفظ الكل فقد قال في (اللزوم ج ١ ص ٢٧٩) :

لِكُلٍّ شِيمَةٌ وإِلى التَّغَاضِي أُجِيءُ الكُلُّ مِنْ خُوصٍ وَخُزْرِ[4]

فإن الظاهر أنه يريد بالكل الاستغراق وعموم الأجزاء . وقد أنكر جمهور العلماء دخول « أل » على كل وبعض ، وأبو العلاء أنكر ذلك حيث يقول في (رسالة الغفران ص ١٥١) : « وكذلك قوله : الكل إدخال الألف

---

(١) وانظر اللزوميات هـ ص ٢٩٦ .
(٢) المصدر السابق ص ١٨٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٩٠ .
(٤) المصدر السابق ص ١٥٤ .

واللام مكروه ، وكان أبو علي يجيزه ، ويدعي إجازته على سيبويه . فأما الكلام القديم فيفتقد فيه الكل والبعض . وقد أنشدوا بيتاً لسحيم :

رأيتُ الغَنِيَّ والفَقِيرَ كِلَيْهِمَا
إلى المَوْتِ يأتي المَوْتُ للكُلِّ مُعْمِدا[1] »

وقد أجازه غير أبي علي . قال في (اللسان) : وكل وبعض معرفتان ، ولم يجيء عن العرب بالألف واللام ، وهو جائز لأن فيهما معنى الإضافة ، أضفت أو لم تضف ، وهذا كلام الجوهري في (الصحاح) . وقال الأزهري : أجاز النحويون إدخال الألف واللام على بعض وكل إلا الأصمعي . وقال أبو حاتم : قلت للأصمعي : رأيت في كلام ابن المقفع : العلم كثير ، ولكن أخْذَ البعضِ خيرٌ من ترك الكل . فأنكره أشد الإنكار ، وقال : بعض وكل معرفتان ، لأنهما في نية الإضافة ، ومن هنا قال أبو علي الفارسي : هما معرفتان لأنهما في نية الإضافة . وقد نصبت العرب عنهما الحال ، فقالوا : مررت بكل قائما . ورأيت في (شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٢٨) من حديث : فَضْلِيّ أمير الكل . وبعد هذا فالأرجح والأفصح ما قاله الأصمعي وأبو العلاء .

ومنه إدخال « أن » بعد كلمة « هب » في قوله في (السقط ج ٢ ص ٣٥) :

فَهَبْ أنِّي دَعَوْتُكَ لِلتَّصَافي عَلَى غَيْرِ المُعَتَّقَةِ الشَّمُول[2]

---

(١) الرسالة تحقيق بنت الشاطيء ط ١ ص ٣٩٥ .
(٢) وانظر شروح السقط ق ٣ ص ١١٤٥ .

وقد أنكر ذلك جماعة ، وقالوا : « هب » فعل غير متصرف ، لا ماضي له ولا مستقبل ، فالصواب اتصال الضمير به ، فيقال : « هبني » وقال ابن بري : إذا كان بمعنى « احسب » جاز أن يدخل على أن ومعموليها ، فيسدان مسد مفعوليه ، على أنه قد سمع ، فلا مانع منه قياساً واستعمالاً . وفي (المغني) « هب » : بمعنى ظنّ ، الغالب تعديه الى صريح المفعولين . ووقوعه على أن وصلتها نادر . وقد روي : « هب أن أبانا كان حجرا ، ويروى كان حمارا » . وعلى كل فإن التعبير بالجواز وبالندرة يدل على أن ترك أن معه أفصح وأشيع .

ما لحنه فيه بعض العلماء :

وانتقد بعضهم قوله في(السقط ج ١ ص ٢٣) :

شَجَا رَكْباً وأفراساً وَإِبْلا   وَزَادَ فَكَادَ أَنْ يَشْجُوَ الرِّحالاَ[1]

لأنه لم يظهر النصب على واو « يشجو » وجعله مقدراً للضرورة . وقد قدمنا الكلام في هذا ، وفي بيت (لزوم ما لا يلزم) السابق . ونزيد هنا أن الرضي قال في (شرح الكافية ج ٢ ص ٢٣٠) : « ويقدر لأجل الضرورة كثيراً نصب الواو والياء » . اهـ .

وقد وقع في كلام الفصحاء نحو من هذا كقول الأعشى :

فَآلَيْتُ لاَ أَرْثِي لَها مِنْ كَلاَلَةٍ   وَلاَ مِنْ حفًى حَتَّى تُلاَقِي مُحَمَّدَا[2]

---

(١) وانظر العروح ق ١ ص ٧٩

(٢) ديوانه ــ تحقيق الدكتور . م. محمد حسين ــ ص ١٣٥ وفيه : « ..حتى تزور محمدا »

وقول عامر بن الطفيل المتقدم :

. . . . أَبى اللهُ أنْ أسْمُو بِأُمٍّ وَلاَ أَبِ [١]

وقول كعب بن زهير :

أرْجُو وآمُلُ أنْ تَدْنُو مَوَدَّتُها ... وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ [٢]

وقد قال ابن هشام في شرح هذه القصيدة بانت سعاد . . ص ٤٣ : إنه « يحتمل وجهين : أحدهما إهمال أن المصدرية ، حملاً لها على ما المصدرية . . والثاني إجراء الفتحة على الواو مجرى الضمة للضرورة ، قال المبرد : وهو من أحسن الضرورات » . وقد وقع مثل هذا في كلام المتنبي ، كقوله :

إذا شاء أنْ يَلْهُو بِلِحْيَةِ أحْمَقٍ ... أرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقِ [٣]

ولحّن فريق من النحاة أبا العلاء في قوله في (السقط ج ١ ص ٢٨) :

يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ ... فَلَوْلاَ الغِمْدُ يُمْسِكُهُ لَسَالاَ [٤]

قالوا : إنه ذكر خبر المبتدأ الواقع بعد لولا ، وإنما يجب حذفه . وقد تعرض لهذه المسألة ابن هشام في (المغني) في الكلام على « لولا » والصفدي في (الغيث المسجم) وابن مالك في (شرح التسهيل) وابن عقيل في (شرح الألفية) والعيني في (الشواهد الكبرى) والسيوطي في (همع الهوامع) والخضري في (حاشيته على ابن عقيل) .

---

(١) صدره : « فما سودتني عامر عن قرابة » انظر ديوانه ص ٩٣ طبع لايدن .

(٢) ديوانه ص ٩ صنعة السكري طبع دار الكتب المصرية .

(٣) العرف الطيب ٢ : ٢٦٢ .

(٤) انظر الفروح ق ١ ص ١٠٤ .

والذي اختاره المحققون في هذه المسألة ، أن خبر المبتدأ الذي بعد لولا إذا كان كوناً عاماً وجب حذفه . وإذا كان كوناً مقيداً ، فإن لم يدل عليه دليل وجب ذكره ، وإن دل عليه دليل من نفس الكلام جاز إثباته وحذفه . ومنه بيت أبي العلاء ، فإن شأن الغمد إمساك السيف ، وعلى هذا لا يكون البيت لحنا . على أنه يجوز أن يكون « يمسكه » بدل اشتمال والخبر محذوف . وخلاصة القول ، ان البيت بريء من اللحن ، وإن أطال القوم القول فيه .

ولعل قائلا ينكر عليه في اللزوم :

سَعَوْا لِفَسَادِ الدِّينِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ   فَمَا بَالُهُمْ لاَ يُسْتَضَامُوا وَيُدْفَعُوا[1]

لأنه حذف النون من « يستضاموا ويدفعوا » إن لم تكن الرواية : لم يستضاموا . وحذفها في مثل هذا الموضع نادر .

ولقائل أن ينتقد قول أبي العلاء في وصف فرس :

كَأَنَّ أُذْنَيْهِ أَعْطَتْ قَلْبَهُ خَبَراً   عَنِ السَّمَاءِ بِمَا يَلْقَى مِنَ الغِيَرِ[2]

وكان حقه أن يقول : كأن أذنيه أعطتا . وقد قال التبريزي : « قال أبو العلاء : الاثنان عندهم جمع ، فلذلك جاز أن يخبر عنها بإخبار الجمع . وفي الكتاب العزيز ﴿ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ[3] ﴾ . وقال الفرزدق :

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٨١ وفيها : « لم يستضاموا ... » .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٤٦ .

(٣) سورة « ص » الآية ٢٢ .

فَلَوْ بَخِلَتْ يَدايَ بِهَا وَضَنَّتْ   لَكَانَ لَهَا عَلَى القَدَرِ الخِيارُ»[1]

وقال سلمى بن ربيعة :

وَكَأَنَّ فِي العَيْنَيْنِ حَبَّ قَرَنْفُلٍ   أَوْ سُنْبُلاً كُحِلَتْ بِهِ فَانْهَلَّتِ[2]

وقال صدر الأفاضل الخوارزمي : « فإن قلت : كيف لم يبرز الضمير في « أعطت » مع إسناده الى ضمير الاثنين ؟ قلت : إما لأنه قد نزل العضوين منزلة عضو واحد لأن المقصود بهما منفعة واحدة . . . وإما لأنه قد عامل المثنى معاملة الجمع »[3] . واستشهد لقوله في كلا القسمين .

ولابن الشجري في أماليه كلام مفيد في هذا الباب . وقد نقله صاحب (خزانة الأدب ج ٣ ص ٣٧٦) ونقل عن أبي عمرو : إذا كان الاثنان لا يكاد أحدهما ينفرد من الآخر ، مثل اليدين والرجلين والخفين فإن تقدم مثناه جاز لك في الشعر والكلام أن توحد صفته ، فتقول : خفان جديد وجديدان ، وعينان ضخمة وضخمتان ، لأن الواحد يدل على صاحبه إذا كان لا يفارقه .

وكلام أبي عمرو يدل على الجواز في السعة . وقالوا في قول المتنبي :

. . . .   وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الحُسْنِ تَرْتَعُ[4]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٤٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٧

(٣) المصدر السابق ص ١٤٦

(٤) صدره : « حشاي على جمر ذكيّ من الهوى » وهو البيت الثالث من قصيدة قالها في صباه يمدح علي بن أحمد الطائي ومطلعها :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا   فلم أدر أيّ الظاعنين أشيّعُ

انظر العرف الطيب ١/٢٤

دليل على جواز ما تقدم في السعة لا في مقام الضرورة فقط ، لأنه يمكنه أن يقول . « وعيني في روض » بدلاً من « وعيناي » .

وما ذكرناه عن أبي العلاء نفسه ، وعن أبي عمرو ، وما أوردناه من الشواهد أو أحلنا عليه ، دليل على أن قول أبي العلاء صحيح لا غبار عليه .

وانتقد قول أبي العلاء :

تَخُبُّ بِكَ الجِيَادُ كَأَنَّ جَوْناً عَلَى لبَّاتِهِنَّ الارْجُوَانُ (1)

لأنه جعل « جونا » اسماً لكأن ، وهو نكرة ، و « الأرجوان » خبراً لها ، وهو معرفة ، والقياس على عكس ذلك . وإيضاح هذا أن اسم كأن وأخواتها حكمه حكم المبتدأ ، فيجب أن يكون معرفة ، لأنه محكوم عليه ، والمحكوم عليه لابد من تعيينه أو تخصيصه بمسوغ ، لأن الحكم على المجهول المطلق لايفيد السامع شيئاً ، بل يورثه حيرة ، فينفر عن الإصغاء لحكمه المذكور بعده .

وقد وقع مثل هذا في مواطن من شعر أبي العلاء ، كقوله :

مُضَمَّخاً يَنْظُرُ في عِطْفِهِ كَأَنَّ مِسْكاً لَوْنُهُ الأَسْحَمُ (2)

وقوله :

كَأَنَّ حَرَاماً أَنْ تُفَارِقَ صَارِماً يَكُونُ لِمَا أَضْمَرْتَ أَوَّلَ فَاعِلِ (3)

---

(1) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٠٠

(2) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٥٤

(3) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٨٣

ووقع نظيره أيضاً في كلام الصلتان :

أرى الخطفى بذَّ الفرزدق شعرُهُ ... ولكنَّ خيراً من كُلَيبٍ مُجاشِعُ[1]

وفي قول الفرزدق :

وإنَّ حراماً أن أسبَّ مُقاعِساً ... بآبائي الشُّمِّ الكِرامِ الخضارِمِ[2]

وقد اعتذر بعض العلماء عن المعري بأن لفظ « جوناً » نكرة موصوف بقوله على لباتهن ، وهو ليس بقوي . والحق أن القياس أرجح وأفصح ، وإن وقع في شعر الفرزدق والصلتان .

ويجوز أن يعترض على قوله :

أشحْنَ وقدْ أقمْنَ على وِفازٍ ... ثلاثَ حنادسٍ يرْعَيْنَ شِيحَا[3]

بأنه حذف التاء من « ثلاث » ، وهي مضافة إلى « حنادس » جمع حندس ، والقاعدة المشهورة أن العدد المضاف يؤنث مع المعدود المذكر ، ويذكر مع المعدود المؤنث . فنقول : ثلاثة رجال ، وأربع نسوة ؛ وأن المعتبر في ذلك تذكير الواحد وتأنيثه ، وإن كان الجمع بخلاف ذلك . فنقول : « ثلاثة حمّامات » بالتاء ، على القول المختار . « وثلاث هنود » بغير تاء ، تبعاً لتذكير المفرد في الأول ، وتأنيثه في الثاني . وقد قال بعض الشراح : إنه حذف التاء لأن الحنادس ليال ، وهي ليلة الثاني والعشرين ، والثالث والعشرين ، والرابع والعشرين . وسميت « حنادس » لشدة ظلمتها . وهذا الجواب غير مرضيّ .

---

(١) خزانة الأدب ٣٠٦/١ طبع بولاق .

(٢) ديوانه ٨٤٤/٢ تحقيق الصاوي ، وفي رواية : « وليس بعدل إن سببت » .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٦٢ ، والوِفاز : العجلة واحدها وَفْز .

وكذلك قوله [١] :

فَلَوْلاَ اللهُ قَالَ النَّاسُ أَضْحَتْ ثَمَانِيَـــةً بِهِ السَّبْعُ الشِّدادُ

وقبله :

بَنَى مِنْ جَوْهَرِ العَلْيَاءِ بَيْتًا كَـأَنَّ النَّيِّرَاتِ لَهُ عِمَادُ
إذا شَمْسُ الضُّحَى نَظَرَتْ إِلَيْهِ أَقَرَّتْ أَنَّ حُلَّتَهَا حِـدَادُ

أدخل التاء على « ثمانية » مع أن المعدود « السبع الشداد » وهي مؤنثة ، فالقياس يقضي بأن يقول : « ثمانيا » . وأجاب بعض العلماء أنه أراد بالسبع الشداد السموات ، وهي مؤنثة ، ولكنه جعل من جملتها البيت — الذي ذكره في البيت السابق — وهو مذكر ، فغلب المذكر على المؤنث ، وزاد التبريزي على ذلك فقال : « ولو كان عندك سبع من النساء ورجل ثامن لقلت : عندي ثمانية بالماء [٢] » . وفي هذا الجواب نظر .

وكذلك يجوز أن يعترض على قوله في (لزوم مالا يلزم) :

. . . . خَيْرٌ لِنَفْسِكَ مِن ثَلاَثَةِ أَكْؤُسِ [٣]

فإنه أدخل التاء على « ثلاثة » ، مع أن المعدود مؤنث مفرداً وجمعاً ، وهو خلاف المشهور . ويمكن الجواب عن هذا وما قبله ، بأن السيوطي

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٩٢ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) عجز بيت هو مطلع لزومية وصدره : « حَيٌّ ثلاث في حياً علقٍ ... » اللزوميات ٥ ص ٣٠٣ .

نقل عن ابن هشام وغيره أن المعدود إذا كان اسما وكان لفظه مذكرا ومعناه مؤنثاً يجوز فيه وجهان . وعبارة التسهيل : وربما أوّل مذكر بمؤنث ، ومؤنث بمذكر ، فجيء بالعدد على حسب التأويل . ومثّل الدماميني الأول بنحو « ثلاث شخوص » تريد نسوة « وعشر أبطن » تريد قبائل . والثاني بنحو « ثلاثة أنفس » أي أشخاص و « تسعة وقائع » أي مشاهد .

وكذلك قوله :

إِنْ كُنْتَ مُدَّعِياً مَوَدَّةَ زَيْنَبٍ   فَاسْكُبْ دُمُوعَكَ يَا غَمَامُ وَتَسْكُبِ [1]

قيل : إنه يريد « ولتسكب » فكسر الباء لاجتماع الساكنين ، هي وياء الاطلاق . ويرد هذا أن الكسر حركة حرف الروي ، وياء الإطلاق لا يتصور حدوثها قبل كسر ما قبلها .

وقيل : إنه منجزم بالعطف على محل قوله « فاسكب » لأن محله الجزم ، من حيث إنه في مقام الجزاء لا من حيث إنه أمر . ونظيره قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرْهُم [2] ﴾ . بالجزم وهو معطوف على محل قوله : « فَلَا هَادِيَ لَهُ » .

ويحتمل أن يكون انجزامه على إضمار لام الأمر ، ونظيره في هذا الوجه قول متمّم بن نويرة أنشده سيبويه (ج ١ ص ٤٠٩)[3] :

---

(١) شروح سقط الزند ق ٣ ص ١١٢٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٨٦ . وقرئت « يذرهم » بالضم أيضاً .

(٣) انظر الكتاب

عَلَى مِثْلِ أصحَابِ البَعُوضَةِ فَاخْمُشِي

لكِ الوَيْلُ حُرَّ الوَجْهِ أوْ يَبكِ مَنْ بَكَى

أراد « ليبك »

ومثله قول مدثار بن شيبان النمري على قول الأصمعي ، كما قال ابن السكيت في (القلب والإبدال ص ١٩) :

فَقلْتُ ادْعِي وأدْعُ فَإنَّ أنْدَى لِصَوْتٍ أنْ يُنَادِيَ دَاعِيانِ

ويَدل على أنه يجوز إضمار لام الأمر في الشعر ما أنشده سيبويه (ج ١ ص ٤٠٨)[١] :

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالاَ

أراد : « لتفد » .

وكذلك قوله في الدرعيات :

أعِيدِي إلَيْهَا نَظْرَةً لاَمُرِيـــدَةً

لَهَا البَيْعَ واعْصِي الخَادِعِي لَكِ بالمَالِ[٢]

قال بعضهم : حذف النون من « الخادعي » كما حذفت من قوله تعالى : ﴿ والمُقيمِي الصَّلاَةِ[٣] ﴾ بالنصب. على أن حذفَ النون هنا أوجه ، لأن اللام

(١) الكتاب

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٧٢ وفيها : « الخادعي لكِ بالمال » .

(٣) سورة الحج الآية ٣٥ وتمامها : « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ».

مع فصلها بين المضاف والمضاف إليه من حيث الصورة ، مقررة للاضافة من حيث المعنى . ولذلك أعيد الألف في قولك : « لا أبالك » .

وكذلك قوله :

فَأُقْسِمُ مَا طُيُورُ الْجَوِّ سُخماً كَهُنَّ وَلاَ نَعَامُ الدَّوِّ رُوحا[1]

فقد أدخل الكاف على « هنّ » وذلك لا يجوز في السعة عند الأكثر ، وقد يرتكبه الشعراء في الشعر ضرورة . وذلك أنهم شبهوا دخول الكاف على الهاء بدخول اللام والباء في قولهم : « له وبه » قال العجاج :

وأُمُّ أَوْعَالٍ كَهَا أَوْ أَقْرَبَا

وقال :

فَلاَ تَرَى بَعْلاً وَلاَ حَلاَئِلا كَهُ ولاَ كَهُنَّ إِلا حاظِلاَ[2]

وقد اختلف العلماء في ذلك ، فمنهم من أجاز « أنا كك » « وأنت كي » وزعم أنه ورد في كلام العرب ، ومنهم من نفى صحة ذلك ، وجعله من باب الضرورة فقط ، ولا يجيزه في السعة .

وفيه كلام مطول مذكور في (شروح السقط) وفي (خزانة الأدب) للبغدادي (ج ٤ ص ٢٧٤ ، ٢٧٧) .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٦٥ ، والدوّ : صحراء ملساء لا علم بها ، والروح : جمع أروح وروحاء ، والرّوَح : تباعد ما بين الرجلين .

(٢) مجموع أشعار العرب لأوالرد البروسي ١٢٨/٣ طبع برلين وفيه : « كَهُوَ . . » .

العروض والقوافي

ضنت علينا الأيام بمعرفة الزمان والمكان اللذين درس فيهما أبو العلاء هذين العلمين : العروض والقوافي ، وبمعرفة شيوخه الذين تخرج بهم فيهما ، وبمعرفة جميع ما قرأه من الكتب المصنفة فيهما . ومما لاشك فيه ، أنه اطلع على ما كتبه الخليل بن أحمد ، والأخفش، والجرمي، ويونس ، والزجّاجي، والفراء ، وخلف بن حيان ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو بكر بن السراج ، والزجّاج ، وأبو الحسن العروضي .

والدليل على ذلك أنه نقل في كتبه ورسائله عن هؤلاء ، وانتقد بعض أقوالهم ، وأيد بعضاً آخر ، ورجح قولاً على قول ورأياً على رأي .

وسيأتي أن له كتباً في هذين العلمين ، ولكننا لم نطلع عليها . وكل ما أمكنتنا معرفته من كلامه المتعلق بالعروض والقوافي أو بأحدهما ما يأتي :

١ً — أنه صدر ديوانه(لزوم ما لا يلزم) بمقدمة ممتعة ، استوفى فيها معظم القول على حروف القافية ، وحركاتها وعيوبها ، وجمع فيها من أحكام القوافي ، المسموعة والمقيسة أو المصنوعة ما لم نره لغيره .

٢ً — ذكر في (الفصول والغايات ص ٢١٢ و ٣١٨ و ٤٤٦) من مسائل العروض شيئاً كثيراً .

٣ً — ذكر في (رسالة الإغريض ص ٣٧ ، ٣٨) ، وفي (رسالته الى القاضي أبي الطيب طاهر بن عبدالله ص ١٠٠) وفي (رسالته الى أبي الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري ص ١٠٩) [1] كثيراً من أنواع الزّحاف وغيره من مسائل هذا العلم .

---

(١) انظر الرسائل الثلاث في رسائل أبي العلاء المعري لشاهين عطية .

٤ ـ استعمل كثيراً من مسائل هذين العلمين وأحكامها ومصطلحاتها في نثره وشعره ، في باب التورية والتشبيه ، والكناية ، وغيرها من أبواب البيان ، بصورة تدل على قدرة وبراعة ، من ذلك قوله في (سقط الزند ج ٢ ص ٨٥) :

إِذَا الْمَنْهُوكُ فُهتَ بِهِ انْتِصَاراً ... لَهُ مِن غَيْرِهِ فَضَلَ الطَّوِيلَا(١)

وقوله في اللزوم :

كَالْبَيْتِ أُفْرِدَ لَا إِيطَاءَ يُدْرِكُهُ ... وَلَا سِنَادَ وَلَا فِي اللَّفْظِ إِقْوَاءُ(٢)

• • •

خَبَرَ الْحَيَاةَ شُرُورَهَا وَسُرُورَهَا ... مَنْ عَاشَ عِدَّةَ أَوَّلِ الْمُتَقَارِبِ(٣)

• • •

وَأَكْرَمَنِي عَلَى عَيْبِي رِجَالٌ ... كَمَا بُنِيَ الْقَرِيضُ عَلَى الزِّحَافِ(٤)

ويمكننا أن نستنتج من كلامه في المواطن المذكورة وغيرها أموراً منها :

١ ـ أنه كان شديد الاستقراء ، واسع الاطلاع على كلام القوم ، عارفاً بما يوافق كلام الأئمة وما يخالفه .

٢ ـ أنه لا يتابع المتقدمين في كل ما قالوه ، وإنما كان يناقش أقوالهم ، ويرجح بعضها على بعض .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٩٥ ، والمنهوك من الشعر : أنصره ، والطويل : أطول القريض .

(٢) اللزوميات ١ ص ٢٢ .

(٣) اللزوميات ١ ص ٥٢ .

(٤) اللزوميات ٢ ص ٢٩٦ وفيها : « كما روي القريض ... » .

٣ — أنه كان يعوّل على استقرائه ، فيحكم أحكاماً عامة .

٤ — أنه يعتمد على نفسه وعلمه ، فيجيز كثيراً مما منعه القوم ، ويمنع كثيراً مما جوزوه .

٥ — أنه ابتكر تقسيماً لبعض أحكام هذين العلمين ولقوافي الشعر كله .

وهذه أمثلة توضح ما ذكرناه :

قال في (الفصول والغايات ص ٢١٢) : « والبسيط والطويل . . عليهما جمهور شعر العرب . . . والطبقة الأولى ، امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى في بعض الروايات ، ليس في ديوان أحد منهم مديد . . وجاءت قصيدة لطرفة ، وأبيات فاردة لمهلهل . . ، وتوجد هذه الأوزان القصار في أشعار المكيين والمدنيين ؛ كعمر بن أبي ربيعة . ووضّاح اليمن ، والعرجي ، ويشاكلهم عدي بن زيد » .

وقال في (ص ٣١٨) : « وإنما يعرف الجزل في شعر العرب لجزء مفرد في البيت . . . والوقص ... [إنما] تجيء العرب به في جزء واحد [من البيت] ، فإن زاد ففي جزءين » . وقد رد في هذا الموضع على الخليل . وغلّط ابن دريد في تسمية مثل هذا خَرْماً .

وذكر في (ص ٤٤٦) : أن « الإغرام دون التضمين » . ثم قال : « وكان بعض المتأخرين يزعم أن الإغرام أن يتم وزن البيت ولا تتم الكلمة ، وهذا لا يعرف في شعر العرب ، وإنما يتعمده المحدَثون » . وذكر له مثالا .

وفي مقدمة (لزوم مالا يلزم) : « أكثر ما أُسس من أشعار العرب إنما يكون بعد ألفه كسرة كحامل ... [1] » .

---

(١) انظر مقدمة اللزوميات الطبعة الهندية ص ١ — ١٩ .

وفي (رســائله ص ١١٣) : « العقل مفقود في شعر العرب ، والنقص قليل » .

وقال في (لزوم مالا يلزم ص ٣١) : « ما روي من شعر امرىء القيس لا نعلم فيه شيئاً على الطاء والظاء ولا الشين ولا الخاء ، وكذلك ديوان النابغة ليس فيه روي بني على الصاد ولا الضاد . .وأبو عبادة . . لا أعلم فيما روي له شيئاً على الخاء ولا العين ولا التاء . . »وقال في (ص١٢) : « فهذا رأي المتقدمين ، ولا يمتنع في حكم الغريزة أن تكون الألف تأسيسا، وبعدها كلمة ليس فيها إضمار . . فلو جاءت بعد ذلك « الخضارم » ، و « الأكارم » و « دائم » ونحوها لكان عندي غير قبيح . . .[1] » .

وفي (ص ٢٣) : « ولم يفرقوا بين المقيد والمطلق في مجيء الواو المضموم ما قبلها . . . ، وأنا أفرق بين المطلق والمقيد وأعده في المقيد أشد . . »

وفي (ص ٢٥) : « ولم يفرقوا بين المقيد والمجرّد ، والمقيد المؤسس وهو عندي في المؤسس أقبح[2] » .

وفي (ص ١٧) ذكر منازل الروي ، والتأسيس ، والردف والوصل ، والخروج .

وفي (ص ٢٦) ذكر منازل الحركات بأسلوب جــامع مانع .

وفي (ص ٣٩) قسم القوافي إلى : ذُلُل ، ونُفُر ، وحُوش .

وعثرت على رسالة خطية استوفى فيها ذكر البحور والضروب التي نظم فيها المتنبي مع الزحافات وأقسام القوافي وستأتي .

---

(١) انظر مقدمة اللزوميات الطبعة الهندية ١ ـ ١٩ .

(٢) المصدر السابق .

وذكر التبريزي في (شرح حماسة أبي تمام ج ٢ ص ٢٨٦) أن أبا العلاء أحصى ماوضعه أبو تمام من أجناس الشعر الخمسة عشر ، وما فاته منها ، وذكر الضروب والقوافي والأوزان الشاذة فراجعه .

وما في هذه المواطن من مباحث هذا العلم لايعرف قدره إلا بالاطلاع عليه كله ، ولولا خشية الإطالة لأوردناه بجذافيره .

العلوم غير الشرعية واللغوية

يتجلى للباحث ، فيما وصل الينا من كتب أبي العلاء وآثاره القليلة ، أنه كان ملماً بعلوم أخرى غير علوم الدين واللسان ، كالرياضيات ، والطبيعيات ، والمنطق ، والفلسفة . وأن مافي « لزوم مالا يلزم » من الإشارات إلى ما اصطلح عليه أهل هـذه العلوم برهان كافٍ في الدلالة على أنه ضرب فيها بسهم وافر . ولا يبعد أن يكون في كتبه التي لم يتح لنا الاطلاع عليها مايدل على سعة اطلاعه ، وشدة اضطلاعه بتلك العلوم ، وإنك لتجد في كلامه إشارات إلى مايتعلق بعلم الحساب مثل قوله (١) :

وَتَدَاني الأَيّامِ يُحْدِثُ نَقْصاً وَازْدِيَاداً والجِسْمُ للنَّفْسِ تِبْعُ
خَمْسَةٌ في نَظِيرِهَا خَمْسُ خَمْسَا تِ تَنَمَّتْ والنِّصْفُ في النِّصْفِ رُبْعُ

وقد أعاد هذا المعنى ، وأجاد فيه بقوله (٢) :

سَمَا نَفَرٌ ضَرْبَ المِئِينَ وَلَمْ أَزَلْ بِحَمْدِكَ مِثْلَ الكَسْرِ يُضْرَبُ في الكَسْرِ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٤ .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٤٦ .

وإلى مايتعلق بالهندسة مثل قوله (١) :

خطّ أستِوَاءِ بَدَا عَنْ نُقْطَةٍ عَجَبٍ ... أفنَتْ خُطُوطاً وأقْلاماً وَكُتّابَا

• • •

وقوله (٢) :

ظَلّوا كَدَائِرَةٍ تَحوّلَ بَعضُها ... منْ بَعْضِهَا فَجَمِيعُها مَنْكُوسُ

• • •

وقوله (٣) :

بَدَتْ كُرَةٌ كَأَنَّ الوَقْتَ لاَهٍ ... بِهَا عَزَّ المُهَيْمِنُ إِذْ كَرَاهَا

وإشارات إلى مايتعلق بالمنطق والفلسفة كقوله (٤) :

أرَى الحيَّ جِنساً ظَلَّ يَشْمَلُ عَالَمِي ... بِأنواعِهِ لاَ بُورِكَ النَّوْعُ والجِنْسُ

• • •

وقوله (٥) :

جرَتِ القَضَايَا في الأَنامِ وَأُمْضِيَتَ ... صُدُفاً بِأَسْوَارٍ وَلاَ أَسْوارِ

• • •

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٤٠ .

(٢) اللزوميات ﻫ س ٢٩٥ وفيها : « فجميعها معكوس » .

(٣) اللزوميات ﻫ س ٣٣٨ .

(٤) اللزوميات ﻫ س ٣٠٩ .

(٥) اللزوميات ﻫ س ١٥٩ .

وقوله (١) :

هُمَا نَقِيضَانِ لا يَسْتَجْمِعان به   والظبي غيرُ مقيمٍ في ذرَى الأسَدِ

• • •

وقوله (٢) :

أرَى جَوْهراً حلَّ فِيهِ عَرَضْ   تبَارَكَ خالِقُه مَا الغَرَضْ

• • •

وقوله (٣) :

والعُمْرُ مَقْسُومٌ عَلَى الأكْوانِ بِالْـ   ـجُزْءِ الأقَلِّ وَلَيْسَ بالأعْشَارِ

• • •

وقوله (٤) :

يَزْعُمُ أنَّ العَشْرَ مَا نِصْفُها   خَمْسٌ وأنَّ الجِسْمَ لا في مَكَانْ

وفي بعض هذه الأبيات إشارات إلى أكثر من علم واحد ، وقال في (الفصول والغايات ص ٣٩) : « [فتَعالى اللهُ عِدَّةَ الخَنْدَسِ] ، إذا قُسِمَ نُقَطاً ، والنقطة أقلُّ مَايكون ، وسُبْحانَ اللهِ زِنَةَ الأشْياءِ ، والشيءُ جُزْء لا يَتَجزَّأ ، تُقْسَمُ على ذَلِكَ مِياهُ البَحْرِ ، وَرِمالُ الأرْضِ ، وَثِقالُ الهِضَابِ » .

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٠٨ .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٠ .
(٣) اللزوميات ﻫ ص ١٦٢ .
(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٥ .

وفي شعــره مايشعر باطلاعه على علوم مختلفة ، بحسب ما اصطلح المتقدمون فيها ، كقوله [١] :

حَيَوانٌ وَجامِدٌ غَيْرُ نامٍ وَنَبَاتٌ لَهُ بِسُقْيَا نَمَاء

• • •

وقوله [٢] :

والشَّرُّ في حَيوانِ الأَرْضِ مُفْتَرِقٌ والإِنسُ كَالوَحْشِ مِنْ ضارٍ وَمُبْتَقِلِ

• • •

وقوله [٣] :

وَالخَيْرُ مِنْ زِئْبَقٍ تَشَكُّلُه وَإِنَّمَا يَرْقُبُ امْرُؤٌ غِيَرَهْ

• • •

وقوله [٤] :

الخَلْقُ مِنْ أَرْبَعٍ مُجمَّعةٍ نَارٍ وَمَاءٍ وَتُرْبَةٍ وَهَوَا

• • •

وقوله [٥] :

وَالخَيْرُ فِي الأَرْضِ كَالأُتْرُجِّ مَنْبِتُهُ شَاكٍ وأُلْزِمَ تَدْخِيناً بِكِبْرِيت

---

(١) اللزوميات هـ س ٣٤ .

(٢) اللزوميات هـ س ٢١٤ .

(٣) اللزوميات هـ س ١٤٤ .

(٤) اللزوميات هـ س ٣٤٢ .

(٥) اللزوميات هـ س ٦٦ .

وقوله (١) :

عَجِبْتُ لِطَيْرٍ بِلُطْفِ المَلِيـــكِ مَخْلُوقَةٍ لِإِصْلَاحِ الثَّمَرْ
تُثَقِّبُهُ مُولَعَـاتٍ بِهِ وَلَـوْ لَـمْ تَزُرْهُ تَهَاوَى فَمَرْ
تَحُلُّ مَحَلاً لَـهَا ثَانِيـاً وَتَتْرُكُ مَنْزِلَـهَا قَدْ دَمَرْ

• • •

وقوله (٢) :

فِي التُّرْبِ وَالصَّخْرِ وَالثِّمَارِ وَفِي السَّـمَاءِ نُفُوسٌ يَصُوغُهَا القَدَرُ
فَصَادِرٌ لَا وُرُودَ يُدْرِكُـهُ وَوَارِدٌ لَا يَنَالُهُ الصَّدَرُ

• • •

وقوله (٣) :

وَالطُّولُ فِي وُسْطَى البَنَانِ لِعِلَّـةٍ كَالنَّقْصِ فِي إِبْهَامِهَا وَالخِنْصِرِ

• • •

وقوله (٤) :

وَالنَّاسُ بِالنَّاسِ مِنْ حَضَرٍ وَبَادِيَةٍ بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمُ

---

(١) اللزوميات هـ س ١٧٠

(٢) اللزوميات هـ س ١٣٥ وفيها : « . . لا يناله صدر » .

(٣) اللزوميات هـ س ١٥٨ .

(٤) اللزوميات هـ س ٢٣٣ .

وَكُلُّ عُضْوٍ لأَمْرٍ مَا يُمارِسُهُ
لاَ مَشْيَ لِلْكَفِّ بَلْ تَمْشِي بِكَ القَدَمُ

• • •

وقوله (١) :

أَمَا يَرَى الإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ آيَاتِ رَبٍّ كُلُّهَا غُرٌّ
فِي فَمِهِ عَذْبٌ وَفِي عَيْنِهِ مِلْحٌ وَفِي مِسْمَعِهِ مُرٌّ

• • •

وقوله (٢) :

وفِي كُلِّ شَرٍّ دَعَتْهُ الْخُطُوبُ شَوَاسِعُ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَوَانِي
وَأَجزَاء تِرْيَاقِهِمْ لا تَتِمُّ إِلا بِجُزْءٍ مِنَ الأَفْعُوَانِ

• • •

وقوله (٣) :

وَأَرَى الأَرْبَعَ الغَرَائِزَ فِينَا وَهْيَ فِي جُثَّةِ الفَتَى خُصَمَاءُ
إِنْ تَوَافَقْنَ صَحَّ أَوْ لا فَمَا يَنْفَكُّ عَنْهَا الإِمْرَاضُ والإِغْمَاءُ

• • •

وأمثال هذا كثير في شعره ، وذلك يدل على إلمامه بكثير من العلوم المشار في هذه الأبيات إلى ما اصطلح عليه أهلها في ذلك العصر .

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٣٤ .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٣ .
(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٤ .

الفلك

أما إلمامه بعلم الفلك والنجوم ، فإن ماوقفنا عليه في ديوانيه ، يدل على تمكنه فيها بقدر مايستطيعه أمثاله . ولعل الباحث إذا استقرى شعره وجد فيه أكثر أسماء النجوم التي انتهى العلم في عصره إلى معرفتها . وقد بحث عن عناصرها ، وطبائعها ، وقرانها ، وشبه بها ، وشبهها بغيرها ، وذكر كثيراً مما يعتقده الناس في طلوعها ، وغروبها ، واقترانها ، وقدمها ، وخلودها ، وفنائها ، وما شاكل ذلك . وإليك جملة من أقواله في الفلك والنجوم ، وما يتعلق بها :

وَالنَّخْلُ يُجْنَى حِينَ يُرْطِبُ زَهْوُهُ
والبَدْرُ يُكْسَفُ لَيْلَةَ الإِبْدارِ [1]

• • •

ومِرْآةُ الْمُنَجِّمِ وَهيَ صُغْرى   أَرَتْهُ كُلَّ عَامِرَةٍ وَقَفْرِ [2]

• • •

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُنَجِّمُ مَا يُو   جِبُ لِلدِّينِ أَنْ يَكُونَ صَرِيحًا [3]

• • •

(١) اللزوميات هـ ص ١٦٤ . وأرطب النخل : حان أوان رطبه أي ما نضج من بسره قبل أن يصير تمراً ، والزهو : البسر الملون .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٥٤ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٨٤ ، وفي الأصل : « صحيحا » وهو من سبق القلم .

مِنْ نُجُومٍ نَارِيَّةٍ وَنجُومٍ   نَاسَبَتْ تُرْبَةً وَمَاءً وَرِيحَا[1]

. . .

وَسُهَيْلٌ كَوَجْنَةِ الحِبِّ في اللَّوْ   نِ وَقَلْبِ المُحِبِّ في الخَفَقَانِ[2]

إلى آخر هذه القصيدة ، فقد ذكر فيها كثيراً من النجوم :

أَنتَ كَالشَّمسِ في الضِّيَاءِ وَإِنْ جَا   وَزْتَ كِيوَانَ في عُلُوِّ المَكَانِ[3]

. . .

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ النُّجُومَ كَأَنَّهَا   دُرٌّ طَفَا مِنْ فَوقِ بَحْرٍ مَائِجِ[4]

وذكر طائفة كبيرة منها في (الفصول والغايات ص ٣٩٤) . وستأتي تتمة القول في هذا في الكلام على فلسفته .

التاريخ

من وقف على ما انتهى إلينا من آثار أبي العلاء ، على قلته ، لا يشك في أن لأبي العلاء يداً طولى في معرفة أخبار الماضين والحاضرين في عصره ، وما كان لكل أمة من العقائد والمزاعم ، وما لها من العادات والمواضعات والخصائص ، وما وقع لها من الحوادث بين أفرادها المشهورين ، أو بينها وبين غيرها . ففي (سقط الزند) أشار إلى حوادث المنذرين ،

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٨٤ .

(٢) شروح سقط الزند ، ق ١ ص ١٣٣ .

(٣) شروح سقط الزند ، ١ ص ٥١ ، وكيوان : زحل ويضرب المثل بهذا الكوكب في العلو والبعد .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٧٩ وفيها : « . . . من برأ النجوم . . . » .

واللخميين ، والفرس ، وقابوس ، ودارم ، وسليمان ، وداود ، وجالوت ، ونوح ، وآدم .

وأشار إلى ماوقع من الفتن والحروب في العراق وفارس والشام في أيامه وقبلها .

وفي (رسالة الغفران) أشار إلى حوادث كثيرة ، وذكر كثيراً من رجال التاريخ . وكتب رسالة إلى خاله أبي القاسم يعزيه بأخيه ، فذكر فيها وفاة آدم ، وهابيل ، ونوح ، وهود ، وطائفة من الأنبياء إلى محمد ﷺ . ثم ذكر سبأ ، وملوك حمير ، وطسما وجديس ، والزرقاء ، وملوك غسان والحيرة ، وملوك الفرس ، وأجواد العرب وشجعانهم ، وملأها بالحوادث التي حدثت في عهودهم ، ثم ذكر طائفة من حيوان البر ، كالفيل ، والأسد ، والنمر ، والذئب ، والثعلب ، والضبع ، والأرنب ، والبقر الوحشي ، والظليم ؛ وأخرى من الطير كالعقاب ، والغراب ، والحمامة ، والجرادة ، والنحلة ؛ وثالثة من الهوام ، والدواب ، كالأرقم ، والعقرب ، والنملة ؛ ثم جملة من حيوان الماء ، كالحوت والضفدع ، وذكر طرفاً من الخصائص أو الحوادث لكل واحد ، وأن كلا منها على ماله من حول وطول وحيلة ، لايفلت من يد الموت ، ولا يسلم من حوادث الدهر [١] .

وفي (لزوم مالا يلزم) من الإشارات إلى الحوادث والوقائع التي حدثت للافراد والجماعات والأمم مايصدق قوله فيه :

مَا كَانَ فِي هذه الدُّنْيَا بَنُو زَمَنٍ إِلاَّ وَعِنْدِي مِنْ أَخْبَارِهِمْ طَرَفُ [٢]

---

(١) انظر الرسالة في رسائل أبي العلاء المعري ـ لشاهين عطية الصفحات ١٥٧ ـ ٢١٣ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٩٠ .

النغم والايقاع

رأيت في كلام أبي العلاء ألفاظاً تدل على أسماء أنواع من النغم وما يتعلق به ، مثل قوله في السقط :

وَهَواكِ عِنْدي كالغِنَاءِ لِأَنَّه ... حَسَنٌ لَدَيَّ ثَقِيلُهُ وَخَفِيفُهُ[1]

• • •

وقوله فيه :

كَأَنَّ المَثَانِي والمَثَالِثَ بالضُّحَى ... تَجَاوَبُ في غِيدٍ رُفِعْنَ طِوَالِ

كَأَنَّ ثَقِيلاً أَوَّلاً تَزْدَهِي بِهِ ... ضَمَائِرُ قَوْمٍ في الخُطُوبِ ثِقَالِ[2]

• • •

وقوله فيه :

رَأَتْ زَهَراً غَضًّا فَهَاجَتْ بِمِزْهَرٍ ... مَثَانِيهِ أَحْشَاءٌ لَطُفْنَ وَأَوْصَالُ[3]

• • •

وقوله في (لزوم مالا يلزم) :

وَلَيْسَ الخَمْسُ ضَارِبَةً بِسَيْفٍ ... نَظِيرَ الخَمْسِ ضَارِبَةً بِدُفِّ[4]

• • •

---

(١) شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ١١٠٩ .

(٢) شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ١١٨٨ ، والمثاني والمثالث : من أوتار العود . والغيد الطوال : الأعناق اللينة من الابل . يقول : كأن في أعناقها الغيد ، عيداناً يغنى فيها لأصواتها الشجية .

(٣) شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ١٢٤٠ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٩٥ .

وَأَشْرَفُ النَّاسِ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِهِ ... مِثْلُ الصَّدِيدِ وَلَكِنْ قِيلَ: صِنْدِيدُ

مَا كِبْرُهُ وَثَقِيلُ اللَّحْنِ يَمْنَعُهُ ... مِنْ سُرْعَةِ الفَهْمِ تَرْسِيلٌ وَتَمْدِيدُ[1]

• • •

وقوله :

أُنْصِفُ أَنْ تُغَيِّرَنَا اللَّيَالِي ... وَيُسْمَعُ مِنْ مَزَاهِرِنَا اصْطِفَاقُ[2]

• • •

وقوله فيه :

بَكٍّ عَلَى النَّاسِ بِالمَزْمُومِ وَالرَّمَلِ

فَإِنَّ أَعْمَالَ دُنْيَاهُمْ كَلاَ عَمَلِ[3]

وقوله فيه :

خَبَّرَتْنِي كُلُّ نَاطِقَةٍ ... ذَاكَ حَتَّى الزِّيرُ وَالجَرَسُ[4]

وقوله في (رسالة الغفران ص ١٨١) « ولكن من عبث بالبم والزير » .

والثقيل والخفيف والرمل : أسماء لأنواع من النغم في عرف المتقدمين .

والمزهر : العود . والبم والزير والمثاني والمثالث : من أوتاره .

---

(١) اللزوميات هـ ص ٩٥ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٣٠٠ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢١٤ .

(٤) اللزوميات هـ ص ٣١١ .

رأيت هذا وأشباهه في كلامه ، فظننت أنه يعرف معناها من الوجهة اللغوية فقط ، كما يعرفها كل من قرأ كتب اللغة والأدب . ثم تأملت قوله في (رسالة الغفران ص ٣٦) : « ويمر رَفٌ مِنْ إوَزّ الجنة ، فينتفضن ، فيصرن جواري كواعب ، يرفلن في وشي الجنة ، وبأيديهن المزاهر ، وأنواع مايلتمس به الملاهي ... فيقول لإحداهن ، على سبيل الامتحان : اعملي قول أبي أمامة [1] ، وهو هذا القاعد :

أمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أو مُغتَدِ عَجْلانَ ذَا زَادِ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ

ثقيلا أول ، فتصنعه ... فيقول : هلمَّ خفيفَ الثقيل الأول ! فتنبعث فيه بنغم ... فإذا جاوزت [2] ، قال : عليك بالثقيل الثاني ، مابين مثالثك والمثاني .. ثم يقترح عليها الرمل وخفيفه ، وأخاء الهزج وخفيفه . وهذه الالحان الثمانية ، للأذن تمنيها المانية ... » [3]

فتبين لي أنه عالم بالانتقال من نغم إلى نغم ، وهذا لايتأتى إلا لمن كان عالماً بالنغم المنتقل منه ، والنغم المنتقل إليه ، وبما بينهما من التوافق والتقارب ، فيسهل الانتقال . أو التنافر فيشق على المغني حينئذ الخروج من الأول إلى الثاني . ثم رأيته في (الفصول والغايات) يقسم أنواعاً من النغم تقسيماً علمياً ، ويذكر الفروق بين كل نوع وآخر ، ويذكر مقاييس الأنغام ، ومقاديرها ، وخلاف العلماء في بعضها ؛ شأن العالم الخبير في هذا الفن ، فاتضح لي أن أبا العلاء كان عالماً ، جد عالم ،

---

(١) نابغة بني ذبيان .

(٢) في الرسالة تحقيق بنت الشاطيء : « فاذا أجادته » .

(٣) انظر الرسالة تحقيق بنت الشاطيء ط ١ ص ١٠٢ ـ ١٠٤ .

بالنغم والإيقاع المعروف في عصره . وهذا ماقاله في (الفصول والغايات ص ٨٨) :

« أتدري مايقول المزهر ، أيها الطرب الجذلان ؟ إنه يسبح الله — عز وأثار — بطرائق ثمان ، بين ثقائل إلى خفاف . . . . » ثم فسر ذلك فقال : « المزهر : العود . ويقال : إنه شيء من الملاهي غيره . والطرائق الثمان : الثقيل الأول ، وإيقاعه ثلاث نقرات متساويات الأقدار ، على مثال « مفعولن » : مف : نقرة ، عو : نقرة ، لن : نقرة . وهي نقرات ثقال ، وأنت تثبته بالوتد المفروق أوضح مما تثبته بالسبب المضطرب ، وذلك أن الوتد المفروق ثلاثة أحرف : أوسطها ساكن ، والسبب حرفان ، فأنت إذا وقفت على الوتد المفروق ، سكنت سكوناً أطول من السكون الذي على السبب ، مثل قولك « صخْر ، بحْر ، دهْر » فعلى هذا يجري الثقيل الأول .

وخفيف الثقيل الأول : وحقيقته ثلاث نقرات متواليات ، وهي أخف من التي ذكرنا ، وأسرع توالياً . كقولك : « مفعولن » بلا فصل .

والثقيل الثاني : وقد اختلفوا في إيقاعه ، فاسحق يوقعه ثلاث نقرات : نقرتان متساويتان ممكنتان ، وواحدة ثقيلة على وزن « مفعولان » . ومنهم من يوقعه أربع نقرات متساويات الأقدار لأخفاف محثوثات ، ولأثقال ممكنات ، على مثال « مفعو مفعو » . ومنهم من يوقعه أربع نقرات : ثلاث متساويات ، والرابعة أثقل منهن ، على مثال « مفعولاتن » .

وخفيف الثقيل الثاني : وحقيقته أسرع حثاً منه ، وهو نقرتان خفيفتان ، والثالثة ثقيلة ، وهو الذي اختاره إسحق . ويسمى « الماخوري » وهو عكس الرمل ، ووزنه « مفعولان » .

والرَمَل : وهو نقرة ثقيلة ، واثنتان محثوثتان : "لان مفعو : ومثاله في الكلام : ملّ وصلي ، صدّ عنّي .

وخفيف الرمل : وخفيف الرمل جاء على غير جنسه ، وذلك أن خفيف كل نوع جاء على غير جنسه [1] وذلك أن خفيف كل نوع مثل ثقيله ، إلا أنه أخف حث الإيقاع . فأما الرمل ، فلم يجىء خفيفه على عدد نقراته ، وهو على نقرتين ، بينهما فصل ، ووزنه على مثال « فَعْلن فعْلن » .

والهزج : وهو على نقرة نقرة ، واحدة ثقيلة ، وأخرى خفيفة ، على وزن « قال لي » .

وخفيف الهزج : وخفيف الهزج مثله ، إلا أنه أسرع حثا منه » اهـ .

مصادر ثقافته

لعل أغمض ناحية في أبي العلاء ، هذه الناحية ، لأن التاريخ أغفل كثيراً من الأمور التي يتوقف عليها جلاؤها منه ، فلم يحدثنا عن جميع الشيوخ الذين تخرج بهم في علومه الكثيرة ، ولا استوعب لنا الكتب التي درسها بنفسه أو قرأها على غيره .

وإنما نرى في كلامه كثيراً من المصطلحات العلمية التي تدل على رسوخه في تلك العلوم ، سواء أكانت علوم الدين ، أم علوم اللغة ، أم غيرهما .. ونراه إلى جانب هذا ، يعرض إلى كثير من فلسفة اليونان ، وحكمة الهند ، ومذاهب الفرس ، ويخوض في كثير من مباحث الأديان ، وآراء

---

(١) كذا في الأصل . (ج)

أهل النحل المختلفة ، والعقائد المتباينة ، والمزاعم المتعددة ، ويتصدى كثيراً إلى ذكر رجال من رجالات العلم والتاريخ ، وأصحاب الآراء الفلسفية ، وينقل عن كتب الحكماء آراء ومزاعم ، كما نقل في (رسالته إلى النكتي ص ٢٣٩)[١] عن صاحب المنطق ، في كتابه الثاني من الكتب الأربعة : أن الكذب ليس بقبيح في صناعة الشعر والخطابة . ومثل هذا لايكون إلا أثراً من آثار الدراسة والعلم . وإن زعم أبو الفداء في تاريخه أن أبا العلاء لم يتلمذ لأحد . ونحن لاننكر أن أبا العلاء أوتي حظاً وافراً من المواهب الفطرية ، وكان فيه من الذكاء النادر والحفظ الباهر ، مايندر وجوده في غيره ، ولكن هذا كله على انفراده لايترك مثل هذه الآثار التي تركها أبو العلاء في الحكمة والفلسفة وغيرهما ، مالم يؤيده العلم الكثير والتعلم .

وإذا استعصت علينا معرفة هذه الناحية معرفة تامة ، وتعذرت علينا معرفة شيوخه ، فإننا نستدل بما ذكره من الكتب والدواوين في آثاره التي وصلت إلينا على قسم مما اطلع عليه من آثار المتقدمين . ونحن نعتقد أن مالم نطلع عليه من آثاره أكثر مما اطلعنا عليه ، وما فاتنا ذكره من تلك الآثار وأصحابها أكثر مما ذكرناه . ولكن المصباح الضئيل قد ينير ناحية من السبيل ؛ وقد يستدل بالقليل على الكثير .

وهذه طائفة من أسماء الكتب التي ذكرها في كلامه ، و[بعض] المواطن التي ورد ذكرها فيها . وقد وضعنا حرف الراء « ر » إشارة إلى رسائله [شرح شاهين عطية ، المطبعة الأدبية في بيروت سنة ١٨٩٤ م] . والسين « س » إشارة إلى [شرح التنوير على سقط الزند ، طبعة دار

---

(١) انظر رسائل أبي العلاء المعري ـ شرح شاهين عطية .

السعادة سنة ١٢٨٦ هـ مصر] . والعين مع الباء « عب » إشارة إلى (عبث الوليد [تحقيق المدني طبعة دمشق سنة ١٣٥٥ هـ ٩٣٦ م]) . والغين « غ » إشارة إلى (رسالة الغفران [طبعة أمين هندية سنة ١٣٢١ هـ القاهرة]) . والفاء « ف » إشارة إلى (الفصول والغايات [تحقيق زناتي طبعة القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨ م]) . واللام « ل » إشارة إلى (لزوم مالا يلزم [طبعة عزيز زند سنة ١٨٩١ م مصر]) . والميم « م » إشارة إلى (رسالة الملائكة [طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٣ هـ ١٩٤٤ م]) .

وقد ذكرنا بعد ذلك طائفة من أسماء الشعراء ، ثم العلماء الذين ورد ذكرهم في كلامه . وبينا رقم الصفحة التي ذكر فيها الكتاب أو الشاعر أو العالم .



	ر الرسائل	س سقط الزند	عب عبث الوليد	غ رسالة الغفران	ف الفصول والغايات	ل لزوم ما لا يلزم	م رسالة الملائكة
كتاب الإبدال ، لأبي الطيب اللغوي ، عبدالواحد ابن علي .				١٩٢			
كتاب الاتباع ، لأبي الطيب اللغوي ، عبدالواحد ابن علي .				١٩٢			
كتاب الأجناس، للأصمعي				٢١			
أخبار بشار .				١٤٠			
أراجيز رؤبة .				١٦٥			
أشعار تنوخ .		١١٢/٢، ١٢٠، ١٤٠					
أشعار الجن ، للمرزباني، [محمد بن عمران بن موسى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ]				٧٥			
أشعار قريش .						٣٤/١	
الأصول ، لابن السراج.				١٣٧		٣٣/١	
الاعتبار .				١٨٠			
الإقناع أو المقنع ، لأبي سعيد السيرافي .				١٣٧			
إصلاح المنطق ، لابن السكيت .	٤٧						

• • •

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
التاج ، لابن الراوندي [أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٣٠٠ هـ] .				١٥٧			
تاريخ القطربّلي وابن أبي الأزهر. رسائل البلغاء ١٩٧ .				١٣٦			
تاريخ ابن شجرة ، بخط المرزباني .				٢٠٢			
الترجمان في معاني الشعر، للمنجم البصري .						٢/٨٩	
تفسير سورة الإخلاص.	١٠٩						
* * *							
جامع النطق ، للزجاج .					٣٤٢		
الجمل ، لابن السراج .				١٣٧			
الجمل ، للزجاجي (١) .							
الجمهرة ، لابن دريد .	١٢٠						
كتاب الحجة ، لأبي علي الفارسي .				٥٧			
حماسة أبي تمام (٢)							
كتاب الحيوان، للجاحظ .					٤١٥		
كتاب الخاء ، لأبي عمرو الشيباني .				٣٥			
* * *							

(١) لم يذكر المؤلف مظنة من مظانه في كتب أبي العلاء .

(٢) لم يذكر المؤلف موطن وجوده في كتب المعري .

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
الدامغ، لابن الراوندي.				١٥٨			
ديوان الأدب [1] .							
ديوان أبي الطيب المتنبي.				١٣٧			
ديوان البحتري .						٣١/١	
ديوان أبي تمام .				١٩٤			
ديوان الحارث بن حلزة .				١٧٢			
ديوان الخالديين .				١٣٦			
ديوان ذي الرمة .					٢٩٦		
ديوان تيم اللات = تنوخ .		١٤٠					
ديوان طفيل الغنوي .				١٨٩			
ديوان عبيد بن الأبرص.				١٧٦			
ديوان عدي بن زيد .				١٠			
ديوان النابغة الذبياني .				٣٣		٣١/١.	
ديوان النابغة الجعدي .				٣٤			
ديوان أبي الهندي ، عبد القدوس أو عبد المؤمن .				٩			
ديوان لبيد .				١٨			
• • •							
كتاب شجر الدر ، لأبي الطيب اللغوي .				١٩٢			
طبقات المغنين ، لابن خرداذبة .				١٧٥			

(١) لم يذكر المؤلف مواطن وجوده في كتب المعري .

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
كتاب العمد .						٢٤٩/١	
كتاب العين ، للخليل بن أحمد .						٨٩/٢	٢٦٧
كتاب غريب الحديث ، لابن قتيبة .	١٠٦			٥٢			
الغريب المصنف ، لأبي عبيد القاسم بن سلام .						٢٠/١	
كتاب الفرخ ، للجرمي.						٣٩٦/١	
كتاب الفَرْق ، لأبي الطيب اللغوي .				١٩٢			
كتاب الفريد ، لابن الراوندي .				١٦٠			
كتاب القوافي ،للفراء .						١٩/١	
كتاب القوافي ، لخلف .						١٩/١	
كتاب كليلة ودمنة .	٢٢٣						
الكتاب ، لسيبويه .				١٤٠			
كتاب شرح الكتاب ، للسيرافي .	٨٦						
كتاب المبعث ، لأبي معشر المدني .				١٧٥			
كتاب مختصر إصلاح المنطق لأبي القاسم المغربي.	٤٦						

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
كتاب المداخل، لأبي عمرو [الزاهد . «غلام ثعلب»]				١٩٢			
كتاب المصنف ، لأبي عبيد تقدم .						٢٠/١	
كتاب المجاز ، لأبي عبيدة .	١٤١						
كتاب المراغي ، محمد بن علي المراغي .							٢٨٠
كتاب المرجان ، لابن الراوندي .				١٦٠			
كتاب المعاني ، ليعقوب .					٣٩٦		
كتاب المعمرين، لأبي حاتم[1]							
كتاب المغني [للقاضي عبد الجبار]						٢٤٩/١	
كتاب المفضليات ، للمفضل الضبي .				١٠٦			
كتاب المنطق ، لأرسطو	١٣٩						
كتاب الموجز، لابن السراج .				١٣٧			
كتاب نوادر ابن الأعرابي .	٩٠						
كتاب نوادر أبي زيد .					٢١٠		
كتاب نوادر الصولي				١٤٧			
كتاب الورقة، لابن الجراح[2]	١٥٤			١٤٠			

★ ★ ★ .

(١) لم يذكر للمؤلف مواطن وجوده .

(٢) في الأصل الصولي، ولعله من سقط القلم .

وهذه طائفة من أسماء الشعراء الذين ذكرهم في كتبه

	د	س	عب	غ	ف	ل	م
إبراهيم بن ميمون التميمي المتوفى سنة ١٨٨ هـ . «ابراهيم النديم الموصلي»				٦٦			
ابراهيم بن علي بن سلمة المتوفى سنة ١٥٠ هـ . «ابن هرمة القرشي»				١٧٩			٢١٥
أبو مهدية الأعرابي الذي يروي عنه البصريون .					٢٢٨		
أحمد بن محمد بن الحسين الجعفي الكوفي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ . «أبو الطيب المتنبي»	١١٢		٣٩	١٣٢			
أحمد بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٣٣٤ هـ . «أبو بكر الصنوبري»				١١			
أحيحة بن الجُلاح الأوسي الجاهلي المتوفى سنة ٦٠ ق هـ .		٩٢/٢		١٩٣			
أرقم بن نويرة .					٢٠٠		
أسامة بن الحارث الهذلي					٤١٥		
إسحاق بن ابراهيم الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ .				٦٦			
إسماعيل بن القاسم من عنزة المتوفى سنة ٢١١ هـ . «أبو العتاهية»					١٣٢	١١٨	

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
أبو القطران الأسدي .				١٢٥			
أم عبدالله ابنة أبي سفيان.					٢١٦		
* * *							
باعث بن صريم اليشكري .					٤٥٤		
بجير بن زهير بن أبي سلمى .				٢٢			
البرج بن مسهر الطائي .							٧٢
البريق الهذلي .					٢٦٢		
بشر بن أبي خازم .				١٧	١٧٨	١٥	
بشار بن برد .	٢١٦		٧٧	٨٥		٣٢٩	
بشامة بن الغدير .				٢٠٥			
بصيص .				٦٦			
بقيلة الأكبر الأشجعي .					١٦٥		
* * *							
تماضر بنت عمرو بن الحارث ابن الشريد المتوفاة سنة ٢٢ هـ «الخنساء» .			١٠٦	٨٤	٤٥٤	٤٩	
تميم بن أبيّ بن مقبل من بني العجلان المتوفى سنة ٢٥هـ .	٦٦			٥٣			
توبة المعروف بالحتنوت، «ابن مضرس» .				٢٠٤			
* * *							
ثابت بن جابر «تأبط شرا».	١١٦		١١٦	١٠٤	٣١٩		٩٠
ثعلبة بن صعير المازني .			١١١				
* * *							

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
حبيب بن عبد الله . «الأعلم الهذلي»					١٧٨	١٠٦/٢	٢١
حنجل مولى بني فزارة .			١٩٨				
أبو حزام العكلي .		٨٩/٢					
حسان بن ثابت	٩١		٦٠		٢٣٦		١٥١
الحسن بن هانىء . «أبو نواس»				١١		٣٧٤	
الحسين بن الضحاك . [الخليع]				١٧٧			
الحصين بن الحمام المري الذبياني ، الجاهلي .							١٦٢
حماد عجرد .				١٧٥		٣٦٣	
حمزة بن عبد المطلب .				٦٥			
حميد الأمجيّ .				١٧٨			
حميد بن ثور ، من عامر بن صعصعة ، صحابي .	١٠٥			٦١	٤٣	٢٠٣/٢	١١
حميد بن مالك . «الأرقط» اسلامي				١١٥			
جندح بن حجر الكندي . «امرؤ القيس»	٤٤	٩٧	٣١	٦	١١٥	٣١	٢٤
حنظلة أو جارية . أو جويرية بن الحجاج . «أبو دؤاد الإيادي»	١٣٤		١٥٢	١٢٩	١٥١		١١٦
حنظلة بن الشرقي المتوفى سنة ١٠هـ . «أبو الطمحان القيني»					٤٠٥		

• • •

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
الزبرقان بن بدر التميمي السعدي المتوفى سنة ٤٥ هـ .				٨٤			
الزَّفَيان [السعدي الراجز].	١٠٧						
زهير بن أبي سلمى .	٧٦	٧٢	٢٧	٢٢	٢٢٢	١١	٤١
زهير بن جناب الكلبي .				١٠٥			
زهير بن مسعود الضبي .				٩٣			
زياد : « النابغة الذبياني »	١٠٨	٧٢		٣١	٦٧	٢١	
زيد الخيل بن مهلهل الطائي المتوفى سنة ٩ هـ .	١٨٣		٢٣٢			١٧٢/٢	
• • •							
ساعدة بن جؤية .			١٢٦	١٢١	٢٤٠		
سحيم عبد بني الحسحاس المتوفى سنة ٤٠ هـ .		٥٧	١٩٦			٢٠٧/٢	٣٢
سحيم بن وثيل الرياحي اليربوعي ، مخضرم توفي نحو سنة ٥٠ هـ .	١٣٧			٦			٢٠
سديف بن ميمون، حجازي مولى بني هاشم توفي سنة ١٤٦هـ.	١٣٣						
سراقة ، البارقي .	١١٣						
السروي [زيد بن عدي]				٢٢			
سطيح بن مازن ، الكاهن المشهور .		٧٠/٢					

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
سعد بن الحسن السمعي الناجم ، أبو عثمان . [من شعراء سيف الدولة] .				١٦٢			
سلامة بن جندل التميمي ، حجازي جاهلي .							٢٦٥
سلامة بن الخرشب بن عمرو ابن أنمار بن بغيض .					٤٤٠		
سلمى بنت ربيعة .							١٤٤
سلمان بن ربيعة الضبي ، أو سلمى .							١٤٤
السليك بن السلكة .	١٨٥		١١٠	٦		١٠٦/٢	
سليمان أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي ، الذي قلع الحجر الأسود وأنفذه إلى هجر .				١٤٧			
السموأل .				١٢٥		٦٠	
سمير بن أدكن .				١٤٤			
السنبسي .				٢٠٢			
سهل بن حنظلة الغنوي(١) .				١٥١			
سوادة بن عدي [بن زيد]					١٦٠		
سويد بن الصامت .				٦			

(١) في المؤتلف والمختلف ـ الآمدي ـ ص١٣٦ هو « سهم بن حنظلة الغنوي » ولعله هو المقصود، فقد ورد في احدى نسخ الغفران بالميم كما أثبتت ذلك بنت الشاطئ في حاشية الصفحة ٢٩٤ من الرسالة.

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
سويد بن صميع .				٦			
سويد بن أبي كاهل . [اليشكري]				٦			
سويد بن أبي كراع العكلي توفي بعد المائه .							٢٤
سيار بن قصير الطائي .			٩٥				
• • •							
شاتم الدهر ، من عبد القيس .				١٣٨			
شداد بن الأسود الليثي .				١٣٥			
شمعلة التغلبي .				١٣٨			
• • •							
صالح بن عبد القدوس .				١٤٢		٤١	
صخر بن عمرو الشريد .						٤٩	٢
صخر الغي بن عبد الله ، أخو الأعلم الهذلي .	١٢٢			١٠١	٤١٧		
صلاءة بن عمرو [من بني أود المذحجي] « الأفوه الأودي » .				٧٩	٤٧٠		١٣
الصمة بن عبد الله القشيري ، من مضر ، في العصر الأموي .							٢٥٥
صفية بنت عبد المطلب .	١٢٨						
صيفي بن عامر الأوسي ، أبو قيس بن الأسلت المتوفى سنة ١ هـ .			١٦٢		١٣٥		
• • •							

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
ضابىء بن الحرث البرجمي .						٣٣٩	
الضبي : [محرز بن المكعبر الضبي شاعر جاهلي] .			٢٢	١٢٧			
ضمرة بن ضمرة النهشلي : جاهلي .			٣٥			١٦٣	
• • •							
طارق بن دَيْسَق .	١٣٨						
طرفة بن العبد .	١١٨		٧٦	٩٧	١٣٧	١٣	٩٥
الطرماح بن الحكيم المتوفى سنة ٨٠ هـ .			٧٥		٢٨٩		
طريف بن تميم العنبري .					٤٦٥		
طفيل الغنوي ابن عوف من غني من قيس عيلان ، توفي نحو سنة ١٣ ق هـ .			٢٣٢	١٨٩	٢٠٦		٩٦
طفيل بن مالك بن جعفر ، أبو عامر .						٢٠٣/٢	
طهمان بن عمرو الكلابي .					٦٢		
• • •							
ظالم بن عمرو : « أبو الأسود الدؤلي » .			٢١١	٦		٢٩	
• • •							
العائذ بن محصن ، جاهلي « المثقب العبدي » .			١٠٢		١٥٤		

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
عامر بن جوين .[الطائي]	١١٢						
عامر بن الحليس « أبو كبير الهذلي » .				١٠٠			
عامر بن الطفيل .[العامري]	١٨٥			١٩			
العباس بن مرداس : [السلمي]			٤٤				
العباس بن الأحنف المتوفى سنة ١٩٢ هـ .			٦٤				
عبدة بن الطبيب المتوفى نحو سنة ٢٥ هـ، ابن عمرو بن علي من تميم .			٧٢				
عبد الرحمن بن اسماعيل : « وضاح اليمن »		١٤٨			٢١٢		
عبد السلام بن رغبان : « ديك الجن » .				١٤٦			
عبد القدوس بن شيث اليربوعي المتوفى سنة ١٨٠هـ. « أبو الهندي » وقيل : اسمه غالب بن عبد القدوس وقد سماه أبو العلاء في رسالة الغفران : عبد المؤمن بن عبد القدوس .				٩	٤٧١		
عبدقيس بن خفاف البرجمي.	١١٢						

• • •

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
علي بن العباس ، « ابن الرومي » .				١٦١		١٨٢/٢	
علي بن محمد، وكان اسمه من قبل أحمد صاحب الزنج وخارب البصرة .				١٤٧			
• • •							
عمر بن أبي ربيعة .			٤٢		٢١٢		
عمر بن لجأ [إسلامي ممن هاجَوْا جريرا] .					١٢٩		
عمرو بن أحمر الباهلي مخضرم توفي نحو سنة ٣٥ هـ . « ابن أحمر » .	١١٦		٨٨	٤٨	٣٢٤		٢١٤
عمرو بن حبيب بن عمرو المتوفى سنة ٣٠ هـ. شاعر بطل وقيل : اسمه مالك وعبدالله «أبو محجن الثقفي» .							١٦
عمرو بن حسان الشيباني .			١٠٠		١٢٨		
عمرو بن ربيعة التميمي السعدي . « المُسْتَوْغِر ».					١٦٤		
عمرو بن شاس بن ثعلبة الأسدي المتوفى سنة ٣٠هـ .							٧

• • •

(١) لعلها جارية الناطفي صاحبة النواسي .

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
غالب بن الحر ، «الجعفي».				١٦٤			
غامد بن الحارث ـ أو عارب ابن قيس ، « الكسعي » .			١٧٢				
غياث بن مالك ، التغلبي ، « الأخطل » .			٤٢	٨٦	٣٠٩	٢٠	١٦١
غيلان بن عقبة ، من مضر المتوفى سنة ١١٧ هـ . « ذو الرُّمة » .	٨٨	٤٥/٢	٤٨	١٢٧	١٠١		٢٢
غيلان بن حريث .							١٠٨
• • •							
الفرخ أبو العديل ، وفي اللسان والتاج والشعر والشعراء : العديل بن الفرخ .					٣٠٨		٢٤٢
الفزاري(١) .				١٣٠	٤٥٧	١٧	
الفضل بن قدامة ، « أبو النجم العجلي » .	١٣٦		٦٦	١١٥	٤٦٢		
فناخسرو بن الحسن ، « عضد الدولة ».				١٤٨			
• • •							
القاسم بن عيسى ـ أبو دلف العجلي المتوفى سنة ٢٢٦ هـ .							١١٦/٢

(١) لعله عوف بن عقبة الفزاري = عوف القوافي .

	د	س	عب	غ	ف	ل	م
قيس بن ذريح بن سنة الكناني المتوفى سنة ٧٠ هـ — صاحب لبنى بنت الحباب.						٢٣١	
قيس بن زهير بن جذيمة ، أمير عبس وداهيتها ، « قيس الرأي » .	١١٨						٢٠٤
قيس بن عمر ، « النجاشي الحارثي ».			٤١	٥٣	١٢٦		
قيس بن الملوح بن مزاحم العامري المتوفى سنة ٨٠ هـ ، النجدي « مجنون ليلى بنت سعد » .						٢٣٤	

• • •

	د	س	عب	غ	ف	ل	م
كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي الحجازي المتوفى سنة ١٠٥ هـ — صاحب عزة بنت جميل الضمرية .			٦٨	١٢١	٥٨	٢٧	
كعب بن جعيل — أحد شعراء تغلب .				٣٠٩			
كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني من أهل نجد المتوفى سنة ٢٦ هـ .	١١٣				٢٢٤		

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
كعب بن مالك ، البدري الأنصاري الخزرجي الصحابي المتوفى سنة ٥٥ هـ .				٥٦			١٣٤
الكميت بن زيد الأسدي المتوفى سنة ١٢٦ هـ .			٢١	١٨٣	٣٢٩	٤٠٨	٧٣
• • •							
لبيد بن ربيعة بن مالك العامري توفي نحو سنة ٤١ هـ . صاحب المعلقة « أبو عقيل ».			٧٤	٣٧	٦٧	١٦	٧٣
لقيط بن بكير من محارب من قيس عيلان ، المحاربي المتوفى سنة ١٩٠ هـ .	١٥٨						
لقيط بن زرارة التميمي ، « جاهلي » .						٦٤/٢	
ليلى الأخيلية، بنت عبدالله المتوفية سنة ٧٥ هـ تقريباً . « صاحبة توبة بن الحمير » .		٨٩/٢	١٧٩		٤٣٢		
• • •							
مالك بن خالد الهذلي .							٥٧
مالك بن خَرِيم الهمداني .			٢٢٥				
مالك بن الريب [المازني] من تميم .							١٧

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
مالك بن عمرو أو عويمر، من لحيان، الهذلي «المتنخل».				١٩٥			٢١٠
متمم بن نويرة اليربوعي التميمي أبو نهشل المتوفى سنة ٣٠ هـ .						٣٩٥	
محارب بن قيس [أو غامد بن الحارث كما في القاموس وعلى القولين فهو الكسعي].			١٧٢				
محمد بن الحسن ـ أبو بكر « ابن دريد » .				٢٥			
محمد بن ظفر، أو عمير، « المقنع الكندي » .			٢٠٣			٣٠	
محمد بن هانىء الأندلسي .				١٤٥			
المرّار بن سعيد الأسدي من أسد بن مدركة ومن مخضرمي الدولتين .				١٢٥	٤٣٦		١٨٢
مرداس بن عمرو .							١٦١
مروان بن الحكم .						٣٥	
مزرد بن ضرار، [أخو الشماخ] .		١٧٠/٢	٢٢٣				
المستورد، من بني نمير شاعر اسلامي، « جران العود ».		١٦٣		٢٩٣			

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
مسلم بن معبد الوالبي .							١٩٢
مسلم بن الوليد المتوفى سنة ٢٠٨ هـ « صريع الغواني » .		٩٢/٢					
المسيب بن علس [جاهلي وهو خال الأعشى] .		١٦٣			٢٩٣		
مضرس بن ربعي الأسدي .							٢٥
معاوية بن مالك معوذ الحكماء[1] [جاهلي من سادة بني عامر] .			٢٠٩				
معقل بن خويلد الهذلي .							١١
معقل بن ضرار « الشماخ » .	١٠٦	١٧٠/٢	١٢٠	٤٨	٥٧		١٥٨
المغيرة بن الأسود ، أو ابن عبدالله بن معرض الأسدي المتوفى سنة ٨٠هـ « الأقيشر » مخضرم .				١٠			٤
المغيرة بن حبناء .	١٤						
منازل بن زمعة من شعراء الدولة الأموية من بني منقر ، « اللعين المنقري » .					٣٢٠		

(١) لم نعثر عليه في المصدر الذي أحال عليه المؤلف ولعله وقف عليه في غير عبث الوليد وأحال إليه سهواً .

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
المنخل بن عمرو . أو مسعود اليشكري من يشكر بن وائل، جاهلي .							١٨٣
منذر بن حرملة الطائي توفي نحو سنة ٣٠هـ «أبو زبيد».	١٠٥				٢٥٥		٢٥
منظور بن مرثد الأسدي .							٣٧
منقذ بن الطماح بن قيس الأسدي، جاهلي، «الجميح الأسدي».						٢٣	
ميمون بن قيس بن جندل من وائل المتوفى سنة ٧ هـ، «أعشى قيس».	٩٠		٣٧	٢٠	١٠١	٢٦	٧
أبو المهوش الأسدي .			٢٠٠				
. . .							
نبهان بن عمرو .				٦			
نصيب بن رباح، أبو محجن المتوفى سنة ١٠٠ هـ، أعتقه عبد العزيز بن مروان .			١١٨	٩			
النظار الأسدي .							٦٦
النعمان بن بشير الأنصاري المتوفى سنة ٦٥ هـ .	٢١٦				٤١٤		
نعمان بن عدي بن نفلة .						٢٩٦/٢	
نفيل .				١٨٩			

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
النمر بن تولب العكلي المتوفى نحو سنة ١٤ هـ، مخضرم [صحابي].	١٣٦			١٢	٤٩		
نهشل بن حري بن ضمرة — من دارم .				١٨٥			
• • •							
هبيرة بن عبد مناف العَرَنِي «الكلحبة اليربوعي» .					٤٠٨		
هدبة بن خشرم من عامر[1] ابن ثعلبة توفي نحو سنة ٥٤ هـ .							
همام بن غالب بن صعصعة التميمي المتوفى سنة ١١٠ هـ أبو فراس «الفرزدق» .	١٠٥	١٦٣	٢٤	٨٩	٥٤	٢/٢٧	١٦
هيان بن قحافة السعدي .	١٠٧		٢١٤				
هند ابنة عتبة . أم معاوية المتوفية سنة ١٤ هـ .			١١٥				
هوبر الحارثي .					٩٣		
الهيثم بن الربيع بن زرارة المتوفى سنة ١٦٠ هـ ، من نمير بن عامر «أبو حيّة النميري» .			٢٠٨				
• • •							

(١) لم يذكر المؤلف مواطن وجوده في كتب أبي العلاء .

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
يزيد بن معاوية بن أبي سفيان المتوفى سنة ٦٤ هـ .				١٠٢			
يزيد بن مهلهل .				٦٤			
يعمر بن حزن بن زائدة من بني حماد بن كعب بن سعد . « أبو نخيلة » .				١١٥			

* * *

وهذه أسماء طائفة من القراء والحكماء والعلماء والبلغاء والأدباء والرواة الذين ذكرهم في كتبه لنكتة مما يدل على أنه اطلع على كلامهم وآرائهم

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
إبراهيم بن أبي عون ، أحمد ابن المنجم .				١٥٤			
إبراهيم بن السري بن سهل . « أبو اسحق الزجاج » .						٣٣	٣٢
إبراهيم بن سفيان ... بن زياد بن أبيه . « أبو إسحق الزيادي المتوفى سنة ٢٤٩ هـ » .					٣٤		
إبراهيم بن المهدي .				١٨١			
أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ .						١٠٣/٢	
أحمد بن عبدالله بن الحسين . « القطربلي » .				١٣٣			
أحمد بن عبيد بن ناصح . « أبو عصيدة » .				١١٩			
أحمد بن عمر الشيباني المتوفى سنة ٢٦١ هـ . « الخصاف » .						١٠٣/٢	
أحمد بن كامل أبو بكر ، أحمد القراء . « ابن شجرة » .				٢٠٢			

. . .

(١) لعله الأخفش الكبير عبد الحميد بن عبد المجيد . (ع) .

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
خلف بن حيان [الأحمر] .				١٢		١٩	
الخليل بن أحمد الفراهيدي .	١٢٠	٢٠٦	٣٠	٦٨	١٣٥	١٩	٣٥
* * *							
دلف بن جحدر الشبلي المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، شاعر سلك في شعره مسلك المتصوفة « أبو بكر الشبلي » .				٢٠٦			
الدومي .				١٧			
* * *							
أبو رجاء العطاردي قارىء، [تابعي بصري من أصحاب أبي موسى الأشعري] .				٩٣			
رزين العروضي .	١٢٥						
* * *							
زبان بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ « أبو عمرو بن العلاء » .				٢٠		٢٦	٩١
* * *							
سحبان بن زفر بن إياس الوائلي المتوفى سنة ٥٤ هـ .						٢٤٤/٢	
سطيح .						٢٢٧	
سعيد بن أوس « أبو زيد » .	٢٢٣		١١٠	١٠٧	١١٠	٢٨٥	٩١

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
سعيد بن مسعدة ـ أبو الحسن «الأخفش الأوسط».	١١٤		٦٥	٩	١٢٣	١٩	١٨
سفيان الثوري .						١١٨	
سلمان الفارسي المتوفى سنة ٣٦ هـ .				١٦٩			
ابن سمح أبو علي بن السمح المنطقي العراقي توفي سنة ٤١٨ هـ .						٢٣٥	
سهل بن محمد المتوفى سنة ٢٥٥ هـ «أبو حاتم السجستاني».	١٢٧		٢٣٣				
* * *							
أبو شريح .				١٠٠			
شق بن نمار .						٢٢٧	
* * *							
صالح بن إسحاق البجلي الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ.			١٨٣			١٩	٩٧
الصناديقي .				١٤٣			
* * *							
عاصم بن أبي النجود الكوفي الأسدي أحد القراء [السبعة] المتوفى سنة ١٢٧ هـ .						١٨٦/٢	
عبد الجبار بن أحمد، المعتزلي المتوفى سنة ٤١٥ هـ.				١٥٦			

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
عبد الملك بن قريب — « الأصمعي ».	٤٦	١١١/٢	١٤١	١٨	٣٤٠	٤٢	٢٤١
عبد الواحد بن علي — « أبو الطيب اللغوي ».				١٩٢			
عبد الوهاب بن أحمد أو حَريش الأعرابي . « أبو مسحل » .							٢٠٦
عبيد الله بن أحمد المتوفى سنة ٢٨٠ هـ « ابن خرداذبة ».				١٧٥			
عثمان بن جني ـ أبو الفتح المتوفى سنة ٣٩٢ هـ .			١٨٠				
عثمان بن سعيد ، أحد القراء [راوية نافع] المتوفى سنة ١٩٧ هـ . « ورش » .						٥٢/٢	٢٥٩
عروة بن حزام .				٢١٠			
عطاء بن أبي رباح التابعي المتوفى سنة ١١٥ هـ .							٢٢٠
العلاء بن أبي بكر ـ أبو عمرو « مكوزة الأعرابي ».							٧٥
علي بن أبي طالب .				٢٠			
علي بن إسماعيل بن إسحق ـ « أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ » .				١٥٦			

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
علي بن الحسن العلوي – الشريف أبو القاسم بن الأعلم المتوفى سنة ٣٧٥ هـ .						٢٣٥	
علي بن حمزة الأسدي الكوفي المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، « الكسائي » .			٦٥	١٨			٩٣
علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هـ ، وقيل سنة ٣٩٢ هـ « قاضي الري » .						١٧٢/٢	
علي بن عيسى بن الفرج الربعي « أبو الحسن الزهري » .			٥٠				
علي بن عيسى ، أبو الحسن المتوفى سنة ٣٨٤ هـ . « الرماني » .	٨٦						٩٢
علي بن قطرب .				٩٨			
علي بن المغيرة ، « أبو الحسن الأثرم المتوفى سنة ٢٣٢ هـ » .				١٢٥			
عمرو بن عثمان بن [قنبر صاحب الكتاب] سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ . [على خلاف] .	١٣٢		٢٦	١٨		١٨٠/٢	١٥

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
عيسى بن إسحق بن زرعة ، البغدادي المتوفى سنة ٤٤٨هـ . وقيل سنة ٣٩٨ هـ .						٢٣٥	
عيسى بن عمر الثقفي ، شيخ الخليل وسيبويه المتوفى سنة ١٤٩هـ .			١٧٦				
أبو عيسى بن الرشيد .				١٤٦			
* *							
الفضل بن سهل المتوفى سنة ٢٠٢هـ .				١٤٩			
الفضيل بن عياض [بن مسعود بن بشر] التيمي أبو علي [الزاهد] المتوفى سنة ١٨٧هـ .				١٧٤			
* * *							
القاسم بن سلام ، « أبو عبيد المتوفى سنة ٢٢٤ هـ » .					٢٤٠	٢٠	
القصار .				١٤٢			
ابن القنسري المقرىء .				١٧٣			
* * *							
مالك بن أنس ـ صاحب المذهب .						١٠٣/٢	
مالك بن دينار البصري ، أبو يحيى المتوفى سنة ١٣١هـ .				٢٠٠			
محمد بن أحمد بن كيسان المتوفى سنة ٢٩٩ هـ .			١٤٠				٢٢٥

	د	س	عب	غ	ف	ل	م
أبو بكر محمد بن أحمد بن مزيد النحوي [مستملي المبرد] ابن أبي الأزهر المتوفى سنة ٣٢٥ هـ .				١٣٦			
محمد بن إدريس ، « الإمام الشافعي » .						٤٣٢	
أبو بكر ، محمد بن الحسن « ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ » .	١٠٨		١٤٦				
محمد بن الحسن الرؤاسي ، أستاذ الكسائي والفراء .							١٦٩
محمد بن زياد ، ابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ هـ .	١٣١		٢٠٩		٩٦		١٤٠
أبو بكر محمد بن السري ابن سهل المتوفى سنة ٣١٦ هـ « ابن السراج » .			٢٢	١٣٧		٣٣	٢٥٣
محمد بن الطيب بن محمد المتوفى سنة ٤٠٣ هـ . « أبو بكر الباقلاني » .						١٢٢/٢	
محمد بن عبد الرحمن بن محمد المكي المخزومي ـ قُنْبُل [القارىء راوية ابن كثير] المتوفى سنة ٢٩١ هـ .						١٨٦/٢	

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
محمد بن عبد الواحد ، أبو عمر الزاهد المطرز غلام ثعلب المتوفى سنة ٣٤٥ هـ .			١٨٦	٢٠٠		٣٨٥	
محمد بن علي بن أبي طالب « محمد بن الحنفية » .				١٦٨			
محمد بن علي المراغي — أبو بكر ، قرأ على الزجاج .							٢٨٠
محمد بن عمران بن موسى «المرزباني المتوفى سنة ٣٧٨ هـ» .				٧٥			
محمد بن محمد بن النعمان ، [الشيخ المفيد — من رؤوس الشيعة] « ابن المعلم » .						١٧٢/٣	
محمد بن المستنير « قطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ » .				٩٨			
محمد بن يحيى بن عبد الله « أبو بكر الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ » .				١٤٠			
محمد بن يزيد الثمالي أبو العباس « المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ » .			١٨٧	١٧		٢٩٧	
محمد بن الهذيل [البصري] « أبو الهذيل العلاف » المتوفى [سنة ٢٣٥ هـ] .						١٣١	

	ر	س	عب	غ	ف	ل	م
أبو معشر المدني .				١٧٥			
معمر بن المثنى « أبو عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ » .	١٣٣		٢١	١٨			٨
المفضل بن محمد بن يعلى الضبي « المفضل الضبي المتوفى سنة ١٦٨ هـ » .				١٠٦	٣٨٠		٢٦٢
• • •							
نافع أبو عبيد المدني من أئمة التابعين المتوفى سنة ١١٧هـ .			٢٢٢				
النضر بن شميل .				٦٩	٣٠٨		
النعمان بن ثابت « الإمام أبو حنيفة » .		٢١٢				٢٤٠	
• • •							
يحيى بن زياد — أبو الفضل « الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ » .			٦٥	٢١		١٩	٢٤
يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي روى عن ابن عمر وابن عباس توفي سنة ١٠٣ هـ .							١٢٤
يعقوب بن إسحق « ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤هـ» .	٤٧		٢٢٧				
يونس بن حبيب « الضبي المتوفى سنة ١٨٣ هـ » .				١٣٩		١٧	٤٩

★ ★ ★

ما ألفه من الكتب والدواوين :

ذكر ياقوت في (إرشاد الأريب) أنه قرأ في نسخة فهرس كتب أبي العلاء ، وفي أولها يقول :

« قال الشيخ أبو العلاء [رضي الله عنه] لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة ، واجتهدت على أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده ، إلى[1] أن أضطر إلى غير ذلك . فأمليت أشياء ، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم — أحسن الله معونته — فألزمني بذلك حقوقاً جمة ، وأيادي بيضاء ، لأنه أفنى فيّ زمنه ، ولم يأخذ عما صنع ثمنه . والله يحسن له الجزاء ، ويكفيه حوادث الزمان والأرزاء[2] » اهـ .

وقد أورد ابن العديم ، والقفطي ، والصفدي ، والذهبي ، وصاحب (كشف الظنون) طائفة من أسماء كتبه ، فأوردناها بعد ترتيبها على حروف الهجاء ، ليسهل الرجوع إليها ، وأضفنا إلى ما ذكروه ما عثرنا عليه في مظان أخر من كتبه ، أو ما يتعلق بها ، كما أضفنا أمثلة من كتبه التي لم تطبع ليطلع الواقف على هذا الكتاب على شيء من أسلوبه وأغراضه فيها . وهذه هي :

١ — كتاب أدب العصفورين :

وعده ابن العديم ، والقفطي ، والذهبي[3] ، في الرسائل .

---

(١) في القفطي وابن العديم : « إلا أن » . (ج)

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠١ عن إرشاد الأريب — لياقوت .

(٣) انظر تعريف القدماء الصفحات : ٤٨ ، ٢٠٤ ، ٥٢٤ عن إنباه الرواة وتاريخ الإسلام ، والإنصاف والتحري .

٢ ــ كتاب استغفر واستغفري :

لم تسامحنا الأيام بالاطلاع على هذا الكتاب الذي أثار ثائرة العلماء على أبي العلاء ، وحملهم على الطعن في دينه . والظاهر من أقوالهم أن ما فيه يشبه ما في (لزوم ما لا يلزم) وأنهما من نبعة واحدة . وقد قال الصفدي في (نكت الهميان ص ١٠٧) في المعري : « أما الموضوع على لسانه ، فلعله لا يخفى على من له لب ، وأما الأشياء التي دوّنها وقالها في (لزوم ما لا يلزم) وفي (استغفر واستغفري) فما فيه حيلة ، وهو كثير ، فيه ما فيه ، من القول بالتعطيل والاستخفاف بالنبوات ، ويحتمل أنه ارعوى وتاب بعد ذلك » اهـ .

وقال ابن الوردي في (تاريخه ج ١ ص ٣٦٠) في حوادث سنة ٤٤٩ هـ في المعري : « وأنا كنت أتعصب له بكونه من المعرة ، ثم وقفت على كتاب (استغفر واستغفري) فابغضته ، وازددت عنه نفرة . ونظرت له في كتاب (لزوم ما لا يلزم) فرأيت التبري منه أحزم . فإن هذين الكتابين يدلان على أنه كان لما نظمها عالماً جائراً ، ومذبذباً نافراً ، يقر فيهما أن الحق قد خفي عليه ، ويود لو ظفر باليقين ، فأخذه بكلتا يديه » اهـ .

وقد ذكر الزمخشري في (الكشاف) في تفسير قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ[1] ﴾ قصة مسيلمة وسجاح ، ثم قال : « فيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب (استغفر واستغفري) :

أَمَّتْ سَجَاحُ وَوَالاَهَا مُسَيْلَمَةٌ كَذَّابَةٌ في بني الدُّنياوكَذَّابُ[2] »

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٤ .

(٢) انظر فائت شعر أبي العلاء ــ للميمني ــ ص ٣ .

أمّت : من الإمامة ، وروي : « ووافاها مسيلة » أي واقعها . ويروى « آمت سجاح » أي صارت أيما وهي التي مات زوجها . وقال في (عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٨٨) في ترجمة جالينوس : « وقد مدح أبو العلاء بن سليمان المعري في كتاب (الاستغفار) كتب جالينوس ، ومدوني الطب ، فقال :

سُقياورعيا لجالينُوس مِنْ رَجُلٍ وَرَهْطِ بُقْراطَ غَاضُوا بَعْدُأوْزَادُوا

فَكُلُّ مَا أَصّلُوهُ غيرُ مُنْتَقِضٍ بِه استَغَاثَ أولُو سُقْمٍ وَعُوّادُ

كُتُبٌ لِطافٌ عَلَيْهِم خَفَّ محملها لَكِنها في شِفاءِ الداءِ أطوادُ[1] » .

ولا أعلم إن كان كلام الاستغفار هذا هو كتاب استغفر واستغفري أم غيره.

وذكر ابن العديم في كتب أبي العلاء كتاباً في المنظوم يعرف باستغفر واستغفري ، في العظة ، والزهد ، والاستغفار . أول كل أبيات فيه : « أستغفر الله » ومقداره مائة وعشرون كراسة ، فيه نحو عشرة آلاف بيت[2].

ونحو ذلك في القفطي . وفي الذهبي ، يعرف بكتاب استغفر واستغفري منظوم فيه نحو عشرة آلاف بيت ، وفي (مرآة الزمان) ست مجلدات . وقد نقل عنه التبريزي في (شرح سقط الزند) :

« وذكر أبو العلاء في كتابه (استغفر واستغفري) أنه لو قيل للدنيا : أم دفر ، للدفع – وهي تدفر أهلها ؛ أي تدفعهم – لكان وجهاً حسناً » . وقال الخوارزمي في (شرح السقط ج ٥ ص ٢٠١٢) : ومن أبيات (استغفر واستغفري) :

---

(١) فائت شعر أبي العلاء – الميمني – ص ٦ .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٣٨ عن الانصاف والتحري – لابن العديم .

أورَقتَ يا غُصنُ لا تَدري بما صَنَعَتْ
لكَ المَقادِيرُ ثم انتُشِيءَ الزَّهرُ

فَلَمْ تزَلْ لِقَضاءِ اللهِ مُنتَقِلاً   حالاً فَحالاً إلى أنْ أينَعَ الثَّمرُ

وكانَ والِيكَ يَخشَى أن تمسَّ أذىً   يَوماً ويَسقِيكَ إنْ لم يَسقِكَ المَطرُ

ما نامَ عَنكَ ولا ألهَتهُ نائِبةٌ   حتى قَدِمْتَ وجاءَ الضَّعفُ والخَوَرُ

ثُمَّ اعتَدى لَكَ عِندَ القَرِّ مُحتَطِباً   يُلقِيكَ في النّارِ عمداً وهي تَستَعِرُ

وإنّما قُلتُ ما قَدَّمتُهُ مَثَلاً   لِلمَرءِ لَمّا أتاهُ الشَّيبُ والكِبَرُ

٣ — كتاب إسعاف الصديق :

يتعلق بكتابه الذي سماه (تعليق الجليس) وهو يتعلق بكتاب أبي القاسم الزجاجي المعروف بـ (الجمل) . وإسعاف الصديق ثلاثة أجزاء وقد رأى القفطي أجزاء منه .

٤ — كتاب إقليد الغايات :

وهو مشتمل على تفسير اللغز ومقداره عشر كراريس ، وفي (كشف الظنون) والقفطي : مقصور على تفسير اللغز .

٥ — كتاب الألغاز :

قال البديعي في (أوج التحري)[1] : « ولأبي العلاء المعري ديوان شعر جميعه في الألغاز » منه :

---

(١) أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري — البديعي — ص ١٠٤ تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني .

أضعفتَ قوةَ فُرسانٍ ذكرتَ لَهُمْ   أنَّ الفوارسَ لاقتْ بالرَّدى شرَقا

فأصبحتْ تطعنُ الأعداءَ جاهدةً   عنِ الملاحِ وترمي دونَها الحدَقا

أضعفت : من قولك : أضعفت الشيء إذا زدته ضعفه ، ألغز عن أضعفت من الضعف ، كأنه لما خبرهم أن نساءهم هلكت ، اشتدت ظهورهم لذلك ، لأنهم أمنوا عليها السباء . عن الملاح : أي عن المياه الملاح ، يقال : قليب ملح وأقلبة ملاح ، ألغز عن الملاح من الناس .

وقال :

شَمْطاءُ تَعْمِلُ في غابٍ مخالِبَها   فما تزالُ نهاراً تَعْضِدُ الشَّجَرا

تأوي إلينا فقدْ أغنَتْ مَعاشِرَنا   عَنِ الوَقودِ ومَا أدْمَتْ لَهَا ظُفُرا

شمطاء : أمة ، والمخالب : المناجل ، تعضد : تقطع . والوقود : ما توقد به النار من الحطب .

وقال :

إذا نَعامَةُ لَيْلٍ بالفَلا بَرَكَتْ   أنحَى الظَّليمُ على التَّقريبِ والخَبَبِ

وإنَّ مَنْ جعَلَ الظلماءَ ناقتَهُ   كانتْ جديراً بما يَنوِي مِنَ الأرَبِ

نعامة الليل : ظلمته . الظليم : المظلوم . ألغز عن ظليم النعام .

وقال :

ورَاقدٍ لَوْ أرادَ النَّجْمَ أدْرَكَهُ   يُلْقي عَصاهُ عَلى الجوزاءِ والحَمَلِ

يَرمي عَلى الأَين بالمَرِّيخ مِنْ يَدِهِ ... وَلا يَخافُ وُقوعَ النَّحْسِ مِن زُحَلِ

[يَهْوى الثُّرَيا فَيَبْغيها وتُمكِنُه ... من نفسها فيُقَضّي غايَةَ الأَمَلِ]

إِذا دَنا كَوْكَبٌ مِنْهُ لِيَخْتِلَهُ ... رَدّاهُ بِالفِهْرِ أَوْ صاداهُ بِالعِلَلِ

مَتى رأى هادِيَ السِّرْحانِ رِيعَ لَهُ ... وَإِنْ رأى ذَنَبَ السِّرْحانِ لم يُبَلِ

النجم : النبت ، والجوزاء : شاة في وسطها بياض وهي سوداء ، أو سوداء وهي بيضاء ؛ ذكر ذلك غير واحد في شيات الغنم . والمريخ : سهم له أربع قذذ ؛ ولا يخاف وقوع النحس: أي لا ينظر في النجوم ، والثريا : تصغير ثَرْيا ، وهي أرض ذات ثرى ، وأصلها المد ، وقصرها جائز في الشعر . والكوكب : الغلام اليافع ، ردّاه : أي رماه . صاداه : داراه .

وقال :

إِنَّ العَقيقَ أَتانا مِنْ مَحَلَّتِهِ ... بِالبَصْرَةِ العامَ حَتّى حَلَّ في هَجَرا

يَعِزُّ نفساً إِلى العَلْياءِ تائِقَةً ... لَوْ كانتِ الدُّجْنَ لَمْ تُمسِكْ لها مطَرا

العقيق ههنا : الرجل المعقوق . ألغز عن عقيق البصرة وهو موضع بها .

وقال :

أَتى الأَرْبعاءَ القَوْمُ في يَوْمِ جُمْعَةٍ ... وَسَبْتُهُمُ وافاهُمُ بِخَميسِ

وَمَن لا يَخُنْهُ عُمْرُهُ تَلْقَ نَفْسُهُ ... ضُروبَ نَعيمٍ في الزَّمانِ وَبُوسِ

الأربعاء ههنا : جمع ربيع وهو النهر الصغير ، ألغز عن اليوم . وسبتهم : إن شئت كان يوم السبت ، وافام فيه خميس : وهو الجيش . وإن شئت كان الخميس ههنا ضرباً من السير ، ويكون الخميس يوماً أو جيشاً أو ثوبا .

وقال :

خَلِيلانِ نِيطَا في جَوانِبِ مَجْلِسٍ　　جِدارَاهُ قُدّامٌ لَهُ وَوَرَاءُ

مَتى يَضَعِ الرِّجلَينِ مَاشٍ عَلَيْهِما　　يزُلْ عَنْه في وَشْكٍ حَفاً وَحَفاءُ

هذان الركبان . والمجلس : السرج . جداراه : قربوسه ومؤخرته . والحفا مقصور : أن يتجع الرجل من ألم المشي . والحفاء ممدود : أن يمشي الرجل حافيا .

وقال :

وَلابِسَةٍ في قَيْظِها أَلْفَ حُلَّةٍ　　وأكْثَرَ لَمْ تَحفلْ بِحُسْنِ لِباسِ

وَلاخَشِيَتْ قُرّاً ولا مِنْ ظَهِيرَةٍ　　هَجيراً ولا استَحْيَتْ عُيُونَ أناسِ

وكَمْ عِندَها عَارٍ يَوَدُّ لَو أنّهُ　　بِطمرَيْن مِن شَرِّ المَعاوِزِ كَاسِ

هذه الكعبة . والمعاوز : الثياب الأخلاق .

وقال أيضاً فيها :

لها اللهُ ما هَمّتْ لحيٍّ بِزَوْرَةٍ　　عَلَى أنها طُولَ الزّمانِ تُزَارُ

عَلَيها سُتُورٌ وهْي غَيْرُ حَيِيّةٍ　　وَلاَ عِنْدَ لَمْسٍ بالأكُفِّ نَوارُ

نوار : نفور . وكتاب الألغاز كبير الحجم ، رتبه على جميع حروف الهجاء ، مشتمل على كل بحور الشعر وأعاريضه وضروبه ، وما ذكرنا هذه النبذة منه إلا ليستدل بها على أسلوبه . وهذه طريقة المتقدمين في الألغاز».

وفي الشريشي (ج ٢ ص ٧٩) « وقال المعري يلغز في القمح :

وَسَمْراءَ في بيضِ الحِسانِ شَرِيتُها بِصُفْرٍ من العَينِ الشبيهةِ بالشَّمسِ
وَقَدْ غُيِّبَتْ في الخِدْرِ عَصْراً مَصُونَةً مُحَجَّبَةً عَنْ أعينِ الجنِّ والإنسِ
فَلَما بَدَتْ عَنْهُ بَدَتْ سِيمَةُ النَّوَى عَلَيْها وَلَمْ تَجْزَعْ لِحادثةِ الأَمسِ
فَأهلاً بأُنْثَى لَمْ تَرُدْ يَدَ لاَمِسٍ بِسُوءٍ ولا أبدَتْ نِفاراً مِنَ اللَّمسِ ».

هكذا رواها ، وأظن أن « لم ترد » محرفة عن « لم تذد » .

٦ – كتاب الأنواء :

هذا الكتاب ، ذكره البغدادي في (خزانة الأدب) في جملة الكتب التي اعتمد عليها وانتقى منها ، ولم أر من ذكره غيره .

٧ – كتاب الأيك والغصون :

وهو كتـــاب كبير يعرف بكتاب (الهمزة[١] والردف) بُني على إحدى عشرة حالة من الحالات : الهمزة في حالة انفرادها واضافتها ، ومثال ذلك : السماءُ بالرفع ، والسماءَ بالنصب ، والسماءِ بالخفض . وسماء يتبع الهمزة التنوين « سماءٌ ، سماءً ، سماءٍ » ثم : سماؤه مرفوع مضاف ، سماءه منصوب مضاف ، سمائه مخفوض مضاف ، ثم يجيء : سماؤها ، وسماءها ، وسمائها ، على التأنيث . ثم همزة بعدها هاء ساكنة ، مثل : ملاءة ، وعباءة . فتلك إحدى عشرة حالة – إذا اعتبرت صور المنون واحدة – فإذا ضربت في حروف المعجم الثمانية والعشرين ، خرج من ذلك ثلاثمائة فصل وثمانية فصول .

---

(١) في القفطي « الهمز » وكذا في ابن النديم ، وفيها اختلاف يسير وغمض وزيادة عما ذكره ياقوت . (ع)

وهي مستوفاة في كتاب (الهمزة والردف) وذكرت فيه الأرداف الأربعة ، بعد ذكر الألف ، وهي الواو المضموم ما قبلها ، والواو التي قبلها فتحة ، والياء المكسور ما قبلها ، والياء التي قبلها فتحة ، ويذكر لكل جنس من هذه أحد عشر وجهاً ، كما ذكر للألف ، وهذا الكتاب في العظات وذم الدنيا ، ومقداره على قول ياقوت اثنان وتسعون جزءا ، وهو ألف ومائتا كراسة [1] .

وقال ابن خلكان (ج ١ ص ٤١) : « بلغني أن له كتاباً سماه (الأيك والغصون) وهو المعروف بالهمزة والردف ، يقارب المائة جزء في الأدب [أيضاً] وحكى لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة من [كتاب الهمزة والردف] ، وقال : لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد [2] ! » .

وقد رأى القفطي منه ثلاثة وستين مجلداً في فهرست وقف نظام الملك الحسن بن اسحق الطوسي في بغداد [3] .وقال ابن العديم : « وهذا الكتاب قليل الوجود لكبره ، ولم أقف إلا على جزء واحد منه ، وبعضه موقوف في خزانة كتب النظامية ببغداد ، وبالديار المصرية منه نسخة كانت في خزائن المصريين ؛ صارت إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ، وانتقلت إلى ولده القاضي الأشرف بعده ، ثم صارت في جملة كتبه إلى خزانة الملك الصالح أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب وأظنها في ستين مجلدا » [4]. اﻫ

وذكر المقريزي في كتاب (السلوك ج ١ ص ٢٣٣) أنها في ستين مجلدا ، وأن أخذها في جملة كتب الأشرف كان في ١٢ رجب سنة ٦٢٦ ﻫ .

---

(١) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٢ عن إرشاد الأريب لياقوت .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٢ عن الوفيات .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٩ عن إنباه الرواة ـ للقفطي .

(٤) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٢٨ عن الانصاف والتحري .

وقال البديعي في (أوج التحري ص ٦٦ [1]) : « قال أبو العلاء : أنشأت كتابي المعروف بكتاب الفصول والغايات ، ونظمته على حروف المعجم ، سوى الألف ، لاني بنيته على الردف ، وقد نجز بحمد الله كتاب غايات وفصول ، يتبعه كتاب أيك وغصون ، وقلت ذلك لعل بركة من ذاكر لله منيب تدركني وأنا حي أو ميت » .

ثم أورد جملة من كتاب الغايات ، وأعقبها بما قدمناه عنه ثم قال : « وكتابه الذي سماه (الأيك والغصون) وهو المعروف بالهمزة والردف ، يشتمل على ما اشتمل عليه (الفصول والغايات) من تمجيد الله [تعالى] والثناء عليه والمواعظ » .

ثم نقل قول ابن العديم وقول ابن خلكان . ثم قال : « ولم ينسبوه فيه إلى معارضة القرآن العزيز ، كما نسبوه في الفصول والغايات ، مع أنهما على نمط واحد .

مثال من الأيك والغصون :

وهذه نبذة من كتاب الأيك والغصون ، متضمنة للسمع والعيون .

قال أبو العلاء :

لَوْلا مَا أَصْفَقَ المُتَعَبِّدُونَ مِنْ تَمْجِيدِ اللهِ ، لَوَجَبَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ ـ تَعَالىٰ ـ إِجلالاً وهَيْبَةً . وأَنْ لا تُرْفَعَ أَنْمُلَةٌ إِلىٰ السَّمَاءِ إِعْظاماً وتَأَثُّماً . الَخَمَصَةُ لِلْفَحْلِ وِجَاء [2] . لا يَسْتَثِيرَنَّ غَضَبَكَ هِجَاء . لِلأَقْدارِ النَّظِرَةُ والفِجاء [3] .

• • •

(١) أوج التحري تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني ، منشورات المعهد الافرنسي بدمشق وهذه النصوص في الصفحات ٤٨ ـ ٧٣ .

(٢) الخمصة : المجاعة : الوجاء : شبيه بالخصاء ، وهو دق عروق الخصيتين بين حجرين من غير أن يخرجهما . اللسان « وجأ » .

(٣) النظرة : الامهال ، الفجاء : المباغتة .

إِذَا نَزَلَ قَدرُكَ فَلاَ رَاق . وإِذَا هَلَكَ عِبَادُكَ فَأَنْتَ باقٍ . أَيْنَ المتَأَسِّفُ عَلَى قَوْمِه ؟ لَقَدْ شُغِلَ بِلِقَاء يَوْمِه . افْرَحْ بِالْحَسَنَةِ إِذا صَنَعْتَهَا . وانْدَمْ عَلَى صَلاتِكَ مَتَى أَضَعْتَهَا . الأَمَلُ والحِرْصُ مُتَوَاخِيان . والزُّهدُ والعِبَادَةُ نَسِيبانْ . خَيْرُ مَا تَنْطِقُ بِهِ ثَنَاؤُكَ عَلَى خَالِقِكْ . وكَيْفَ ثَنَاؤُكَ عَلَى مَالاَ تعْرِفُهْ ؟ . إِنَّما دَلَّكَ عَلَيْهِ الصُّنْع . فَمَعْرِفَتُكَ وَقَعَتْ بالأَفْعَالِ دُونَ مَنْ فَعَل . واللهُ حَكِيم . والمَعْرِفَةُ بِرَبِّنا عَوْصاء .

* * *

كَلَّتِ الأَلْسُنُ عَنْ صِفَتِك . نُؤْمِنُ بِكَ وَنَثِقُ بِقُوَّتِك[1] . وَنَسأَلُكَ أَنْ تُوسِعَنَا مِنْ رَحْمَتِك . كَذَبَ المَادِحُ سِوَى مَادِحِيك . سُبْحَانَكَ رَبَّ المَمْلَكَةِ مَا لَهَا انْقِضَاء .

* * *

احْذَرْ صَدِيقَكَ وَصَاحِبَكْ . مِثْلَمَا تَحْذَرُ عَدُوَّكَ ومُحارِبَكْ . إِذَا انْتَوَتْ بِصَدِيقِكَ نَوًى[2] فَلاَ تَنْسَهْ . واذْكُرْ مُلاَطَفَتَهُ

---

(١) في أوج التحري : « بعزتك » .

(٢) أي بعد به البعد .

وأْنسَهْ[1]. كاشِفْ صَاحِبَكَ المَعْصِيَةَ وازْجُرْه . وأكرِمِ النَّاسِكَ ولا تَهجُرْه . وأحْسِنْ إلى فَقِيرِكَ وأبْهِجْه . مَنْ أرَادَ مِن الدُّنيا حَظًّا هَضَمَ نَفسَهُ في خِدْمَتِهَا . ومَنْ أدْرَكَهَا مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ فَذَلِكَ جَرَى مَجْرَى الشَّاذِّ لاَ يَحْتَمِلُ قِياساً عَلَيْه . كَمْ قَومٍ في حُبِّ العَاجِلَةِ قَد اضْطَغَنُوا . وَخَلَّفُوهَا بَعْدَ ذلِكَ وظَعَنُوا . قُلْ مَا بَدَا لَكَ أو اصْمُتْ . كُلُّنا سَمْتَ الآخِرَةِ يَسْمُتْ[2]. أقْبَحُ مِنَ الغَيِّ الإغْواء .

* * *

إذا سَقَيْتَ عَافِيَكَ فَاسْقِهِ مَحْضاً[3] . وإذَا سَأَلتَ رَبَّكَ مَعيشَتَكَ فاسْأَلهُ خَفضاً . ولا تَذمُمْ صَاحِبَكَ شَغَفاً وبُغْضاً ، واغْفِرْ لَهُ ما اجْتَرَمَ تَفَضُّلاً وغمْضاً . كَيْفَ لا أحْذَرُ وأتَقِي . هَلْ خُلِّدَ أحدٌ أوْ بَقِي؟. يَارَبِّ مَنْ سَعِدَ وَشَقِي . لَقِّنَا بِرَحْمَتِكَ خَيْرَ مَا لَقِي . فَإنَّ الهُوَّةَ أكُولٌ فَوْهَاء[4] .

* * *

(١) في الأوج : « واذكر ملاطفتك إياه وأنسه » .

(٢) أي يتجه وجهة الآخرة .

(٣) العافي : طالب المعروف .

(٤) فوهاء : واسعة الفم .

اشْجَعْ فَإِنَّ أقْدَارَ اللهِ لا تَعْجَلُ إلى الشجَاعِ . وَلاَ تَنْكصْ إلىٰ لِقَاءِ الجَبَانْ . فَلاَ تَكُنْ مِنْ قَوْمٍ نُخَبَاء[1] .

* * *

إذا رُزِقْتَ الظَّفَرَ فَأَحْسِنْ . وَقَيِّدْ فَرَسَكَ وَأَرْسِنْ . خَاصِمْ نَفْسَكَ فَإِنَّهَا عَدُوَّة ، واصْبِرْ عَلَى أقارِبِكَ فَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَيْهِمْ مُرُوَّة . واعْلَمْ أنَّ عِبَادَةَ رَبِّكَ جَنَّة مُجْفُوَّة . لاَ تَعِيبَنَّ أحداً بِأَمْر . فتَطَأَ عَلى مِثْلِ الجمْر . اصْبِرْ عَلَى مَا حكَمَ رَبُّك . وإيَّاكَ وَلَيْتَ الكَاذِبَة ، ولَوْ الغَرَّارَة ، وَعَسَى المُخْلِفَة ، ولَعَلَّ الخَالِبَة . وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ . ولا تَكُونَنَّ كَالرَّجُلِ يَبْكِي العِدَاءْ .

* * *

لاَ تَمَلَّنَّ مِنَ اسْتِغْفَارِكْ . وَوَاصِلِ التَّذْكِرَةَ وَدَارِكْ . وأخفِ الكَلِمَةَ في إضْمارِكْ . وَلاَ تَزِيدَنَّ جَرَائِمَكَ بِاعْتِذَارِكْ . أَعُدُّ سَنَةً بَعْدَ سَنَة . فَمَرَّ الزَّمَانِ وَأنَا في سِنَة . إنَّ اللهَ يَرْفَعُ المُتَوَاضِعَ وَيُعِينُه . وَيَذُلُّ المُتَجَبِّرَ وَيُهِينُه . إذَا كَانَ

---

(١) نخباء : مفردها نخب وهو الجبان الذاهب القلب .

جَلِيسُ الرَّجُلِ يُعِينُهُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ . فَالْمُجَالَسَةُ أَفْضَلُ مِنَ التَّوَحُّدِ[1] . وَإِذَا كَانَ الْجَلِيسُ يَغْمِسُكَ فِي الْمَعْصِيَةِ فَبَادِرِ الإِخْلاءَ .

* * *

الْمُؤْمِنُ بَلِيغٌ وَكَأَنَّهُ عَيِيٌّ . وَمُحْسِنٌ فِي الْبَاطِنِ وَكَأَنَّهُ مُسِيءٌ . فِي كُلِّ نَفْسٍ أُعْجُوبَة . وَالْحَقَائِقُ عَنِ الْبَشَرِ مَحْجُوبَة . مَنْ كَفَرَ فَلاَ تُلاَحِه . حَسْبُهُ سَيِّئُ صَبَاحِه . فِي مَغْدَاهُ وَرَوَاحِه . فَكَانَ مِثْلَ الْكَلْبِ الأَخْرَق . جَازَى الْمُطْعِمَ بِنُبَاحِه . لاَ تَغْبِطِ الثَّمِلَ بِرَاحِه . وَارْثِ لَهُ مِنَ اجْتِرَاحِه[2] . لَوْ رَضِيَ بِبَارِدٍ مِنْ قَرَاحِه[3] . لَرَجَوْتَ أَنْ يَظْفَرَ بِفَلاَحِه . عَلَى أَنَّ الْمَلِكَ مُحْسِنٌ فِي كُلِّ الأَنْحَاء .

* * *

يَا نَحْوُ يَا نَحْو . حُقَّ لِمَا كُتِبَ مِنْكَ مَحْو[4] . مَا أَنْتَ وَمَا الْحَاجَةُ إِلَيْك . إِنَّمَا يُفْتَقَرُ إِلَى تَقْوَى الله . مَا أَشْغَلَنِي إِذَا

---

(١) في الأوج : « التوحيد » ولعلها خطأ لأن أبا العلاء يريد بهـا الانفراد حسب ما يقتضيه السياق .

(٢) اجتراحه : اجترح الاثم أي ارتكبه .

(٣) القراح : بالضم ، الماء الذي لا يخالطه ثفل من سويق أو غيره . وبالفتح ، الماء الذي لا يخالطه شيء يطيب به كالعسل والتمر والزبيب . اللسان « قرح » .

(٤) في الأوج : « المحو » .

نُودِيَ بِي عَنْ أحكَامِ النِّدَاء . مَا تَرْخِيمٌ وُضِعْ . وَكَلاَمٌ ضُمَّ وجُمِعْ . جُرٌّ بالإضَافَة . وَنُصِبَ عَلَى الإغْرَاء .

* * *

اسْتَغْفِرْ رَبَّكَ وَتُبْ . هَلْ تَنْفَعُكَ هَذِهِ الكُتُبْ ، انْظُرْ إلىٰ مَنْ شِئْتَ مِنْ أهْلِ الزَّمَن . تَجِدْهُ في عَنَـاء ومِحَنْ . قَضَى بِالجَهْلِ المُتَكَمِّنْ . فَاذَا هُوَ بِالْكَذِبِ مُتَلَمِّنْ[1] . كُلُّنَا يَظْلِمُ وَيَحُوب[2] . والرَّجُلُ إلى الهَلَكَةِ يَجُوبْ . يَنْدَمُ الثَّمِلُ إذَا صَحَا ، ويَعْلَمُ أنَّهُ جَهِلَ فِيمَا انْتَحَى . إذا لاَقَيْتَ جَارَكَ فَحَيِّهْ . وإنْ نَزَحَ بِهِ الزَّمَنُ عَنْ حَيِّهْ . لَوْ وَجَدْنَا غَيْرَ القَنَاعَةِ لأَخَذْنَاه . أَبَى عَلَيْنَا الغُصْنُ لَمَّا جَذَبْنَاه . مَنْ يَذْكُرِ اللهَ بِلِسَانْ . وَيَفْعَلِ أفعالاً غَيْرَ حِسَانْ . فَبَعُدَ ذَاكَ مِنْ إنْسَانْ ، الزَّمَنُ كَرٌّ وَفَرّ . خَيْرٌ يَطْرُقُ وَشَرّ . لِلهِ مَا أبْتَكِرُ وأَرُوحْ . إنَّ مِلْءَ الخَلَدِ قُرُوح . التَّائِبُ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِه . رَجَعَ مِنْ شَرِّ العَمَلِ إلى خَيْرِه[3] . إنَّ أمْرَ الصَّمَدِ لَمَقْضِيّ . وَكُلُّ

---

(١) في الأوج : « بالجهل » ومتلمِّن : لهنته تلهينا أي سلّفته ، فهو متلمِّن . اللسان عن الجوهري « لهن » .

(٢) الحوب : الاثم .

(٣) في الأوج : « رجع عن » .

مَا فَعَلَهُ مَرَضِي[1] . أَعْلَمُ وَعِلْمِي قَلِيل . أَنَّ ظِلَّ الرَّحمَةِ هُوَ الظَّلِيلُ . إِنَّ السَّائِلَ إِذَا حَرَمْتَه . فَقَدْ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَأَكْرَمْتَه . اطْوِ صَاحِبَكَ عَلَى غِرِّه . واحْذَرْ مِنْ عَدُوِّكَ وَشَرِّه[2] . لاَ تَيْأَسْ مِنْ رَحمَةِ رَبِّكَ فَإِنَّهُ كَرِيم . وَلاَ تَأْمَنْ مِنْ غَضَبِ خَالِقِكَ فَإِنَّهُ بَئِيس[3] . عَلَى أنكَ أقلُّ في كُلِّ مُلْكِ الله[4] . مِنْ أَنْ يَنالَكَ غَضَبُهُ أَوْ رِضَاه . لَوْلا تَفَاضُلُ نُفُوسِ البَشَر وُجِدُوا أكْفَاء .

* * *

إِذَا كُتِمَ عَنْكَ شَيْء فَدَعْهُ . وَصُدَّ عَمَّا قَبُحَ وَلاَ تَصْدَعْهُ . لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ كَمْ أجهل وكَمْ أمهل . إِذَا عَرَضْتَ عَلَى فَانِيَتِكَ صَدّاً . ظَنَنْتَ أَنَّكَ فَعَلْتَ زُهْداً . لَوْ أَنَّكَ وَجَدْتَ المَسْلَكَ إِلى نَيْلِهَا . لَكُنْتَ المُتَشَبِّثَ بِذَيْلِهَا . اسْتَحْيِ مِنْ

---

(١) في الاوج : « لرضي » .

(٢) في الأوج : « . . . من عدوك شره » .

(٣) بئيس : أي شديد .

(٤) في الأوج : « في ملك الله » .

رَبِّكَ وَمِنَ البَشَر. وَأَقْلِلْ في دَعَتِكَ مِنَ الأَشَر[1]. سُمْ نَفْسَكَ مَا حَسُنَ مِنَ الصَّنِيع[2] فَإِنَّهَا تَأْلَفُ العَادَةَ وَتَدَعُ النِّفَار. وَهَبْ نَفْسَكَ مِنَ المَعْدُومَات. فَإِلَى العَدَمِ عَنْ قَلِيلٍ تَصِير. كُلُّنَا يَغْدُو لِمَا قُضِي[3]. هٰذَا سَخِطٌ وَهٰذَا رَضِي. لاَ تَقُلْ إِلاَّ مَا يَنْفَعُكَ. وَلاَ تَسْمَعَنَّ إِلاَّ مَا يَرْدَعُكَ. مَنْ مَتَّ إِلَى أَهْلِ الخَادِعَة[4] بِتَرْكِهَا أَحَبُّوه. وَمَنْ دَافَعَهُمْ فِي طَلَبِهَا سَبُّوه».

* * *

وقد وضع كتاباً في تفسير الهمزة والردف، كما سيأتي.

٩ — كتاب أمالي من حديث رسول الله ﷺ:

عن شيوخه وهي سبعة أجزاء.

١٠ — كتاب أمالي:

ذكر في كشف الظنون أمالي أبي العلاء، قال: وهو مائة كراسة ولم يكمله. وقال ابن العديم والقفطي:

١١ — في كتب المعري: «ومن الأمالي التي لم تتم، ولم يفرد لها اسماً، ما مقداره مائة كراسة. منها تفسير شواهد (الجمهرة)». ولعل هذا هو

---

(١) الأشر: المرح.

(٢) في الأوج: «الصنع». وسُم نفسك: أي كلّفها.

(٣) في الأوج: «يعدو» بالعين المهملة.

(٤) في نسخة: «الخادعة». (ج)

الذي ذكره في كشف الظنون ، وفي الذهبي : « كتاب الأمالي نحو مائة كراسة[1] » ورأى الميمني على طرر نسخة من (الجمهرة) في حيدر آباد عدة فوائد لغوية في غير الشواهد يرويها القاضي أبو سعد عن المعري .

١٢ — كتاب بعض فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

وفي ابن العديم : « كتاب جمع فيه فضائل علي ... » وفي الذهبي : « كتاب مناقب علي » وفي القفطي : « كتاب جمع فيه بعض فضائل علي عليه السلام »[2] .

١٣ — كتاب تاج الحرة :

وهو في عظات النساء خاصة . وتختلف فصوله ، فمنها ما يجيء بعد حرفه الذي يثبت ثبات الروي ياء التأنيث كقوله : « شاني ، وتشاني ، وتُساني ، وهابي ، وترابي » . ومنه ما هو مبني على الكاف ، نحو « غلامك ، وكلامك » . وفيها ما يجيء على تفعلين مثل « ترغبين ، وتذهبين » وأنواعه كثيرة . ومقداره أربعمائة كراسة . قال ابن العديم : « وهو لبعض الخليلات من النساء ، ويغلب على ظني أنها طَرُود زوج صالح بن مرداس » وقد ذكره ياقوت والقفطي وابن قاضي شهبة[3] .

١٤ — كتاب التصريف :

ذكره ابن قاضي شهبة في (طبقات النحاة واللغويين) في جملة كتبه وذكر أن أبا حيان نقل عنه في (ارتشاف الضرب) .

---

(١) انظر تعريف القدماء الصفحات : ٤٨ ، ٢٠٤ ، ٥٤١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق الصفحات ٤٠ ، ١٠٤ ، ٥٢٩ .

١٥ — كتاب تضمين الآي :

وهو كتاب مختلف الفصول ، فمنه طائفة على حروف المعجم ، وقبل الحرف المعتمَد ألف . مثل أن يقال في الهمزة : « بناء ونساء » وفي الباء « ثياب ، وعباب » وهكذا إلى آخر الحروف . ومنه فصول كثيرة على « فاعلين » مثل « باسطين ، وقاسطين » وعلى « فاعلون » مثل « حامدون ، وعابدون » ومنه ما هو على غير هذا الفن . والغرض أن يأتي عند انقضاء كل فصل بآية من القرآن ، مثل قوله ﴿ إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾. وربما اقتصر على بعض الآية ، أوجاء بآيتين وأكثر منها ، إذا كانت الآيات من ذوات القصر ، كآيات « عبس » ونحوها . ومقدار هذا الكتاب أربعمائة كراسة . وسبب تأليفه أن بعض الأمراء سأله أن يؤلف كتاباً برسمه ، فلم يؤثر أن يؤلف شيئاً في غير العظات ، والحث على تقوى الله ، فأملى هذا الكتاب يعظه فيه ، ويحثه على التقوى .

وفي (طبقات النحاة واللغويين) : تضمين اللآلىء ، ولعله محرف عن الآي . وفي القفطي : « والكتاب المعروف بالفصول » وفي الذهبي : « وكتاب مختلف الفصول[1] » .

١٦ — كتاب تَظَلُّم السور :

يتكلم فيه على لسان سور القرآن ، وتتظلَّم كل سورة ممن قرأها بالشواذ ، ويتعرض لوجه الشاذ ، ومقداره ست كراريس ، وقد ورد اسمه هكذا عند ياقوت ، وابن العديم[2] .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٠ ، ٢٠١ .

(١) [illegible] ص ١١١ ، ٥٣١ .

وذكر له في (كشف الظنون) .

١٧ — كتاباً اسمه نظم السوَر : ومقداره ست كراريس . ولعل هـذا محرف عن الأول . وفي القفطي يعرف بـ (بنظام السور) . والأول هو الموافق لقولهم : « تنظم كل سورة ممن قرأها » .

١٨ — كتاب تعليق الجليس :

مما يتصل بكتاب أبي القاسم ، عبد الرحمن بن إسحق الزجّاجي ، المعروف بـ (الجمل) ومقداره جزء ، هكذا سماه ياقوت ، وسماه الذهبي ، وابن العديم : (تعليق الخُلس) . والقفطي (تعليق الخُلس[1]) .

١٩ — كتاب تفسير أمثلة سيبويه وغريبها :

عُريت من (الكتاب) وهو في مجلد .

٢٠ — كتاب تفسير الهمزة والردف :

وهو جزء واحد .

٢١ — كتاب تفسير خطبة الفصيح : وسيأتي .

٢٢ — تفسير رسالة الغفران : وسيأتي .

٢٣ — كتاب جامع الأوزان :

فيـه شعر منظوم على معنى اللغز ، يعمم به الأوزان الخمسة عشر التي ذكرها الخليل بجميع ضروبها . ويذكر قوافي كل ضرب من ذلك . مثاله : أن يقال للضرب الأول من الطويل أربع قواف ، المطلقة المجردة ، كقول القائل ـ الأخطل ـ :

ألا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَني بَدْرِ ۞ وَإِنْ كَانَ حَيَّانا عدى آخِرَ الدَّهْرِ[2]

---

(١) أنظر ياقوت والذهبي والقفطي وابن العديم في تعريف القدماء الصفحات ٤٦ ، ١٠٨ ، ٢٠٣ ، ٥٤٠ .

(٢) ديوانه ص ١٢٨ ط بيروت سنة ١٨٩١ م . العِدى : التباعد ، وقوم عدًى : متباعدون .

والقافية المردفة ، مثل قول امرىء القيس :

أَلا انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّها الطَّلَلُ البَالي وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ في العُصُرِ الخَالي[1]

والمقيدة المجردة ، وذلك مفقود في الشعر القديم والمحدث ، وربما جاء به المحدثون على النحو الذي يسمى مقصوراً ، كما قال صالح بن عبد القدوس وهو في السجن : [2]

إِلى اللهِ أَشْكُو ، إِنَّهُ مَوْضِعُ الشَّكْوَى وَفي يَدِهِ كَشْفُ المَصَائِبِ والبَلْوَى

• • •

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَمَا نَحْنُ بِالأَحْيَاءِ فِيهَا وَلا المَوْتَى

والقافية المقيدة المؤسسة ، مثل أن يكون « العادلْ والقائلْ » وذلك مرفوض متروك ، ثم على هذا النحو إلى آخر الكتاب على حروف المعجم ومقداره ستون كراسة ، وعدد أبياته نحو من تسعة آلاف بيت من الشعر ، وهو ثلاثة أجزاء . وهكذا ورد اسمه في ياقوت ، وابن النديم . وعند الذهبي : « جامع الأوزان والقوافي » وفي (كشف الظنون) : « جامع الأوزان الخمسة التي ذكرها الخليل » . ولعل لفظ العشرة سقط منه

---

(١) ديوانه ص ١٣٩ ط صادر في بيروت ـ ١٣٧٧ هـ .

(٢) في رسالة الغفران [ط أمين هندية في القاهرة] ص ١٤٢ ومقدمة اللزوم [ط أمين عبد العزيز] ٤٠/١ ، أن هذه الأبيات لولد صالح بن عبد القدوس . (ج) ولم يرد فيها البيت الأول من البيتين اللذين ذكرهما المؤلف بل ورد البيت الثاني منها بعده بيت آخر هو :

إذا ما أتانا زائر متفقـد فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ورواية البيت الثاني في الغفران :

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فما نحن بالأموات فيها ولا الأحيا

وذكر الذهبي بعده كتاب (غريب ماني هـذا الكتاب) نحو عشرين كراسة . وهذه أمثلة من (جامع الأوزان) من بحور مختلفة ذكرها الخوبي في (التنوير ج ١ ص ١١) [١] .

من المديد قوله :

كَانَ سِنَّوْرُ العَتِيكِ إِذَا ... نَابَ أَمْرٌ يَفْرِسُ الاَسَدَا

وَتَبِيتُ الفَأْرُ دَانِيَةً ... مِنْهُ إِنْ نَوْماً وإِنْ سُهُدَا

نَابَهُمْ دَهْــرٌ بِقِطِّهِمُ ... فَرَأَوْا مِنْ عَيْشِهِمْ نَكَدَا

. . .

ومن الهزج قوله [٢] :

أَلاَ يَا عَالِماً مَا العِلْــمُ ... جَارٌ مِنْهُ فِي نِيَّهْ

فَقِيــهٌ خَامِلٌ إِذْ لَجَّ ... يَطْوِي تَحْتَكَ الطَّيَّهْ

وَخُفَّــاكَ عَرُوضِيَّا ... نِ وَالنَّاقَــةُ نَحْوِيَّهْ

. . .

ومن الرَّجَز قوله [٣] :

مَا لِلْغُرَابِ لاَ يَزَالُ سَاقِطاً ... وَلَيْسَ فِي مَسْقَطِهِ بِنَاعِبِ

أَقَامَ عَشْراً مَا أَرَاهُ مَاقِطاً ... وَسَتَرَ الأَرْضَ عَنِ الطَّوَالِبِ

. . .

---

(١) التنوير على سقط الزند طبعة دار السعادة بالقاهرة سنة ١٢٨٦ . والسنّور : السيد . والعتيك : حي من الأزد . والفأر : فأر المسك . والقط : النصيب .

(٢) المصدر السابق ١٢/١ ، والفقيه : يقال فحل فقيـه إذا كان حاذقاً بالضراب . وعروضيان : نسبة إلى أديم العروض ، والعروض : مكة .

(٣) المصدر السابق ١٢/١

ومن الرّمل قوله [١] :

وَطَرِيقٍ رَكِبَتْهُ جُرْهُمٌ وَجَدِيسٌ قَبْلَنَا فَهوَ رَكُوبُ
سَلَكَتْهُ الخَيْلُ عَنْ آخِرِهَا وَكَذَا الإِبْلُ وَمَا ثَارَ العَكُوبُ

• • •

ومن المنسرح قوله [٢] :

إنْ تُخْمَدِي يَا نَارُ فَمَا لَدَيْكِ عَارُ عَارٌ فَأَيْنَ الغَارُ

• • •

وقال في جامع الأوزان [٣] :

يَا قُرَّةَ العَيْنِ ، أُمُّ حَفْصٍ وَأُمُّ عُثْمَانَ جَارَتَاكِ
فَتِلْكَ لاَ تَحْذَرِينَ مِنْهَا وَهَـذِهِ تَبْتَغِي رَدَاكِ

أم عثمان : الحية ، وعثمان : ولدها .

• • •

وقال فيه أيضاً [٤] :

لَعَمْرُكَ مَا أَبُو بَكْرٍ لَدَيْنَا بِمَوْمُوقٍ وَلاَ يَخْشَى أذَانَا
وَعُثْمَانُ الَّذي يَقْلِيهِ مِنَّا أكَابِرُنَا وَيَقْتُلُهُ فَتَانَا

---

(١) التنوير على سقط الزند ١/١٢ .
(٢) المصدر السابق ١/١٣ .
(٣) المصدر السابق ٢/٢٠٧ .
(٤) المصدر السابق .

أبو بكر : الفحل من الإبل ، لأن من نسله البكر . وعثمان : ولد الحية .

٢٤ — كتاب الجَلِيّ والجَلِيّ :

هكذا جاء في ياقوت ، وابن العديم ، بالجيم فيهما [١] وفي (طبقات النحاة واللغويين) ، والذهبي : « الحلي والحلي » بالحاء فيهما [٢] . وفي القفطي : الجِلِّيّ والحِلِّيّ » [٣] . وقد سأله فيه صديق له من أكابر الحلبيين ، يقال له أبو الفتح عبد الله بن اسمعيل بن الجِلِّيّ بكسر الجيم وكسر اللام المشددة . وقد ذكره الذهبي في (المشتبه) وقال ابن العديم : « هو رجل فاضل من أكابر الحلبيين وأعيانهم ، وأرباب النعمة [منهم] له مصنفات ، ورواية الأحاديث النبوية [٤] » . وهو مجلد واحد ومقداره عشرون كراسة .

٢٥ — كتاب حرز الخيل : سيأتي .

٢٦ — كتاب الحقير النافع :

وهو مختصر في النحو مقداره خمس كراريس .

٢٧ — وكتاب يتصل به يعرف بالطّل الطّاهري :

وفي ابن العديم والقفطي وغيرهما بـ (الظل الطاهري [٥]) . عمله لرجل

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٦ و ٥٣١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٢ عن تاريخ الاسلام ـ للذهبي .

(٣) المصدر السابق ص ٤٣ عن إنباه الرواة ـ القفطي .

(٤) تعريف القدماء بابي العلاء ص ٥٣١ عن الانصاف والتحري ـ لابن العديم .

(٥) تعريف القدماء بابي العلاء ص ٤٧ و ٥٣٨ ، عن القفطي وابن العديم . وفي ص ١٠٨ عن ياقوت : « الطلّ الطاهري » بطاءين مهملتين وفي ص ٢٧٥ عن الوافي للصفدي : « الظل الظاهري » بظاءين معجمتين .

من أهل حلب ، يكنى أبا طاهر ، المسلم بن علي بن ثعلب الملقب مؤتمن الدولة . وكان من أكابر الحلبيين وعلمائهم ، وكان وجيها عند معز الدولة ثمال بن صالح . وقد سيره رسولا إلى المستنصر في مصر سنة ٤٦٣ هـ فمات بها . وهذا الكتاب قريب من الأول في الحجم ، وقد يخلط بالكتاب الأول ، ويجعلان كتاباً واحداً .

٢٨ ـ كتاب حماسة الراح : سيأتي في خماسية الراح .

٢٩ ـ كتاب الخطب :

نحو أربعين كراسة . ذكره الذهبي [١] .

٣٠ ـ خطبة الفصيح :

يتكلم فيه على أبواب الفصيح ، ويذكر الألفاظ التي تروى عن ثعلب في كتاب (الفصيح) في ضمن كلام فصيح منثور في كل باب من أبواب الفصيح . وقد ذكره ياقوت وابن العديم وكشف الظنون وغيرهم [٢] . وقال ابن الخير [٣] : « ضمَّنَ جميع ماحواه (الفصيح) خطبة في تحميد الله سبحانه ، وما قاربه من العظات » مقداره خمس عشرة كراسة .

وقال أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، أحد وزراء الأندلس على عهد ملوك الطوائف [٤] : « ومنْ أظْرف الخُطب معنى ، وأعذبها

---

(١) تعريف القدماء ص ٢٠١ عن تاريخ الاسلام ـ للذهبي .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات ٤١ ، ١٠٩ ، ٢٠١ ، ٥٣٠ .

(٣) ابن الخير الاشبيلي صاحب فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف . وانظر النص في تعريف القدماء ص ٣٨٥ .

(٤) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٤٩ عن إحكام الصنعة ـ للكلاعي .

منحى ومبنى ، خطبة الفصيح ، لأبي العلاء المعري ، وهي خطبة شريفة تشتمل على علم جم وأدب ، تضمّن لغات (الفصيح) لثعلب . أولها :

مثال من خطبة الفصيح :

الحمدُ للهِ الّذي بفضلِهِ نمى المالُ ، وسمتِ الآمال ، ما كانَ للصّمدِ أرجٌ ينمي ، وما كانَ لغيرِهِ قمنٌ يذمي[1] ، ما ذوى عودُ شجرةٍ مؤمنةٍ ، وإنّما يذوي عودُ المفتتنة . وإنْ ظننتَ عودَ المؤمنِ ذوى ، فإنّما ظنّكَ رمى فأشوى[2] .

إنّ شجرةَ الإيمان، لا تنقرضُ بطولِ الزّمان. وإذا غوى الرّجلُ فوحدهُ يغوي، وإن استغوى النّفرَ فذلكَ غويٌّ مغوي.

واللهُ عرّفَ ميّتاً وحيّا . وعلّمَ رُشداً منَ البشرِ وغيّا :

فمنْ يلقَ خيراً يحمدِ النّاسُ أمرهُ ومنْ يغوِ لا يعدمْ على الغيِّ لائما[3]

وهذه الخطبة طويلة ، وفيما ذكر منها دليل على كيفيتها ، وتنبيه على فضيلتها وميزتها إن شاء الله » .

وقال أيضاً [4] : « وما أعدل قول أبي العلاء في خطبة الفصيح :

---

(١) القمن : محركة نتن الرائحة ، يذمي : نفحته الريح أي آذته .

(٢) أشوى : أي رمى ولم يصب مقتلاً بل أصاب الأطراف .

(٣) البيت المرقش الأصغر من قصيدة في المفضليات ٢/٤٤–٤٦ طبعة دار المعارف بالقاهرة .

(٤) تعريف القدماء ص ٤٤٦ .

الشِّعْرُ إِذَا جُعِلَ مَكْسَباً ، لَمْ يَتْرُكْ لِلشَّاعِرِ حَسَباً . وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِ مَكْسَبٍ ، حَسُنَ [فِي الصِّفَاتِ وَالنَّسَبِ] ، مَا لَمْ تُسَبَّ الْمُحْصَنَةُ ، وتُعَدَّ لِلْعَارِ الْعَصَمَةُ [1] . فَاتَّقِ رَبَّكَ . وإِذا رَأَيْتَ الشَّاعِرَ فَلاَ تَقُلْ : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ فَإِنَّ الآيَةَ وُصِلَتْ بِالاسْتِثْنَا ، وَجَنَى السَّيِّئَةِ شَرُّ الْجَنَى . لاَ تَجْهَلُوا فَضِيلَةَ الشِّعْرِ . فَإِنَّهُ يُذَكِّرُ النَّاسِي . وَيَحُلُّ عَزْمَةَ الْفَاتِكِ ، وَيَعْطِفُ مَوَدَّةَ الْكَاشِحِ ، وَيُشَجِّعُ الْجَبَانَ :

وَإِنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا [2]

٣١ — وله كتاب تفسير خطبة الفصيح :

شرح فيه ما جاء في الكتاب الذي قبله من الغريب .

٣٢ — كتاب خطب الخيل :

يتكلم فيها على ألسنتها ، ويذكر على لسان كل فرس خطبة ، يحمد الله تعالى فيها ويعظمه ، ويقول في أول كل خطبة : إن الله قادر على أن ينطق فرساً صورته كذا وكذا وكذا ، فيقول : الحمد لله الذي خلقني كذا وكذا . ومقداره عشر كراريس . وقد ذكره ياقوت ، وابن العديم ، والقفطي ، وكشف الظنون [3] .

---

(١) كذا في الأصل . (ع)

(٢) البيت لحسان بن ثابت انظر ديوانه ص ٢٩٢ .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٩ و ٥٣٠ وغيرها .

٣٣ — خطب ختم القرآن :

قال ابن العديم : وظفرت له بجزء فيه خطب لختم القرآن العزيز ، فيه عدة خطب لذلك ، مقداره خمس كراريس [١] .

٣٤ — كتاب خماسية الراح :

وهو كتاب لطيف في ذم الخمر خاصة ، ومعنى هذا الاسم أنه بني على حروف المعجم ، ما خلا الألف ، فذكر لكل حرف تمكن حركته خمس سجعات مضمومات ، وخمساً مفتوحات ، وخمساً مكسورات ، وخمساً موقوفات . ومقداره عشر كراريس . كذا ذكره ياقوت ، وابن العديم ، والقفطي [٢] . وذكر له في كشف الظنون ، والذهبي [٣] ، كتاباً سماه (حماسة الراح) وقالا : إنه عشر كراريس في ذم الخمر خاصة . وأظنه محرفاً عن الأول .

٣٥ — كتاب دعاء الأيام السبعة [٤] .

٣٦ — كتاب دعاء ، وحرز الخيل :

هكذا ذكره ياقوت . وفي ابن العديم : « كتاب حرز الخيل لا أعلم مقداره ، وجزء فيه حرز وتعويذ لا أعلم مقداره [٥] » .

٣٧ — كتاب دعاء ساعة :

وفي ابن العديم : « كلام يعرف بدعاء ساعة ، وهو مختصر [٦] » وفي القفطي : « دعاء يعرف بدعاء ساعة [٧] » .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٣٠ .
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات : ٤٣ ، ١٠٩ ، ٥٣٠ .
(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٠٢ من تاريخ الاسلام ـ للذهبي .
(٤) ذكره ابن العديم في الاصناف ، انظر تعريف القدماء ص ٥٣١ .
(٥) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٤ ، ٥٣١ .
(٦) المصدر السابق ص ٥٣١ .
(٧) المصدر السابق ص ٤٨ .

٣٨ ــ ديوان الرسائل : سيأتي .

٣٩ ــ ديوان أبي العلاء المعري :

وقد عثرت في دار الكتب الظاهرية في دمشق ، على نسخة خطية تحت رقم ٥٥٤٢/٥٣ ، تشتمل على تسع ورقات ، أي ١٨ صفحة ، كتب على أول صفحة منها : (ديوان أبي العلاء المعري) وذكر في مقدمة الديوان هذه الجملة : « وبعد ، فقد قال الفقير إلى الله الغني ، أبو العلاء المعري : إنه قد كان ببغداد ، وكان يتشوق إلى حلب ونواحيها ، ونظم هذا الديوان » .

وقد نظم فيه تسعاً وعشرين قصيدة على كل حرف من حروف الهجاء قصيدة ، أبياتها عشرة ، وقد التزم في كل قصيدة أن يكون الحرف الأول والحرف الآخر من كل بيت واحداً ، كقوله في الهمزة :

أَمَا لَكَ يَادَاءَ الْحُبِّ دَوَاءُ ... بَلَى عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنْكَ شِفَاءُ

وفي الباء :

بَكَتْ رَحْمَةً لِلصَّبِّ عَيْنُ عَدُوِّهِ ... فَمَا لِحَبِيبِ الْقَلْبِ لاَ يَرْحَمُ الصَّبَّا

وفي التاء :

تُرَى قَبَّلَتْكَ الرِّيحُ عَنِّي وَبَلَّغَتْ ... مِنَ السِّرِّ مَا اسْتَوْدَعْتُهَا حِينَ هَبَّتِ

وهكذا إلى آخر الحروف . وهذه النسخة طافحة بالأغلاط ، والتحريف ، والتصحيف ، وتقديم بعض الكلمات على بعض ، ونحو ذلك من عبث الناسخ . وسنأتي تتمة القول فيه .

٤٠ — كتاب ذكرى حبيب :

قال ياقوت : « في غريب شعر أبي تمام »[١] وقال ابن العديم ، والقفطي[٢] : في تفسير شعر أبي تمام ، سأله فيه صديق لأبي العلاء من من الكتاب . وهو أربعة أجزاء ، ومقداره ستون كراسة . وقال ياقوت : « وهذه الكتب المؤول في تأليفها ، إنما تكلفها مؤلفها من فرط الحياء ، وهو لتأليفها كاره »[١] . وقال الذهبي[٣] : « كتاب ذكرى حبيب . كتاب تفسير شعر أبي تمام ، نحو ستين كراسة » ، وظاهر كلامه أنها كتابان . وقال ابن خلكان : « واختصر ديوان أبي تمام [وشرحه] وسماه ذكرى حبيب »[٤] .

والحق ان أبا العلاء لم يفسر شعره كله ، ولا اختصر ديوانه ؟ وإنما اقتصر على ذكر الأبيات المشكلة . يدل على ذلك مانقله في (كشف الظنون) عن أبي زكريا التبريزي أنه قال : « قال أبو العلاء في ذكرى حبيب : إنما أغلق شعر الطائي أنه لم يؤثر عنه ، فتناقلته الضعفة من الرواة ، والجهلة من الناسخين ، فبدلوا الحركة ، وغيروا بعض الأحرف بسوء التصحيف ، وذكر أبو العلاء في هذا الكتاب الأبيات المشكلة من شعره متفرقة » .

وذكر القفطي أن أبا الحسن يحيى بن محمد الرازي الكرداني ، قرأ على أبي العلاء الجزء الثاني من الكتاب المعروف بـ (ذكرى حبيب)

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٧ عن إرشاد الأريب ـ لياقوت .
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٦ ، ٥٤١ عن القفطي وابن العديم .
(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٠٣ عن تاريخ الاسلام ـ للذهبي .
(٤) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٨٣ عن الوفيات لابن خلكان .

وابتدأ قراءته لسبع بقين من شعبان سنة ٤٤٦ هـ . وفرغ منها لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٤٧ هـ . وكتب له الإجازة جابر بن زيد بن عبد الواحد أخي أبي العلاء في المحرم سنة ٤٤٨ هـ كما تقدم [١] . وهذا يدل على أنه أكثر من جزء كما قال ابن العديم .

٤١ — **كتاب راحة اللزوم** : سيأتي .

٤٢ — **كتاب الراحلة** : سيأتي .

٤٣ — **كتاب الزائف** :

هكذا ذكره في (طبقات النحاة واللغويين) ولا يبعد أن يكون محرفاً عن كتاب (القائف) الآتي ذكره .

٤٤ — **كتاب ديوان الرسائل** [٢] . وهو ثلاثة أقسام :

القسم الأول : رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنفة ، مثل كتاب (رسالة الملائكة) وهي جزء . وكتاب (رسالة الغفران) وهي جزء . وكتاب (الرسالة السَّنَدِيَّة) . وكتاب (رسالة الفرض) وهي جزء [٣] .

٤٥ — **رسالة الملائكة** :

تتابعت قرون كثيرة ، والناس لا يعلمون من رسالة الملائكة إلا اسمها ، وأنها رسالة تشتمل على أجوبة صرفية ، سئل عنها أبو العلاء ، وأجاب بهذه الرسالة ، ومن هؤلاء : ياقوت ، وابن العديم [٤] ، وأمثالهما ممن ترجم

---

(١) انظر الخبر في تعريف القدماء ص ٣٧ عن الانباه — القفطي .
(٢) جعل عنوانه في كشف الظنون (رسالة أبي العلاء) وجعل من القسم الأول رسالة الملائكة والرسالة السندية ، ورسالة الزعفران — ولعلها الغفران — ورسالة العروض . (ج)
(٣) كذا في ياقوت ، وفي كشف الظنون « رسالة العروض » وفي الانصاف « رسالة العريض » وفي نسخة منها « العرض » وفي القفطي « رسالة الفَرْض » . (ج)
(٤) تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات ٤٧ ، ١١٢ ، ٥٣٣ وغيرها .

أبا العلاء أو ذكر كتبه ، وذكر في كتب محمد بن طولون من رجال القرن العاشر الكلام على (رسالة الملائكة) وهو في المسوّدة . ونقل السيوطي في (الأشباه والنظائر) مقدمتها . ونقل البديعي في (أوج التحري) قطعة من المقدمة [١] . ثم وجدت نسخ منها في ليدن ، ومصر . ثم طبعت غير مرة في مصر وفي غيرها . وكل ما اُطلِعَ عليه وطُبِعَ هو المقدمة فقط . ولكن الناس كانوا يظنون أنها رسالة الملائكة بتمامهـا . حتى ظهرت نسخة من رسالة الملائكة في دمشق في سنة ١٣٦٣ هـ . وقد كانت ملكاً لإسحق بن ابراهيم بن شاكر بن عبد الله بن محمد أخي أبي العلاء في أوائل القرن السابع .

ويظهر أن رسالة الملائكة ألفت بين سنة ٤٣٠ هـ و سنة ٤٣٥ هـ ، وأن سبب تسميتها برسالة الملائكة أنه افتتح الكلام فيها بالتكلم على ملك وملائكة ، ثم ذكر جملة من أسمـاء الملائكة ، كعزرائيل وإسرافيل وجبرائيل . وقد صرح جمهور من العلماء بأن هذه الرسالة تشتمل على أجوبة صرفية . ولم يبين أحد ماهي تلك الأسئلة ، وماهي أجوبتها ، ولا من هو السائل . ، إلى أن ظهرت نسخة دمشق سنة ١٣٦٣ هـ ، فتبين منها أن أبا القاسم علي بن محمد بن همام المعري وافى أبا العلاء بست عشرة مسألة ، وهي المذكورة في فهرس هذه الرسالة ، فأجابه عنها أبو العلاء ، وقدم أمام الأجوبة مقدمة ذكر فيها إحدى وعشرين مادة ، بحث عن أصولها ، وأوزانها ، وأحكامها ، وغير ذلك مما يتعلق بهـا . وهي : ١ ـ مَلَك . ٢ ـ عزرائيل . ٣ ـ منكرونكير . ٤ ـ موسى . ٥ ـ إرْزَبّة . ٦ ـ الجدث . ٧ ـ الرجم . ٨ ـ الزبانية . ٩ ـ غسلين . ١٠ ـ جهنم .

---

(١) أوج التحري للبديعي من ٧٣ ـ ٨٨ ، تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني .

١١ — سقر . ١٢ — مخاطبة الواحـــد بصيغة المثنى . ١٣ — يا رضو .
١٤ — الكمثرى . ١٥ — سفرجـــل . ١٦ — سندس . ١٧ — طوبى .
١٨ — الحيوان . ١٩ — الحور . ٢٠ — الإستبرق . ٢١ — العبقري [١] .

ثم ذكر بعد ذلك أجوبة المسائل التي سئل عنها ، وهي على حسب ترتيب فهرس الرسالة الدمشقية :

١ — القول في « إياك » . ٢ — القول في « آية ، وغاية ، وثاية » . ٣ — القول في « اسم » وحقيقة الحذف منه . ٤ — القول في « اثنين واثنتين » . ٥ — القول في « سيد وميت » . ٦ — القول في « ترك إمالة (يا) إذا كان حرف نداء » . ٧ — القول في قول الراجز : « أين الشظاظان وأين المربعة » . ٨ — القول في « قراءة ابن عامر ، على ما حكي في بعض الروايات ، من قوله : أفئيدة » . ٩ — القول في المسألتين اللتين ذكرهما النحويون . ١٠ — القول في المسألة التي ذكرها ابن كيسان في كتاب (المهذب) وهو قوله : « هذا هذا هذا هذا » . ١١ — القول في قول الراجز : « يأيها الضب الخذرّذان » . ١٢ — القول في « مهيمن » . ١٣ — القول في اللفظ المنقول من كتاب المراغي . ١٤ — القول في « يأجوج ومأجوج » ١٥ — القول في « السمّهى » . ١٦ — القول في الحديث : « أنا فرط القاصفين » .

والموجود في هذه النسخة جواب اثنتي عشرة مسألة تامة ، وقسم من الثالثة عشرة ، والباقي غير موجود ، وفي الأجوبة الموجودة ما ليس من مسائل الصرف . ولعل المتقدمين قالوا : إنها جواب عن مسائل صرفية ، بالنظر إلى أن أكثرها من هذا النوع .

وقد تساءل أبو العلاء في المقدمة ، هل يستطيع أن يدفع ملك الموت إذا جاءه ؟ فبيّن له أصل « ملك » ، ومن أي شيء اشتق ، حتى إذا همّ بقبض

---

(١) انظر رسالة الملائكة تحقيق المؤلف من ص ١ — ٤١ .

روحه ، ذكر له وزن « ملك » ، ومن أي لفظ قلب ، ثم يقول له : أمهلني حتى أخبرك بوزن « عزرائيل » ، وأقيم الدليل على زيادة الهمزة فيه ، فيأبى الملك ذلك ، ثم يسأل هل يقدر أن يدرأ « منكراً ونكيرا » فيسألهما كيف جاء اسماهما عربيين ، وأسماء الملائكة كلها أعجمية ؟ ثم يقول لهما : كان عليكما أن تعرفا وزن « جبرائيل وميكائيل » ، ويسألهما ما يريان في وزن « موسى » ، وكيف تجمع « الإرزَبّة » جمع تكسير ، وكيف تصغر ؟ ويبين لهما أن « الجدث » بالثاء والفاء ، ويسألهما ما يختاران في تفسير « العزم » وكيف يبنيان من « الريم » مثل إبراهيم ؟ ويتساءل بعد ذلك هل يتودد لخازن النار فيقول له يا « مال » ؟ ثم يسأله ، ما واحد « الزبانية » ؟ وما يرى في نون « غسلين » ونون « جهنم » ؟ ثم يقول للسائق والشهيد : يا صاح انظراني ، فينكران عليه مخاطبة الاثنين بخطاب الواحد ، فيقيم الدليل على وروده . ويسأل بعد هذا ، هل يجيء في جماعة من الأدباء ، فيقفون على باب الجنة . ويقول بعضهم : يا رضوُ — بضم الواو — ويقول آخرون : يا رضوَ — بفتح الواو — فينكر عليه ترخيم اسمه . ثم يسأل بعضهم أن يكون واسطتهم إلى أهل الجنة ، لأنهم لا يستغنون عن مثلهم . وربما كان في الفردوس من يصيب من ثمارها ، ولا يعرف حقائق أسمائها ، فلا يدري حروف « الكمثرى » هل كلها أصلية أم لا ؟ ولا يعرف وزنها ، وفيهم من لا يعرف تصغير « سفرجل » ولا جمعه . ولا يشعر إن كان يشتق منه فعل أو لا ، وكم فيهم من رجل لا يدري ما وزن « سندس » ومن لا يدري لفظ « طوبى » أهو من ذوات الواو أو الياء ؟ ومن لا يدري « ماء الحيوان » أهو واوي أو يائي ؟ وفيهم من لا يدري معنى « الحور » ولا إلى أي شيء ينسب « العبقري » فيقول لهم رضوان : قد أكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه ، وأهل الجنة في شغل فاكهون ، فانصرفوا . فيسألونه أن يعرف بعض علمائهم

بأنهم واقفون على باب الجنة . فيسألهم من يريدون أن يعلمه ٣٢م ، فيقولون : الخليل بن أحمد . فيدعوه ، فيشرف عليهم ويسألهم ما يريدون ، فيعرضون عليه ما قالوا لرضوان ، فيقول لهم : إن الناس افتقروا إلى علم اللغة والنحو في الدنيا ، لأن العربية أصابها تغيير . وأما أهل الجنة ، فقد رفع عنهم الخطأ ، فبم يتكلمون بها كما نطق بها يعرب ، أو معد بن عدنان ، فاذهبوا راشدين . فينقلبون وهم مخفقون فيما طلبوه . ثم عاد فذكر جملاً عظّم فيها أمر الشيخ السائل . وصغّر شأن نفسه . وجعل منزلته إلى الجهال ، أدنى منها إلى العلماء . ثم بدأ بالإجابة على تلك المسائل فقال : القول في إيّاك . . ثم القول في آية وغاية . . .

وقد احتذى في هذه الرسالة على مثال الطريقة التي سلكها في (رسالة الغفران) لأنها أحسن وقعاً في النفوس من سرد مسائل وأحكام جافة . ولأنه ذكر في المقدمة ألفاظاً لا يجد المتأمل مناسبة بين بعضها وبعض آخر . فلم ير أحسن من إفراغها في قالب حادثة تجتمع فيها تلك الألفاظ التي أراد أن يتكلم فيها . ولولا أنه جعلها على هذا الشكل ، لما وجد القارىء مناسبة بين « ملك ، وكُمَّثْرى ، وغِسلين ، وجبرائيل ، وسفرجل . . . » ولكنه آثر هذا الوضع ، وجعل منه نظاماً لائقاً لجمع تلك الكلمات ، ومناسبة تربط بعضها ببعض . ويمكن للقارىء أن يستنبط من هذه الرسالة ومقدمتها أموراً عظيمة منها :

١ — أن أبا العلاء سئل عن ست عشرة مسألة ، فأجاب عنها ، وأتى في مقدمة القول فيها بثلاث وعشرين كلمة ، بيّن فيها أوزاناً ، وأصولاً ، وأبنية ووجوهاً من الاشتقاق والتأويل ، وأنواعاً شاذة عن الأقيسة . وأورد لكل شيء أتى به أشباهاً ونظائر . وانتقد كثيراً من أقوال العلماء والقراء ، وأيد كثيراً من أقوالهم . وبيّن أحكام كثير منهـا على تقدير

تصغيرها ، أو تكسيرها ونحو ذلك مما ذكره فيها ، كما فعل ذلك وأمثاله في أجوبة المسائل . وما ذكره في المقدمة أكثر عدداً من المواد التي ذكرها في الأجوبة . وإن كان القول في الثانية أكثر منه في الأولى . وكأنه يشير بذلك إلى أنها جديرة بأن يسأل عنها ، أو أنه يستطيع أن يفيد السائل بأكثر مما سأل .

٢ — أن أبا العلاء تصاغَرَ في المقدمة ، حتى كاد يجعل نفسه أخفى من السُّهى ، وأنه خالي الوطاب من كل علم ومعرفة ، وأن حق مثله أن لا يُسأل ولا يُجيب وأن لا يقبل جوابه ... ثم أردف ذلك بما ملأ عينْ القارىء ونفسه . وبما دل على علم غزير ، وأدب جم ، واطلاع واسع على فصيح اللغة ، وشواردها ، ونوادرها . وأعرب عن استقصاء للمباحث والأحكام ، واستقراء للقراءات المتواترة وغيرها .

ودل على شدة اعتداده بنفسه ، وثقته بحفظه ، ورسوخه في علوم اللغة ، بما سرده من القواعد الكلية ، والضوابط العامة ، والأدلة والشواهد ، والأمثلة والروايات ، واستطاع أن يقلب اللفظ الواحد على أمثلة مختلفة ، وأبنية متعدده . ويرده على كل تقدير إلى أصل ، ويبين معناه ومناسبة اشتقاقه . وأن يرد أقوال الأئمة ، ويدحض حججهم ، ويدفع شبههم ، ويجوّز كثيراً مما منعوه ، ويمنع كثيراً مما أجازوه . وينفي جملة مما أثبتوه .

٣ — أتى بنوع جديد من التقسيم والجمع في أبيات الشعر ، لا نعرفه لأحد قبله . وذكر الفروق التي يتميز بها كل نوع من غيره .

٤ — بيَّن في غضون كلامه أن التعمق في مسائل النحو والصرف ، وكثرة الاشتغال فيها ضرب من العبث وإضاعة للوقت فيما لا يجدي نفعا . وهذا الاعتقاد ذكره في (الأيك والغصون) في قوله المتقدم : « يا نَحْوُ يا نَحْوُ ، حقٌّ لِمَا كُتِبَ مِنْكَ مَحْوٌ ، ما أنتَ وما الحاجةُ إليكَ[1] ؟ » إلى آخر ما تقدم .

---

(١) انظر ما سبق ص ٧٠٩ .

وهو من سنخ قوله في (الفصول والغايات ص [١]) .

وقوله المتقدم في (اللزوم) في النحاة :

تَبَاهَوْا بِأَمْرٍ صَيَّرُوهُ مَكَاسِباً   فَعَادَ عَلَيْهِمْ بِالخَسِيسِ مِنَ الأَمْرِ [٢]

• • •

وَلَمْ يَصْنَعُوا شَيْئاً وَلَكِنْ تَنَازَعُوا   أَبَاطِيلَ تَضْحِي مِثْلَ هَامِدَةِ الجَمْرِ

وقوله في (رسالة الغفران) في الشعر ، والشعراء ، والرواة ، والنحاة ، واللغويين ، الذين كانوا يختلفون في رواية البيت وإعرابه وتأويله وتفسيره .

٥ً ـ أنه أتى في هذه الرسالة من المسائل النحوية والصرفية أكثر مما أتى به في (رسالة الغفران) .

٦ً ـ أن هذه الرسالة سُميت بـ (رسالة الملائكة) لأن أول بحث فيها كان عن لفظ « ملك » ، وذكر فيها جملة من أسماء الملائكة .

٧ً ـ أنها ألفت بعد سنة (٤٣٠ هـ) .

٨ً ـ أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف حقيقة ما فيها من التعمق والتحقيق والاستقصاء . ولا يعرف حقيقة أبي العلاء في علوم النحو والصرف واللغة وما يتعلق بها ، حتى يستعرض ما في الرسالة مسألة مسألة ، وجملة جملة . وقد كتبتُ مقالة في التعريف بها ، ونشرت في (مجلة المجمع العلمي العربي) في دمشق في المجلد ١٩ والجزء ١ ـ ٢ والصفحة ٤٨ . وفي ص ١٢٢ من الجزء ٣ ـ ٤ من المجلد المذكور . ثم عهد إلي المجمع العلمي المذكور بأن أتولى تصحيح الرسالة مع مقدمتها ، وتحقيقها ، وضبطها ،

---

(١) ترك المؤلف بعض الأسطر بيضا لم يثبت فيها القول الذي أشار إليه ولم يعد إلى الصفحة التي كان ينوي النقل منها .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٤٥ ، وفي طبعة أمين عبد العزيز ١/٣٧٣ .

وشرح الغـامض منها ، وبعد أن أتمت ذلك طبعت في دمشق سنة ١٣٦٣ هـ و ١٩٤٤ م .

٤٦ — كتاب الرسالة السَّنَدِيَة :

لم نقف على هذا الكتاب أو هذه الرسالة ، ولا رأينا من عرّفها تعريفاً يوضح أسلوبها ومقاصدها ، ويشرح حقيقتها . وكل ما علمناه مما كتبه ابن العديم وغيره [١] أنه كتبها إلى سَنَدِ الدولة بن ثعبان الكتامي والي حلب من قبل المصريين في معنى خراج على ملكه بمعرة النعمان . وأن سند الدولة كان في أفامية ، ثم نقل إلى حلب والياً عليها سنة ٤١٤ هـ .

٤٧ — كتاب رسالة العرض أو الترض أو القرض أو نحو ذلك :

لا نعلم غير اسمها على اختلاف فيه [٢] .

. . .

القسم الثاني :

رسائل دون الرسائل المتقدمة في الطول ، مثل : كتاب (رسالة المنيح) ، وكتاب (رسالة الإغريض) .

٤٨ — رسالة المنيح :

كان الوزير أبو القاسم المغربي ، أرسل إلى أبي العلاء كتابـاً ومعه قصيدتان ، ميمية وواوية ، فكتب اليه أبو العلاء هذه الرسالة جواباً عن كتابه . مدحه فيه ومدح كتـابه ووالده وشعره ، وضمن رسالته هذه ضروباً مختلفة من الافتنان في السجـع والجناس . وأشار إلى كثير من الحوادث التاريخية ، والطرف الأدبية . ولعلها سميت رسالة المنيح لقوله

---

(١) انظر تعريف القدماء .بأبي العلاء الصفحات : ٥٠ ، ١١١ ، ٥٣٤ .

(٢) ذكرهـ القفطي وياقـوت وابن العديم انظر تعرف القدماء بأبي العلاء الصفحات : ٤٧ ، ١١١ ٥٣٤ .

فيها : « ومعاذ الأحلام ، أن يطمئن خلد المنافس الشحيح ، إلى أحكام النافِس والمنيح [١] » . وسيأتي شيء من الكلام في أسلوبه فيها .

٤٩ ـ رسالة الإغريض :

ألف أبو القاسم المغربي ، السابق ذكره ، كتاباً اختصر فيه (إصلاح المنطق) فأرسل نسخة منه إلى أبي العلاء . فأجابه بالرسالة المعروفة بـ (رسالة الإغريض) . وقد مدح الكتاب وأثنى عليه وعلى شواهده . وفضله على كتاب (إصلاح المنطق) وضمّن هذه الرسالة كثيراً من مسائل النحو ، والصرف ، والعروض ، والفلك ، والتجويد ، والإملاء . وأشار إلى طائفة كبيرة من الأحداث التاريخية ، والنكات الأدبية . وادعى لنفسه الضعف والفقر في الأدب ؛ وأن لديه بُلغَةَ صبر ووقار . واعتذر عن الاقتصار على مكاتبته دون والده .

والرسالة في جملتها من سنخ رسالته السابقة (المنيح) التزم فيها السجع ، وتكلف للجناس ، والمطابقة ، والاقتباس ، وغيرها من المحسنات البديعية . وفي الرسالتين تمثل بأبيات من الشعر وذكر شيئاً من الأمثال .

ويظهر للمتأمل أن مطلع هذه الرسالة فيه روعة وطلاوة وإبداع أكثر من رسالة المنيح ، لأنه يقول في فاتحتها : « السلام عليكِ أيتها الحكمةُ المغربية ، والألفاظُ العربية ، أيّ هواء رَقاكِ ، وأي غيثٍ سقاكِ ، بَرقُه كالإحريض ، وودقه مثل الإغريض . [٢] » .

ولعلها سميت برسالة الإغريض لذكره فيها .

---

(١) رسائل أبي العلاء المعري ـ لشاهين عطية ـ ص ٥ ـ ٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٥ ـ ٥٣ ، والاحريض : العصفر ، والاغريض : طلع النخل أي أول حمله .

القسم الثالث :

٥٠ — كتاب الرسائل القصار ، كنحو ما تجري به العادة في المكاتبة ، قيل : إنه أربعون جزءا . وقيل : إنه ثمانمائة كراسة ، ذكر ذلك القفطي ، والذهبي ، وغيرهما [١] .

٥١ — وكتاب خادم الرسائل :

وفي (كشف الظنون) يعرف بـ (خادمة الرسائل) فيه تفسير بعض ما جاء في هذه الرسائل من الغريب ، مما يحتاج اليه المبتدئون في الأدب . قيل : مقداره عشرون كراسة .

٥٢ — وكتاب تفسير رسالة الغفران .

٥٣ — وكتاب يتضمن شرح الرسالة الإغريضية : في عشرين كراسة [٢] .

٥٤ — وقد طبعت رسائل أبي العلاء في بيروت سنة ١٨٩٤ م [٣] . ثم عثرت على نسخة خطية عارضت بها نسختي المطبوعة . وقد جاء في آخر النسخة الخطية : « هذا آخر ما وجد من رسائل الشيخ أبي العلاء أحمد .. » .

والرسائل المطبوعة منها ما هو تام . ومنها ما هو بعض رسالة وهي هذه :

١ — رسالة المنيح : التي كتبها إلى أبي القاسم المغربي .

٢ — رسالة الإغريض : « « « « «

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات : ٤٨ ، ١١١ ، ٢٠٣ ، ٥٣٤ .

(٢) هكذا في الكشف . وفي الأصناف : « وكتاب تفسير رسالة الاغريض ، وهي التي كتبها إلى أبي القاسم . . . ومقداره خمس كراريس » . وقد ذكر القلقشندي في صبح الأعشى ج ١٤ ص ١٩٠ الرسالة الاغريضية وشرحها ، وشرحها أيضاً فصيح ابن صنعة الله الحيدري من علماء القرن الثالث عشر وقدم الشرح إلى مصطفى فاضل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر ومنه نسخة بدار الكتب المصرية . (ج)

(٣) شرحها شاهين عطية وطبعت في المطبعة الأدبية بيروت ، وهي النسخة التي اعتمدناها في تحقيق النصوص .

٣ – رسالة إلى بعض الأولياء يشفع بالحسين بن عنبسة .

٤ – رسالة إلى صديق يسأله أن ينقصه في المكاتبة .

٥ – فصل من كتاب إلى رجل قيل إن الأسد أكله [بعد أن غدر به المكاري ، واسم المكاري موسى] .

٦ – فصل من كتاب إلى رجل كان له ١٦٦ درهماً عند آخر فسأله أن يشتري بها فرسا .

٧ – رسالة إلى خاله أبي القاسم عند طلوعه من العراق .

٨ – رسالة إلى أهل المعرة ، حين قدم من بغداد .

٩ – رقعة إلى بعض العلوية .

١٠ – رسالة إلى أبي طاهر المشرف بن سبيكة .

١١ – كتاب إلى أبي عمرو .

١٢ – كتاب إلى أبي القاسم المغربي ، جواباً عن فصل [كتبه إليه] .

١٣ – جواب إلى أبي منصور محمد بن سختكين .

١٤ – إلى بعض الشعراء .

١٥ – من كتاب إلى أبي نصر صدقة بن يوسف الفلاحي ، لما استدناه إلى حضرة الأمير عزيز الدولة .

١٦ – كتاب إلى القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر .

١٧ – كتاب في جملة الجواب الذي ذكر السؤال عنه عُرام .

١٨ – جواب إلى أبي الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري .

١٩ – جواب عن رقعة كتبها إليه رَجل في حال عدْل [من عدول القاضي] استعفى من الشهادة .

٢٠ – كتاب أهدى معه فستقاً يسمى « غيظ الجيران » .

٢١ – كتاب يعزي فيه خاله بأخيه .

٢٢ – تهنئة بمولود .

٢٣ – قطعة من كتاب يشفع في إطلاق سجين سَرق لأمه أربع دجاجات.

٢٤ – قطعة من كتاب يشفع عند قاض .

٢٥ – قطعة من كتاب يتعلق ببيتين على روي الصاد .

٢٦ – من كتاب إلى صديق سار إلى مصر وعاد إلى العراق .

٢٧ – جواب لأبي الحسن محمد بن سنان لما جاءه كتابه في أمر (كليلة ودمنة) وأمر السلطان باختصار أمثاله .

٢٨ – كتاب لرجل أرسل إليه ثلاثة كتب .

٢٩ – جواب لرجل .

٣٠ – كتاب لرجل .

٣١ – كتاب إلى أبي الحسن بن سنان .

٣٢ – لرجل عمل قصيدة على الراء .

٣٣ – لرجل أكثر في مكاتبته بعد أن كان مقلاً .

* * *

٥٥ – وذكر القفطي [١] انه اطلع على (رسالة التعزية) لأبي العلاء إلى بعض الحلبيين في ولد له مات .

٥٦ – رسالة الجن : ذكرها أبو القاسم الكلاعي [٢] .

٥٧ – الرسالة الحصنية : وفي الصفدي « الحظية » ؛ وفي ياقوت « الحضية » [٣] .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٠ عن الانباه – القفطي .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٥٣ عن إحكام الصنعة – الكلاعي .

(٣) سماها ابن العديم في الانصاف : « الحسنية » انظر تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات ١١١ ، ٢٧٥ ، ٥٣٤ .

٥٨ ـ **رسالة الضبعين** : كتبها إلى معز الدولة ثمال بن صالح ، يشكو إليه رجلين كانا يؤلبان عليه وينسبانه إلى الكفر والإلحاد . وكانا قد حرّفا بيتا من (لزوم ما لا يلزم) عن موضعه ليثبتا عليه الكفر بذلك ، أحدهما الشريف ابن المُحَبْرَة [الحلبي] وقد قال أبو العلاء في هذه الرسالة : « وفي حلب ـ حاها الله ـ نُسَخٌ من هذا الكتاب بخطوطِ قومٍ ثقات ؛ يعرفون ببني أبي هاشم ، أحرار نسكة ، أيديهم بحَبْلِ الوَرَعِ متمسكة ، جرت عادتهم أن ينسخوا ما أُمْليه ، وإن أُحْضِرَتْ ظهرت الحجّة بما قلتُ فيه[1] » .

٥٩ ــ **رسالة الطير** :

على نهج (رسالة الملائكة) و (الغفران) .

٦٠ ــ **رسالة الفلاحة** :

ذكرها أبو القاسم الكلاعي [2] . وفي (فهرست ابن الخير) : « الرسالة الفلاحية [3] » .

٦١ ــ **رسائل المعونة** :

وهي ما كتبت على ألسن قوم . وفي الذهبي : « رسالة المعونة » .

٦٢ ــ **رسالة السكاح** :

ذكرها الكلاعي[2] .

٦٣ ــ **رسالة عملها على لسان ملك الموت** :

مقدارها عشر كراريس .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٢٣ عن مسالك الابصار ـ للعمري و ٥٢٦ عن الانصاف ـ لابن النديم .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٥٣ عن إحكام صنعة الكلام ـ للكلاعي .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٨٦ عن فهرست ابن الخير الأشبيلي .

٦٤ — رسالتان إلى داعي الدعاة بمصر :

وقد ذكر بعضها ياقوت [١] .

٦٥ — ورأيت مجموعة مخطوطة فيها رسائل لابن كمال باشا وغيره ، ومعها رسالة مستقلة ، يقول فيها بعد البسملة : « قال الشيخ أبو العلاء المعري . » ثم ذكر أن البحور التي نظم فيها أبو الطيب المتنبي شعره أحد عشر بحرا ، وعدّدها . ثم ذكر ما نظمه من الضروب . وذكر الزحافات والعلل التي فيها ؛ وأنه نظم من أقسام القافية ثلاثة ، ولم ينظم من المتكاوس شيئا . وتقع الرسالة في نحو أربع صفحات ؛ وليس لها اسم ولا تاريخ ؛ ويجوز أن تكون مقتضبة من شرحه (ديوان المتنبي) لأني لم أر من ذكر في رسائله رسالة كهذه وقد ذكرنا أنه عمل مثل هذا الإحصاء في (حماسة أبي تمام) ونقله التبريزي في شرحها .

٦٦ — رسيل الراموز :

مقداره ثلاثون كراسة ؛ كذا قال ابن العديم ، والقفطي ، والذهبي [٢] ، وفي ياقوت : « رسل الراموز [٣] ؛ وفي (طبقات النحاة واللغويين) : « سبل الزابور » . والراموز : البحر . ولم أتيقن ما أراد بالرسيل

---

(١) كانت الرسالتان اللتان لخصها ياقوت في إرشاد الأريب جوابين على بعض رسائل وجه بها أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران ، داعي الدعاة إلى أبي العلاء ، وانقطع الخطاب بينهما على المساكنة ، انظر رسائل التخاطب بينهما في الصفحات ١١٩ — ١٣٩ من تعريف القدماء عن إرشاد الأريب لياقوت .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ، الصفحات ٤١ ، ٢٠٢ ، ٥٣٠ .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٩ وحاشيتها

هنا ، لأنه جاء لمعان منها : الرسول ، والرسالة ، والواسع ، والطفيف ، والفحل ، والماء العذب ، والمراسل في النضال ، والسهل . . . .

٦٧ — الرياشي المصطنعي :

في شرح مواضع من (الحماسة الرياشية) عمله لرجل من الأمراء ، يلقب بمصطنع الدولة ، ويخاطب بالإمرة . وهو أبو غالب كليب بن علي ؛ أنفذ نسخة من الحماسة الرياشية ، وسأله أن يخرج في حواشيها شيئاً لم يذكره أبو رياش مما يحتاج إلى تفسيره ؛ فخشي أن تضيق الحواشي عن ذلك ، فصنع هذا الكتاب ، وجمع فيه ما سنح له مما لم يفسره أبو رياش ، ومقداره أربعون كراساً [1] . قال ياقوت في (معجم الأدباء ج ١ ص ٧٤) في ترجمة أحمد بن ابراهيم أبي رياش : « وحكى أبو العلاء المعري في كتابه المعروف (بالرياشي المصطنعي) أن أبا رياش كان طويل الشخص ، جهير الصوت ، يتكلم بكلام البادية . ويظهر أنه على مذهب الزيدية ، ويتزوج كثيراً ويطلق ، وكان يقول : ولدت بالبادية ، ولعبت بالخضرمة — بستان في ناحية اليمامة له خاصّية في عظم البصل — وتأدبت بالبصرة . . . » .

وقد ذكره فريق : « الرياش » . وقال في (كشف الظنون) : « الرياش المصطفى » والصواب : الرياشي المصطنعي كما ذكرنا .

٦٨ — زجر النابح :

يأتي ذكره عند الكلام على (لزوم ما لا يلزم) .

٦٩ — كتاب السادن :

يأتي ذكره عند الكلام في (الفصول والغايات) .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٨ عن الارشاد لياقوت .

٧٠ - سجع الحمائم :

يتكلم فيه على ألسن أربع حمائم . وكان بعض الرؤساء سأله أن يصنف له تصنيفاً يذكره فيه ؛ فأنشأ هذا الكتاب ، وجعل ما يقوله على لسان الحمامة في العظة والحث على الزهد ، وهو أربعة أجزاء ، ومقداره ثلاثون كراسة [1] .

٧١ - رسالة الغفران :

كان رجل من أدباء حلب يقال له أبو الحسن علي بن منصور الحلبي ، ويلقب بدوخلة ، ويعرف بابن القارح ، وكان قد فارق حلب مدة ، ثم وردها فانكرها لفقدان المعرفة والجار ؛ وكان أبو الفرج الزهرجي ، كاتب نصر الدولة ، كتب رسالة إليه ، وأخرى إلى أبي العلاء وكلف ابن القارح أن يوصلها إليه فسرقت . فكتب إلى أبي العلاء هذه الرسالة .

خلاصة ماتشتمل عليه رسالة ابن القارح وتاريخ إنشائها :

يذكر [ابن القارح] فيها شوقه إلى [أبي العلاء] وحنينه إلى لقائه ؛ ويثني على فضله ، ويشكر مالقيه ممن يدعي العلم . وقد أشار فيها إلى أنه لقي الزهرجي بآمد ؛ ومعه خزانة كتبه ، فعرضها عليه ، فقال له : إن كتبك هذه يهودية ؛ فأنكر ذلك عليه . وأن الزهرجي كتب إليه رسالة يقرظه فيها .

ثم تصدى في رسالته هذه إلى ذكر المتنبي ، وانتقد عليه تصغير بعض الألفاظ ، وادعاء النبوة وغيرها ، ثم استطرد إلى ذكر جماعة من الزنادقة كبشار ، وصالح بن عبد القدوس ، والمقنع ، والصناديقي في اليمن ، والوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وأبي عيسى ابن الرشيد ، والجنابي الذي

---

(١) انظر تعريف القدماء الصفحات : ٤٤ ، ١٠٤ ، ٢٠٢ ، ٢٧٤ ، ٥٣١ .

أخذ الحجر والميزاب من الكعبة ، وعلوي البصرة ، والحلاج ، وابن أبي العزافر : وابن أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني ، وابن أبي عون صاحب كتاب (التشبيه) ، وأحمد بن يحيى الراوندي ، وعلي بن العباس الرومي وأبي تمام ، والمازيار ، والأفشين ، وذكر طرفا من أخبارهم وآثارهم .

وبعد أن شكا من عصره وأهله ، ذكر أنه زار المعرة ، فوجد أهلها معترفين بعوارف أبي العلاء ، ووجد أحمد بن خلف الممتع رطب اللسان بشكره .

ثم ذكر أن أتباع النبي ﷺ كانوا في أول دعوته من المستضعفين ؛ وكيف كان بدء الدعوة في قريش ، ثم أفاض في الشكوى من عكوفه على الأماني ، وحذره من الدنيا وتقلبها ، وقلقه من صروفها .

وذكر فيها أنه عرضت عليه كأس خمر ، فأباها وقال : خلوني والمطبوخ على مذهب الأوزاعي . ثم عاتب نفسه .

وذكر طائفة من العلماء الذين أخذ عنهم أو اختلف إليهم في بغداد وغيرها ؛ وأنه لازم أبا الحسين المغربي ، وأشار إلى ما كان بينه وبين أبي القاسم المغربي من حب وبغض ؛ وأنه بلغه أن أبا العلاء قال فيه : إنه هو الذي هجاه أبا القاسم المغربي ، فراعه ذلك وعتب عليه فيه .

ثم مدح أبا العلاء ، وأثنى على ماسمعه من رسائله . وذكر ابن خالويه ، وأبا الطيب اللغوي ، وسرعة إجابته على المسائل التي وردت إليها من سيف الدولة .

وأتى على ماأصابه من تغير حاله ، لكبر سنه وضعفه عن الكتابة والدرس ، وضعف حفظه . وذكر أن بنت أخته سرقت له ٨٣ ديناراً ، ثم ردتها بعد تهديد السلطان إياها . ثم اعتذر عما في رسالته هذه من الخطل والزلل ، وطلب الجواب عليها لأنها استحسنت وكتبت عنه .

وهي مطبوعة مع (رسائل البلغاء في ص ١٩٤) وظاهر كلامه في الرسالة أنه كتبها بعد أن بلغ نيفا وسبعين سنة . ونقل عنه أن مولده سنة ٣٥٤ هـ . ويفهم من (رسالة الغفران) أنها كتبت سنة ٤٢٤ هـ فعلى هذا يجب أن تكون رسالة ابن القارح كتبت في هذه السنة أو التي قبلها .

* * *

سبب تأليف رسالة الغفران وتاريخ وضعها ، وسبب وضعها على هذه الصورة :

لم يبين أبو العلاء السبب الداعي إلى تأليف رسالة الغفران ولا نقل أحد عنه ذلك ، وإنما فهم من وضعها أنه كان يريد منها إجابة ابن القارح على رسالته التي تقدم ذكرها .

* * *

أما تاريخ وضعها ، فيظهر من كلام أبي العلاء فيها أنه وضعها نحو سنة ٤٢٤ هـ لأنه ذكر في (ص ٥٨)[1] أن ابن القارح قال : إن الشاهد على توبته عبد المنعم بن عبد الكريم ، قاضي حلب في أيام شبل الدولة . وهذا ولي حلب من سنة ٤٢٠ هـ إلى سنة ٤٢٩ هـ . وقال في (ص١٤٩) : « ولا يجوز أن يخبر مخبر منذ مائة سنة أن أمير حلب في سنة ٤٢٤ هـ اسمه فلان بن فلان وصفته كذا . . .[2] » .

* * *

وأما وضعها على هذه الصورة فقد يكون له أسباب منها :

١ً ــ أن ابن القارح لم يقتصر في رسالته على موضوع واحد ، ولا على علم واحد ، ولا رجل واحد له خاصة واحدة ؛ وإنما حشر في رسالته .

---

(١) رسالة الغفران طبعة أمين هندية وانظر ص ١٥٤ من تحقيق بنت الشاطئ ط ١ .

(٢) انظر الرسالة تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٢٨٧ .

مسائل متعددة ، من فنون مختلفة ، ورجالا مختلفين في الصفات والنحل والمشخصات . وقد يتعذر على الباحث أن يجد بين كل واحد وآخر وواحدة وأخرى منها جامعة تجمعها ، أو رابطة تربط إحداها بالأخرى ، ولا تتأتى الإجابة عن كل ماسأل إلا أن تكون الأجوبة على وفق الأسئلة . ولكن أبا العلاء اختار هذه الصورة ، فاستطاع بها أن يجمع مااختلف ، ويؤلفماافترق ، ويجد مناسبة بين بعض أجزائها وبعضها الآخر .

٢ً ـ أن أبا العلاء كان يسيء الظن بأكثر الناس ؛ وهو على حق في ذلك ، لأنه كان محسوداً على فضله وعلمه . فربما توهم أن ابن القارح تصدى في رسالته إلى بعض المسائل ، وهو يريد منها أن يسبر غور المعري في علمه بها ، ويكشف ناحية من مقدرته في فهمها وتحقيقها ؛ وأن يتسقطه ليقف له على عثرة ، لأنه كان موتوراً من المعري لما بلغه عنه من أنه قال فيه : إنه هجا أبا القاسم المغربي ، فأراد أبو العلاء أن يبين له أنه فوق مايظن به ، وأعظم مما يتوقع منه ؛ فأجابه عما أراد وزاد واختار هذه الصورة لجمع المسائل كما قلنا .

٣ً ـ أن أبا العلاء كان غزير المادة ، قوي الحافظة ؛ فإذا سنحت له فرصة تفجر لسانه كالينبوع الثرثار ، حتى يكاد يغرق سامعه بما يورده عليه من المسائل والفنون .

وإذا سئل عن مسألة أحب أن يجعل الجواب جامعاً مانعاً ، ويضيف إليه أشباه المسألة ونظائرها ، وأضدادها ، ومعظم مايتعلق بها ، ولو لأدنى مناسبة . وقد ذكرنا أن ابن القارح لم يقتصر على موضوع واحد ، ولا فن واحد ، ولا رجل واحد ، فأحب أبو العلاء أن يكون جوابه جامعاً لكل ماسأل ، وأن يضيف إليه كثيراً مما له علاقة بتلك المسائل أو مما تكون بينه وبين تلك المسائل مناسبة ، فأتى برسالة الغفران :

أولاً : ليبين فيها عن سعة اطلاع على مفردات اللغة ، ومعرفة المستعمل ، والمهمل ، والشاذ ، والنادر ، والفصيح منها . مع إحاطة بمقاييسها ، وقواعدها ، والصحيح وغيره من وجوه الإعراب فيها .

ثانياً : وليظهر فيها قدرته على التصرف في تأليف الكلمات واستعمالها في كل مايشاء .

ثالثاً : وليعرب للقارىء عن وفرة اطلاعه على القراءات المتواترة وغيرها ؛ وعلى أقوال المفسرين وتأويلهم وتعليلهم بعض الوجوه والأحكام .

رابعاً : وليوضح شدة اضطلاعه بعلمي العروض والقوافي ، وكثير من مسائل البيان .

خامساً : وأضاف إلى ذلك مباحث جليلة ، تدل على تمكن في الأحكام الشرعية ، وتعمق في علم الكلام ، ووقوف على معتقدات الفلاسفة ، والزنادقة والفرق الزائغة من مسلمين وغيرهم ؛ ومالهم من العقائد والمزاعم .

سادساً : وملأ الرسالة بما يدل على أنه كان حفياً بعلم التاريخ ، ومعرفة الحوادث والرجال الذين لهم علاقة بالتاريخ الإسلامي وغيره . وقد كانت مسائل الأدب في رسالة ابن القارح أوفر من غيرها ؛ فاقتضى ذلك أن تكون مسائله في (رسالة الغفران) أكثر من غيرها .

وقد أراد أبو العلاء أن يظهر مقدرته العلمية ، وعبقريته الأدبية ، بأسلوب لايمل منه القارىء ، فاختار طريقة النقد لأقوال المتقدمين وآرائهم تارة على لسان ابن القارح ، وتارة على لسان غيره . وأثار حواراً بين الشعراء أنفسهم ، والعلماء أنفسهم ، وبين الشعراء والرواة والعلماء . وأظهر مالديه من وجوه النقد وأدلته ، فإما أن يبطل قول القائل أو يؤيد أحد الفريقين على الآخر ؛ وأحياناً يسكت ، والسكوت إقرار . ولو أنه أورد كل مسألة على حدة ، لجاء أسلوبه جافاً مملاً مقتضباً يتعذر ايجاد المناسبة فيه بين كل مسألة وسابقتها أو لاحقتها .

وهذه المباحث التي أوردها في (رسالة الغفران) ليست على نمط واحد في القلة والكثرة ؛ ولكنها مختلفة ، فقد يكون المبحث الواحد مشتملا على مسألة واحدة ، وقد يكون مشتملا على مسألتين أو أكثر ؛ وربما لم يكن بين المسألتين أو مافوقهما مناسبة ظاهرة ؛ وربما كانت كل واحدة من علم مستقل .

وفيها مسائل تتصل بالجن والإنس من عهد آدم فما بعده ، ومسائل تتعلق بالحيوان ، وما يزعمه الناس فيه ، ومعتقدات ومزاعم لأمم مختلفة وأجيال متغايرة .

ولعل أبا العلاء لما رأى ذلك فكر في التماس شكل يحشر فيه هذه الأمور ، ويكون شاملاً لها على تباينها وتوافقها ؛ فلم ير غير الحشر الذي تحشر فيه المخلوقات على علاتها يوم القيامة ، فاتخذ منه صورة رائعة ، أو قصة خيالية بديعة ؛ ورتب فيها المسائل على وجه محبوب متسلسل بقدر الطاقة ، وعرض فيها ما أراد من تحقيق وانتقاد ؛ وبين للأواخر أنه استطاع أن يأتي بما لم تستطعه الأوائل .

وقد كان موفقاً في خياله واختياره ، لأنه عرض صورة لم تقع بعد ، وإنما هي ثابتة في أذهان الناس كأنها أمر واقع ، وهي وليدة فكره الواسع ونتيجة خياله المبدع ، لم يحتذ فيها على مثال غيره ، ولم يستعن في تكوينها بغير قريحته .

فهذه هي أسباب وضعها على هذا النمط أو من أعظم أسبابه فيما أظن .

رأي المتقدمين في أسباب وضعها على هذا الشكل :

لم يصل الينا شيء من أقوال الأدباء المتقدمين في بيان الأسباب التي حملت أبا العلاء على اختيار هذا الشكل لرسالة الغفران .

أما الفقهاء ، والمحدّثون ، والمؤرخون المتفقهون ؛ فأكثرهم نظر إلى هذه الرسالة من الوجهة الدينية ، فحمل على صاحبها حملات منكرة ، ورماه بالكفر والإلحاد والزندقة والمروق من الإسلام والتدين بدين غيره ، ونحو ذلك مما ذكرناه في غير هذا المكان ، وحمل كل ما ذكره فيها مما يتعلق بالأمور الدينية والآخرة على التهكم والاستخفاف والاستنكار والهزء ؛ وجعل الرسالة حجة على إنكار صاحبها الحشر مع أنها موضوعة في الحشر وأكثر ما فيها يتعلق بالحشر وما يتصل به .

ولم يلتفت أحد منهم إلى ما في الرسالة من علم واسع ، وخيال رائع ، وأدب جم ، وأسلوب ساحر ، وتحقيق وتدقيق ، وتفكير عميق ، مع اعتراف كل منهم بفضل المعري وغزارة علمه ودقة نظره وسعة اطلاعه .

وقد كتب كثير منهم في أبي العلاء قبل هذا العصر ، ولكنهم درجوا على طريقة واحدة وهي أن ينقل المتأخر أقوال من تقدمه ؛ وإن تيسرت له زيادة في الطعن في دين المعري لا يحجم عن ذكرها ، ويعدها زيادة في علمه .

رأي المتأخرين أي المعاصرين في أسباب وضعها :

أما أهل هذا العصر الذي نحن فيه ، فهم أقل تمكناً في العلوم العربية ممن تقدمهم ؛ ولكنهم أجرأ على الحكم بالصحة والفساد ، وعلى تعليل الأحكام بعد وقوعها ، وعلى ادعاء أسباب للحوادث قبل التأمل والتثبت والتعمق في التفكير ، وأكثر استنتاجاً من النصوص والآثار . وقد اقتبسوا من علماء الغرب منهاجاً جديداً لدراسة النصوص والآثار العلمية والأدبية ؛ يتناول البحث عن بيئة صاحبها الطبيعية والاجتماعية ، وعن مآخذ ثقافته ، وعلاقته بزمانه وما أثره فيه ، وغير ذلك مما يجعل الباحث كأنه يعيش في الزمن الذي كان فيه صاحب الأثر ؛ ويحلق في

الأجواء التي كان يحلق فيها ، ويصور جميع ما يكتنفه من المقومات ؛ ويحل الأثر إلى العناصر التي يتألف منها ، ثم يستخلص صورة تامة عما في أثره من فلسفة في الدين والأخلاق والاجتماع وغيرها .

وهذه الطريقة لم تكن معروفة عند العرب من قبل ، وإنما اقتبسوها من الغربيين في هذا العصر كما قلنا .

وكان من نتيجة الاطلاع عليها ، أن انقسم الأدباء في عصرنا إلى فريقين :

أحدهما يطبع على غرار المتقدمين ، فينقل ما يرى وما يسمع ، ويبين ما يدل عليه الأثر في لفظه ومنطوقه .

وقسم حاول أن يحتذي على مثال الغربيين ، فاستطاع أن يجاريهم في النصوص الأعجمية ؛ لأنه رأى من تقدمه فيها ، فهو ينسج على منواله ، ولكنه لم يستطع أن يوفي العمل حقه في النصوص العربية ، فأصاب وأجاد في بعض النواحي ، وأخطأ وقصر في بعض آخر فلم يكن موفقا .

ومنهم من حمله الغرور والإسراف في الجرأة على النيل من المتقدمين ، واستصغار شؤونهم في كل ما عملوا ؛ واليك مثالاً يصور ما أشرنا اليه :

قال بعضهم [1] في كلامه في (رسالة الغفران) : « كان أبو العلاء يتكلف الغريب ويتعمده ، ليصد عامة الناس وجهالهم ، سواء في ذلك العلماء وغير العلماء ، عن قراءته والظهور على ما فيه . وكأن أبا العلاء كان لا يكتب لعصره ، وكأنه كان يحس أن عصره خليق ألا يكتب له ؛ وكأنه كان يكتب لهذا العصر الحديث الذي نحن فيه ، وللعصور التي ستليه ، وكأنه كان يخشى على آثاره الأدبية أن يفهمها أهل زمانه فيفسدوها ويشوهوها ويحولوا بيننا وبين فهمها ؛ وكأنه أقام من الغريب

---

(١) الدكتور طه حسين (ج) .

وقواعد النحو والصرف والعروض والقافية طلاسم وأرصاداً شغل بها أهل عصره عن هذا الكنز حتى لا يصلوا اليه، وحتى تسلم لنا نحن خلاصته، فنترك للقدماء نحوهم وصرفهم وغريبهم وعروضهم، ونفرغ لخلاصة هذا الكنز من فلسفة في الخلق والجماعة والدين».

وفي هذا الكلام نظر من وجوه كثيرة تبعده عن الصواب منها :

١ً — أن معظم الأدباء في عصرنا يتوسعون في تفسير الغريب، فيجعلون كل لفظ لا يفهمونه، بدون رجوع إلى دواوين اللغة، من الغريب، وهذا بالنسبة إلى ما يفهمون يقارب تسعين في المائة أو أكثر، وهذا غير صحيح، ومخالف لما ذكره علماء البيان في تعريف الغريب والغرابة.

٢ً — أن الغريب في عصر أبي العلاء كان أقل منه في عصرنا. وقد قلنا غير مرة : إن أبا العلاء لكثرة ما كان يدور على لسانه وقلمه وسمعه من الألفاظ العربية، كان يأنس بكثير منها، ولا يعده غريباً كما نعده، لأننا نتعلم العربية الصحيحة كما يتعلمها الأعجمي، وكما نتعلم اللغة الأعجمية، ولذلك نجد معظمها غريباً بالنسبة إلينا.

٣ً — أننا قلنا أيضاً : إن أبا العلاء إذا أصاب فرصة للكلام في موضوع علمي أحب أن يظهر علمه وثقافته، حتى يكاد يستقصي كل ما يتعلق به، ويورد ما يمر في خلده من الألفاظ، ولا يتعمد إيراد الغريب إلا إذا اضطره إلى ذلك السجع أو القافية أو شيء آخر من البواعث، وربما أورد كلمة غريبة ليفسرها، ويضيف بذلك فائدة لغوية على ما تضمنه كلامه من المعاني والمقاصد.

٤ً — أن أبا العلاء لو أراد أن يصد الناس عن الاطلاع عما في كلامه، لأتى من الغريب بما لم يستطع فهمه أكثر المتقدمين والمتأخرين. ولَمّا فسّر لهم مواطن الغموض والإبهام. ولكنه كان على عكس هذا، يفسر الكلمة، والجملة، والرسالة، والكتاب.

٥ً – ليس من الحق أن نقول : إنه كان لا يكتب لعصره ، بل لهذا العصر الذي نحن فيه ، وكأنه يحس أن عصره خليق بأن لا يكتب له ، أو أنه كان يخشى على آثاره أن يفهمها أهل زمانه فيفسدوها . . . إلى آخر ما تقدم .

لأن معنى هذا الكلام أن أهل عصره كانوا لا يفقهون لأسرار البلاغة معنى ، ولا يدركون من دقائق الثقافة والنصوص التي تدل عليها شيئا . وأن أهل هذا العصر خير منهم في كل شيء . وهذا غير صحيح ، لأن أبا العلاء إنما كتب لأهل زمانه ، وأوضحَ مواطن الإبهام والغموض من كلامه لهم لا لغيرهم ، وقد استخرجوا الأدلة على عبقريته ، وعظم ثقافته ، وإلحاده ، وزندقته ، وفلسفته ، وأدبه ، وغير ذلك من كلامه لا من كلام غيره . ولولا أنهم فهموه حق الفهم لما استطاعوا أن ينتقدوه ويرموه بما رموه به ، ويعجبوا بما أعجبوا به من أدبه . أما تدقيق النصوص وحلها على الطريقة الحديثة فلم يكن معروفاً في ذلك العهد – كما قلنا – ولذلك لا يجوز أن نعيب السابقين لأنهم لم يسلكوا طريقاً لم يهتد اليه الناس إلا بعد مضي نحو الف سنة ، وبعد أن أصبح امتزاج البشر أكثر مما كان في ذلك العهد الماضي ، وبعد أن اطلعت كل أمة على أكثر ما عند غيرها من الأمم من الثقافات ومناهجها .

سبب إكثاره من المعاني العلمية في آثاره :

ولقد أكثر أدباء هذا العصر لوم أبي العلاء على استخدامه المعاني العلمية في نظمه ونثره . ولم ينصفوه في ذلك ، لأنه كان مدفوعاً إلى ذلك بحكم الضرورة ، لأن كلاً من الشاعر والكاتب يقتبس معانيه من بيئته الطبيعية وغيرها ، كما يستمد أخيلته منها . وقد حجبته الأيام عن استمداد كل ما يريد من مشاهد الطبيعة بسبب العمى ، إلا قليلاً مما أدركه من الصور الطبيعية قبل عماه ، ومما تلقفه من أفواه الناس .

وقد كانت للعلوم العربية في عهده منزلة لا تضاهى ، وكان غزير العلم فيها ؛ فكان يقتبس منها بعض المعاني ويفرغه في نظمه ونثره ؛ وربما تسنى له من المعاني المأخوذة منها ما لا يتيسر له ولا لغيره مثله من غيرها كقوله :

بُعْدِي عَنِ النَّاسِ بُرْءٌ مِنْ سَقَامِهِمُ ... وَقُرْبُهُمْ لِلْحِجَا وَالدِّينِ أَدْوَاءُ[1]

كَالْبَيْتِ أُفْرِدَ لاَ إِيطَاءٌ يُدْرِكُهُ ... وَلاَ سِنَادَ وَلاَ فِي اللَّفْظِ إِقْوَاءُ

• • •

وقوله :

مَالِي غَدَوْتُ كَقَافِ رُؤْبَةَ قُيِّدَتْ ... فِي الدَّهْرِ لَمْ يُقْدَرْ لَهَا إِجْرَاؤُهَا[2]

أُعْلِلْتُ عِلَّةَ قَالَ وَهْيَ قَدِيمَةٌ ... أَعْيَا الأَطِبَّةَ كُلَّهُمْ إِبْرَاؤُهَا

• • •

وقوله :

بِتُّ كَالْوَاوِ بَيْنَ يَاءٍ وَكَسْرٍ ... لاَ يُلاَمُ الرِّجَالُ إِنْ أَسْقَطُونِي[3]

وإذا كان أبناء هذا العصر لم يكترثوا بهذه العلوم كثيرا ، ولم يتعمقوا فيها تعمق المتقدمين ، حتى يستطيعوا أن يدركوا ما لها من المزايا في الثقافة العلمية عند المتقدمين ، فإنهم يرونها طلاسم وأرصادا ، ويظنون أن المعري جعلها سياجاً حول معانيه التي وضعها لغيرهم ، وقشوراً طرحها

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٢ وفيها : « بعدي من الناس . . » وانظر ما سبق ص ٦٣٤.

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٣ وقاف رؤبة : هي الروي في قافية أرجوزته المقيدة ومطلعها : وقاتم الأعماق خاوي المخترق .

(٣) انظر ما سبق ص ٥٩٩ .

حول اللباب الذي ادخره لنا ليتلهوا بها عنه . ولو فهموها كما فهمها المعري وأهل زمانه لما عدوها من التوافه والقشور .

وفيما ذكره هؤلاء غمط لفضل المتقدمين ، وإنكار لجميلهم ، بل جهل بقادرهم العلمية ، ومقاديرهم ، لأنهم هم الذين حفظوا آثار المعري وبينوا ما فيها من عبقرية وعلم .

وفيه أيضاً وصف لأبي العلاء بالجهل والحماقة ، لأنه خاطب قوماً بما لا يفقهون ، ووضع لهم ما لا يفهمون ، ولا ندري من أين علم أننا سنجيء بعد أولئك ، وندرك ما لم يدركوا ، ونفهم ما لم يفهموا .

ولقد تعرضنا لرسالة الغفران وغيرها في الكلام في « النقد » وذكرنا أمثلة من نقد أبي العلاء للمفردات ولوجوه الإعراب ، وأوزان الشعر وقوافيه ، وغيرها مما تشتمل عليه رسائله وكتبه ، وذكرنا شيئاً من نقده للعادات والأخلاق والمزاعم ونحوها في الكلام على (لزوم ما لا يلزم) .

• • •

أبو العلاء في رسالة الغفران

لكل امرىء من عباقرة العلم والأدب خصائص نفسية ، ومنازع أدبية ، وقد يبدو معظمها في كثير من آثاره ، وأحياناً يخفى بعضها لعارض متعمد أو غير متعمد ، ولكن دراسة الآثار الكثيرة ، وتأمّل النصوص المختلفة ، وضم المنتشر منها ، ومقايسة الأمور بأشباهها ، وجمع الشيء إلى ما يشابهه أو يقاربه ، وتمييزه مما يضاده ويخالفه ، ونحو ذلك من الأمور ، يدل بطريق الإشارة على كثير مما يخفى من تلك الخصائص والمنازع .

وقد أشرنا في مواطن كثيرة إلى أن أبا العلاء كان غزير المادة ، محباً للإفادة ، حريصاً على إظهار علمه وقدرته في كل فن . وأنه يتخذ مناسبات لإيجاد وسائل يبرز فيها من مكنون علمه ، ويخزون صدره ما يملأ عين السامع وأذنه .

وكان فوق ذلك شديد التواضع ، مولعاً بنقد الأئمة والأعلام ، جريئاً في نقده ، حرّاً في تفكيره ، صادقاً بإدحاض الحجج التي لا يرتضيها ، ودفع الشبه التي ينكرها .

وهذه جملة من تلك الخصائص تتمثل في (رسالة الغفران) :

التواضع :

تواضعُ أبي العلاء شنشنة معروفة منه في آثاره المنظومة والمنثورة ؛ ولكنه في (رسالة الغفران) بالغ وأسرف حتى حلف كيمين امرىء القيس[١] ، ويمين زهير[٢] ، وحذّاء ساعدة[٣] ، وأليّة الفرزدق[٤] ، ولو كان له امرأة لحلف بالطلاق ، أنه لمكذوب عليه ، يظن أنه

---

(١) في بيت من لاميته وهو :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

انظر رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٣١٤ .

(٢) قسم زهير بن أبي سلمى في ميميته :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

(٣) ساعدة ابن جؤية من بني كعب ، شاعر جاهلي ، والحذّاء : اليمين القاطعة ، انظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط١ ص ٣١٥ .

(٤) في بيتين من ميميته التي مطلعها :

إذا شئت هاجتني ديار محيلة ومربط أفلاء أمام خيامي

والبيتان :

ألم ترني عاهدت ربي وإنني لبين رتاج قائماً ومقام

على حلفة لا أشتم الدهر مسلماً ولا خارجاً من فيّ زور كلام

انظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط١ ص ٣١٥ وخزانة الأدب ٣٥٣/٤ ، وديوانه ص ١٨٦ طبعة مصر سنة ١٢٩٣ .

من أهل العلم ، وما هو له بالصاحب ولا الخلم[1] . وأنه يجذل بمن عابه لأنه صدق فيما رابه ، وأنه ليس في العير ولا النفير . وقد أبدع في ذلك في (ص ١٢١ و ص ١٩٣ من رسالة الغفران)[2] .

ولكنه عند شروعه في مبحث مّا ، كان ينسى أو يتناسى هـذا التواضع ، فيقدم إقدام الأتيّ[3] ، ويجول جولة القويّ . وينفق إنفاق الموسع الغني ، فيتكشف عن مظـاهر ، من تأملهـا ظن أنه غيره ، من ذلك :

١ً — كثرة حفظه مفردات اللغـة ، ومعرفة النادر ، والغريب ، والفصيح ، والشاذ ، والرديء ، وغيره . وترى من الأمثلة الدالة على هذا تغييره كلمة الروي في بيتي النمر بن تولب على عدد حروف الهجـاء في (ص ١٢ من الغفران)[4] وافتنانه في الجمل الدعائية لابن القارح ، وهي كثيرة تتجـاوز المائة والثلاثين . وشرحه الكلمات اللغوية التي وردت في كلامه أو في كلام غيره . وإيراده المترادفات من الأسماء كأسماء الخمر في (ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٤)[5] والمتشابهات من الأسماء كالإبريق (ص ٩) والرباب (ص ٤٣) والدنانير (ص ١٩٥) والثمانين (ص ٢٠١)[6] وما يمكن اشتقاقه من بعض الأسماء ، كالدامغ ، والمرجان (ص ١٥٨) والفريد (ص ١٦٠) والقضيب (ص ١٩٥)[7] .

---

(١) الخلم : الصاحب والصديق .
(٢) الغفران طبعة أمين هندية .
(٣) الأتيّ : السيل الجارف .
(٤) انظر ما سبق ص ٦٠٥ .
(٥) الغفران طبعة أمين هندية .
(٦) المصدر السابق .
(٧) المصدر السابق .

وهذا القدر وحده كاف لأن يكون من يستوعبه أمة وحده في اللغة .

٢ً ـ شدة تمكنه من قواعد الصرف والنحو ، ومعرفة أوزان الأبنية المسموعة والمقيسة والشاذة ، وكثرة مايعرفه من نظائر الأوزان والشواذ عنها . ويتبين ذلك فيما انتقد به الرواة والشعراء والعلماء ، من الخروج عما يقتضيه السماع والقياس في الأبنية ؛ وعما تقتضيه قواعد الإعراب الصحيحة ، كالأبيات التي ذكر فيها وجوهاً للإعراب ، أو رجح وجهاً على آخر كقول عدي (ص ٢٦ و ٢٨) :

[يَا لَيْتَ شِعْرِي] وَإِنْ ذُو عَجَّةٍ[1] . . . .

. . .

[أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أَمْ بُكُورُ] أَنْتَ فَانْظُرْ [لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ][2]

وقول امرىء القيس (ص ٩٠) :

. . . . إِنِّي امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَامُ[3]

وقوله (ص ٨٩) :

. . . . وَلَا سِيَّمَا يَوْمٌ . . .[4]

---

(١) صدر البيت الرابع عشر من صادية عدي بن زيد ، انظر الخبر في الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٧٤ .

(٢) مطلع رائية عدي ، انظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٧٦ .

(٣) عجز بيت لامرىء القيس وصدره : « جالت لتصرعني فقلت لها اقصري » الغفران ـ تحقيق بنت الشاطىء ص ٢٣٢ وقبلها : « فقلت لما يُرى . . . » .

(٤) من عجز بيت من لامية امرىء القيس المشهورة وتمامه :

« ألا رب يوم لك منهن صالح . . . . بدارة جلجل »

الغفران تحقيق بنت الشاطىء ص ٢٢٩ .

وقوله (ص ٨٧) :

. . . . والغُثَّاء (١) . . .

وقوله (ص ٩١) :

. . . . كمِشْيَةِ قَسْوَرَا (٢)

وقول الجعدي (ص ٣٥) :

. . . . ولا مُسْتَنْكِرِ (٣) . .

وقول بشار (ص ٨٦) :

. . . . سُبْدِ (٤)

٣ً ــ تمكنه من علمي العـــروض والقوافي ؛ ويتراءى أثر ذلك في الأبيات التي أوردها ، وفيها عيوب القافية أو زحافات أو علل أنكرها بعض العلماء أو خالف فيها .

---

(١) من عجز بيت من لاميته وتمامه :

« كأن ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل . . . . فلكة مغزل »

انظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ص ٢٢٦ .

(٢) من عجز بيت من رائيته التي يصف فيها توجهه الى قيصر الروم مستنجداً وتمامه :

« وعمرو بن درماء الهمام إذا غدا بصارمه يمشي . . . »

الغفران ــ بنت الشاطئ ص ٢٣٤ .

(٣) من عجز بيت النابغة الجعدي وتمامه : « وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحاً . . . أن تعقرا »

انظر ماسبق ص ٥٩٠ .

(٤) وقعت هذه الكلمة قافية في بيت من أرجوزة لبشار بن برد ومطلعها :

« يا طلل الحي بذات الصمـــد بالله خبر كيف كنت بعدي ؟ »

انظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ص٢٢٣ .

٤ً — شدة اطلاعه على القراءات، ومعرفته المتواترَ وغيرَه، ومعرفته وجهَ كل قراءة من الإعراب وتأويله. ويتجلى مثل هذا فيما ذكره من قراءة الحية التي كانت في دار الحسن البصري وحمزة بن حبيب (ص ١١١) وقراءة أبي رجاء ﴿ يَحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[1] (ص ٩٣) وقراءة بعضهم ﴿ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِ ﴾[2] (ص ١٠٩) وقراءة ﴿ سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَالبَادِ ﴾[3] (ص ١٠٩).

٥ً — كثرة مايحفظه من الشواهد والأدلة والأمثلة، فإنه أورد في هذه الرسالة أسماء لكثير من الشعراء وقد ذكرنا طائفة منهم في مصادر ثقافته في الصفحات: ٦٥ — ٦٩٦ السابقة.

٦ً — شدة اعتماده على حفظه وثقته بنفسه، وترى من ذلك قوله في (ص ١٠٦) لمهلهل: «زعم الأصمعي أنه لايقال: أرْعَدَ، وأبْرَقَ، في الوَعِيدِ ولا [في] السحاب. فيقول: إن ذلك لخطأ من القول، وإن هذا البيت لم يقله إلا رجل واحد من خَدَمِ الفصاحة، إما أنا وإما سواي، فخذ به وأعرض عن [قول] السفهاء»[4]. ونحكر في (ص ٢٠٦) بيتين لأبي بكر الشبلي فيهما قوله:

وَإِذَا كَانَ فِي القِيَامَةِ نُودِي . . . .

---

(١) آل عمران الآية ٣١ وانظر الغفران — بنت الشاطئ ص ٢٤٠.

(٢) البقرة الآية ١٩٩.
وانظر الغفران — بنت الشاطئ ص ٢٨٢.

(٣) الحج الآية ٢٥.
وفي الغفران — بنت الشاطئ ص ٢٨٢.

(٤) الغفران تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٢٧٤ وفيها: «... إلا رجل من جذم الفصاحة».

ثم قال : « هكذا أنشدته « نودي » بسكون الياء ، ولا أحب ذلك ، وإن كان جائزاً ، وإنما يوجد في أشعار الضعفة من المحدثين .. »[1]

٧ ـ الاستقصاء في المباحث التي يوردها ، ويتبين هذا في ذكر الشيء وما يشابهه في اللفظ أو يقاربه في المعنى .

٨ ـ الابتكار ؛ فقلما رأينا أثراً كاملاً لأبي العلاء ، خالياً من ابتكاره . فقد ذكر في (رسالة الملائكة) مثل تقسيم بيت الشعر إلى فارِد وغيره ؛ وتقسيمه إلى ما يكمل فيه معناه وغيره .

وذكر في (رسالة الغفران) حداً جديداً للزمان في (ص ١٣٨) وأقسام البَديه (ص ١٩١) وتلبيات العَرَب (ص ١٨٦) وعرف الشعر تعريفاً جديداً في (ص ٥٥)[2] .

٩ ـ سعة الخيال :

أبرز أبو العلاء هذه الرسالة على شكل قصة خيالية ، بأسلوب مبتكر رائع ؛ وقد اتخذ منه وسائل لجمع المناسبات بين المسائل المختلفة في الحادثة الواحدة ، أو المسائل المتقاربة في الحادثة الواحدة المتعددة رجالها ؛ كما اتخذ وسائل لإيجاد مناسبات بين الألفاظ التي يوردها ، ويحدث صلة لربط بعضها ببعض ؛ وقد افتن بإيراد الصور اللطيفة . وأروع ما فيها إيصال المباحث إلى النفوس بأسلوب لا ترافقه سآمة ، ولا يتطرق اليه ملل .

---

(١) الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ، ص ٥٥٠ وبيتا أبي بكر هما :

باح مجنون عامر بهــواه ... وكتمت الهوى فزت بوجدي

وإذا كان في القيامة نودي ... أين أهل الهوى تقدمت وحدي

(٢) انظر هذه الصفحات في الغفران طبعة أمين هندية . وتقابلها الصفحات ٣٥٩ ، ٥٠٩ ، ٤٩٣ ، ١٠٨ من تحقيق بنت الشاطىء ، والبديه : المباغتة .

إذ جـاء بعضه على شكل سؤال من شاعر ، أو من راو أو عالم ؛ وبعضه على صورة جماعة يتترسون بأحد العلماء ، ينكرون عليه تصرفه في أقوالهم ، وجاء بعض منه على شكل حوار بين شاعرين ، أو بين شاعر وراو ، أو أكثر من ذلك . وجاء قسم منه على شكل طير تحول إنسانا ، أو على لسان حورية تنفلق عنها ثمرة . ومنها ما جاء على لسان حية ؛ ومنها ما جـاء على لسان الجن . ونحو ذلك مما جاء في الرسالة . فهو ينتقل بقارىء كتابه من حديث شهي بأسلوب طريف ، إلى آخر لا يقل عنه في طرافته ولطافته . ولا يـكاد يشعر القارىء بنبوة في اللفظ ، ولا تفكك في الجمل ولا اقتضاب في المعنى .

١٠ — يتضح لمن أنعم النظر في هذه الرسالة ، أن أبا العلاء صحيح السليقة ، وافر العلم ، حاضر الذهن ، سريع الإدراك والفهم . فلا تكاد تمر به حكمة لشاعر أو غيره ، إلا أدركها ، وأدرك ما فيها من جمال وروعة ؛ أو عاهة وخلل . وكان فوق ذلك محباً للنقد والتنقيب ، لأن النقد يظهر ما يكمن في النفوس من علم وفهم وذوق .

وأكثر من كان ينتقده من الشعراء ، المفلقون ، كامرىء القيس ، والنابغة الذبياني ، وطرفة ، وعدي بن زيد ، وعلقمة بن عبدة ، وعمرو ابن كلثوم ، والحرث اليشكري ، والمرقش ، وحسان بن ثابت ، وبشار ابن برد .

ومن العلماء ، الأئمة والطبقات العالية من النحويين واللغويين كسيبويه (ص ٦١ و ١٣١ و ١٣٧) [١] وأبي علي الفارسي (ص ٣٨ و ٥٧) [٢]

---

(١) الغفران طبعة أمين هندية وانظر تحقيق بنت الشاطىء ط ١ الصفحات ١٦٣ ، ٣٤٢ ، ٣٥٩ .

(٢) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ الصفحات ١٠٨ ، ١٥٢ ،

والأصمعي (١٠٦) [١] والسيرافي (ص ١١٠) [٢] .

ومن الغريب أن أبا العلاء انتقد كثيراً من الناس في هذه الرسالة وفي غيرها ؛ وكان يتخير لنقده أسلوباً هيناً وقولاً ليناً ؛ ولكنه خالف طريقته هذه في هذه الرسالة ، فقست كلمته للأصمعي في « أرعد وأبرق » (ص ١٠٦) [٣] ولأبي بكر الشبلي (ص ٢٠٦) [٤] وللرُّجّاز ولا سيما رؤبة (ص ١١٦) [٥] .

٦٥ ـ رسالة الهناء :

رسالة بعث بها أبو العلاء إلى رجل من أهل عصره ، يهنئه فيها بقدوم وزير شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس . وقد كان هذا ملك حلب سنة ٤٢٠ هـ ، وامتد ملكه إلى سنة ٤٢٩ هـ .

ولم يصرح في الرسالة باسم الضيف ، ولا المضيف ؛ ولكنه كَنَّى الأول بأبي علي ، والثاني بأبي فلان . وقال للمخاطب بالرسالة : إن التهنئة يجب أن تكون بين الأكفاء . وإن أشباهه في العصر قليل ، وممن يصلح أن يخاطبه صاعد بن مخلد ، وسهل بن هرون . وبيّن سبب اختصاصه إياهما بذلك . ثم ذكر أن التهنئة إذا جاءت من غير نظير تجر إلى محاظير . وضرب لذلك مثلين ، أولهما : أن الأسد ظفر بفرس للملك ، فاجتمعت اليه الوحوش والحيوان للتهنئة ، ولم يجترىء أحد على التكلم أمامه بالتهنئة ، إلا فِرْنِب (أي فأرة) ، فغضب الأسد ، وأشار إلى

---

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٧٣ .

(٢) الغفران تحقيق بنت الشاطىء ص ٢٨٤ .

(٣) الغفران تحقيق بنت الشاطىء ص ٢٧٣ .

(٤) الغفران تحقيق بنت الشاطىء ص ٥٤٩ .

(٥) الغفران تحقيق بنت الشاطىء ص ٢٩٧ ـ ٣٠١ .

ذئب ، فأشار إلى هر فأكل الفأرة ، لأنها أملت نفسها لمخاطبة من ليست له بكفؤ . ثانيهما : أن عظيماً من جوارح الطير ، اصطاد ظبيا ، فصمتت ذوات الأجنحة هيبة له ، إلا العصفور فإنه امتدحه ؛ فأمر ذلك الجارح بازاً أن يؤدبه على اجترائه ، فأشار إلى باشق ، فأكل ذلك العصفور لاجترائه .

ثم ذكر أن أقرانه حملة عصي ، يجلسون بالمكان القصي ، فإن تجاوز ذلك ، كما فعلت الفأرة والعصفور ، فقرينه ضل بن ضل ، أو هيّ بن بيّ . ثم أثنى على الأستاذين ، بأنهما لا يعدل بهما الأصفران الذهب والزعفران ، وأنهما كالقمرين في الهداية وأوانها كأوان العمرين ؛ وإذا كان شبل الدولة أسد النجوم ، كانا ذراعيه ؛ وإن أغلق باب الرأفة ، فتحا مصراعيه ؛ وأنه يشبههما بالحرين ، أي الكوكبين . ثم ذكر أنه كان عزم على الإمساك عن القول ، حتى أشار به وليهما أبو فلان ؛ فإن كان أساء في المكاتبة ، فهو في الغلط شريك معه .

ثم فضل مهاجرة الأستاذ الضيف على مهاجرة امرىء القيس ، وبيّن فرق ما بينهما . وذكر أنه لا يمتنع في قدرة الله أن يعذب الماء الأجاج ، وأن تسير السفينة على اليبس ، أو تحملها الريح كما حملت عرش بلقيس ، وأن ينطق الله جبال الروم ، فتدعو أن يصير كل ما تنبته بلادهم ديباجا ، يقدم به هذا السيد هدية للسلطان شبل الدولة ؛ وأن يبتهل الدرب إلى الله أن يزيده اتساعا ، حتى لا يضيق بالمواكب ؛ وأن تكون الحجارة كرق [1] النعام ، والأكمة خواناً للطعام . . .

وأشار خلال تشبيهاته إلى روقي فزارة ، وهما عمر بن جابر ، وبدر بن عمرو ، وحرّيْ معد ، [وهما] عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي ، وعامر بن مالك الكلابي . وعَبْديْ معد ، وهما

(١) هكذا في الأصل كرق بالراء والقاف وأظن أنها محرفة عن زف بالزاي والفاء وزف النعام صغار ريشه وهو أنسب بهذا المقام (ج) .

السليك بن السلكة ، وعنترة العبسي . والحنتفين ، وهما الحنتف ، وأوس ابنا سيف بن حميري بن تميم . والزهدمين ، وهما زهدم ، وقيس من بني عبس ؛ وغيرهما . وأشار إلى بعض الحوادث التاريخية ، ثم دعا للاستاذين .

هذا مجمل ما في هذه الرسالة ، وقد طبعت في مصر سنة ١٣٦٤ ه و ١٩٤٤ م ، وشرحها السيد كامل الكيلاني . ولم أجد ذكراً لها فيما نقل من رسائل أبي العلاء ، ولا علمت كيف سميت رسالة الهناء ! ولا من سماها بذلك ؛ ولعل الشارح سماها بذلك لاشتمالها على تهنئة ، وكان الأولى أن تسمى رسالة التهنئة ، ليوافق الاسم غرض الرسالة .

٦٦ .. كتاب السجعات العشر :

موضوع على كل حرف من حروف المعجم عشر سجعات في المواعظ [١] .

٦٧ ــ السجع السلطاني :

يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء ، وغيرهم من الولاة . وكان بعض من خدم السلطان وارتفعت طبقته ، ولا قَدَمَ له في الكتابة ، سأله أن ينشىء له كتاباً مسجوعاً من أوله إلى آخره ؛ وهو لا يشعر بما يريد لقلة خبرته بالأدب ، فألف له هذا الكتاب ؛ وهو أربعة أجزاء ، ومقداره ثمانون كراسة . وفي الإنصاف : « عمله لبعض الكتاب القليلي الصناعة ، ليستعين به على الكتابة » [٢] . وفي الذهبي : « فيه مخاطبات الملوك والأمراء » [٣] .

---

(١) ذكره القفطي ، وياقوت ، والذهبي ، والصفدي ، وابن العديم . انظر تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات : ٤٨ ، ١١٠ ، ٢٠٤ ، ٢٧٥ ، ٥٣٤ .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٢٣ عن الانصاف ــ لابن العديم .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٣ عن تاريخ الاسلام ــ للذهبي ، وفيه : « في مخاطبات للملوك والوزراء » .

٦٨ - سجع الفقيه :

جزء واحد ، ومقداره ثلاثون كراسة [١] .

٦٩ – سجع المضطرين :

وهو كتاب لطيف ، عمله لرجل مسافر يستعين به على أمر دنياه ، وفي القفطي : « عمله لرجل تاجر . . . » .

٧٠ – سقط الزند :

وهو كتاب لطيف ، فيه شعر قيل في الدهر الأول ، وفي القفطي [٢] : « يشتمل على شيء نظم في أول العمر » . وفي الذهبي : « نظم في أول العمر » . وقال ابن العديم : « وهو ما قاله في أيام الصبى في أول عمره ، وهو من أحسن أشعاره . . . مقداره خمس عشرة كراسة ، وتزيد أبياته المنظومة على ثلاثة آلاف بيت » . هذا مجمل ما قاله العلماء ، وتلقاء الآخر منهم عن الأول ؛ وبيّن بعضهم سبب تسميته بذلك ، فقال : السقط ما يسقط من النار عند القدح ؛ وإنما سمي هذا الديوان بذلك ، لأنه مما أنشأه في شبابه ؛ فشبه شعره بالنار ، وطبعه بالزند ، وجعله سقطاً لأنه أول ما يخرج من الزند الذي يقدح به النار ، وهذا الشعر أول ما سمح به طبعه في ريق شبابه ، فسماه (سقط الزند) تجوزاً أو استعارة . ويظهر المتأمل أن هذا الكلام غير صحيح من وجوه :

أولها : أن هذا الديوان يشتمل على ما قاله أبو العلاء في أيام الصبى ؛ وما قاله في عهد الكهولة حين كان في بغداد ؛ وما قاله في سن الشيخوخة ، بعد رجوعه من بغداد ؛ كما بينا ذلك عند القول في أطوار شعره .

---

(١) ذكره القفطي ، وياقوت ، والذهبي ، وابن العديم وغيرهم . انظر تعريف القدماء الصفحات : ٤٥ ، ١٠٧ ، ٢٠٣ .

(٢) انظر ما عرفه به القفطي والذهبي وابن العديم في تعريف القدماء الصفحات : ٤٥ ، ٢٠٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ .

ثانيا : أن عدد أبيات الديوان لا يبلغ المقدار الذي ذكروه ؛ وقد كان أبو العلاء يسقط بعض الأبيات منه ، ويبلغ مجموع أبياته التي شرحها الخوبي يوسف بن طاهر [٢٨٦٥ بيتاً] .

فالأحسن أن يقال : إن هذا الديوان سمي (سقط الزند) لأن فيه ما قاله في أول عمره من باب تسمية الكل باسم الجزء ، وشبهه بالسقط كما ذكروا على سبيل الاستعارة ؛ وهذا تواضـــع منه ، لأن نار السقط ضعيفة ضئيلة .

٧١ — ضوء السقط :

يشتمل على تفسير ما جـــاء في سقط الزند من الغريب ، مقداره عشرون كراسة .

قال ابن العديم [١] : « وضع أبو العلاء هذا الكتاب لتلميذه أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهاني ، وكان رجلاً فـــاضلا ، قصده إلى معرة النعمان ، ولازمه مدة حياته يقرأ عليه ، بعد أن استعفى من ذلك ، ثم أجابه ، فقرأ عليه الكتب إلى أن مـــات . وقد أشار إلى ذلك في مقدمة ضوء السقط ، وأقام عبد الله [الأصبهاني] بحلب ، وروى عن أبي العلاء كتباً متعددة [من تصانيفه] . وهو الذي سأل أبا العلاء أن يشرح له (سقط الزند) فشرحه ووسمه بـ (ضوء السقط) ... وهو الذي قال له أبو العلاء يخاطبه :

يَا أَصْبَهَانِيُّ وَمَا غَيْرُهُ   مَاذَا تُرَجِّي مِنْ دُخُولٍ إِلَيْ
لاَمَالَ عِنْدِي تَرْتَجِي نَفْعَهُ   اذْهَبْ حَمِيداً وَتَفَضَّلْ عَلَيْ» .

ضوء السقط مصلح لفساد أبي العلاء :

قال ابن الوردي في (تاريخه ج ٢ ص ٣٦٠) : « ثم وقفت له على

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٣٥ عن الانصاف ـ لابن العديم .

كتاب (ضوء السقط) الذي أملاه على الشيخ أبي عبد الله محمد الأصبهاني .. ؛ فكان هذا الكتاب عندي مصلحاً لفساده ، موضحاً لرجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده ؛ فإنه كتاب يحكم بصحة إسلامه مؤولا ؛ ويتلو لمن وقف عليه بعد كتبه المتقدمة : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ فلقد ضمّن هذا الكتاب ما يثلج الصدر ، ويلذ السمع ، ويقر العين ، ويسر القلب ، ويطلق اليد ، ويثبت القَدَم ، من تعظيم رسول الله ﷺ خير بريته ، والتقرب إلى الله بمدائح الأشراف من ذريته ، وتبجيل الصحابة ، والرضى عنهم ، والأدب عند ذكر ما يتلقّى منهم ، وايراد محاسن من التفسير ، والإقرار بالبعث والإشفاق من اليوم العسير ، وتضليل من أنكر المعاد ، والترغيب في أذكار الله والأوراد ، والخضوع للشريعة المحمدية ، وتعظيمها ، وهو خاتمة كتبه ، والأعمال بخواتيمها . وقد يُعذَر من ذمّه ، واستحل شتمه ، فإنه عوّل على مبادىء أمره ، وأوسط شعره . ويعذر من أحبه ، وحرّم سبه ، فإنه اطلع على صلاح سره ، وما صار اليه في آخر عمره ، من الإنابة التي كان أهلها ، والتوبة التي تَجُبُّ ما قبلها ، وكان يقول ــ رحمه الله ــ : « أنا شيخ مكذوب عليه . . »[1] .

متى ألف ضوء السقط : ولم أر من ذكر في أية سنة وضع أبو العلاء (ضوء السقط) ، ولكن يفهم من مجموع الأقوال ، والحوادث التي تتعلق بهذا الكتاب ، أنه وضع في نحو سنة ٤٤٧ هـ فما بعدها . لأنهم قالوا : إن أبا زكريا التبريزي ، أقام عند أبي العلاء سنتين أو أكثر ــ روايات مختلفة ــ وقال القفطي :« إن التبريزي قرأ غريب الحديث على أبي العلاء سنة ٤٤٥ هـ »[2] . وقالوا : إن التبريزي قرأ على القاضي أبي القاسم التنوخي ، وهذا توفي

---

(١) وانظر تعريف القدماء ص ٢١١ ــ ١٢ .

(٢) تعريف القدماء ص ٥٢ عن إنباه الرواة .

سنة ٤٤٧ هـ وقال التبريزي : إن أبا العلاء وضع (ضوء السقط) بعد مفارقته إياه . وقال في شرحه : إن الضوء آخر تآليف أبي العلاء [١] .

ويؤخذ من مجموع هذه الأقوال ، أن التبريزي فارق المعرة بعد سنة ٤٤٥ هـ ، وقبل سنة ٤٤٧ هـ ؛ فيكون (ضوء السقط) وضع في سنة ٤٤٧ هـ أو ما بعدها . وقد صرح التبريزي أن أبا العلاء أملى على الأصبهاني إلى الدرعيات .

الدرعيات . وسبب نظمها :

من جملة ما في (سقط الزند) قصائد في وصف الدرع . وقد ظن بعض المتأخرين ، أن أبا العلاء لحظ في نفسه أن روح الجهاد قد فتر عند المسلمين في عصره ، وعند قومه خاصة ؛ وأنهم التزموا الدفاع دون الهجوم ؛ فأراد أن يعبر عن هذا الاعتقاد بطريق الكناية والرمز ، فنظم المجموعة الغريبة من القصائد المعروفة بـ (الدرعيات) . . فالدرع أداة وقاية ، لا سلاح هجوم . . . .

وما أظن أن هذا هو السبب الحقيقي الباعث على إنشاء الدرعيات . ولعل السبب أنه وجد في الدرع مجالاً لإظهار عبقريته وتفننه ، وقدرته على التصرف بالمعاني والأخيلة .

على أنه وصف السيف في مواطن كثيرة من شعره ؛ وأبدع في وصف دقته ، وشطبه ، وغمده ؛ وأتى بالعجب العجاب ، من ذلك في قصائده :

يا سَاهِرَ البَرْقِ أَيْقِظْ رَاقِدَ السَّمُرِ [٢]

• • •

(١) سيأتي عن ياقوت والقفطي أن عون الجمل آخر كتاب أملاه أبو العلاء ، فتأمل . (ج) .

(٢) صدر بيت هو مطلع قصيدة في السقط وعجزه : « لعل بالجزع أعواناً على السهر » . انظر شروح سقط الزند ، ق ١ ص ١١٤ .

أَعَنْ وَخْدِ القِلاَصِ كَشفْتِ حَالا(١) . . . . .

. . .

و :

كَفَى بِشُحُوبِ أَوْجُهِنَا دَلِيلاً(٢) . . . . .

. . .

وغيرها

* * *

شروح السقط وشراحه

ضوء السقط :

تقدم أن أبا العلاء أملى على الأصبهاني شرح ما أشكل عليه من سقط الزند إلى الدرعيات ؛ وسمى شرحه (ضوء السقط) .

والظاهر أن هذا الشرح لم يستقص إيضاح كل غامض ، وتفسير كل مشكل ؛ وأن الناس كانوا ينزعون إلى تفسير السقط لشدة رغبتهم في الوقوف على ثقافة أبي العلاء ، وعبقريته فيه ؛ فشرحه جماعة في عصور مختلفة ، ليتسنى لكل جيل الاطلاع على ما في شعره من المعاني النبيلة ، والأخيلة البديعة ، والأساليب الرائعة . وهذه أسماء جلة منهم :

---

(١) عجزه : « ومن عند الظلام طلبت مالا » . وهو مطلع لامية في السقط ، انظر الشروح ق ١ ص ٢٥ .

(٢) صدر مطلع قصيدته التي اجاب بها ابن فورجة البروجردي عن قصيدة اولها :

ألا قامت تجاذبني عناني ... وتسألني برمتها مقيلا

وعجز البيت : « على ازماعنا عنك الرحيلا » . انظر شروح السقط ق ٣ ص ١٢٦٩ .

١ - شرح أبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ :

وهو شرح مختصر ، أورد فيه المعاني ، وأقلّ من الاستشهاد ؛ وقد قال في مقدمته [١] : « لما حضرت أبا العلاء . . قرأت عليه كتباً كثيرة من كتب اللغة ، وشيئاً من تصانيفه ، فرأيته يكره أن يقرأ عليه شعره في صباه الملقب بـ (سقط الزند) . وكان يغيّر الكلمة إذا قرأتُ عليه شعره ، ويقول معتذراً من تأبّيه وامتناعه من سماع هذا الديوان : مدحت فيه نفسي ، فأنا أكره سماعه . وكان يحثني على الاشتغال بغيره من كتبه كلزوم ما لا يلزم ، وجامع الأوزان ، والسجع السلطاني ، وغير ذلك .

ثم اتفق بعد مفارقتي إياه أن بعض أهل الأدب سأله أن يشرح له ما يشكل عليه من سقط الزند ، فأملى عليه إلى الدرعيات . وكان قد لقّب هذا الديوان بـ (سقط الزند) لأن السقط أول ما يخرج من النار من الزند ؛ وهذا أول شعره ، وما سمح به خاطره ، فشبهه به .

وما أملاه فيه سماه (ضوء السقط) . غير أنه وقع فيه تقصير من جهة المستملي ؛ وذلك أنه استملى معنى بعض أبيات منه ، وأهمل أكثر المشكلات ، وإذا استملى معنى بيت لم يستقص به البحث عن إيضاحه ، فجاء التفسير كأنه لمعٌ شتى ، لم يشف الغليل ولا يغرف من البرْض [٢] إلا القليل .

وشعره كثير في كل فن . وميل الناس على طبقاتهم : من شاعر مفلق ، وكاتب بليغ ، إلى هذا الفن أكثر ، ورغبتهم فيه أصدق . وهو أشبه بشعر أهل زمانه مما سواه ؛ لأنه سلك فيه طريقة حبيب بن أوس الطائي ، وأبي الطيب المتنبي ، وهما هما في جزالة اللفظ ، وحسن المعنى .

---

(١) انظر هذه المقدمة في شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣ .

(٢) البرض : بالتسكين ، القليل من الماء .

وأظهر المعجز في درعيـــاته ؛ غير أنه لم يتفق أن تعرض بنفسه لشيء منها .

ورأيت جماعة من وجوه الكتاب والرؤساء من أهل الأدب وعيون الناس ، يرغبون في شرح ما أهمل من أبياته ، وإيضـاح مشكلاته ؛ فاستعنت الله — عز وجل — على شرحه ، من أوله إلى آخره . وأوردت فيه [1] ما ذكر شيخنا أبو العلاء — رحمه الله — من ضوء السقط في مواضعه ، ثم أوضحت مشكلاته ، وذكرت معانيه ، غير سالك طريقة أبي الفتـح عثمان بن جني ، في تفسيره شعر أبي الطيب ، في الإكثار من الاستشهادات ، وذكر اللغة الغريبة ، دون إيراد المعاني ، مما لا بد منه ، وما يفيد قاريه ، إذا نظر فيه . فخير الشروح ما قلّ ودلّ ، ولم يطل فيمل . وعليه التكلان » اهـ .

ويمكننا أن نستنتج من هذه المقدمة أمورا ، منها :

١ — أن التبريزي قرأ سقط الزند على أبي العلاء ، كله أو أكثره ؛ وسأله عن مواطن الإشكال والغموض .

٢ — أنه وقف على (ضوء السقط) وأورد ما ذكره فيه أبو العلاء ، في شرحه هذا في مواضعه .

٣ — أن أبا العلاء لم يشرح جميع (سقط الزند) ولم يستقص إيضاح كل مشكل فيه ؛ وإنما شرح ما سأله عنه الأصفهاني .

٤ — أنه وضع شرحه هذا بعد وفاة أبي العلاء .

٥ — أن الدرعيات جزء من (سقط الزند) . وإن توهّم بعضهم أنها ديوان مستقل .

٦ — أنه شرح الديوان كله ، وبيّن معانيه ، وأوضح مشكلاته .

---

(١) زيادة على الأصل .

٧ — أن أبا العلاء كان يغيّر بعض الكلمات من (سقط الزند) فتكون رواية الديوان ، على الوجه الذي ذكره التبريزي ، آخر ما عول عليه أبو العلاء .

٨ — أن التبريزي لم يبين ما هو اسم شرحه هذا ؛ وقد قال بعضهم : إن اسمه (الإيضاح في سقط الزند وضوئه) [1] .

• • •

٢ — شرح عبد الله بن محمد البَطَلْيَوسي النحوي المتوفى سنة ٥٢١ هـ :

وهذا الشرح ، لم يقتصر فيه صاحبه على (سقط الزند) ، ولا تقيد بترتيب القصائد وجمعها على نحو ما هي عليه في الديوان ؛ وإنما ضم اليه جملة من شعر أبي العلاء من غير سقط الزند ؛ كما صرح بذلك في مواطن من شرحه . ورتب قصائده على ترتيب حروف المعجم كلها ؛ فاضطر بسبب ذلك إلى أن يزيد على ما في (سقط الزند) من شعر (لزوم ما لا يلزم) وغيره ، ليستوفي جميع القوافي ؛ ومما زاده : قافية « الثاء ، والخاء ، والذال ، والشين ، والضاد ، والظاء ، والغين ، والهاء » . ومع زيادته هذه ، نقص بعض الأبيات من شعر سقط الزند .

ويعد العلماء هذا الشرح أقوى الشروح وأوفاها ، وأكثرها تعرضاً للتحقيق في المسائل اللغوية والنحوية .

وقد أكثر فيه من الموازنة بين المتنبي وأبي العلاء ؛ والمقابلة بين معاني كل منهما ، لأنه شرح ديوان المتنبي . وقد قال في مقدمة شرحه سقط الزند [2] :

« سألتني — واصل الله لديك نوامي النعم ، وبلغك أقاصي الهمم — أن أشرح لك (سقط الزند) من شعر أبي العلاء المعروف بالمعري ، وذكرتَ

---

(١) قد شرعت لجنة إحياء آثار أبي العلاء في طبع هذا الشرح في مصر في نحو سنة ١٣٦٤ هـ وسنة ١٩٤٥ م مع شرح البطليوسي والخوارزمي . (ج) وتم طبعه بأقسامه الخمسة في سنة ١٩٤٨ م .

(٢) انظر هذه المقدمة في شروح سقط الزند ، ق ١ ص ١٥ .

أنك قرأت ضوء سقط الزند الموضوع فيه ، فلم تجده مستوفياً لجميع معانيه ، ورجوت أن تجد عندي ما يوافق مرادك ، ويطابق اعتقادك . ولعمري إنه لشعر قوي المباني ، خفي المعاني ؛ لأن قائله سلك به غير مسلك الشعراء ، وضمنه نكتاً من النحل والآراء ، وأراد أن يري معرفته بالأخبار والأنساب ، وتصرفه في جميع أنواع الآداب . فأكثر فيه من الغريب والبديع ، ومزج المطبوع بالمصنوع ، فتعقدت ألفاظه ، وبعدت أغراضه . وقد أجبتك إلى ما سألت ، وكتبت لك من شرحه ما رغبت .

ورأيت أن ترتيبه على نظم الحروف المعجمة أتم في الوضع ، وأجمل للتصنيف ، فاحتجت لذلك أن أزيد فيه ما يفي بالغرض ، وأن أستغفر الله من زور يعين على تحسين أمره ، وساعات نقطعها بغير ذكره ؛ إنه غافر السيئات ، وساتر الهفوات ، لا رب غيره » .

ويستنتج من هذه المقدمة :

١ ـ ما ذكرناه من زيادته على أصل (سقط الزند) ونقصه عنه ، وهذا إخلال بحق الكتاب ، وبترتيبه . وكان الحق أن يقتصر على أصل الكتاب وترتيبه ؛ وكأنه فطن إلى أن عمله غير حسن ، فعده زورا ، واستغفر الله منه .

٢ ـ أنه اطلع على (ضوء السقط) ولم يطلع على شرح التبريزي .

٣ ـ أنه أدرك من مقاصد أبي العلاء في شعره ومن قدرته على التصرف في أنواع الآداب والفنون ، ما لا يستكثر معه أن يكون شرحه أوفى الشروح .

• • •

٣ ـ شرح علي بن احمد بن محمد ، الإمام الواحدي الاديب المفسر المتوفى سنة ٤٦٨ هـ :

قال في (أوج التحري) : إنه شرح سقط الزند [1] .

---

(١) أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري ص ٨ تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني ، طبعة المعهد الافرنسي بدمشق .

٤ً - وشرح أبي رشاد أحمد بن محمد الأخسيكثي ، نسبة إلى أخسيكث، مدينة من فرغانة ، المتوفى سنة ٥٤٩ هـ :

وقد سمى شرحه : (زوائد في شرح سقط الزند) ذكر ذلك ياقوت ، وكشف الظنون .

٥ً - وشرح أبي يعقوب يوسف بن طاهر الخويّي ، نسبة إلى خوي ، من مدن أذربيجان ، المتوفى سنة ٥٤٩ هـ .

وقد أتم شرحه هذا سنة ٥٤١ هـ ، وقال في مقدمته : « ولم يتفق له شرح يشفي غلة الصادي ويحقق أمنية الشادي ، سوى ضوء السقط الذي نقله أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي [عن أبي العلاء] - رحمها الله - وهو غير واف بالمقصود ، ولا دال على الغرض المطلوب ، لتقاصره عن بلوغ ما يجب من الإبانة والإيضاح . . »[1] ويسمى هذا الشرح (التنوير . أو . تنوير سقط الزند) وهو ينقل كثيراً من كلام التبريزي ، ويشايعه في كثير من المواطن . وهذا الشرح طبع في تبريز وفي مصر أكثر من طبعة .

٦ً - و شرح الامام فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر المتوفى سنة ٦٠٦هـ: كما ذكره في (كشف الظنون) .

٧ً - وشرح صدر الأفاضل ، قاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمي :

الملقب بصدر الأفاضل ، المقتول بيد التتار سنة ٦١٧ هـ . وقد سمى شرحه هذا : (ضرام السقط في شرح السقط) وفرغ من تسويده في أوائل المحرم سنة ٥٨٧ هـ . وقال في مقدمته[2] : « وبعد ، فإن طائفة من أهل العلم ، قد قرعوا مسمعي غير مرة ، بالتماسهم إلي أن أشرح لهم (سقط الزند) المنسوب إلى . . أبي العلاء . . المعري . . فشرحت فيه من مفردات اللغة ،

---

(١) مقدمة التنوير على سقط الزند ص ٤ - ٥ طبعة دار السعادة .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٧ - ١٨ .

والأبنية والاشتقاق ومسائل الإعراب والتصريف ، وأوردت من التراكيب المستعملة في كلامهم ، ومحاسن علمَي المعاني والبيان ، وألقاب العروض والقوافي ، ونتف التواريخ والحكايات ، وانساب العرب ، والأنواء ، والرموز الحكمية ، وشيء قليل من فقه الشافعي ، وأحاديث النبي ، وفوائد التفسير ، ما عسى أن يشكل عليهم ، ولم يلق حل معقوده إليهم . . ، ثم توخيت أن أتكلم في كل مسألة بأخصر كلام . . إلا في عدة مواضع لغرض . . » .
ثم قال : « أخبرنا بمتن هذا الديوان . . . أبو المظفر ناصر . . . المعروف بابن المطرّزي [المتوفى سنة ٦١٠ ﻫ] . . . قراءة عليه ، قال : أخبرنا . . . الوالد . . . عبد السيد بن علي المطرزي قراءة عليه ، قال : أخبرنا أبو المكارم الأبهري قراءة عليه ، قال : أخبرنا [الفاضل] أبو العلاء وهو المتنبيء » اﻫ .

ويتصدى في شرحه هذا إلى الإكثار من سرد الحوادث التاريخية ، وبعض الأحاديث النبوية ، وأقوال المفسرين . ويكثر من الاستشهاد بكلام الابيوردي (وهو أبو المظفر محمد بن أحمد القرشي الأموي المتوفى سنة ٥٥٧ ﻫ) . ويعنى كثيراً بذكر التجنيس والمقابلة والإيهام ، وبيان كل في موضعه ، ويعول في بيان المعاني والمجازات اللغوية ، على (أساس البلاغة) للزمخشري .

٨ — وشرح القاضي شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزي المتوفى سنة ٧٣٨ ﻫ :

فإنه شرح سقط الزند ، وسمى شرحه (العمدة في شرح سقط الزند) .

٩ — وشرح الشيخ محمد الدّرا الدمشقي المتوفى سنة ١٠٦٥ ﻫ

وقد سمى شرحه هذا : (سقط العقيان والحلى ، لعروس أبي العلا) . أو (ضوء الفند من سقط الزند) ورتبه على حروف المعجم ، وأدخل فيه الدرعيات ، وقد رأيت نسخة من هذا الشرح في سنة ١٣٦٠ ﻫ ، وقد قصر صاحبه في مواطن كثيرة عن إدراك ما يرمي إليه أبو العلاء في قوله .

وقد ترجمه المحبي في (خلاصة الأثر) في الجزء الرابع ص ٢٤٩ وقال في

ص ٢٥٢ : « وعمل بمكة شرحاً على (سقط الزند) لأبي العلاء المعري ، وجعله برسم الشريف زيد بن محسن ، وصدره بقصيدة من نظمه ؛ ثم أدركه المرض بمكة ولم يكمل الشرح .

. . .

٧٢ — كتاب سيف الخطبة :

وهو يشتمل على خطب السنة ، فيه خطب للجمع ، والعيدين ، والخسوف ، والكسوف ، والاستسقاء ، وعقد النكاح . وهي مؤلفة على حروف المعجم . وفيها خطب عمادها الهمزة ، وخطب بنيت على الباء ، والتاء ، والدال ، والراء ، واللام ، والميم ، والنون ، وتركت الجيم والحاء ، وما جرى مجراها ؛ لأن الكلام المقول في الجماعات ينبغي أن يكون سجسجاً سهلاً . وهو جزءان ، ومقداره أربعون كراسة ؛ وذكر أنه كان سأله في هذا الكتاب رجل من المتظاهرين بالديانة .

وقد جاء اسم هذا الكتاب في (كشف الظنون) « سيف الخطيب » وفي الذهبي « كتاب الخطب » وفي ياقوت ، وابن العديم « سيف الخطبة » وفي القفطي يعرف بـ « سيف الخطب »[١] . وجاء في عبارات بعضهم في هذا المقام ، ما يخالف عبارات غيره .

٧٣ — كتاب شرف السيف :

عمله لأمير الجيوش ، أنوشتكين الدزبري ، الذي ولي دمشق سنة ٤١٩ هـ ، للظاهر خليفة مصر ، وكان السبب في عمله أن أبا العلاء بلغه عنه كلام جميل ، وأنه كان يوجه إليه بالسلام ، ويحفي المسألة ، فأراد جزاءه على ما فعل ؛ فعمل له هذا الكتاب ، وهو جزءان ، وسماه في (كشف الظنون) « شرف السلف » وقال : مقداره عشرون كراسة .

---

(١) انظر ما ذكره القفطي وياقوت والذهبي وابن العديم في تعريف القدماء الصفحات : ٤٠ ، ١٠٣ ، ٢٠١ ، ٥٢٩ .

٧٤ — شرح كتاب سيبويه :

لم يتمه ، وفي الذهبي [١] « شرح بعض سيبويه » ومقداره خمسون كراسة ؛ وقد تقدم أن له كتاب تفسير أمثلة سيبويه .

٧٥ — شرح خطبة أدب الكاتب :

عمله لأبي الرضي ، سالم بن الحسن بن علي الحلبي ؛ وهو ابن أخت الوزير أبي نصر محمد بن الحسن بن النحاس الحلبي ، وكان من الفضلاء الأدباء الشعراء [٢] .

٧٦ — كتاب الصاهل والشاحج :

يتكلم فيه على لسان فرس وبغل ، مقداره أربعون كراسة ؛ وهو كتاب حسن ، صنفه للأمير عزيز الدولة أبي شجاع فاتك بن عبد الله الرومي ، مولى منجوتكين . وكان أبو شجاع هذا والي حلب من قبل المصريين في أيام الحاكم ، وبعض أيام الظاهر . وكان رومياً وقد قتل سنة ٤١٣ هـ وكان سبب تصنيفه أنه رفع إلى فاتك أن حقاً يجب له على بعض أقرباء أبي العلاء ، وجب على أبي العلاء سؤاله فيه . وفي القفطي والذهبي « رسالة الصاهل والشاحج » [٣] .

٧٧ — لسان الصاهل والشاحج :

وهو كتاب لطيف في تفسير (الصاهل والشاحج) ، عمله أيضاً لعزيز الدولة المذكور ومقداره ثماني عشرة كراسة .

---

(١) تعريف القدماء ص ٢٠٤ عن تاريخ الإسلام — للذهبي .

(٢) ذكره ابن العديم في الانصاف ، انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٤٠ .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٥ ، ٢٠٢ .

قال ابن العديم : « وبعض الجهـــال يقول : إنه عمله لأبي الدوام ثابت بن محمود بن نصر بن صالح ، وكان يلقب عزيز الدولة ، وهو غير صحيح بل الذي عمله لأبي الدوام هو اللامع العزيزي وسيأتي ذكره »[1].

وابن العديم سمى الأول « رسالة الصاهل والشاحج » وصاحب كشف الظنون قال : « رسالة الصاهل . . تتضمن تفسير كتاب من تأليفاته » فلعله اشتبه عليه الكتاب الأول بالثاني .

مثال من كلامه في (الصاهل والشاحج) : قال أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، من فصل المورّى : « وسمينا هذا النوع من الكلام المورّى ، لأن باطنه على غير ظاهره . . . وقد سلك أبو العلاء أيضاً هذا المسلك ، وجرى فيه ملء عنانه فأدرك ، فقال في رسالة الصاهل والشاحج : العلم يدل على أن الحَسَنَ لم يرَ الحُسَيْن [2] قط ، وأن فاطمة — رضي الله عنها — لم تر في بيتها عليًّا [3] ، وقد يجوز أن تكون أبصرته على بَابِ البيت . وكان عليّ — رحمه الله — يرحَمُ الأرملة ، ويَبَرّ اليتيمَ ، ويضرب بحدّ سيفه أمّ الصبيَّيْن [4] ، وقطع يد الفيل [5] على السَّرَق ؛ وَجلَدَهُ على شُرب الخمر . وكان يأمر بقتل الأعْرَج والأُعَيْرِج [6]

---

(١) سيأتي أن اللامع العزيزي لأبي الدوام ثابت بن ثمال بن صالح . على نحو ماذكره القفطي وابن العديم فلعل في الكلام تحريفاً (ج) .

(٢) الحسن والحسين : كثيبان معروفان في بلاد ضبة (ج) .

(٣) العلي : الفرس الشديد (ج) .

(٤) أم الصبيين : هامة الرأس ، والصبيان : اللحيان ، وهما العظمان اللذان تنبت عليهما اللحية (ج) .

(٥) الفيل : الضعيف الرأي والحيس (ج) .

(٦) الأعرج : الغراب ، والأعيرج : حية صماء لا تقبل الرقية ، وتطفر كالأفعى ، وهما من الفواسق الخمسة التي أمر بقتلها ، وهي الغراب ، والحدأة ، والفارة ، والحية ، والكلب العقور (ج) .

وهما في الحرم . ويكره دخول الأعمى [١] المسجد ، وكان ينصف [٢] الخسيس من أهل الأقدار ، ويوطأ الجليل [٣] في زمانه بالقدم » [٤] .

٧٨ — الطل الطاهري :

تقدم ذكره مع الحقير النافع .

٧٩ — كتاب في النحو :

يتصل بالكتاب المعروف بـ (العضدي) واقبه « ظهير العَضُدي » [٥]، كما في ياقوت . وفي ابن العديم : « وإملاء في النحو ، يتصل [بالعضدي] » . وفي كشف الظنون : « ظهر العصري » في النحو لأبي العلاء .

٨٠ — كتاب عبث الوليد :

وهو يتعلق بشعر البحتري ، وكان سبب وضعه أنّ بعض الرؤساء ، وهو أبو اليمن المسلم بن الحسن [الحسين] بن غياث الكاتب الحلبي ؛ وكان صاحب الديوان في حلب ، أنفذ إلى أبي العلاء نسخة من شعر البحتري ، ليقابل له بها ؛ فأثبت ما جرى من الغلط ليعرض عليه ذلك ، وبعض الغلط من الناسخ ، وبعضه من البحتري ؛ وهو جزء واحد ، ومقداره عشرون كراسة [٦] .

وقال ابن خلكان في ترجمة المعري [٧] : « واختصر ديوان البحتري ،

---

(١) الأعمى : الكافر (ج) .

(٢) المراد : يأخذ للخسيس حقه من أهل الأقدار ، فمن متعلقة بينصف (ج).

(٣) الجليل : نبت وهو الثام ، وجبل في بلاد الشام (ج) .

(٤) تعريف القدماء ص ٤٥٠ .

(٥) تعريف القدماء ص ١١٠ و ص ٥٤٠ .

(٦) ذكر ذلك ابن العديم في الإنصاف والتحري انظر تعريف القدماء ص ٥٤١ .

(٧) وفيات الأعيان ، وانظر تعريف القدماء ص ١٨٣ .

وسماه (عبث الوليد) » . ونقل ذلك عنه صاحب (كشف الظنون) . وقال بعضهم : إنه يتضمن أغاليط البحتري في ديوانه . وقد طبع هذا الكتاب في دمشق سنة ١٣٥٥ هجرية . ويظهر للمتأمل فيه ، أن أبا العلاء تعرض للغلط الذي وقع من الناسخ ، وتعرض للغلط الواقع من البحتري ، كما قال ابن العديم ؛ وأنه اطلع على شعر للبحتري لم يذكر في ديوانه المطبوع في الآستانة وبيروت .

٨١ — كتاب عظات السور :

يشتمل على مواعظ .

٨٢ — كتاب عون الجمل :

يتصل بكتاب الزجاجي ، شرح فيه شيئاً من كتاب (الجمل) [١] كما في القفطي ، وابن العديم [٢] ، وفي كشف الظنون أنه شرح الشواهد ، ولم يتم . وهذا الكتاب عمله لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم ؛ وكان أبوه يتولى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب .

قال ياقوت ، وابن العديم : « وهو آخر كتاب أملاه » وفي القفطي : « آخر شيء أملاه » [٣] . وهذا يناقض قول ابن الوردي في (تاريخه ج ١ ص ٣٦٠) وقول التبريزي السابق : إن ضوء السقط خاتمة كتبه . فتأمل .

٨٣ — كتاب غريب ما في جامع الأوزان :

مقداره عشرون كراسة كما تقدم [٤] .

---

(١) الجمل الكبيرة في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي النحوي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، هو كتاب مفيد شرحه كثير من العلماء : كما في كشف الظنون (ج) .
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٨ ، ٥٣٩ .
(٣) المصدر السابق وانظر أيضاً ص ١١٠ منه .
(٤) ذكره الذهبي والصفدي ، انظر تعريف القدماء الصفحات ٢٠٢ ، ٢٧٥ .

٨٤ – الفصول والغايات :

نقل ياقوت في (إرشاد الأريب) صورة فهرس كتب أبي العلاء ، وقال : « وهي على ضروب مختلفة ، فمنها ما هو في الزهد والعظات وتمجيد الله . . من المنظوم والمنثور . فمن ذلك الكتاب المعروف بـ (الفصول والغايات) والمراد بالغايات : القوافي ؛ لأن القافية غاية البيت أي منتهاه . وهو كتاب موضوع على حروف المعجم ؛ ما خلا الألف ؛ لأن فواصله مبنية على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألفا ؛ ومن المحال أن يجمع بين ألفين . ولكن تجيء الهمزة وقبلها ألف ، مثل : العطاء والكساء . وكذلك : الشراب والسراب في الباء . ثم على هذا الترتيب . ولم يعتمد فيه أن تكون الحروف التي يبنى عليها مستوية الإعراب ، بل تجيء مختلفة . وفي الكتاب قواف تجيء على نسق واحد . وليست المطلقة [١] بالغايات ومجيئها على قريّ [٢] واحد مثل أن يقال : عِمامها ، وغلامها ، وغَمامها ، وأمرا ، وتَمرا ، وما أشبهه ، وفيه فنون كثيرة من هذا النوع . وقيل : إنه بدأ به بعد عودته من بغداد [٣] . وقيل : إنه بدأ به قبل رحلته إلى بغداد ، وأتمه بعد عوده إلى المعرة ؛ وهو سبعة أجزاء ، وفي نسخته مائة كراسة [٤] » اهـ . ونحو هذا في القفطي .

---

(١) في الإسعاف والقفطي : « الملقبة بالغايات » . وفي القفطي بعد هذا : « وإنما سميت غاية البيت ، وهي قافيته ومجيئها . . » . (ج) وانظر تعريف القدماء ص ٣٨ ، ٥٢٧ .

(٢) أي نسق أو طريقة (ج) .

(٣) لم ترد هذه العبارة في تعريف القدماء .

(٤) انظر تعريف القدماء ص ١٠١ – ١٠٢ عن إرشاد الأريب لياقوت . و ص ٣٨ – ٣٩ عن الإنباه للقفطي .

وقال ابن العديم : إنه « في تمجيد الله والعظات . . . . وهو الكتاب الذي افتري عليه بسببه . وقيل : إنه عارض به السور والآيات ، تعديا [عليه] وظلما ، وإفكاً به أقدموا عليه وإثما . فإن الكتاب ليس من باب المعارضة في شيء ومقداره مائة كراسة » [1] .

وفي (كشف الظنون) : « الفصول والغايات ، في معارضة السور والآيات ، على ما ذكره ابن الجوزي لأبي العلاء . . [2] وهو مائة كراسة » وفي تفسير غريبه كتاب (السادر) وهو عشرون كراسة . وله كتاب الفصول غير هذا ؛ وهو أربعمائة كراسة . وذكر ابن قاضي شهبة له كتاب (مختلف الفصول) وهو أربعمائة جزء .

وقال الباخرزي في (دمية القصر) في ترجمة أبي العلاء : « وإنما تحدثت الألسن بإساءته ، لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن ، وعنونه بالفصول والغايات ، ومحاذاة السور والآيات ؛ وأظهر من نفسه تلك الخيانة»[3] اه إلى آخر ما تقدم .

وقال ابن الجوزي في (المنتظم) : « وقد رأيت للمعري كتاباً سماه (الفصول والغايات) يعارض به السور والآيات ، وهو كلام في نهاية الركة والبرودة . فسبحان من أعمى بصره وبصيرته ؛ وقد ذكره على حروف المعجم في آخر كلماته [4] » . اه الى آخر ما تقدم .

وقال الذهبيّ : « وكأنه معارضةٌ منه للسور والآيات ، فقيل له : أين هذا من القرآن ؟ فقال : لم تصقله المحاريب أربعمائة سنة [5] » . اه

---

(١) تعريف القدماء ص ٥٢٧ .

(٢) وكذا في طبقات النحاة واللغويين (ج)

(٣) تعريف القدماء ص ٨ عن دمية القصر ـ للباخرزي .

(٤) تعريف القدماء ص ٢١ عن المنتظم - لابن الجوزي .

(٥) تعريف القدماء ص ١٩٥ عن تاريخ الاسلام ـ للذهبي .

وقال ابن سنان عبد الله بن محمد بن سعيد الشاعر صاحب أبي العلاء : « وهذا الكتاب اذا تأمله العاقل علم أنه بعيد عن المعارضة ، وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة[1] » . اهـ

وأورد البديعي في (أوج التحري) جملة من كتاب الفصول والغايات . ثم قال بعده (ص ٦٥)[2] : « وهذا كلام إذا تأمله المتأمل علم أنه بعيد عن المعارضة ، وهو بمعزل عن التشبه بنظم القرآن العزيز والمناقضة » .

وزعم بعضهم أنه قيل لأبي العلاء : ما هذا إلا جيد ، إلا أنه ليس عليه طلاوة القرآن . فقال : حتى تصقله الألسن في المحاريب أربعمائة سنة ، وعند ذلك فانظروا كيف يكون ...

ويقال : إن الذين نسبوه إلى معارضة القرآن العزيز بهـذا الكتاب : (الفصول والغايات) كانوا من أهل زمانه ، يحسدونه على فضله ومكانتـه ، فقصدوا أذاه ؛ وتتبعوا كلامه ، وحملوه على غير القصد الذي قصده ، كما هو عادة أبناء كل زمان في افتراء الكذب ، واختلاق البهتان .

وقد ألف هو كتاباً في الرد على من نسبه إلى معارضة القرآن ، والجواب عن أبيات استخرجوها من نظمه ، ورموه بسببها بالكفر والطغيان ؛ وسمى الكتاب بـ (زجر النابح) رد فيه على الطاعن في دينه والقادح . وقد اجتزأنا بهذا القدر من أقوال العلماء في هذا الكتاب .

الخلاصة :

ذهب أكثر المتقدمين إلى أن أبا العلاء وضع هـذا الكتاب ليعارض به السور والآيات ؛ ومنهم من جعل عنوانه (الفصول والغايات في معارضة السور والآيات) . واحتذى أكثر المتأخرين على مثال المتقدمين في ذلك .

---

(١) تعريف القدماء ص ٤٢٦ عن الصبح المنبي — البديعي .

(٢) تحقيق الدكتور ابراهيم كيلاني — منشورات المعهد الفرنسي بدمشق .

وزعم بعض المعاصرين أن ليس في الكتاب معارضة للقرآن ، وإنما فيه مشابهة له ، وزاد على ذلك بأنه لم يذكر النبي ﷺ فيه ، إلا في خمسة مواضع .
ومن البديهي أن المعارضة إما أن تكون في الألفاظ والأسلوب ، وإما أن تكون في المعاني والأغراض ، وإما أن تكون فيهما معاً . وكذلك المشابهة ، إما أن تكون في أحدهما أو في كليهما .

ولم يصل إلينا من هذا الكتاب إلا الجزء الأول الذي طبع في مصر . وإذا تأملناه ، وأنعمنا النظر فيه ؛ تبين لنا :

١ً ـ أن أبا العلاء التزم فيه أن يكون آخر كل غاية على حرف من حروف المعجم ؛ سوى الألف . وقد بناه على الردف [١] ، وربما أتى للحرف الواحد بغايات متعددة ؛ وقد تزيد أو تنقص عن غيرها في حرف آخر ، وأنه يقول في نهاية كل واحدة منها : « غاية » ، ويقول أحياناً بعد انتهاء الغاية : « تفسير » ثم يفسر الغامض من ألفاظها ، ثم يقول : « رجع » . ثم يأتي بغاية أخرى ، حتى يفرغ من الغايات التي على حرف واحد .

٢ً ـ أنه يذكر في أول كل غاية من حرف جديد هذه الجملة : « فصل غاياته باء » . ثم « فصل غاياته تاء » ثم . وثم . إلى آخر حروف الهجاء . وأحياناً يقول بعد انقضاء الغايات من حرف واحد : « انقضت الهمزة » مثلاً . وأحياناً يقول : « مضى فصل الثاء ولله الحمـــد » . ثم يقول : « قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان » ثم يبدأ بغاية من حرف جديد .

٣ً ـ أنه أكثر من الألفاظ القليلة التداول على ألسنة البلغاء ، وأكثر من السجع ، حتى كاد يلتزمه في كثير من الغايات .

٤ً ـ أنه ذكر في الكتاب كثيراً من أبيات الشعر ، وأراجيز العرب ، وأمثالها ، وأقوال الصحابة الكرام ، والعلماء ، والحكماء .

---

(١) الردف في القافية: حرف ساكن من حروف المد واللين قبل حرف الروي ليس بينهما شيء.

٥ً ـ أنه ذكر كثيراً من أسماء العلماء ؛ كالنضر بن شميل ، وأبي الأسود الدؤلي ، وأبي علي الفارسي وغيرهم ؛ وكثيراً من أسماء الشعراء ، والقبائل ، والرجال ، وكثيراً من أسماء الحيوان والنبات والأماكن . وليس شيء من هذا يعارض أو يشابه ألفاظ القرآن أو أسلوبه .

٦ً ـ أنه ذكر فيه شيئاً من مباحث علم الصرف ، والنحو ، والعروض ، والموسيقى ، والطبيعيات ، والعقائد ، وغيرها . وذكر كثيراً مما اصطلح عليه أهل هذه العلوم .

٧ً ـ أنه ذكر أشياء يعتقدها في الله تعالى ، وفي قدرته على المستحيلات .

٨ً ـ أنه أشار إلى كثير من الحوادث والوقائع التاريخية ، ومزاعم العرب ومعتقداتهم .

٩ً ـ ذكر بلده معرة النعمان ، ووالده ووالدته .

١٠ ـ أنه أخبر عن نفسه ، بأنه حي كميت ، وأنه يقصر الصلاة ، ويحتاج إلى مسكن يأوي إليه . وذكر وصيته التي تقدمت في وصاياه . وذكر كنيته واعتزاله وسببه وكبره ؛ وما أشبه ذلك مما يتصل به . وليس في القرآن الكريم شيء من هذا كله .

واغراض الكتاب تكاد تنحصر في تقديس الله وتمجيده ، والحث على عبادته ، والزهادة في الدنيا ، وعمل الخير ونحو ذلك مما لا يخرج عن الوعظ والإرشاد .

وأن أغراض القرآن الكريم ومقاصده كثيرة متعددة ؛ من شرع للأحكام ، ونسخ بعض الشرائع السابقة ؛ ودعوة إلى الدين الحنيف ، والجهاد في سبيل الله ؛ ورد على المشركين والكفار ؛ وقصص لأخبار الأنبياء والأمم التي بادت ؛ وتبيان لعاقبة الكفر والبغي ؛ وماشاكل هذامن أغراض القرآن الكريم .

وليس في كتاب (الفصول والغايات) شيء من هذا إلا نادرا . وبينهما فروق كثيرة غير ما ذكرنا . وإنما اجتزأنا بهذا القدر خشية الإطالة .

ومما ذكرنا يتبين أن كتاب (الفصول والغايات) ليست فيه معارضة ولا مشابهة للقرآن الكريم ، لا في ألفاظه وأسلوبه ، ولا في أغراضه ومقاصده . وأنه لا يراد به معارضة القرآن . وإنما هو كما قال أبو العلاء ، في الزهد والعظات وتمجيد الله سبحانه وتعالى .

ولعل كثيراً ممن قال : إنه عارض به السور والآيات ، لم يطلع عليه ؛ وإنما تابع غيره في ذلك ليشايعه على تكفير المعري . وأما زعمهم أنه قال : « لم تصقله المحاريب . . . . » و « حتى تصقله المحاريب أربعمائة سنة » فسيأتي من كلامه في القرآن الكريم ما يدحضه . ومن البعيد جداً أن يقول المعري مثل هذا .

وقد رأيت في هذا الجزء أنه ذكر النبي ﷺ في اثنين وعشرين موضعا ؛ وكلما ذكره عقب ذكره بالصلاة عليه . وهذا يؤيد ما قلنا : إن الناس يطوون محاسنه ، وينشرون مساوئه ؛ ويتقولون عليه . وإن فيهم من لم يطلع على كتبه ، وإنما كفّره تقليدا .

والذي أعتقده ، أن أبا العلاء أراد أن يعرض مثالاً واسعاً من علمه واطلاعه ، وأن يبيّن صورة من عبقريته وقدرته على التصرف بالألفاظ والمعاني ؛ فوضع هذا الكتاب ، كما وضع البديع والحريري (المقامات) . واختار العظة والتزهيد في الدنيا ، لأنها ألصق بحياته من غيرهما . وستأتي أمثلة من هذا الكتاب ، تدحض أقوال المفترين على صاحبه .

متى ألف هذا الكتاب :

وهذا الكتاب بدأ به بعد عودته إلى المعرة ؛ على الأرجح ، يدل على ذلك قوله في فهرست كتبه التي نقلها القفطي وياقوت وغيرهما : « لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة . . فأمليت أشياء ، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله . . . » . وهي على ضروب مختلفة ، فمنها ما هو في الزهد

والعظات ، وتمجيد الله تعالى من المنظوم والمنثور ؛ فمن ذلك الكتاب المعروف بالفصول والغايات . وقال ابن العديم : « فأول ما ألف بعد انقطاعه في منزله بعد رجوعه من بغداد الكتاب المعروف بـ (الفصول والغايات) » . ويدل على ذلك أيضاً قول أبي العلاء في (الفصول والغايات ص ٢): « ما آمل وقد فقدت أبوي » وقوله في (ص ١٤) : « وأصبت الوالدة قد سبق بها الحمام » وقوله في (ص ٣١) : « اعنني [١] رب وأعنّي ، واعن بي حتى تغنيني عن أمي وأبي فقد ذهبا ... » . وأمه توفيت قبل عودته الى المعرة .

• • •

٨٥ — كتاب السادن:

أنشأه في ذكر غريب (الفصول والغايات) وما فيه من اللغة ، ومقداره عشرون كراسة . وفي ياقوت : « وما فيه من اللغز » . وفي الذهبي : « كتاب الشادن » وفي كشف الظنون بعد ذكر الفصول والغايات : وفي تفسير غريبه كتاب السادر ، وكذا في القفطي [٢] . والسادن : الخادم . وقد تقدم أن لأبي العلاء كتاب (خادم الرسائل) .

٨٦ — كتاب قاضي الحق:

يتصل بالكتاب المعروف بـ (الكافي) الذي ألفه أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وقد رأى القفطي من هذا الكتاب جزءاً من تجزئة سبع مجلدات [٣] .

٨٧ — كتاب القائف [٤] :

يذكر فيه أمثالاً على معنى (كليلة ودمنة) عمله لعزيز الدولة أبي شجاع

(١) أعنني : أي أخضعني . الفصول والغايات طبع القاهرة سنة ١٣٥٦ .
(٢) انظر ياقوت والذهبي والقفطي في تعريف القدماء الصفحات : ١٠٢ ، ٢٠١ ، ٣٩ .
(٣) تعريف القدماء ص ٤٦ عن الانباه للقفطي .
(٤) ذكره القفطي وياقوت والذهبي وابن العديم وغيرهم ، انظر تعريف القدماء الصفحات ٤٥ ، ١١٠ ، ٢٠٣ ، ٥٣٢ .

فاتك الذي تقدم ذكره ، ألف منه أربعة أجزاء ، ثم قطع تأليفه لموت الذي أمر بإنشائه ، وهو أبو شجاع ، فإنه قتل بقلعة حلب ، قتله مملوك له هندي يقال له توذون سنة ٤١٣ هـ كما تقدم ..

٨٨ – منار القائف :

في تفسير ما جاء في (القائف) من اللغز والغريب . وفي الذهبي [١] : « من اللغة والغريب مقداره عشر كراريس » .

أمثلة من كتاب القائف :

قال الوزير أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، من رجال القرن السادس ، في كتابه (إحكام صنعة الكلام) [٢] ومن الحكايات المختلقة ، والأخبار المزورة المنمقة ، كتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (القائف) لأبي العلاء المعري ؛ وقد تكلم فيه على ألسنة الحيوان وغير الحيوان .

فمن كلام أبي العلاء على لسان الحيوان الناطق قوله :

« ومن أجرَى إلى غيرِ مدًى ، كان مثله مثل الشيخ الجاهل ، لما سمع قول القائل :

أصبحَ عنّي الشّبابُ قدْ حُسرا [٣]

قال : ما أرى الشباب إلا قد ظَعَن مع الظاعنين ، لأخرجنّ في طلبه. فسار حتّى لقيَه رجلٌ ، فقال له : أعندك خبَر للشباب؟

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٠٣ عن الذهبي .

(٢) وانظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٥١ – ٣ – عن الكلاعي .

(٣) هذا صدر بيت للربيع بن ضبع الفزاري ، وتمامه :

« ان ينأ عني فقد ثوى عصرا » .

وهو من أبيات مذكورة في كتاب المعمرين ص ٦ (ج)

فقال: شبابك أو شباب غيرك ؟ قال: بل شبابي. قال: إنه ذَهَبَ مع أمس، وأمس خَلْفَك، فارْجِع وَرَاءك وأسرع؛ فَلَعلَّك تُدركه. فرجع الشيخ يعدو وراءه؛ فكلما عدا[1] ازداد من أمس الشبيبة بعدا».

(فصل) «حَضَرَتِ النملةَ الوفاةُ؛ فاجتمع حواليها النمل. فقالت نادِبَتُها: يرحمُكِ اللهُ! أمِنْ شعيرةٍ مجرورة، وبُرَّةٍ مَنْطورة، وآثار سُفْرَةٍ مَنْشُورة؟ قالت لهنّ: لا تَجْزَعْنَ؛ فقد ذَخَرتُ عند الله ذَخيرةً من ذَخَرِ مِثْلَها جديرٌ بالرحمة، وذلك أني لم أسفكْ دماً قط».

(فصل) «زعموا أن وَصْعا[2] كان يُجاورُ حَيّةً رَقْشاء، فكان ذلكَ الوَصْعُ إذا فَرَّخَ سَرَتِ الحيةُ لأكْلِ فِراخه في الظلام، في عامٍ بعد عام. واللهُ يُجازي على الحَيْفِ والإنعام؛ فقضى بتلكَ الحيّةِ أن كُفّتْ في آخر عمرها؛ فَلَزِمَتِ الوِجار[3]، لا تذعر النّائي ولا الجار. فقال أحبّاؤه: ألا تأتي الظّالمةَ مُظْهِراً

---

(١) في الأصل عاد (ج).

(٢) الوصع: ويحرك طائر أصغر من العصفور.

(٣) الوجار: بالكسر والفتح جحر الضبع وغيرها.

للشّمات ؟ ! قال : لو كنت ، وهي المُبصِرة ، أقدر على ضير ، لكنت اليها وَشِيكَ السّير ؛ فأمّا إِذْ كَفَتْنِيها الأقضِيَة ، فإنّ عيني عنها مغضية » .

(فصل) « عَميَ أسد مِنْ عَوامّ الأُسْدِ ، فأضَرّ ذلك بِهِ . فقيل له : لو جئتَ مَلِكَ الأُسْدِ فسألته أن يصلَك ، لكانَ ذلكَ رَأياً لك . فذهب اليه ، وسَرَد قصته عليه . فقال لخازنه يُجرِي لَه في كُل يوم عضواً مُوَرّبا [1] . فقال الأسد الذي التمس الجراية: أصلح الله الملك ! إِنّي كنت اصطاد الوَعِلَ والبقرة الأهليّة فلا أكادُ أُدرِكُ بها الشّبع ؛ فأين مني هذا العضو يقع ؟ ! فقال الملك: من اتكل عَلَى كَسْب غيره [وجب أن] يقتنع بقليل خيره . قال الأسد : صدق الملك ، ولا حاجة لي بهذا العضو . قال الملك : فما تصنع ؟ قال : اجتزىء بنبت السحاب ، ولا أفتَقِر إِلى الملك والأصحاب » .

ثم قال : ولأبي العلاء [المعري] في كتاب (القائف) إحسان مشهور ، وإبداع كثير موفور . وهو أكثر من كتاب كليلة ودمنة وَرَقا ، وافسح طَلَقا ، وأطيب شميماً وعبقا » .

---

(١) تاماً كاملاً (ج) .

٨٩ — كتاب في القوافي :

مجلد ذكره ابن العديم[١]، ولم يسمه .

٩٠ — اللامع العزيزي :

في تفسير شعر المتنبي ، ويقال له « الثابتي العزيزي » عمله للأمير عزيز الدولة أبي الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس . وبعض الناس يقول : إنه وضعه لعزيز الدولة أبي شجاع فاتك العزيزي . وليس الأمر كذلك ؛ ومقداره مائة وعشرون كراسة . وذكره في (كشف الظنون) مرة « لامع العزيز » في شرح ديوان المتنبي . ومرة « لامع الغزنوي » وكلاهما محرف . وفي (مرآة الزمان) : في شرح المتنبي . وذكر ابن خلكان أنه اختصر ديوان المتنبي وسماه (معجز أحمد) وتكلم على غريبه ومعانيه ومآخذه من غيره ، وما أخذ عليه ؛ وتولى الانتصار له والنقد والتوجيه . وقال ابن خلكان : « لما فرغ من تصنيف كتاب اللامع العزيزي ، في شرح شعر المتنبي ؛ وقرىء عليه ؛ أخذ الجماعة في وصفه ، فقال أبو العلاء كأنما نظر إلي بلحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذي نَظَرَ الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صَمَمُ[٢]

واختصر ديوان أبي تمام وشرحه . . . وديوان البحتري . . . وديوان المتنبي ، وسماه : (معجز أحمد) . وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ، ومآخذهم من غيرهم وما أُخِذَ عليهم ، وتولى الانتصار لهم ، والنقد في بعض المواضع عليهم ، والتوجيه في أماكنَ لخطئهم[٣] .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٤٠ عن الإنصاف والتحري . لابن العديم .
(٢) العرف الطيب ص ٣٤٣
(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٨٣ عن الوفيات ـ لابن خلكان .

ونحو ذلك في (أوج التحري) [١] . وأكثر من كتب في المعري بعد ابن خلكان احتذى على مثاله .

وكلامه يدل على أن للمعري كتابين في شعر المتنبي ، أحدهما : (اللامع العزيزي) والثاني : أخصر منه وهو الذي سماه (معجز أحمد) ويؤيد هذا أن ابن العديم ، ذكر في كتب المعري كتاباً في معاني شعر المتنبي ، مقداره ست كراريس . كما ذكر (اللامع العزيزي) ومقداره مائة وعشرون كراسة ، كما تقدم ، وفي القفطي : « اللامع العزيزي في شرح غريب شعر أبي الطيب » . . وفي الذهبي : « في شرح شعر المتنبي » . فتأمل [٢] .

٩١ — لزوم ما لا يلزم :

وهو في المنظوم ، بني على حروف المعجم ؛ يذكر فيه كل حرف ، سوى الألف ، بوجوهه الأربعة وهي : الضم ، والفتح والكسر ، والوقف ، منظوما .

قال ياقوت : « وهو ثلاثة أجزاء ، أو أربعمائة وعشرون كراسة . ويحتوي على أحد عشر الف بيت من الشعر » [٣] وفي القفطي وابن العديم : مقداره أربعة أجزاء ، وهو مائة وعشرون كراسة [٤] . وفي (كشف الظنون) : مائة وعشرون كراسة . وسيأتي الكلام فيه .

٩٢ — زجر النابح :

يتعلق بلزوم ما لا يلزم . وسبب تأليفه أن بعض الجهال تكلم على أبيات من لزوم ما لا يلزم ، يريد بها الشر والأذية ، وطعن عليه فيها

---

(١) الأوج ليوسف البديعي ص ٢٩ تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني .

(٢) انظر تعريف القدماء الصفحات : ٤٧ ، ٢٠٣ ، ٥٤٠ .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٥ عن إرشاد الأريب — لياقوت .

(٤) انظر تعريف القدماء الصفحات : ٤١ ، ٥٣٦ .

فنسبه إلى الكفر ، فألزم أبا العلاء أصدقاؤه كتاباً يرد فيه على من طعن عليه ؛ ويبين وجوه الأبيات ومعانيها ؛ فأنشأ هذا الكتاب ، وهو كاره . وهو جزء ومقداره أربعون كراسة .

قال ياقوت : « ومن غير خطة ... شرح اللزوم » وهو جزء واحد مقداره أربعون كراسة »[1] وفي كشف الظنون : زجر النـــائح ؛ ولعله محرف عن النابح .

٩٣ — نجر الزجر :

يتعلق بزجر النابح ، وهو أربعون كراسة في قول ياقوت ، والقفطي ، والذهبي[2] . وثلاثون في قول ابن العديم[3] . واسمه عند ياقوت : « بحر الزجر » والصواب : نجر الزجر والنجر الأصل ؛ يعني أصل الزجر ، وضعه بعد الكتاب الأول ، يرد فيه على من طعن عليه في أبيات غير الأبيات المذكورة في (زجر النابح) وبعضها محرفة عن مواضعها، فبيّن التحريف ، وبيّن وجوه تلك الأبيات ومعانيها وفي الميمني : « مقداره عشر كراسات[4] » . فتأمل .

٩٤ — راحة اللزوم :

كتاب شرح فيه ما في كتاب (لزوم ما لا يلزم) من الغريب ومقداره مائة كراسة[5] .

٩٥ — كتاب الراحلة :

ثلاثة أجزاء في تفسير (لزوم ما لا يلزم) كما ذكره ياقوت[6] .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٥ عن إرشاد الأريب .

(٢) انظر تعريف القدماء الصفحات : ١٠٥ ، ٤٢ ، ٢٢١ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٣٧ عن الإنصاف والتحري .

(٤) أبو العلاء وما إليه ص ٢٧٥ وفيه : « بحر الزجر » .

(٥) ذكره القفطي وياقوت والذهبي وابن العديم وغيرهم ، انظر تعريف القــدماء الصفحات ٤٢ ، ١٠٩ ، ٢٠٢ ، ٥٣٧ .

(٦) تعريف القدماء ص ١١١ عن إرشاد الأريب . .

٩٦ — مبهج الأسرار : لأبي العلاء ؛ هكذا قال في كشف الظنون ؛ ولم يبين ما هو .

٩٧ — مثقال النظم : في العروض ، جزء واحد [١] .

٩٨ — مجد الأنصار : في القوافي . كذا في ياقوت والصفدي . وقال ابن العديم : « وكتاب في القوافي مجلد » [٢] .

٩٩ — كتاب المختصر الفتحي :

يتصل بكتاب محمد بن سعدان الكوفي النحوي المتوفى سنة ٢٣١ هـ ؛ عمله لأبي الفتح محمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن ابي هاشم ، الذي كان أبوه تولى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب . وجاء في بعض الكتب : « المختص الفتحي » وفي بعضها المختصر الفسيحي [٣] .

١٠٠ — كتاب مختلف الفصول : نحو أربعمائة كراسة ، ذكره الذهبي [٤] .

١٠١ — كتاب ملقى السبيل :

وهو كتاب وعظ ، يشتمل على نظم ونثر على حروف المعجم ، على كل قافية فصل نثر ، وأبيات شعر ، مقداره كراستان ، وفي كشف الظنون والقفطي : أربع كراسات ، وقال الذهبي : مقداره ثمان ورقات [٥] ، وقد طبع هذا الكتاب في مصر .

---

(١) ذكره ياقوت وابن العديم وغيرهما ، انظر تعريف القدماء ص ١١١ ، ٥٤٠ .

(٢) انظر ياقوت والصفدي وابن العديم في تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات ١٠٤ ، ٢٧٥ ، ٥٤٠ ، عن معجم الادباء ، والوافي بالوفيات ، والإنصاف والتحري .

(٣) ذكره القفطي وياقوت والذهبي وابن العديم وغيرهم . انظر تعريف القدماء الصفحات ٤٧ ، ١٠٩ ، ٢٠٣ ، ٥٣٩ .

(٤) تعريف القدماء ص ٢٠١ عن تاريخ الاسلام — للذهبي .

(٥) انظر القفطي والذهبي في تعريف القدماء الصفحات ٤٣ ، ٢٠٢ .

١٠٢ — كتاب المواعظ الست :

وهو كتاب لطيف ؛ سأله فيه بعض الوعاظ ، ومعنى هذا اللقب أن الفصل الأول منه : في خطاب رجل ؛ والثاني : في خطاب اثنين ؛ والثالث : في خطاب جماعة ؛ والرابع : في خطاب امرأة ؛ والخامس في خطاب امرأتين ؛ والسادس : في خطاب نسوة . ومقداره خمس عشرة كراسة ، وفي كشف الظنون : « المواعظ السنية » أوله : الحمد لله الذي عرف وفهم .. » وفي القفطي : « يعرف بمواعظ الست » . وفي الذهبي : « مواعظ ، خمس عشرة كراسة [١] » . .

١٠٣ — كتاب تفسير شواهد الجمهرة : ثلاثة أجزاء لم يتم [٢] .

وقد تقدم أن لأبي العلاء أمالي مقدارها مائة كراسة لم تتم ؛ ولم يفرد لها اسماً ، منها : « تفسير شواهد الجمهرة » .

١٠٤ — نظم أو نظام السور :

وقد تقدم في نظم السور [٣] .

١٠٥ — كتاب وقفة الواعظ :

مختصر ، ونقل عن الذهبي : « فقه الواعظ » ، وفي بعض نسخ ياقوت : « وقعة » والظاهر أنه (وقفة الواعظ) كما رواه ابن العديم ، وياقوت ، وابن قاضي شهبة ، والقفطي [٤] .

---

(١) انظر القفطي والذهبي في تعريف القدماء ص ٤٣ ، ٢٠٢ .

(٢) ذكره ياقوت والصفدي انظر تعريف القدماء الصفحات ١٠٣ ، ٢٧٥ عن إرشاد الأريب ، والوافي .

(٣) انظر ما سبق ص ٢١٤ .

(٤) انظر الذهبي وابن العديم وياقوت والقفطي في تعريف القدماء الصفحات ٢٠٢ ، ٥٣١ ، ١٠٤ ، ٤٣ .

وذكر له ياقوت كتاباً في الرسائل الطوال ، فيها (رسالة الغفران) بعد أن ذكر ما تقدم في ديوان الرسائل . ونقل عن جماعة من أصحاب أبي العلاء ، أن له بعض كتب في العروض والشعر ، بدأ بها ولم تتم .

وذكر ابن العديم أن أبا العلاء جمع شعر أخيه أبي الهيثم عبد الواحد لولده زيد ؛ وقد توفي أبو الهيثم سنة ٤٤٢ هـ . وأنه جمع شعر الأمير أبي الفتح بن أبي حَصينة السلمي ، وشرح مواضع منه في ثلاث مجلدات [١] .

وأنا أقول : لعله جمع شيئاً من شعر أبي الفتح ؛ لأن أبا الفتح توفي سنة ٤٥٧ هـ بعد وفاة أبي العلاء بنحو ثماني سنوات . ورثى أبا العلاء بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

العِلْمُ بَعْدَ أبي العَلاءِ مُضَيَّعُ . . . . [٢]

وقد وجدت مجموعة من شعر الأمير أبي الفتح في مكتبة الأسكوريال في أسبانيا ، ونُقِلَتْ بالتصوير إلى مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق ؛ وهي تحتوي على (١٧٣) صفحة وفيها (١١٥) قصيدة ومقطعة من شعره ؛ كلها في مدح الأمير ثمال بن صالح بن مرداس .

ووُجدت مجموعة أخرى في مكتبة دار الآثار في بغداد ، وهي أقل شعراً من نسخة دمشق ؛ إلا أنها أجزل فائدة ، وهي مجلدة واحدة . وقد كتب في الصفحة الأولى منها : « النصف الأول من ديوان الأمير الجليل أبو الفتح [كذا] الحسن بن عبدالله بن أحمد بن أبي حصينة السلمي . . . »[٣] .

وفي الصفحة الثانية : « بسم الله الرحمن الرحيم . قال الشيخ الأجل الأوحد أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي — رحمه الله — :

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٤١ عن الإنصاف — لابن العديم .

(٢) ديوان أبي الفتح ج ١ ص ٣٧٣ وهي قصيدة تشتمل على ستة عشر بيتاً .

(٣) قام بتحقيق ديوان أبي الفتح بن أبي حصينة الدكتور أسعد طلس وتم نشره بجزأيه في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٧ م .

الدهر مديد طويل ، يجوز أن يحدث فيآخره كما حدث في أوله ، لأن الله سبحانه قدير على الممتنعات ، كلما حكم به فهو آت . تقدست أسماؤه ، وجلت نعماؤه ، ولا يمتنع أن ينشىء في هذا العصر من الشعراء من هو لاحق بالمتقدمين ، وشبيه مَنْ سلف من الفحول الأولين . وكان مولاي الأمير الجليل أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة ، سألني أن أسمع شعره ، فقرىء علي ما أنشأه من أنواع القريض ؛ فوجدتُ لفظَه غيرَ مريض . ومعانيه صحاح مخترعة ، وأغراضه بعيدة مبتدعة ؛ وهو وإن كان متأخراً في الزمان ، فكأنه من فرطٍ في عهد النعمان . ومَنْ سمِعَ كلامَه علم أنه لم يغير شهادة ، ولا خرم في إبداع الكلم سيادة .

والحمد لله الذي خص بمدائحه السيد الأجل ، تاج الأمراء ، فخر الملك — أعز الله نصره ، وأعلى ذكره — وقد جمع الله الألسن على مدائحه كل لسان ، يبلغ مجهود الإنسان . فعييٌ يقدر على كلام قليل ، وبليغ يصل إلى المقام الجليل . وثالث يقتصر على النيّة ، ويأمل بهـا بلوغ الأمنيّة . وما زالت العرب في قديم الزمان تفتخر بالشعر وتجله ، ويعظمه مكثر الحي ومقله . وإنما عرضت الملوك أموالها للأعطية ، راغبة في ثناء باق ، واستعباد من لا يجنح إلى الإباق . ويتفق في الزمان الواحد شعراء كثيرة ، لا يحمد منهم إلا قول الرجل أو الرجلين .

وقد كان علي بن عبد الله بن حمدان ، أقام سوقاً للشعراء ، وتفرد بتقريبهم دون الأمراء ؛ فرحل اليه قريبهم والبعيد ، والتمس عنده النوال الرغيب لا الزهيد . فمـا اشتهر منهم إلا نفر قليل ؛ منهم أحمد بن الحسين المتنبي ، وأحمد بن محمد النامي ، والحارث بن سعيد المعروف بأبي فراس ، ورجل يعرف بابن كاتب البيكتمري ، وهو أقلهم حظاً في مسير القصيد . ولمـا كان السيد الأجل ، تاج الأمراء ، فخر الملك ،

مبرزاً في الفهم ، خالص الغريزة من التهم ، يعرف عقود الكلم معرفة الصيرفي — فيض الله له سبحانه من يشفي الغلة ، ويخلص مدى الدهر من الخلة — فحديثه يعبر على الدهور ، وإلى أن يؤذن بنفخ الصور . وقد قال القائل [1] :

يَمُوتُ رَدِيءُ الشِّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ … وَجَيِّدُهُ حَيٌّ وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ

قال الأمير الجليل أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن أبي حصينة السلمي — أيد الله عزه — يمدح الأمير الأجل تاج الأمراء فخر الملك ، سيف الخلافة وعضدها ، شرف المعالي ؛ بهاء الدولة العلوية ، وزعيم جيوشها المستنصرية ، علم الدين ذا الفخرين ، مصطفى أمير المؤمنين ، أبا العلوان ثمال بن الأمير الأجل أسد الدولة ، ومقدمها وناصحها ، أبي علي صالح بن مرداس السلمي ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه . وأنشدت بالرافقة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة :

هَلْ بَعْدَ شَيْبِكَ مِنْ عُذْرٍ لِمُعْتَذِرِ … فَازْجُرْ عَنِ الغَيِّ قَلْباً غَيْرَ مُنْزَجِرِ

ثم ذكر بعدها قصائد يبلغ عددها ٦٢ ، وتزيد بيوتها على (١٧٠٠) بيت .

وذكر له قصيدة قالها في شعبان سنة ٤٣٧ هـ وقصائد قالها سنة ٤٥٠ هـ .

وفي ص ١٠٣ من هذه النسخة : « شرح ديوان ابن [2] حصينة ، للعلامة أحمد بن سليمان الشهير بأبي العلاء المعري — سامحه الله — . . . » .

وفي ص ١٠٤ : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الشيخ الأجل الأوحد أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري — رحمه الله — في شرح القصيدة التي أولها :

---

(١) البيت لدعبل الخزاعي ، انظر العمدة ج ١ ص ٧٣ .

(٢) كذا . (ج)

هَلْ بَعْدَ شَيْبِكَ مِنْ عُذْرٍ لِمُعْتَذِرِ . . . .

قوله : ما البيض ، يجوز فيه الرفع والنصب ؛ أما النصب فعلى أن يجعل مفعولا معه ؛ والرفع أجود . وهـذا البيت ينشد على وجهين ، قال الشاعر [١] :

فَمَـا أنا والسَّيْرُ في مَتْلَفٍ يُطِيحُ بِالذَّكَرِ الضَّابِطِ

وقوله : عن وجد يخامره ، أي يخالطه ، وأصل ذلك من خمرة اللبن . وأصل المخامرة أن تكون بين شيئين يصيب كل واحد منهما الآخر ما يصيبه منه . فأما قولهم : مخامر بمعنى مداج ؛ فانما يريدون به كالذي يستتر بالخَمَر وهو ما واراك من شيء . قوله : بشعب تمار ، الشعب : الطريق في الجبال ، وتمار : اسم جبل ، وهي تؤنث . قال الشاعر :

أَقْفَرَتْ مِنْ سُرُوبِ قَومي تَعَارُ فَأَرُوم فَشَابَـةٌ فَالدِّيَارُ

والضال : وهو غير مهموز ما ينبت من السدر على غير شط نهر ، فإن كان على الماء فهو عبري . وأصل الأعشار من قولهم : قدر أعشار ، إذا كانت مكسرة قد تشعبت . وهو من جنس قولهم : حبل أرمـاث وأرمام . وأما قول الأعشى أو امرىء القيس : « في أعشار قلب مقتل » فقد قيل قولان : أحدهما ، أن يكون من أعشـار القدر أي قلبه قد تقطع فكأنه أعشار قدر . والآخر أن يكون من أعشار الجزور ، وهي الأنصباء التي يضرب عليها بالقداح . والمرخ : شجر كثير النار ، من قولهم : اقدح بمرخ أو عفار . ثم اشدد يديك أو ارخ . وأصل الحج :

---

(١) هو أسامة الهذلي وروى : « يبرح بالذكر . . » . (ج)

القصد ، يقال : حج القوم الرجل ، إذا كثر التردد اليه . قال الراجز يصف فرساً بقوله :

ظَلّ يَحُجّ وَظَلَلْنـا نَحْجُبُه   وَظَلّ يَرْمي بالحصَى يُتَرّبُه

• • •

وقد نشرت مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق في الصفحة ٥٢٦ من الجزء الرابع من المجلد الرابع والعشرين جملة من كلام أبي العلاء في مقدمة هذا الشرح ؛ وجملة من الشرح نفسه . وقد نقلنا طائفة من ذلك لنستدل بها على أمور :

١ — أن الأمير أبا الفتح هو سأل أبا العلاء أن يسمع شعره ، فقرىء عليه ما أنشأه من القريض . وظاهر هذا أنه سمع كل ما كان نظمه إلى ذلك الحين .

٢ — من القصائد التي سمعها ما كان نظمها في سنة خمس وأربعين وأربعمائة . ولم يتيسر لنا الوقوف على الشرح المذكور كله ، لنعلم هل كان فيه ما نظم بعد هذا التاريخ أم لا .

٣ — إن ابن العديم قال : « إنه جمع شعر أبي الفتح وشرح مواضع منه . . . » . ولعل لفظ « جمع » محرف عن لفظ « سمع » لقول أبي العلاء في مقدمة الشرح المذكور : « سألني أن أسمع شعره ، فقرىء علي ما أنشأه . . » . وهذا يدل على أن شعره كان مجموعاً وقرىء على أبي العلاء بعد جمعه .

٤ — ان ما تقدم يؤيد ما قلناه من أنه جمع (سمع) شيئاً من شعره ، لا شعره كله ؛ لأن الأمير عاش بعد أبي العلاء ونظم شعراً ولم يسمعه أو يجمعه أبو العلاء ، ومنه مرثيته .

٥ — يتضح من الأمثلة المتقدمة ، أن أبا العلاء شرح الكلمات الغريبة ، وعني ببيان وجوه الإعراب ، وردّ الكلمات إلى أصولها ، والإشارة إلى

المناسبة التي بين المعنى الأصلي ، والمعنى الذي يريده الشاعر ؛ ولا نعلم ما في بقية الشرح لنستطيع الحكم عليه .

* * *

مجموع كتبه وتآليفه

لم تتفق كلمة العلماء على مقدار ماله من الكتب والتصانيف ؛ وإنما كان بينها تفاوت عظيم . فقد قال القفطي ، بعد أن ذكر كتبه : « فذلك الجميع خمسة وخمسون مصنفا . العدد بتقريب ، سوى ما لم يذكره ، أربعة آلاف ومائة وعشرون كراسة » ثم قال : « وأكثر كتب أبي العلاء هذه عدمت ، وإنما يوجد منها ما خرج من المعرة قبل هجوم الكفار عليها ، وقتل من قتل من أهلها ، ونهب ما وجد لهم ؛ فأما الكتب الكبار التي لم تخرج من المعرة فعدمت وإن وجد شيء منها فإنما يوجد البعض من كل كتاب »[1] . ثم ذكر طائفة من الكتب التي رآها أو سمع بها .

وقال ابن العديم بعد أن ذكر كتب المعري : « فذلك جميعه سبع وستون مصنفا » .

وقال ابن حجر في (لسان الميزان) : « إن تصانيفه نحو مائتي مجلد »[2] .

آخر كتب أبي العلاء :

توهم بعض الأدباء أن آخر ما ألفه أبو العلاء هو شرحه لشعر الأمير أبي الفتح ؛ واحتج لذلك بأن ابن العديم ذكره في آخر ما ذكره من كتب أبي العلاء . وهذا وهم أو باطل ؛ لأن ابن العديم لم يلتزم فيما ذكره من الكتب ترتيب السنين ؛ فقد ذكر (ضوء السقط) قبل (لزوم ما لا يلزم) و (زجر النابح) و (نجر الزجر) وغيرها وقد قدمنا أنه آخر ما ألفه وخاتمة كتبه .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٨ – ٩ ؛ عن إنباه الرواة – للقفطي .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣١٨ عن لسان الميزان وفيه : « وتصانيفه في اللغة والأدب أكثر من مائتي مجلد » .

تفننه في تسمية كتبه

لأبي العلاء ذوق خاص بتسمية كتبه ، يرمي بها إلى ما يريده من الأغراض . وإذا تأملت أسماء كثير منها تبين لك ما يتوخاه من التسمية .

فقد سمى كتابا (تاج الحرة) لأنه في عظات النساء . وسمى كتاباً في العروض (جامع الأوزان) وسمى ما أصلحه وشرحه من شعر البحتري (عبث الوليد) وشَرْحَ ديوان أبي تمام (ذكرى حبيب) وشَرْح ديوان المتنبي (معجز أحمد) ، وسمّى الديوان الذي فيه شعر الصبا ، وباكورة شعره (سقط الزند) وشرحه (ضوء السقط) ، وسمّى كتابا (لزوم مالا يلزم) ، وسمّى الكتاب الذي رد فيه على من انتقده في لزوم ما لا يلزم (زجر النابح) ، وسمّى الآخر (نجر الزجر)، وسمّى كتابا (تظلم السور) ؛ وهكذا جرى في تسمية كتبه . وإذا تأمل الإنسان ما يورّي عنه بهذه الأسماء ، وما يعرض بها ، عرف ما يريده واضعها منها ، ووجد فيها وخزاً أليما ، وامتهاناً عظيماً لخصومه .

على أن أكثر كتبه لم نطلع عليها ، لنفهم ما بين الاسم والمسمّى من المناسبة فهماً تاما ، وندرك الغاية من التسمية التي حملته على أن يسمي (رسالة الضبعين) و (الصاهل والشاحج) و (القائف) وما أشبهها . ومع ذلك فإن القدر الذي عرفناه من بعضها كاف في الدلالة على أن للمعري ذوقاً لطيفاً ومغزى دقيقاً في تسمية الكتب .

تفننه في أشكال كتبه وأوضاعها وأساليبها

لأبي العلاء خيال واسع ، وفكر جوال ، وقريحة فياضة ؛ وهو حي نام في خياله وفكره وقريحته ؛ نزّاع إلى الابتكار والتجديد في كل شيء ؛ مولع بالافتنان في كل أثر يحدثه . وقلما نجد له كتابا أو رسالة أو

قصيدة ليس عليها مسحة من ابتكار وتفنن ، سواء أكان ذلك في صوغ الأثر وترتيبه ، أم في معانيه وأخيلته .

وإذا تأملت ما سبق ذكره من كتبه ، على قلة ما عرفنا حقيقته منها ، لم تجدها كلها مطبوعة على غرار واحد ، من حيث التأليف والترتيب والأسلوب والشكل ؛ بل لا تكاد تجد اثنين منها على نمط واحد .

فمنها ما ألفه على غايات وفصول على حروف المعجم .

ومنها ما بناه على الهمزة والردف ، وعلى الهمزة في حالة انفرادها وإضافتها .

ومنها ما التزم فيه ذكر آية أو أكثر من آيات القرآن الكريم عند انقضاء كل فصل .

ومنها ما التزم في آخر كل فصل منه ياء التأنيث ، أو الكاف ، أو النون بعد ياء التأنيث .

ومنها ما التزم فيه على كل حرف من حروف المعجم خمس سجعات مضمومة ، وخمساً مفتوحة ، وخمساً مكسورة ، وخمساً موقوفة .

ومنها ما جعل الفصل الأول منه في خطاب رجل ، والثاني في خطاب اثنين ، والثالث في خطاب ثلاثة ، والرابع في خطاب امرأة ، والخامس في خطاب امرأتين ، والسادس في خطاب نسوة .

ومنها ما جعله عشر سجعات على كل حرف من حروف المعجم .

ومنها ما التزم فيه قبل الروي ما لا يلزم من الحروف .

ومنها ما جعله على ألسن سور القرآن الكريم .

ومنها ما هو على لسان مَلَك أو ملائكة .

ومنها ما هو على لسان ألسنة الخيل .

ومنها ما هو على لسان بغل وفرس .

ومنها ما هو على ألسن الحمائم ، والعصفور ، وغيرهما من الطير .

إلى غير ذلك مما تقدم ذكره . ومنها رسائل أو كتب لم نطلع عليها لنعلم ما هي (كأدب العصفورين) . و (الضبعين) وغيرهما . ولكن هذا القدر القليل الذي رأيناه في رسائله وكتبه التي وصلت الينا ، أو عرفناه من التعريف بها ، يدلنا على أن لأبي العلاء خيالاً خصبا ، وفكراً فياضا ، وذوقاً سليما ، وقدرة على أن ينفث في روح الجماد أو الحيوان الأعجم حياة وشعورا ، ويبعث في كل منها عقلا حتى ينطق بالحكمة الرائعة والكلم الطيب . وأنه يستطيع أن يفرغ كل رسالة أو قصيدة في قالب بديع تصبو اليه النفوس . ويلبس كل موضوع حلة قشيبة تأخذ بمجامع القلوب . وأنه مطلع على كل علم ، مضطلع بكل فن .

عنايته بآثاره

عرف أبو العلاء ما لآثاره من القيمة العلمية والأدبية ؛ وعرف أن الناس يحسدونه على فضله ؛ وانه لا يسلم من كيد الحساد . وعرف أن غيره لا يحسن التصرف بآثاره كما يحسنه هو ؛ وأن كثيراً من الناس لا يستطيع أن يدرك مراميه البعيدة ، ومقاصده الدقيقة ، وخشي أن يقع منها شيء إلى قليل المعرفة أو كثير الكيد والحسد ، فتولى بنفسه ترتيبها ، وتبويبها ، وتفسير المبهم وإيضاح المشكل منها ؛ حتى لا تعبث بها أيدي الجهال أو الحساد . ولذلك نراه شرح سقط الزند ، ومواطن من اللزوم ، وفسر كثيراً من الفصول والغايات وغيرها مما يخشى عليه التلاعب والعبث والجهل . وتولى الرد على الطاعنين فيها ، أو العابثين بها ، أو المحرفين الكلم عن مواضعه فيها .

ولقد أحسن صنعاً بذلك إلى نفسه وإلى أدبه ، وإلى الأدب العربي عامة . غير أن الأيام لم تحسن الينا ، فذهبت بمعظم تلك الأعلاق النفيسة ، والعقائل الكريمة ، وفسحت بذلك مجالاً واسعاً للشك والطعن فيه ، وأوقعته فيما كان يخاف منه ويحذره .

* * *

المقالة الرابعة

الكلام في نثره

الشاعر أو الكاتب يستمد معانيه وأخيلته من فيض خاطره ، ومن وحي الطبيعة والبيئة التي تكتنفه ؛ ويحتذي أسلوبه على مثال الزمن الذي يظله . وإذا رزق حظاً من العبقرية والنبغ ، شق لنفسه طريقاً جديدا ؛ ولكنه لا يستطيع أن يتجرد من هذه المؤثرات ، ولا أن يبتعد عنها كل البعد ، مهما حاول ذلك .

وقد ترك أبو العلاء لنا آثاراً نثرية ، وآثاراً شعرية ؛ طبع في كل منها على غرار عصره ، واتخذ لنفسه في كل منها طريقاً طريفا ، ومنهاجاً مبتكرا . ولكنه لم يستطع أن يتجرد عن تأثير البيئة والزمن ؛ فجاء أسلوبه جامعاً بين القديم المتّبع ، والحديث المبتدع . وقد أردنا أن نبين طريقته ، ونذكر خصائصها ، ونواحي التجديد فيها ؛ وما يتوقف على ذلك ، وما يتوقف ذلك عليه ؛ ليسهل على الدارس معرفتها بوضوح واختصار . ولما كان النثر مقدماً في الوجود على النظم ، قدمنا الكلام فيه كما ترى .

نثر أبي العلاء

ظهر أبو العلاء بعد منتصف القرن الرابع للهجرة ؛ وهو الزمن الذي انتهت فيه ترجمة علوم اليونان ، وحِكم الهند ، وآداب الفرس .

ونضج فيه العقل العربي ؛ واستيقظت فيه أفكار الأمة ، وزخرت بحور العلم والأدب ، ونزع الكتاب والشعراء إلى الترف الأدبي ، والتنافس في التأنق والزخرفة ؛ حتى يكاد الإنسان يظن أن كل كتاب أو قصيدة معرض يبين فيه صاحبه ما لديه من براعة وقدرة ، ويظهر ما عنده من حذق ولباقة .

وكانت جمهرة الكتّاب فيه تسير في صناعة الإنشاء على الطريقة التي ارتضاها أعلام الكتاب في ذلك العهد ، كابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ؛ وأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ ؛ والصاحب ابن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ؛ وبديع الزمان أحمد بن الحسين الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ وأشباههم . وإنما استعذبوا هذه الطريقة لما فيها من الطرافة والوشي والتنميق والأخيلة ، ولأنها كما قيل : شعر لا ينقصه إلا الوزن .

وقد حاول أبو العلاء أن يقتفي أثر هؤلاء ؛ ولكن غزارة علمه ، وحدّة ذهنه ، وسعة خياله ، اضطرته إلى أن لا يتقيد بهذه الطريقة من كل وجه ، وأن يتخذ لنفسه طريقة جديدة يكون أبا عذرتها ، شأنه في كل شيء . وقد جشّم نفسه عناء كبيرا ، وألزمها ما لا يلزمها من جراء ذلك . واليك بيان أسلوبه في نثره ، وخصائصه ؛ وما اشتمل عليه من الأغراض والمقاصد، وماتضمنه من الصناعات البديعية والمسائل العلمية وغيرها .

لغته ، ألفاظه المفردة

ذكرنا فيما سبق أن أبا العلاء كان يحفظ كثيراً من مفردات اللغة ؛ واستدللنا على ذلك بالبيتين اللذين رواهما خلف الأحمر لأصحابه ، ثم غيّر أبو العلاء حرف الروي فيهما على جميع حروف الهجاء [1] .

---

(١) هما بيتا النمر بن تولب ، انظر ما سبق ص ٦٠٥ الحاشية (١) .

وبما صنعه تلاميذه حين وضعوا بعض الألفاظ ليختبروا علمه فبيّنها لهم[1] .

وبما ذكره في (رسالتي الملائكة والغفران) وبقية كتبه ، ورسائله التي وصلت الينا ، وهي قلٌ من كثر . وبقوله في مجلس المرتضى : « الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما » . وبقول أبي زكريا التبريزي فيه : إنه « يعرف كل ما تكلمت به العرب » . ونحو ذلك مما يدل على سعة اطلاعه وحفظه .

وذكرنا أنه كان يحفظ كثيراً من أقوال البلغاء . وبيّنا جملة من الدواوين والكتب التي اطلع عليها . وأنه كان كثير الممارسة للغة بسبب الدراسة والتأليف . فكان لا يجد من الوحشة والغرابة في كثير من الألفاظ ما يجده غيره ممن هو أقل منه حفظاً واطلاعا ، وأنزر دراسة ومراسا .

وإن ارتياحه للسجع ، والمزاوجة بين الكلمات في النغم والجرس ، والمطابقة والمقابلة ، وحبه التورية والجناس ، وما ماثل ذلك من الصناعة ، حبب اليه الإكثار من الألفاظ التي يقل تداولها . وربما كان يتعمد ذلك أحياناً ليدل على معرفته ؛ لأنه كان يشرح بعض الألفاظ حتى في رسائله الأخوية . ولم تكن كل كلماته غريبة بالنسبة إلى معاصريه ، لأن التاريخ لم يحدثنا أن أحداً طلب منه إيضاح رسالة كلها أو بعضها ؛ ولا قصيدة أو قطعة بأسرها من كلامه ، لغرابة ألفاظها ؛ وإنما يستوضح منه اللفظ والمعنى .

وربما تعسر عليه وجود مرادف أسهل وآنس مما ذكره ، وهذا سبيله في نثره ونظمه . وقد زعم فريق أنه كان يتعمد إيراد الوحشي والغريب ليخفي تحته مقاصده ؛ وقد بينا بطلان ذلك في الكلام على التقيّة ، وذكرنا أنه استعمل السهل المأنوس ، والواضح المشهور في أمور هي أجدر من غيرها بالإخفاء والتقية .

---

(١) انظر ما سبق ص ٦٠٣ .

خصائص نثره

لا نريد بخصائص نثره أن كل واحدة ، مما سنذكره منها ، لا توجد في كلام غيره على الانفراد ؛ وإنما نريد أن مجموع هذه الخصائص تمثل لنا طريقته في نثره . ولا نرى من توفرت جميعها في طريقته غيره . وهذه الخصائص كثيرة منها :

السجع

كلف كتاب هذا العصر بالسجع ، واستطابوا نغمته ، فتفشى في جميع الطبقات ؛ حتى كان سبباً في انحطاط الكتابة وتأخرها ، لأن بعض الكتاب استجاز لنفسه ما لا يجوز من أجله . وقد غري به أبو العلاء ، وقلّما تخلى عنه حتى في كتبه المطولة ؛ ولعله كان يطرب لتقارب الحروف ، وتوافق النبرات ؛ ويأنس سمعه لوقعها فيه ، ويعجبه مثل قوله : « إذا ضاق القضاء ضاق الفضاء . سعف النخيل ، خير من إسعاف البخيل » . وكثيراً ما اضطره السجع إلى تقديم ما حقه التأخير ، والإطناب في مواضع الإيجاز ، وإيثار الغريب على المأنوس المتداول . على أن قوله في (رسالة المنيح ص ١٢ [١]) : « قد كان فيمن مضى ، قوم جعلوا الرسائل كالوسائل ، وتزينوا بالسجع تَزَيُّنَ المُحْوِلِ بالرَّجْم [٢] . . . » يشعر بأنه لا يستحسن السجع .

---

(١) رسائل أبي العلاء لشاهين عطية .

(٢) المحول : الصبي أتى عليه حول ، والرجم : خطوط الوشم .

صناعة البديع

البديع في نثره ، الجناس :

لأبي العلاء ولع شديد بأنواع من البديع ، فهي تصاحب السجع في كلامه ، لا سيما الجناس ؛ فإنه يكثر في كلامه .

وربما جره حرصه عليه إلى استعمال كلمات ، في المأنوس المتداول مايغني عنها، كقوله : « أينَ النَّثرَةُ منَ النَّثرَةِ والفَرْقَدُ مِنَ الفَرْقَدِ » . وقوله : « الساعي في أثره فارس عصا بصير ، لا فارس عصا قصير [١] » .

لزوم ما لا يلزم :

ولزوم ما لا يلزم ، كقوله في رسالة المنيح : « المعنى الحصير ، في الوزن القصير » ، « إن تَغَزَّلَ فحنين العود أو تَجَزَّلَ فهدير الرعود [٢]..» .

الترصيع :

والترصيع ، كقوله : « ضب الآفن ، لعب الصافن » .

الطباق :

والطباق ، كقوله : « راض صعاب الأغراض حتى ذللها ، فصار حَزْن كلام العرب إذا نطق به سهلا » ، وقوله : « قبض ما شاء وبسط ، وقسط وما أقسط » .

---

(١) النثرة : الفرج الواسعة ، وكوكبان في السماء ، والفرقد : ولد البقرة الوحشية ، ونجم في السماء . وعصا البصير : عكاز الأعمى ، وعصا الثانية : اسم فرس قصير بن سعد اللخمي . والنص من رسالة الاغريض (ج) انظر الرسائل لشاهين عطية ص ٤١ .

(٢) رسائل أبي العلاء ـ لشاهين عطية ـ ص ١٤ .

ومراعاة النظير : كقوله : « خلص من سبك النقد ، خلوص الذهب من اللهب » .

والاقتباس من القرآن الكريم : كقوله في كتابه لخاله أبي القاسم : « كتابي . . . من معرة النعمان ، ولكل نبأ مستقر [1] » .

وقوله من كتاب لأبي طاهر :

« . . . بُشرى تَخِفُّ لها الأحلام ، خِفَّة القَائِلِ وَلا مَلام : يا بُشْرَايَ هَذَا غُلام [2] . . . » .

وقوله في رسالة الهناء : « ولو جاز أن تنشق الطامية لغير الكليم ، لا نفرق لجّها له غير مليم . وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين [3] . . . » .

الاستطراد : عرفه جلال الدين القزويني في (الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح ص ٢٥٢) بأنه هو : « الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به ، ثم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني ... وقد يكون الثاني هو المقصود ، فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه » .

ونقل ابن حجة في (الخزانة ص ٥٥) عن ابن المعتز تعريفه وتفسيره .

وهذا النوع كثير في كلام أبي العلاء ، منه قوله في (رسالته إلى أبي عثمان النكتي ص ١١٣ [4]) من رسائله : « وأما النَّقْصُ فَقَلِيلٌ ، كَقَلِيلَةِ المَقْل » . ثم أورد بيتين لابن قيس الرقيات [5] ؛ ثم ذكر أنه كان

---

(١) رسائل أبي العلاء ـ شاهين عطية ص ٦٧ وآية « ولكل نبأ مستقر » في الأنعام ٦٧/٦

(٢) المصدر السابق ص ٨٦ وفيها : « بشرى لها تخف . . » وآية « يا بشراي هذا غلام » في يوسف ١٩/١٢

(٣) انظر ما سبق ص ٧٣٧ والآية « وغيض الماء ... الظالمين » في هود ٤٤/١١

(٤) الرسائل ـ لشاهين عطية ص ١١٣ ـ ١٢٥ .

(٥) هما : ألا أبلغ أبا إسحاق أني   رأيت البُلق دهماً مصمتاتِ
أري عيني ما لم ترأياه   كلانا عارف بالترهاتِ

يعرف تمويه المختار فَحَدَّثَ في العَسْكَر أنه رأى قوماً على خَيْل بُلْق ، يقاتلون مع أصحاب المختار ... يوم أنهم الملائكة ... ثم عاد إلى رواية ما في البيت الثاني منها من النقص . وقال فيها : وعرفني أنه من أهل البصرة .. ثم ذكر ما قيل في البصرة ، وأن أهلها ينسبون إلى قلة الحنين ، ثم عاد إلى موضوعه الأول .

وفي (الفصول والغايات) ورسائله الأخرى كثير من هذا النوع .

وفي (رسالة الغفران) ذكر الحماطة ومرادفاتها ، ودنانير ، والثمانين ؛ وكان يذكر لكل لفظ ما يتعلق به ثم يعود إلى موضوعه الأصلي .

الأمثال وما يجري مجراها

في كتب أبي العلاء ورسائله عدد عظيم من الأمثال ، وما جرى مجراها من الحكم الرائعة ، والكلام الطيب . وليس استعمالها في كلامه على نمط واحد ؛ وإنما يأتي تارة بالمثل على الوجه الذي ورد فيه ، بلا زيادة ولا نقص ولا تغيير . كقوله : « السعيد من وعظ بغيره . الصَّيفَ ضيعتِ اللبن » .

وتارة يتصرف فيه بزيادة أو نقص بحسب الاقتضاء . كقوله : « يحول الجريض دون القريض [١] . غير أن الرائد لا يكذب أهله . شنشنة من أخزم [٢] » .

(١) الجرض محركة : الريق والغصص ومنه الجريض ، وأجرضه بريقه : أغصه . والقريض : الشعر ، وحال الجريض دون القريض : مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق .

(٢) من رسالته إلى خاله . والشنشنة بالكسر : الطبيعة والعادة . أخزم : هو ابن أبي أخزم الطائي جد حاتم أو جد جده وقد مات أخزم هذا وترك بنيه فوثبوا يوماً على جدهم فأدموه فقال :

إن بـني رملوني بالدم ... من يلق آساد الرجال يكلم
ومن يكن درء به يقوّم ... شنشنة أعرفها من أخزم

المحيط (خزم) . وانظر الرسائل ـ لشاهين عطية ص ٧٥

وأحياناً يضيف من كلامه إلى المثل ما يقاربه في الغرض المقصود منه ؛ ويكسبه جمالاً في اللفظ ، وسعة في المعنى . كقوله : « فإذا أعطيت القوس باريها ، والخيل فوارسها ، والقناة مصرفها ، دحضت قدم الباطل بثبات الحق » .

وقوله في كتابه إلى خاله : « عادت لعترها لميس ، وذَكَّر وجاره ثُعالة [١] .. » وقوله : « ولكل مقام مقال ، ولكل أوان ثمرة ، وفي كل واد سمُرة [٢] » .

وقد يسرد جملة من الأمثال كقوله : « لنفسي أقول : أعييتني بأشر فكيف بدُرْدُر ؛ وعصيتني من شبَّ إلى دب . ليس بعُشِّك فادرجي ... » .

ومن استقرى ما في آثاره التي وصلت إلينا من الأمثال ، يعتقد أنها استوفت معظم الأمثال . وهذا يدل على كثرة حفظه واطلاعه ؛ وعلى قدرته على التصرف ، والاستشهاد بها ، متى أراد ، وفي أي موطن أراد .

وكثيراً ما يأتي بجملة أو جمل تصلح أن تكون مثلا أو قريبة من المثل ؛ كقوله : « إذا حاق القضاء ، ضاق الفضاء . يَنْفَد الثَّغَب بالذُّغَب [٣] . أبى الجلمود قبول الطبع المحمود . ليس للمستعير أن يحسب العارية هبة . إنما نضل الطور بالكليم ، والمقام بابراهيم . أو فاك مغنٍ ما أسديت ؛ وجزاك معترف الذي أوليت . حال الغصص دون القصص » .

---

(١) الرسائل – لشاهين عطية ص ٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٧١ .

(٣) الثَّغَب : غدير في ظل جبل . وأكثر ما يبقى من الماء في بطن الوادي . والذُّغَب : جمع ذُغْبة الجرعة . (ج)

ومما لا ريب فيه أن أبا العلاء أكثر الكتّاب ضرباً للأمثال ، وإرسالاً للمثل والحكمة ، ولو كانت كلها مأنوسة الألفاظ ، بريئة من كلفة السجع لكان منها خير ذخيرة ، وأعظم عدة للمتأدب . وقد تقدم أن له كتاب (القائف) يذكر فيه أمثالاً على معنى (كليلة ودمنة) ولم يتح لنا الاطلاع عليه كله ، لنعلم ما هو ونعرفه .

التاريخ

يلمح بعض الكتاب في رسائلهم إلى شيء من الحوادث العظيمة في التاريخ ؛ ويذكر بعضهم رجالاً اشتهروا فيه بوقائع مشهورة . ولكن أبا العلاء أكثرَ من ذلك حتى يخيل إلى الواقف على بعض كتبه أنه تاريخ ناطق بما وقع في الأيام الغابرة والحاضرة ، وأنه غير مبالغ في قوله :

مَا كَانَ فِي هَذِهِ الدُّنيَا بَنُو زَمَنٍ إِلاَّ وَعِنْدِيَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ طَرَفُ[1]

ولذلك نرى في نثره الذي انتهى الينا ، على قلته ، حظاً وافراً للتاريخ ؛ ويتمثل ذلك لك في (رسالة المنيح)[2] فقد أشار فيها إلى موسى ﷺ وآياته التسع ، وإلى إبراهيم ومقامه ، وآدم ، وما يزعمه الناس في أصل الطيب ، وإلى سليمان والهدهد ، وشداد بن عاد وغيره .

وفي (رسالة الإغريض)[3] حيث ذكر أخا نمير ، وقصيرا ، والعصا ، وعنترة ، وامرأ القيس ، وإخوة يوسف ، وبني سدوس ،

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٩٠ .

(٢) انظر الرسائل — لشاهين عطية ص ٥ — ٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٥ — ٥٣ .

و [بني] عبد المدان وسبأ ، وبني المنذر ، وعمر ، والثريا . ونحو ذلك مما اشتملت الرسالة المذكورة عليه .

وفي كتابه الذي أرسله إلى خاله يعزيه بأخيه ، حيث ذكر الأنبياء من آدم إلى محمد ﷺ ؛ ثم ذكر مصارع ملوك حمير ، وطسما وجديس ، وتغلب الحبشة على اليمن ، وجلاءهم عنها ، وملوك العرب في الشام والحيرة ، ثم ملوك فارس . وذكر جماعة ممن اشتهروا بالجود ؛ وطائفة من الأبطال. وهذه الرسالة تشبه أن تكون تاريخاً للعظماء . ولا أعرف رسالة توسع صاحبها فيها بذكر الحوادث المتعلقة بالإنسان والحيوان والطير كهذه الرسالة[1] .

المسائل العلمية وما اصطلح عليه العلماء

أكثر أبو العلاء في رسائله من ذكر الأسماء التي اصطلح عليها أهل العلوم المختلفة ، والإشارة إلى المسائل العلمية . ففي (رسالة المنيح)[2] ذكر الفاعل ، والمبتدأ ، والخفض ، وهاء العدد ، وما أشبه ذلك من مصطلح النحاة .

وذكر الضرب ، والطويل ، والمنسرح ، والوافر ، والقبض ، والخبل ، والعصب ، وما شاكل ذلك من مصطلح العروضيين .

وذكر الحروف المذلقة ، والمطبقة ، والشديدة ، والرخوة ، والجهر ، والهمس ، ونحوها من مصطلح الصرفيين والقراء .

وفي (رسالته الى أبي الحسين المكتي البصري)[3] ذكر من مسائل العروض ، والقوافي ، والنحو المتعلقة بالأسماء والأفعال والأعلام ، وحروف المعاني ، ما يحمل القارىء يظن أنها رسالة في العروض والقوافي والنحو .

---

(١) انظر هذه الرسالة في رسائله شرح شاهين عطية ص ١٥٧ ــ ٢١٣ .

(٢) انظر الرسائل ــ لشاهين عطية ص ٥ ــ ٣٥ .

(٣) انظر رسالته هذه في الرسائل ــ لشاهين عطية ص ١٠٥ ــ ١٥٢ .

وقد يجد المتأمل في (رسالة الغفران) كثيراً من مباحث اللغة والاشتقاق ، والصرف والنحو . وفي (الفصول والغايات) مباحث جلية في هذه العلوم ، وفي الموسيقا وغيرها . مما يدل على أن أبا العلاء استطاع أن يخضع العلم للنثر كما أخضعه للنظم . وأن يكثر من الإشارة والتلميح إلى مسائله وأحكامه .

النجوم

في القدر الذي وصل الينا من آثار أبي العلاء ، على قلته ، ما يكفي للدلالة على أنه كان واسع الاطلاع في معرفة النجوم ، وما يتصل بها مما هو معروف في عصره مستطاع لمثله . وأنه يجيد استعمال أسمائها وما اليها في كلامه . ففي (رسالة المنيح) [١] ذكر الشمس ، والقمر ، والسهى ، والغفر ، والجوزاء ، والجبهة ، والقطب ، والنسر ، والمشتري ، والزهرة ، والسرطان ، وزحل ، والسماك ، والعيوق ، وسهيلا ، والنعائم وغيرها .

وفي (رسالة الإغريض) [٢] ذكر كثيراً من غير ما تقدم ، كالثريا ، والبطين ، والشرطين ، والرشاء ، والنثرة ، والفرقد ، وسعد الأخبية ، وغيرها .

وفي (ج ١ ص ٣٩٤ من الفصول والغايات) ذكر طائفة كبيرة منها ، وهو لا يذكر كوكباً حتى يوطىء لذكره ، ويحكم المناسبة لوضعه ، ويحسن استعماله فيما يريده من الأغراض ، وما يتوخاه من النكت البديعية كالجناس والتلميح والتورية وغيرها .

---

(١) انظر الرسائل — لشاهين عطية ص ٥ — ٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٥ — ٥٣ .

الترادف

يظهر للمتأمل أن أبا العلاء كان يحب أن يظهر ثروته الأدبية والعلمية واللغوية في كل موطن ؛ وأنه يروقه تعاقب الكلمات المزدوجة في الوزن ؛ ويسره تتابع الألفاظ المتقاربة في الجرس ؛ ويطربه تقوية المعنى الواحد بإيراده في صور مختلفة من الألفاظ ، وأن في ذلك كله مظهراً من مظاهر الترف العلمي ، والقدرة على الافتنان في الألفاظ والمعاني .

فترى مثل قوله [١] في رسالة كتبها إلى صديق له سأله أن ينقصه في ترتيب المكاتبة : « فإذا أعطيت القوس باريها ، والخيل فوارسها ، والقناة مُصَرِّفَها ... » وقوله فيها : « ولما كان هو وسيدي قمرين في طُفاوة ، وشمسين في هالة ، وبشْرَيَيْن في كامة ... » وهو يريد من قوله الأول : إذا أخذ الشيء من يستحقه . وهذا القدر يحصل من قوله أعطيت القوس باريها ، أو من إحدى الجملتين اللتين بعدها . ويريد من الثاني : أنهما في منزلة واحدة ؛ وهذا المعنى يحصل من قوله : قمرين في طفاوة ، أو ما بعده .

ومن هذا النوع قوله في كتاب يشفع فيه في عامل يعرف بالحسين بن عنبسة : « فأنا ... وهذا الرجل فَرْعا سَمُرة ، وقضيبا أراكَة ، وطائرا وكر ، وأليفا واد ؛ تنصرنا الغمامة الواحدة ، وتضيء لنا اللمعة الفاردة ؛ بل نزيد على هذا التمثيل فنكون بناني يد ، وريشتي جناح ، وشعبتي غصن ، إذا أماله النسيم ملتْ ، وإن اعتدل له اعتدلتْ [٢] .. » .

وهذا كثير في كلامه ، والحصول عليه ليس بالأمر السهل ؛ لأنه يحتاج إلى فكرة وقادة ، وقريحة فياضة ، وحافظة لا يغيب عنها شيء ،

---

(١) الرسائل ـ لشاهين عطية ص ٦٢ ، ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٨ .

واطلاع واسع ، وقدرة على الانتقاء والتأليف ، ومراعاة السجع والجناس ونحوه ؛ وإلى ذوق سليم يحسن جمع الشيء إلى ما يشابهه أو يقاربه ؛ ويحكم المناسبة بين الشيء ونظيره ، وقلما تيسر هذا كله لغير أبي العلاء . وإكثاره من ذلك دليل على أنه أوتي من المواهب الفطرية والكسبية ما لم يتسن لغيره ؛ ولذلك حسده الناس على فضله .

الاستقصاء

من آثار ثروته اللغوية والعلمية ما تراه من الاستقصاء في البحث ، وذكر المتشابه ، والمتقارب ، والمضاد ، والمخالف ، وما أشبه ذلك . فقد تمر به الكلمة فيلح عليها بالبحث ، حتى لا يكاد يدع شيئاً يتعلق بها أو بحكمها إلا أتى عليه .

وأظهر موطن رأيته يتجلى فيه ولعه بالبحث والتحقيق ، وقدرته على التقصي وإيراد الأشباه والنظائر ، والشواذ والنوادر ، والاستشهاد على كل ما يورده من الأحكام الموافقة والمخالفة ، (رسالة الملائكة) فإنها تدل على أن صدره وعى كل شيء ، وحافظته لم يفتها شيء ، وذاكرته لم يغب عنها شيء ؛ وإذا رجعت إلى ما كتبه فيها في « اياك » و « مهيمن » و « آية » و « اسم » و « اثنين » و « سيد » وجدت أعظم مما تتوقع .

وذكر في أول (رسالة الغفران) لفظ « الحماطة » ثم أتبعه بلفظ « الحضب » و « الأسود » و « الأبيضين » وفسّر كل واحد منها ، وبيّن ما يتعلق به ، واستشهد لقوله وقال : « إن في منزله لأسود » وعلى ذكر الأسود سرد طائفة من أسماء من اشتهر أو اتصف بالأسود ، أو سويد ، أو سودة . وذكر جملة من معاني الأبيضين في (ص ٨)[1]

(١) هذه الصفحات وما يتلوها مما يحيل إليها المؤلف هي في الرسالة طبعة أمين هندية سنة ١٣٢١ .

وذكر في (ص ١٩٥) منها كلمة « الدنانير » وعلى ذكرها ذكر دنانير مصر التي قالها معاوية لعمرو بن العاص . والدنانير التي ألغز عنها الشاعر ، والدنانير التي ذكرها في شعره كل من المرقش ، والنابغة الجعدي ، ورداد الكلابي ، وابن قيس [الرقيات] ، وقيس بن الخطيم ، وربيعة بن المكدم ، وسحيم ، والأخطل ، والضبي ، والمتنبي .

وذكر آية من القرآن الكريم فيها لفظة الدينار وأبياتاً من الشعر ذكر فيها الدينار أو الدنانير ؛ وأشار إلى الحوادث المرتبطة بها . كما ذكر دينار النخة وهو ما يأخذه المصدق إذا فرغ من الجباية . ولو شاء الإنسان أن يجعل مما أورده في الدينار أو الدنانير رسالة مستقلة لاستطاع . وبعد أن ذكر ذلك عاد إلى غرضه الأول في رسالة الغفران .

وفي (ص ٢٠١) ورد في عرض كلامه لفظ « الثمانين » فذكر أبياتا فيها لفظ الثمانين لكل من الأعشى ، وعروة بن حزام ، وللعلوي البصري ، والسنبوي ، وهمام بن غالب ، وعوف بن المحلم ، والعتريف ، وذكر مثلا فيه لفظ الثمانين ، وقرية تعرف بثمانين . وفي (ص ٢٠٤) ذكر « الأخت » وأورد طرفا مما يتعلق بهذا اللفظ . وفي رسالة الغفران كثير من مثل ذلك .

وقد يمر بالكلمة فيذكر جملة من المعاني التي وضعت لها ، أو المواطن التي استعملت فيها ، أو المعاني التي يجب أن تصرف إليها وتحمل عليها . كما ترى ذلك في لفظ (التاج) ، (والفريد) ، (والقضيب) ، (والمرجان)[وهي أسماء] كتب ابن الراوندي التي ذكرها في (رسالة الغفران ص ١٥٧) فما بعدها . وقد يناقش العلماء أو الشعراء ؛ ويبين مواطن الضعف فيما ذكروه ؛ كما ترى ذلك (ص ٣٨) في لفظ « بعض » ولفظ « تأتاله » الآتي ذكرهما في مبحث النقد في كلام لبيد .

وكلامه في (رسالة الغفران في ص ٦٩) في لفظ « البواسن » ، وفي (ص ٧١) في كلمـــة « إوزّة » وفي (ص ١٩٠) في لفظتي « أنطاكية وملطية » يشعر بأنه كان مولعا بالبحث عن أصل الكلمات الذي اشتقت منه ، وعن أوزانها . وكذلك قوله في كلمة « ميهة وإياة ، وأناسي وإنسان » .

وفي (الفصول والغايات ص ٨٩) تصدى إلى ذكر الثقيل والخفيف من طرائق الغناء ، فاستوفى أقسامها وأوزانها . وفي (ص ٩٠) تعرّض إلى ذكر « الألف » فاستوفى أحكامها متوسطة ومنتهية . وذكر « الفاصلة الكبرى » فأفاض في العروض من (ص ١٣١ إلى ص ١٣٩) ثم عاد إلى الكلام فيه من (ص ١٤٤ إلى ص ١٤٦) ومن (ص ٣١٨ إلى ص ٣٢١) .

وفي جوابه إلى أبي الحسين النكتي استوفى كل ما يتعلق بتغيير الأسماء وقصْرها ومدها ، وما يعتريها من الضرورات . كما بينا ذلك في مواضعه ؛ وفي كتبه كثير من مثل هذا .

الخيال في نثره

١ لا نغالي إذا قلنا : إن أبا العلاء أخصب الكتّاب خيالاً ، وأبرعهم في إحكام الصور المتخيلة والتفنن فيها ؛ وسيأتي في شعره ما يدل على مدى خياله في النظم .

أما نثره فإن ما جاءنا منه قليل ، وهو ، على قلته ، يدل على أن مداه واسع ، وأن فيه قدرة على ابتكار الصور الرائعة . وأظهر موطن يمثل ذلك — فيما رأيناه من كتبه — (رسالة الغفران) فقد مثّل فيها القيامة ، وعرض فيها أموراً مما يعتقده الناس فيها ، من جنة ، ونار ، وحوض ،

وولدان، وأنهار، وأطيار ؛ وزاد على أحوال أهلها ما جرى من الخصومة بين ابن القارح وسادن الجنة ؛ وبين العلماء والشعراء والرواة من التناكر في رواية بيت، أو تحريف كلمة عن موضعها، أو نسبتها إلى غير قائلها، أو تفسيرها بغير ما يريد صاحبها .

وأنشأ في الجنة التي أعدت للمتقين من الإنس جنة للعفاريت الذين آمنوا بمحمد ﷺ، وهم من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبل ولد آدم ﷺ وليسوا من ولد إبليس . فيجتمع ابن القارح بشيخ منهم يقال له : الخيتعور، أحد بني الشيصبان أبو هدرش، ولد قبائل بعضهم في الجنة، وبعضهم في النار ؛ فيسأله عن شعر الجن، فيقول له : إن لنا آلافاً من الأوزان، ما سمع بها الإنس ؛ وإني نظمت الرجز والقصيد قبل أن يخلق آدم، وإنه يستطيع أن يملي عليه ألف كلمة على وزن « قفا نبك » رويها مجرور، وألفاً رويها منصوب، وألفاً رويها مرفوع، وألفاً من كل واحدة منها مع الهاء وبدونها، وكل ذلك لشاعر واحد منهم . ثم يسمعه قصيدة على رويّ السين أبياتها ٦٧ بيتاً، وهي بكلام الجن أشبه منها بكلام الإنس مطلعها :

مكة أقوت من بني الدَّرْدبيسْ فما لجنّيّ بها من حسيس[(١)]

ولا شك أن أبا العلاء هو الذي ابتكر هذه القصة، ولم يحتذ فيها على مثال غيره .

وقد زعم صاحب (ذكرى أبي العلاء) أنه اقتبسها من أقاصيص

---

(١) انظر الخبر والقصيدة في الرسالة طبعة أمين هندية ص ٧٥ ــ ٨٢ وفي الرسالة تحقيق بنت الشاطئ، ط ١ ص ١٩٧ ــ ٢١٤ .

الوعاظ ، وليس له فيها غير التنسيق والسخرية[1] . وهذا كلام باطل ؛ لأننا لا نعلم نحن ولا غيرنا في أقاصيص الوعاظ ذكراً لابن القارح ، وصك توبته الذي كان يحمله ، ولا لمحاورته مع خازن الجنة ؛ ولا ذكراً للجعجلول الكفرطابي ؛ ولا أثراً لأبي هدرش وشعره في الجنة ؛ ولا لجنة العفاريت ، وجنة الرجز ، ولم ينقل لنا التاريخ ولا القَصص شيئاً من الأحاديث التي دارت بين عديّ بن زيد ، والأعشى ، والنابغة ، والمرقش ، وغيرهم . ولا ما وقع بين أبي عمرو والمازني والشيباني ، وأبي عبيدة والأصمعي وغيرهم ممن ذكره في (رسالة الغفران) على الوجه الذي ذكره فيها . وجمع بينهم في وقت واحد ، وفيهم من كان بينه وبين من حاوره أعوام كثيرة .

وليس في قصص الوعاظ أن إوزّاً ينقلب جواري ، بأيديهن المزاهر ؛ ولا حية تقرأ القرآن ، وتنتقد قراءة الحسن . ونحو ذلك من القصص والحوادث والرجال الذين ذكرهم فيها .

وإنما تخيل أبو العلاء هذه القصة ، وذكر طرفاً مما يعتقده الناس فيها ليجعلها كأنها حقيقة واقعة ؛ شأن أصحاب القصص الذين يذكرون فيها شيئاً من أسماء الأماكن والأشخاص ليجعلوها شبيهة بالحقيقة . وكلما كانت القصة المتخيلة قريبة من الواقع والحقيقة كانت أدلّ على براعة واضعها .

وقد تخير هذا النمط ليبين فيه ما يريده من النقد والتهكم وغيرهما ؛ لأنه أوقع في النفس من سرد الاعتراض والنقد . ولذلك جعل ابن القارح ينثر على حافتي طريقه جملا من التحقيق ، وطُرفا من النقد والتهكم .

على أن صاحب (الذكرى) لم يلبث أن رجع إلى الصواب ، ونقض حكمه هذا حيث قال (ص ٢٩٥) : « وحسبنا الآن أن نقرر أن

---

(١) جاء في ذكرى أبي العلاء — لطه حسين — ص ٢٩٤ — ٥ ما نصه : « لم يخترع أبو العلاء في هذه الرسالة شيئاً كثيراً ، إنما وردت أقاصيص الوعاظ بأكثر ما فيها ، فإذا كان في الرسالة شيء . فهو التنسيق والسخرية . . . » .

هذه الرسالة هي أول قصة خيالية عند العرب . والفرنج يشبهونها بكتاب دانتي الطلياني ، وكتاب ملتن الإنكليزي الذي سماه (الجنة الضائعة) . وعندنا أن لقصة المعراج صلة بهذه الأقاصيص .. » . اهـ

وسواء أكانت لقصة المعراج صلة بها أم لا ، فان القصة خيالية ؛ ولدها خيال أبي العلاء . على أن قصص المعراج متأخرة ، حدثت بعد عصر أبي العلاء . أما المتقدمون من المسلمين فلا يعرفونها منها ، إلا ما ورد في (صحيح البخاري) وغيره من كتب الحديث الصحيحة . وليس في هذه قصة أو شبه قصة تتصل بأبي العلاء أو بدانتي أو ملتن . وقد أثبت جماعة من المحققين المتأخرين أن دانتي وملتن اطلعا على (رسالة الغفران) وطبعا على غرار أبي العلاء فيها .

وقد ذكرنا في كتبه كتاب (الصاهل والشاحج) وهو يتكلم فيه على لسان فرس وبغل . و (رسالة الطير) على نهج (رسالة الغفران) ورسالة على لسان ملك الموت ، وكتاب (خُطب) يتكلم فيها على ألسنة الخيل . وكتاب (تظلّم السوَر) يتكلم فيها على لسان سور القرآن . و (سجع الحمائم) يتكلم فيه على ألسن أربع حمائم . ومقدمة (رسالة الملائكة) . و (رسالة الضبعين) . و (رسالة الهناء) . و (القائف) وغيرها . ولا شك أن كل هذه الكتب أو الرسائل من ثمرات قريحته وخياله ، ولم يتسن لنا الاطلاع على شيء منها إلا رسالة الغفران ، ورسالة الملائكة . وأمثلة قليلة ذكرناها من الصاهل والشاحج ، والقائف ، والهناء ، وغيرها .

وهذا القدر الذي رأيناه يدل وحده على خيال خصب ، وفكر واسع ، وقريحة وقادة ، وقدرة على الاختراع والتوليد . وعسى أن تسامح الأيام بإبراز البقية الباقية من كتبه ، ليتضح للباحث مدى خياله

الأغراض التي تناولها أبو العلاء في نثره

ينقسم نثر أبي العلاء إلى قسمين : علمي ، وأدبي .

أما النثر العلمي ، فهو الكتب أو الرسائل المختصة بعلم واحد أو أكثر ككتبه الموضوعة في النحو ، والعروض ، والقوافي ونحوها . وهذا النوع لم نطلع على شيء منه لنعلم سبيله فيه .

وأما النثر الأدبي فهو كثير ، والذي أمكننا الاطلاع عليه قليل . وقد يتضح للناظر فيه أن أبا العلاء تناول في نثره أغراضاً كثيرة ؛ ولم يقصر همه على غرض معين . فمنها :

المدح

فقد كان يكثر منه في رسائله ، لا سيما الأجوبة منها ؛ لأنه كان يحب أن يعظّم شأن مخاطبه ، حتى يجعله كل شيء وفوق كل شيء .

التواضع

ويلازم هذا المدحَ تواضعُه وتحقيرُ نفسه أمام مخاطبه ؛ فإنه يصغر شأنه ويتضاءل ، حتى يكاد يكون أخفى من السهى ؛ كما يتبين ذلك في (رسالة المنيح) فإنه جعل الوزير أبا القاسم المغربي سيداً حبْراً ، مالكا أعنّة النظم والنثر . وجعل قراءة كتابه نسكاً . وأظهر أن أدبه بالنسبة إلى أدب الوزير كالقطرة في المطرة .

وكذلك جعله في (رسالة الإغريض) « نصب للآداب قُبَّةً صار الشام فيها كشام المعيب ، والعِرَاقُ كميراقِ المشيب »(١) . وجعل نظمه في الذكاء مثل الزهر ، وفي البقاء مثل الجوهر . ووصف كتابه (مختصر اصلاح المنطق) وبالغ في الثناء عليه . وجعل نفسه كهاء الوقف ، وألف الوصل . إلى أن أظهر أدبه وفضله .

ومدح البغداديين في كتابيه إلى خاله وإلى أهل المعرة(٢) . وهذا سبيله في كتابه إلى أبي طاهر (٣) ، وأبي الحسين النكتي(٤) . وفي مقدمة (رسالة الملائكة) وفي (رسالة الغفران) وفي رسائله إلى داعي الدعاة ، والوزير الفلاحي وغيرهما . فهو يغمر رسائله بالثناء على مخاطبه ، كما يغمرها بعواطف الحب والولاء والتواضع .

التهنئة

وفي رسائله رسالة يهنىء فيها بمولود في (ص ٢١٣)(٥) تفاءل له باسمه وكنيته ، وبولادته يوم الجمعة في أيام العجوز عند انقضاء الشتاء ، واستقبال الربيع . ولم تخل هذه الرسالة من طابعه العلمي الأدبي ؛ فانه ذكر فيها ما للفظ الجمعة والعجوز من معان يتفاءل بها وما للزمن من مزيّة . ونثر خلال كلامه شيئاً من الأمثال ، وأشار إلى حديث قَيْلَةَ(٦) [التي وفدت على الرسول ﷺ]

---

(١) انظر الرسائل لشاهين عطية ص ٣٨ وفيها : « .. صار الشأم فيها كشامة المعيب ، والعراق كعراق الشيب » .

(٢) انظر هذين الكتابين في رسائله ـ شرح شاهين عطية الصفحات ٦٧ـ٨١ ، ٨١ـ٨٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٨٤ ـ ٨٧ .

(٤) المصدر السابق ص ١٠٥ ـ ١٥٢ .

(٥) الرسائل ـ شاهين عطية .

(٦) انظر الخبر في ص ٢١٣ ـ ٤ من الرسائل .

وقد قدمنا الكلام على (رسالة الهناء) التي هنأ بها شخصاً ضافه شخص آخر . وهي لم تتجرد من طابعه العلمي الأدبي ، ومن تواضعه وتصاغره . وقد ابتكر فيها قصة الأسد والطائر الجارح ، وأشار إلى رجال معروفين في التاريخ .

الشفاعة

وله رسائل تدل على براعة في الشفاعة ، عند ذوي الكلمة المطاعة ، وقدرة على استمالة القلوب لقبولها . وسبيله فيها أن يحمل المشفوع له بمنزلة نفسه ، ويستميل المشفوع عنده إلى قضاء حاجته ، وقد كتب رسالة إلى بعض أولياء السلطان ، يشفع عنده في صديق له كان عاملاً . استهلها بالدعاء له ، وثنّى باعترافه بالتقصير عما يجب عليه ، ثم أقسم أنه أشوق إليه من الحمامة إلى هديلها ، واعتذر عن تقصيره بترك مكاتبته . ثم بين أنه هو والمشفوع له « فرعا سمرة ، وقضيبا أراكة ، يميل بميله ، ويعتدل باعتداله » كما تقدم[1] ويرغب إليه في إعادته إلى أعماله ، بأسلوب يلين الصخر ، ويفعل فعل السحر ، وهو موسوم بسمته العلمية أيضاً . وكتب رسالة أخرى في محبوس ذبح لص أربع دجاجات لأمه الفقيرة ، وبيّن منزلتهن عندها ، وأن تأخر إطلاقه يفضي إلى أن يسرق الدقيق وغيره .. واستطرد إلى ذكر الدجاج الذي زعم الاسكندر لملك فارس أنه كان يبيض ... ولم تخل هذه الرسالة من أمثال سائرة ، وطرف نادرة ، وتهكم شديد ، شأن أمثالها من رسائله .

---

(١) انظر ما سبق ص ٨١٦ .

التعزية

رأيت في رسائله رسالتين في التعزية :

إحداهما : كتبها بعد وفاة أمه إلى خاله أبي القاسم يعزيه فيها [١] . وهذه الرسالة تفيض بالأسى ، وتنم على حزن عميق ، ولوعة متقدة . وقد مزج فيها حمد الله بالدمع ، واستك سمعه ، وثقل لسانه وانقطع أمله من كل خير بعد أمه . ولقد أجاد غاية الإجادة في التعبير عن استمرار حزنه حين شبهه بنعيم أهل الجنة كلما نفد تجدد .

وثانيتها : كتبها إلى خاله هذا يعزيه بأخيه أبي بكر [٢] . وهذه الرسالة لا تقل عن سابقتها في إظهار اللوعة والحزن ؛ إلا أنه أوجز في المقال ، ووفى المقام حقه حين قال فيها : « ولو كان الحزن مما يوزن ، ثم وزن أسفي بثبير لرجح به ؛ وأنه لم يبق لي بعد ذلك الشاب لُبٌّ مُمْلٍ ولا لبيب مُسْتَمْلٍ » .

وقد نقم فيها على الدنيا ، واعترض كثيراً من مصارع العظماء من الإنس ومن سباع الوحش ، وجوارح الطير ، وحيوان البر والبحر . على نحو ما ذكرناه في الكلام على هذه الرسالة ، وأثنى على الفقيد فجعله هادياً أميناً ، وأثنى على عقبه ، وقد جمع في هذه الرسالة المدح إلى التفجع ؛ وأفرغها في قالب صحيح ، ولهجة معربة ، وملأها بالقصص والعبر ، ليسلي خاله في مصابه ، ويخفف آلامه ؛ فهو في تعازيه النثرية بارع مثله في مراثيه الشعرية ، ولا تعرف العرب رسالة في التعزية على هذا الطراز قبل أبي العلاء . وقد قدمنا [٣] أن له رسالة في التعزية ، ولكننا لم نطلع عليها .

---

(١) الرسائل - لشاهين عطية ص ٦٧ — ٨١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٧ — ٢١٣ .

(٣) انظر ما سبق ص ٧٣٧ .

الوصف

لأبي العلاء في باب الوصف آيات رائعة ، ومعان طريفة ؛ منها ما هو محسوس ، ومنها ما هو معنوي . أما معانيه المحسوسة فإنه يستمدها مما حفظ ووعى ؛ ولكنه يتصرف فيها تصرفاً بديعاً ، يضفي عليها وشياً محبباً من الرونق والطلاوة . وأما معانيه المعنوية فإنه يستمدها من طبعه الفياض ، وخياله الخصب ، وقريحته المطاوعة ، ومادته الغزيرة . وانك لتراه يجوّد في الأوصاف المحسوسة الدقيقة كأنه يراها ؛ وهذا سبيله في وصفه الشعري .

وصف كتاباً أنفذه إليه الوزير أبو القاسم المغربي ، فجعله « موشّحاً بكل شَذْرَة . أعذَب من سُلافَة المنقود . وأحسن من الدينار المَنْقود . جاء كلوائح البروق ، أو يُوحِ[1] عنـد الشروق » . وجعل لكاتبه « طبعاً راض صعاب الأغراض حتى ذللها ، وأبسّ بوحوش اللغات فأهّلها ؛ فمثله مثل جارسة الكحلاء ، تسمح بالمسائب والملاء ، تطعم الغَرَب ، وتجود بالضَّرَب . وتجني مُرّ الأنوار ، فيعود شهداً عند الاشتيار[2] » ثم قال فيه : « شاهدنا فيما سمعناه المعنى الحصير ، في الوزن القصير ؛ كصورة كسرى في كأس المشروب ، وتمثال قيصر في الإبريز المضروب . لم يُزْرِ به ضيقُ الدار ، وقصر الجدار .. » إلى غير ذلك مما أتى به في (رسالة المنيح) .

---

(١) يوح : علم للشمس .

(٢) المراد بالجارسة : النحلة ، والكحلاء : نبت ترعاه ، والسائب : جمع مسأب ، سقاء العسل ؛ والغرب : شجر ، والضرب : العسل . وقد أشار إلى هذا المعنى بقوله من قصيدة يجيب بها أبا الخطاب الجبلي :

ردت لطافته وحدة ذهنه　　　وحش اللغات أوانساً بخطابه

والنحل يجني المرّ من نور الربى　　　فيعود شهداً في طريق رضابه . (ج)

وفي الرسائل — لشاهين عطية : « بالسائب الملاء » انظر ص ٩ — ١١ .

وقال في (رسالة الإغريض) : « ووقفت على مختصر إصلاح المنطق ، الذي كاد بِسِماتِ الأبواب ، يغني عن سائر الكتاب ؛ فعجبت كل العجب من تَقْييد الأجْمَال ، بطلاء الأحال ؛ وقلب البحر ، إلى قَلْتِ النَّحْر ، وإجراء الفرات ، في مثل الأخْرَات ؛ شرفاً لهُ تَصنيفاً شَفَى الرَيْبَ ، وكفى من ابن قُرَيْب ، ودل على جوامع اللغة بالإيماء كما دل المضمر على ما طال من الأسماء » .

وقال فيها أيضاً : « وسيدنا . . القائِلُ النظمَ في الذكاءِ مثل الزهر وفي البقاء مثل الجوهر . تحسب بادِرَتَه التاجَ ، ارتفع عن الحجاج . وغابرته الحِجْل في الرجل ؛ يجمع بين اللفظ القايل ، والمعنى الجليل ، جمع الأُقْحوانِ في لعابه بين القلّةِ ، وفَقْدِ البلّة ؛ خشن فَحَسُنَ ، ولان فما هان ، لين الشَّكير ، يدل على عِتْقِ الحُضير ، وحَرْش الدينار آية كَرَمِ النجار . . » .

وقال فيها في وصف الكتاب : « فقد ناب في كلام العَرَب العَمّم ، مناب مرآةِ المنجّم في علم التنجيم ، شخصها ضئيل ملموم ، وفيها القمران والنجوم » .

ووصف نفسه بأنه لا يقصّر بإجابة من بدأه بالمكاتبة فقال[1] : « لا مَعْتَبَةَ إن جارَيْتُ بَكِيّ الفَطْر ، عَنْ زَكِيّ القَطْر . هو بدأني بما لا أستحق ، فأجبت بما أرْذَمَه علي الرقّ . ولم أكن كماقر الرَّملِ ، أمطَر فلا أروض ، وكَحَضيرِ الميْتِ ، أُعَوَّض ولا أعوِّض . لا أقل مِنْ كوني مثل وَذيلةِ الغريبة ، وَزَلَفَةِ المُضِرّ الأريبة ، يطّلعُ فيها ذو الوجه الجميل ، فتجتهدُ له في التمثيل . . » .

---

(١) من رسالة الى صديق له يسأله ان ينلصه في ترتيب المكاتبة ، الرسائل ـ لشاهين عطية ص ٦٣ .

النقد

درس أبو العلاء ما درس من العلوم ؛ واطلع على ما اطلع عليه من آراء العلماء ومذاهبهم . وقد كان دقيق الفطنة ، عميق التفكير ، مولعاً بالتمحيص والتنقيب عن الأصول والأسباب والعلل . وكان فوق هذا يتقنه كل ما يقرؤه ، ويحفظ كل ما يسمعه ، وقد درس الحياة ، وخبر ما فيها من خير وشر . ودرس الناس وما عندهم من أخلاق وعادات ، في الأجيال المختلفة ، والأطوار المتباينة . ودرس الشرائع ، ورأى ما أدخله أصحاب كل شريعة عليها من العقائد والمزاعم . ورأى كيف اتخذ المتدينون الدين وسيلة لنيل الدنيا . وكيف سخّر العلماء العلم لإشباع نهاتهم من الملاذّ ؛ ولنيل الحظوة عند الملوك والكبراء ، ولاكتساب الشهرة والثروة .

وكان يحكّم العقل في كل شيء ، ولا يعول في آرائه على غيره . وكان جريئاً في إبداء آرائه الحرة ، لا يطيق السكوت على ما لا يرضيه ، ولا يستطيع أن يتجاهل فيما يعلمه ، أو يتغابى فيما يفهمه .

فكونت هذه العوامل في نفسه ملكة قوية في النقد ، قائمة على ميزان العلم ومحك العقل . وقد استطاع أن يكون مجلياً في هذا المضمار ، نسيج وحده فيه . ولم يعبأ بالناس أمام الحق ، ولا بما يقوله الناس فيه ، بعد أن يكون قوله مطابقاً للعلم أو الواقع ، موافقاً للعقل .

وربما كان أبو العلاء أكثر الشعراء والعلماء نقداً وتمحيصاً لكل ما يعرض له من مسائل العلوم وغيرها ، ولا سيما العلوم العربية وما يتصل بها ، ولم أجد له كتاباً خاصاً بالنقد ، وإنما رأيت نقده موزعاً في كتبه المنظومة والمنثورة .

أما المنظوم ، فقد اطلعت منه على (سقط الزند) وهذا خال أو في حكم الخالي من النقد ، واطلعت على (لزوم ما لا يلزم) وهذا تناول فيه نقد الأخلاق ، والعادات ، والمعتقدات ، والمزاعم ، والأنظمة ،

وكثيراً من مسائل العلوم . وإذا قلت : إنه أعظم كتاب في هذا النوع ، فلا أكون مبالغاً ، وقد ذكرنا جملة منه في مواطن مختلفة من هذه الرسالة .

وأما المنثور فقد اطلعت على (رسالة الغفران) و (رسالة الملائكة) وجزء من (الفصول والغايات) و (عبث الوليد) وبعض رسائل صغيرة ورأيت في رسالتي الغفران والملائكة مسائل كثيرة انتقد فيها اللغويين ، والنحاة ، والصرفيين ، والقراء ، والمفسرين ، والمحدثين ، والشعراء ، والعروضيين ، والعلماء ، والرواة .

ومن يتأمل كتبه يتبين له أن النقد في نثره جاء على أشكال يمكن إرجاعها إلى نوعين :

أحدهما : يتعلق بمسائل العلم وآراء العلماء .

والثاني : يتعلق بالأخلاق ، والعادات ، والمزاعم ، وما شاكل ذلك . وألفاظه في كلا النوعين عفيفة ، بريئة من البذاءة . ولكنها لا تخلو من تهكم واستهزاء . والظاهر أنه كان يرى هذا النمط أشد إيلاماً لخصمه وأبلغ أثراً في نفسه ، وأرجى لحمله على قبول الحق . ولو جاءنا كل نثره لرأينا أضعاف ما رأينا ، ولكن قد يستدل بالقليل المتيسر على الكثير المتعسر .

وسنتكلم الآن على نقده في نثره ، ونبين مناهجه في نقده فنقول :

سلك أبو العلاء في نقده طرقاً مغمورة بالفوائد ، حتى يكاد القارىء لا يعلم من أين تأتيه الفوائد إذا سلك واحداً منها ؛ لأنه أحياناً يأتي بالكلمة أو الجملة ، فيبيّن الوجه الذي يريد نقده فيها ؛ وقد يبين علة حكمه فيها ، سواء أكان بالصحة أم بالفساد ؛ وأحياناً يضيف إلى ذلك قاعدة عامة تتعلق بذلك الحكم أو بضده ، وقد يذكر ما يناقض حكمها أو ما يشابهه . وأحياناً يفرغ النقد في قالب الاستفهام للتهكم ، إلى غير ذلك من الصور المختلفة الجامعة لفوائد متعددة .

ويتضح لمن تأمل نقده أنه كان واسع العلم ، حريصاً على الإفادة . ولذلك يورد كل ما يتعلق بالشيء لأدنى مناسبة ، أو يوجد مناسبة يتوصل بسببها إلى ذكر فائدة أو فوائد ، كما أشرنا الى هذا في موضع آخر .

وكان من الحق أن نقسم نَقده الى أصناف ، ونبيّن ما في كل صورة من الفوائد ، ليتضح لنا كيف يدمجُ فائدة في أخرى ، ولكن هذا عمل طويل ، لا تتسع له هذه الرسالة . على أننا سنشير الى بعض ما ذكرنا في أضعاف كلامنا وكلامه .

نقد الألفاظ المفردة

لم يسلك أبو العلاء في نقده الألفاظ المفردة سبيلاً واحدة ، وإنما يبحث أحياناً عن كونها عربية أم غير عربية ؟ ويبحث عن رواها . وأحياناً يذكر حكم اللفظ على تقدير أنه عربي ؟ وربما أورد البحث على شكل حادثة وقعت .

مثال ذلك قوله في (رسالة الغفران ص ٦٩)[1] : فيقول - أي ابن القارح - لمن حضره من أهل العلم : ما تسمى هذه السلال بالعربية ؟ فيقول بعضهم : هذه تسمى البواسن ، واحدتها باسنة . فيقول قائل : من ذكر هذا من أهل اللغة ؟ فيقول : قد ذكرها ابن درستويه ، وهو يومئذ في الحضرة . فيقول له الخليل : من أين جئت بهذا الحرف ؟ فيقول ابن درستويه : وجدته في كتب النضر بن شميل . فيقول الخليل : أتحق هذا يا نضر ؟ فأنت عندنا الثقة ! فيقول النضر : قد التبس عليّ الأمر . ولم يحكِ الرجل - إن شاء الله - إلا حقاً .

(١) طبعة أمين هندية وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٨٤ - ٥ .

وقوله في (رسالة الغفران ص ١٩٠)[١] : « وقد مر بأنطاكية ، فتذكر قول امرىء القيس :

عَلونَ بأَنطاكِيَّة فوقَ عقمةٍ كجِرمَةِ نَخلٍ أو كَجَنَّةِ يَثرِبِ

وخطر له أن « النطك » وهو اللفظ الذي يجب أن يشتق منه « أنطاكية » لو كانت عربية مهمل ، لم يحكه مشهور من الثقات . . . » .

وذكر في (رسالة الملائكة في ص ٢٠) « جهنم » وفي (ص ٢٢) « سقر » وفي (ص ٢٦) « كمثرى » وفي (ص ٢٧) « سندس » وفي (ص٣٨) « استبرق » . وتكلم في كل لفظ بما لا مزيد عليه .

وزن اللفظ واشتقاقه

وقد يذكر اللفظ ، ويبين وزنه واشتقاقه ، ويضيف إلى ذلك بيان حكمه وغيره من الفوائد . مثال ذلك قوله في (الغفران ص ١٩٠)[٢] : « ولما مر بلطية ، أنكر وزنها ، وقال : فعَلْيَة ، مثال لم يذكر ، وإذا حملناها على التصريف وجب أن تكون ياؤها زائدة ، لأن قبلها ثلاثة من الأصول .. » .

وفي (ص ٧١ من الغفران)[٣] ذكر حواراً لطيفاً بين المازني والأصمعي في وزن « إوزّة » . وله بحث مفيد في « إوزّة » في (رسالة الملائكة ص ٧٩) وذكر في (الغفران ص ١٠٨)[٤] أصل « إنسان » واشتقاقه وأسبابه .

وذكر في (رسالة الملائكة ص ٦) أصل « ملك » وفي (ص ٩) « موسى » وفي (ص ٢٠) « غسلين » وفي (ص ٢٨) « طوبى » وفي (ص٣٤) « حيوان » وفي (ص ٤٠) « عبقر » وفيها كثير من المباحث الدقيقة في غير هذه الألفاظ .

---

(١) طبعة أمين هندية وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٥٠٥ ــ ٦ .

(٢) المصدر السابق

(٣) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٨٨ ــ ١٨٩ .

(٤) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٨١ ــ ٢ .

وهذه أمثلة من نقده الألفاظ المفردة

قال في (رسالة الغفران ص ١٠٠) : « وإني لـكاره قولك :

. . . . وَالخَيلُ خارِجَةٌ مِنَ القَسطَالِ

أخرجتَ الاسم إلى مثال قليل ، لأن « فعلالا » لم يجيء في غير المضاعف ، وقد حكي : ناقة بها خَزْعَال . أي [بها] ظلع »[1] .

وقال في (رسالة الملائكة ص ٢١٢) : « وأما زيادتهم الألف ، فكقولهم « العقراب » في العقرب ، وهذا رديء لأنه يخرج إلى بناء مرفوض . وإنما يجيء « فعلال » في المضاعف مثل « الزلزال والبلبال والسلسال » وقد جاء منه حرف واحد في غير المضاعف قالوا : بالناقة خزعال أي ظلع ، وحكم الضرورة ليس كحكم غيرها في الأبنية » .

وقال فيها (ص ٢٤٥) في بحث زيادة النون : « فيحكم على نون سكران وبابه بأنها زائدة ، لأنه ليس في كلامهم مثل « فعلال » في غير المضاعف نحو الزلزال ... » .

فقد انتقد لفظ « قسطال » وبيّن سبب ذلك ، وهو خروجه إلى وزن نادر أو مرفوض . ثم بين الحكم العام وهو عدم مجيء « فعلال » في غير المضاعف . ثم بيّن ما شذ عن ذلك وهو « خزعال » وزاد على ذلك في « عقراب » أن حكم الضرورة ليس كحكم غيرها في الأبنية . وفي لفظ « سكران » زاد حكماً آخر وهو أن الألف والنون في مثل « سكران »

---

(١) يشير إلى قول أوس بن حجر في مرثيته :

ولنعم رفد القوم ينتظرونه ولنعم حشو الدرع والسربال

ولنعم مأوى المستضيف إذا دعا والخيل خارجة من القسطال

الغفران تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٢٥٩ .

يحكم بزيادتها لفقد « فعلال » في غير المضاعف ؟ فقد جمع في نقد كلمة واحدة فوائد متعددة .

وقال في (رسالة الملائكة ص ٢١٣) : « وقد ادعى قوم بأن قولهم « استكان » إنما هو من « استكن » أي افتعل منْ السكون ، ثم زيدت عليه الألف . وهذا نقض للقياس ، لا يجوز أن يذهب إليه ذاهب عرف أصول العربية ، لأنهم لم تجر عادتهم بمثل ذلك ؛ ولو فعلوه في موضع لم يجعلوه أصلاً يقاس عليه . وقد قالوا : « يستكين ومستكين ... » وإنما « استكان » استفعل و « مستكين » مستفعل ؛ وهو مأخوذ من قولهم : كان كذا وكذا أي المستكين ، كأنه شيء قد كان أي ذهب ومضى » . ثم قال : « ... واستكان على القول الذي حكي وزنه « افتعال » و « يستكين » وزنه « يفتعيل » و « مستكين » وزنه « مفتعيل » وهذه أبنية مستنكرة ، وإنما يستعمل مثلها في الضرورة ، فأما في عمود اللفظ فلا يجوز أن تقع . وقد روي أن الحسن قرأ ﴿ وأعْتَدت لَهُنَّ مُتَّكاءً ﴾[1] بالمد فهذا « مفتعال » وهو يضاهي في الألف باب « أفْيِدة » في الياء » .

وهذه سبيله في كثير مما انتقده من الألفاظ المفردة . وقد تزيد الفوائد وتنقص بحسب المواضيع والحاجات . ورسالة الملائكة طافحة بمثل هذه المباحث والفوائد . ونجد منها شيئاً في (ص ٢٣٥) في الكلام على « مفرود » و « صعفوق » و (ص ٢٤٥) عند الكلام في « ارحَجنّ » و « افعلنّ » و (ص ٢٤٨) في الكلام على « تفعلن » و (ص ٢٤٩) في « غرثان » و « غرائين » و (ص ٢٥٤) في « فعلون » .

---

(١) سورة يوسف الآية ٣١

نقد القراءات

وقد انتقد كثيراً من القراءات التي قرأها القراء ، وسلك في نقده الطريق التي سلكها في نقد المفردات ، فذكر خلال كلامه كثيراً من العلل ، والأحكام ، والقواعد ، وغير ذلك مما ذكرناه قبلاً .

وكنا نود أن نذكر أمثلة كثيرة من ذلك ، ولكنها تستغرق وقتاً طويلاً كما تقدم ، فاكتفينا بالإشارة الى مواطن بعضها في كتبه . من ذلك ما قاله في (رسالة الغفران ص ١١٢)[1] : إن حية كانت تسكن في دار الحسن البصري ، فيتلو القرآن ليلا ، فتلقت منه الكتاب من أوله إلى آخره . فيقول لها ابن القارح : كيف سمعته يقرأ ﴿ فَالِقُ الأَصْبَاحِ[2] ﴾ ، فإنه روي عنه بفتح الهمزة كأنه جمع صبح ، وكذلك ﴿ بالعَشِيِّ والأَبْكار[3] ﴾ كأنه جمع بكر ... ؟ فتقول : لقد سمعته يقرأ هذه القراءة .. فلما توفي انتقلتُ إلى جدار في دار أبي عمرو بن العلاء ، فسمعته يقرأ ، فرغبتُ عن حروف من قراءة الحسن كهذين الحرفين ، وكقوله الأنجيل بفتح الهمزة فلما توفي أبو عمرو كرهت المقام ، فانتقلت إلى الكوفة ، فأقمت في جوار حمزة بن حبيب ، فسمعته يقرأ بأشياء ينكرها عليه أصحاب العربية ، كخفض « الأرحام » في قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله الذي تَسَاءَلونَ بِهِ والأرحَامِ ﴾[4] وكسر الياء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ ﴾[5] وكذلك سكون الهمزة في قوله تعالى : ﴿ اسْتِكبَاراً في الأرْضِ ومكر السيءْ ﴾[6] وهذا إغلاق لباب العربية ، لأن القرآن ليس بموضع ضرورة ، وإنما حكي مثل هذا في المنظوم ...

---

(١) طبعة أمين هندية والنظر الغفران تحقيق بنت الشاطيء ط ١ ص ٢٨٨ — ٩ .
(٢) سورة الأنعام الآية ٩٦
(٣) سورة آل عمران الآية ٤١
(٤) سورة النساء الآية ١
(٥) سورة إبراهيم الآية ٢٢ .
(٦) سورة فاطر الآية ٤٣ .

وفي إيراد هذا النقد وسرد هذه الرواية على لسان الحية روعة وبراعة فائقة ؛ وكذلك رغبتها عن حروف من قراءة الحسن . ثم إنكارها أشياء من قراءة حمزة بن حبيب .

وذكر في (رسالة الملائكة ص ١٢٤) انهم يقولون : « إعْلَم ، وإستعين ، وإخَال » ، فيكسرون مع الهمزة كما يكسرون مع التاء والنون . وقد قرأ بذلك القراء يحيى بن وثاب وغيره ، ويروى أنه قرأ ﴿ فإمتّعه قليلاً ثم إضطرّه [1] ﴾ بكسر الهمزة من « اضطره » وكذلك يفعل في غيرها من حروف المضارعة ، فقرأ ﴿ يوم تِبيَضّ وُجوه وتِسوَدّ وُجوه [2] ﴾ . ﴿ ولا تِركَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا فتِمَسَّكم النّار [3] ﴾ وهذه لغة للعرب فيما كان على « فعِلَ يفعَلُ » وما جاوز الأربعة نحو « اسودّ واقشعرّ » وإذا صاروا إلى الياء فرّوا إلى الفتح ، فلم يقولوا « يِعلَمُ » كذلك يقول سيبويه ؛ وقد حكاها الفراء عن قوم من العرب وإن صَحت فهي شاذة » .. اه

وذكر في (رسالة الملائكة ص ٢٠٠) قراءة ابن عامر : ﴿ فاجْعَلْ أفئيدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إليهِم [4] ﴾ وقال : وأفئيدة بناء مستنكر ، لم يجيء مثله في الآحاد ولا في الجموع ، ولم يحك سيبويه ولا غيره ، فيما أعلم ، شيئاً على مثال « أفعِيلة » بفتح الهمزة ولا على مثال : « أفعيل » إلا ما روي في قراءة الحسن من أنه كان يفتح همزة الأنجيل ، وهذا في الشذوذ يشبه قراءة ابن عامر هذه .

ثم أفاض في بيان أصل « إنجيل » هل هو عربي أو أعجمي ؟ وبيان أصله الذي اشتق منه على فرض أنه عربي .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٦ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٦ .
(٣) سورة هود الآية ١١٣ .
(٤) سورة إبراهيم الآية ٣٧ .

ثم قال : وأما « أفئيدة » فإن صح أنها قرأ بها موثوق به في الفصاحة فإنها ـ والله أعلم ـ « أفئدة » في الأصل ، كما قرأت الجماعة ، ثم زيدت الياء بعد الهمزة ، لأن الكسرة فيها لازمة ؛ فتكون هذه القراءة مشاكلة لقراءة من قرأ ﴿ فَذَانِيكَ بُرْهَانَان[1] ﴾ .

ثم ذكر المواطن التي زادت العرب فيها الألفات ، والياءات ، والواوات ، وآراء المتقدمين فيها . وبيّن ما يقوّي قراءة ابن عامر . وذكر من الأشباه والأحكام التي تتعلق بهذه المباحث ما لا يجده الباحث في غير هذا الكتاب . وقد أوضحت ذلك في شرح رسالة الملائكة في (ص ٢٠٠) فما بعدها .

وقد انتقد في هذه الرسالة وفي (رسالة الغفران) كثيراً من القراءات مما يدل على أنه كان عالماً بها . كما أنه انتقد كثيراً من أبيات الشعر فيها .

النقد النحوي والصرفي

درس أبو العلاء النحو والصرف درساً عميقاً ، وأمعن في البحث عن القواعد الكلية وما شذ عنها ، واطلع على كثير من الأحكام الراجحة وما يؤيدها ، والأحكام الضعيفة التي حاول أصحابها تقويتها بالأدلة الواهية ، والحجج الملفقة ، والشبه الزائفة . ورأى فيها ما لا تقبله العقول الصحيحة ، والنقول الثابتة ، كما رأى في كثير من الشواهد والنصوص والآراء ما يشهد بنفسه على نفسه أنه مكذوب موضوع أو محرف أو مصنوع ، وتشهد لبطلانه القواعد المشهورة والأقيسة المؤيدة بالأدلة الواضحة والحجج الراجحة .

فلم يرق له كثير من أقوال العلماء في هذين العلمين اللذين يعبر أحياناً عنهما بعلم النحو ، وعن رجالهما بالنحويين أو النحاة أو البصريين أو الكوفيين

---

(١) سورة القصص الآية ٣٢ .

أو البغداديين . ورأى في أعمالهم ما يشبه الهذيان أو الضلال أو الأباطيل كما صرح بذلك في (رسالة الغفران ص ١٠٥)[١] .

وفي (رسالة الملائكة ص ٨ ، ١٥ ، ٤٢ ، ٤٢)[٢] .

وفي (لزوم ما لا يلزم ١ / ص ٣٧٣)[٣] .

وقد أكثر في رسالتي الملائكة والغفران من نقـد النحويين ، وتزييف آرائهم وأقوالهم . وقد رأينا من المفيد اللازم أن نبين موقفه من النحو والنحويين قبل أن نورد أمثلة من نقده فنقول :

١ – إننا لم نر في كلام أبي العلاء ما يدل دلالة صريحة على أنه كان

---

(١) يقول أبو العلاء في الغفران على لسان خزنة النار : « ما النحويون وما الاستشهاد ، وما هذا الهذيان ... » . الغفران طبعة أمين هندية .

(٢) يقول أبو العلاء في ص ٨ : « فيقول الملك : من ابن أبي ربيعة ، وما أبو عبيدة ، وما هذه الأباطيل ... ؟ » .

وفي ص ١٥ : « قلت : ليس الياء كغيرها من الحروف لأنها وإن لحقها التشديد ففيها عنصر من اللين ، فان قالا : اليس قد زعم صاحبكم عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه ان الياء إذا شددت ذهب منها اللين ... قلت : قد زعم ذلك إلا ان السماع من العرب لم يأت فيه بحو ما قال إلا ان يكون شاذاً . . . » .

ويقول في ص ٤٢ : « فيبتسم إليهم رضوان ويقول . . . فانصرفوا رحمكم الله ، اكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه ، وإنمـا كانت هذه الأشياء أباطيل زخرفت في الدار الفانية فذهبت مع الباطل . . » .

(٣) حيث يقول :

ارى ابن ابي اسحاق اسحقه الردى	وادرك عمر الدهر نفس ابي عمرو
تباهوا بأمر صيروه مكاسباً	فعاد عليهم بالخسيس من الأسر
بكسوة برد او باعطاء بلغة	من العيش لا جم العطاء ولا غمر
ولم يصنعوا شيئاً ولكن تنازعوا	اباطيل تضحي مثل هامدة الجمر

اللزوميات طبعة عزيز زند .

على مذهب النحويين البصريين أو الكوفيين أو غيرهما ، وإذا كان عقله ينفر من متابعة إمام من أئمة المذاهب الدينية فيقول :

وَيَنْفِرُ عَقْلِي مُغْضَباً إنْ تَرَكْتُهُ سُدًى واتَّبعْتُ الشَّافِعِيَّ وَمَالِكَا[1]

فمن الأولى أن ينفر عقله من متابعة أحد غيره من أئمة اللغة ، لأنه في علم النحو أطول باعاً وأرسخ قدماً منه في العلوم الشرعيـة ، ويجوز أن نستدل على هذا بما نراه من انتقـاده كل المذاهب على السواء ، من غير تحيز إلى فريق دون آخر .

٢ — إن أبا العلاء لم ينتقد من النحويين إلا العلماء الأعلام ، كالخليل ، وسيبويه ، والزجّاج ، والمبرد ، والفراء ، وسعيد بن مسعدة ، وأبي علي الفـارسي ، وابن خالويه ، وابن السراج ، وأبي سعيـد السيرافي ، والمازني ، والأصمعي .

وقد أثنى على جماعة من اللغويين والنحويين ، منهم النضر بن شميل في (الغفران ص ٦٩)[2] والزجّاج في (الملائكة ص ١٣١)[3] .

٣ — إن أبا العلاء جعل أكثر نقده في (رسالة الغفران) على لسان ابن القارح وأورد كثيراً من المسائل ، ولم يلتزم في إيرادها طريقة واحدة ؛ وإنما يذكر أحيانا موضع النقد ولا يزيد على ذلك شيئاً . وقد يذكر ما يدل على أنه حق ، وقد يبين رأيه في الحكم ، فيقره أو يدفعه . وأحيانا

---

(١) اللزوميات ٥ ص ١٨٥ .

(٢) حيث يقول ابو العلاء : « فيقول الخليل : أتحق هذا يا نضر ؟ فأنت عندنا ثقة ... » .

(٣) يقول أبو العلاء في رسالة الملائكة : « وزعم أبو إسحاق الزجاج انه لم يتكلم قبله في اشتقاق ، ولا مرية في انه كما قال ، لأنه الثقة في هذا وغيره ... » .

يعد هذا الأمر كله من الأباطيل ونحوها ، وقد يذكر مشابهاً للشيء أو مناقضاً له ؛ وربما أتى بالنقد على طريق الاستفهـــام ، أو على طريق المحاورة ، أو تصوير حادثة ، أو نحو ذلك .

وكان من الحق والواجب أن نورد نصوصه بعجرها وبجرها ، لأن الاختصار يفقدهـــا كثيراً من الإشارات اللطيفة ، والوخزات الدقيقة ، والتهكم ، والإيماء إلى حادثة ، وغير هذا مما تحمله في طياتها من النكت والفوائد ، فضلاً عما يفقدها من الإيضاح والأسلوب الرائع .

ولكن ذلك يضطرنا إلى إطالة لا تسمح بمثلها هذه الرسالة الصغيرة ، كما لا تسمح بإهمال الصور المتعددة التي أوردها وملأها بالمباحث التي تمثل جملة من عبقريته ورسوخه في هذا العلم .

ولقد حاولنا أن نجمع بين الأمرين بقدر الطاقة ، فذكرنا طائفة قليلة من المباحث على الشكل الذي أوردها عليه ؛ وأشرنا إلى مواطن طائفة أخرى في كتبه ليسهل الاطلاع عليها .

وهذه جملة من النوع الأول :

ذكر في (رسالة الغفران ص ٢٦) [١] : أن الشيخ [ابن القارح] قال لعدي بن زيد العبادي : « ولقد هممت أن أسألك عن بيتك الذي استشهد به سيبويه وهو قولك :

أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أَمْ بُكُورُ   أَنْتَ فَانْظُرْ لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ [٢]

فإنه يزعم أن « أنت » يجوز أن ترفـــع بفعل مضمر يفسره قولك « فانظر » وأنا أستبعد هذا المذهب ولا أظنك أردته . فيقول عدي بن زيد : « دعني من هذه الأباطيل . . . » .

---

(١) طبعة أمين هندية ، وانظر بنت الشاطىء ط ١ ص ٧٦ .

(٢) البيت من شواهد سيبويه انظر الكتاب ج ١ ص ٧٠ وفيه : « .. لأي ذاك تصير » .

وذكر (في ص٣٥)[1]أن الشيخ يقول للنابغة الجعدي: «فكيف تنشد قولك:

وَليسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَاأَنْ نَرُدَّهَا صِحَاحاً وَلاَ مُسْتَنْكَراً أَنْ تُعَقَّرا[2]

أتقول : « ولا مستنكرا » أم « ولا مستنكرٍ »؟ فيقول الجعدي : بل « مستنكراً » فيقول الشيخ : فإن أنشد مُنشد « مستنكرٍ » ما تصنع به ؟ قال أزجره وأزبره ، نطق بأمر لا يخبره ، فيقول الشيخ : « ما أرى سيبويه إلا وهم في هذا البيت ، لأن أبا ليلى أدرك جاهلية وإسلاما ، وغذي بالفصاحة غلاما . . » .

وذكر في (ص ٥٧)[3] ان الشيخ قال : « وكنت قد رأيت في المحشر شيخاً لنا ، كان يدرّس النحو في الدار العاجلة ، يعرف بأبي علي الفارسي ، وقد امترس به قوم يطالبونه ، ويقولون : تأولت علينا وظلمتنا . فلما رآني أشار إليّ بيده ؛ فجئته فإذا عنده طبقة ؛ منهم يزيد بن الحكم الكلابي ، وهو يقول : ويحك ! أنشدتَ عنّي هذا البيت برفع الماء ، يعني قوله :

فَلَيْتَ كَفَافاً كَانَ شَرُّكَ كُلُّهُ وَخَيْرُكَ عَنِّي مَا ارْتَوَى المَاءُ مُرْتَوِي[4]

---

(١) رسالة الغفران طبعة أمين هندية وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٠٠ .

(٢) البيت من شواهد سيبويه ، انظر الكتاب ج ١ ص ٣٢ .

(٣) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٥٣ .

(٤) البيت وتاليه من قصيدة ليزيد في سبعة وعشرين بيتاً أوردها بتمامها البغدادي في الخزانة ٤٩٦/١ ـ ٤٩٧ (ولاق) نقلاً عن « المسائل البصرية » لأبي علي الفارسي . ومنها أبيات في أمالي القالي ٦٧/١ ـ ٦٨ ، (الطبعة الثالثة) والأغاني ١٠٠/١١ ـ ١٠١ ، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ ص : ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ، وأمالي ابن الشجري ١٧٦/١ ـ ١٧٧ ، (طبعة الهند) وقد حكى الأخير ص: ١٨١ ، أثناء شرحه القصيدة أن أبا العباس المبرد قال فيها : « إن في هذه القصيدة شذوذاً في مواضع وخروجاً عن القياس .. » وانظر كلامه على هذا البيت وتأويل أبي علي له ص : ١٨٤ فما بعدها .

ولم أقل إلا الماء ، وكذلك زعمتَ أني فتحتُ الميم في قولي :

تَبدّلْ خليلاً بي كَشَكْلك شَكْلُهُ   فإنّي خَلِيلاً صَالِحاً بكَ مَقْتَوِي[1]

وإنما قلت : « مُقتوي » بضم الميم .

وإذا هناك راجز يقول : تأوّلت عليّ أني قلت :

يَا إِبِلي مَا ذَنْبُهُ فَتَأْبِيَهْ   مَاءٌ رَوَاءٌ وَنَصِيٌّ حَوْلِيَهْ .

فحركتُ الياء في « فتأبيَه » ووالله مافعلتُ ولا غيري من العرب[2] . وإذا رجل آخر يقول : ادعيتَ عليّ أن الهاء راجعة على الدرس في قولي :

---

(١) كذا قال أبو العلاء : نسب إلى أبي علي أنه أنشد هذا البيت بفتح الميم من « مقتوي » ولكن نقل البغدادي في الخزانة ٣/٣٢٨ (بولاق) ما قاله أبو علي في هذا البيت في كتابه (المسائل البغداديات) وفيه يصرح بأن الميم مضمومة ، وأورد على صحة ذلك حججاً يمكن القارىء أن يرجع اليها فيه ، كما ان ابن جني ذكر في الخصائص ٢/٦٠٤ أن أبا علي انشده هذا البيت وقرأه عليه في القصيدة . ثم قال : « فهذا عندنا « مُفْعَلّ » من « القتو » وهو المراعاة والخدمة » . اه وقد نقل البغدادي في الخزانة عقب كلمة أبي علي كلاما لابن جني في « المحتسب » ايضاً يشبه ان يكون تلخيصاً لكلام شيخه .

(٢) يريد ابو العلاء ان صحة الانشاد بسكون الياء في قوافي الأبيات : والفتح والإسكان روايتان في الأبيات ، نص على ذلك ابن جني في الخصائص ١/٣٣٢ ، وذلك قوله بعد ان ساق الأبيات مضبوطة بفتح الياء « هكذا رويناه عن ابي زيد ، واما الكوفيون فيروونه على خلاف هذا ، يقولون : « فتأبيْهْ » و « نصي حوليْهْ » و « حتى تأبيْهْ » و « فوق الزازيْهْ » فينشدونه من السريع لا من الرجز كما انشده ابو زيد » . اه . يريد بقوله : « فينشدونه من السريع » ان اضرب الأبيات على رواية الكوفيين تقع « مفولانْ » او « مفْعولانْ » وهما من اضرب السريع دون الرجز ، فتكون الأبيات على هذه الرواية من السريع ، واما رواية ابي زيد فالأضرب فيها ما بين « مفاعلن » و « مستفعلن » وكلاهما من اضرب الرجز دون السريع .

هَذَا سُرَاقَةُ لِلْقُرْآنِ يَدْرُسُهُ وَالْمَرْءُ عِنْدَ الرُّشَا إِنْ يَلْقَهَا ذِيبُ[1]

أفمجنون أنا حتى أعتقد ذلك ؟

وإذا جماعة من هـذا الجنس ، كلهم يلومونه على تأويله . فقلت : يا قوم ، إن هذه أمور هيّنة ، فلا تعنتوا هذا الشيخ ، فإنه يَمُتُّ بكتابه في القرآن المعروف بـ (كتاب الحجة) وإنـه ما سفك لكم دماً ، ولا احتجن عنكم مالاً ، فتفرقوا عنه .. » .

وذكر في (رسالة الغفران ص ٦١)[2] أن الشيخ يقول لراعي الإبل : « أحقٌ ما روى عنك سيبويه في قصيدتك اللامية التي تمدح بها عبد الملك ابن مروان ، من أنك تنصب الجماعة في قولك :

أَيَامَ قَوْمِي وَالجَمَاعَةَ كَالَّذِي لَزِمَ الرِّحَالَةَ أَنْ تَمِيلَ مَمِيلاَ[3] ؟

فيقول : حق ذلك » .

وذكر في (الغفران ص ٨٧)[4] أنـه يقول لامرىء القيس : « أخبرني عن قولك :

كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضَ بِصُفْرَةٍ . . . .[5]

---

(١) البيت من شواهد سيبويه التي لم يذكر قائلها ، انظر الكتاب ج ١ ص ٤٣٧ . والغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٥٢ .

(٢) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٦٣ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ج١ص١٥٤ .

(٤) الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٢٦ .

(٥) صدر بيت من معلقته ، وعجزه : « غذاها نمير الماء غير محلل » . ديوانه ص ٣٧ .

ماذا أردْتَ بالبكر ؛ فقد اختلف المتأولون في ذلك ؟ فقالوا : البيضة ، وقالوا : الدرة ، وقالوا : الروضة ، وقالوا : الزهرة ، وقالوا : البردِيّة؟ وكيف تنشد : « البياضِ أم البياضَ أم البياضُ » ؟ فيقول : كل ذلك حسن ، وأختار « البياضِ » بالكسر ، فيقول : .. لو شرحتُ لكَ ما قال النحويون في ذلك لعجبت .. » .

وذكر في (ص ١٠٠)[1] أنه يقول لأوس بن حجر : « كان في عزمي أن أسألك عما حكاه سيبويه في قولك :

تُواهِقُ رِجلاَهَا يَدَاهُ وَرَأْسُهُ   لَهَا قَتَبٌ خَلْفَ الحَقِيبَةِ رَادِفُ[2]

فإني لا أختار أن ترفع « الرجلان واليدان » ولم تَدْعُ إلى ذلك ضرورة ، لأنك لو قلت : « تواهق رجليها يداه » لم يَزِغِ الوزن ؛ ولعلك إن صح قولك لذلك ، أن تكون طلبتَ المشاكَهَة ، وهذا المذهب يقوى إذا روي « يداها » بالإضافة إلى المؤنث ، فأما في حالة الإضافة إلى المذكر فلا قوة له . . » .

وهذه طائفة من النوع الثاني :

ذكر في (رسالة الغفران ص ٨٥)[3] خمسة أبيات من أرجوزة بشار ، آخرها :

الحُرُّ يُلحَى وَالعَصَا لِلعَبْدِ   وَلَيسَ لِلمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ[4]

ثم قال له : « قلت في هذه القصيدة « السِبْد » في بعض قوافيها ؟

---

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٥٨ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ج ١ ص ١٤٥ .

(٣) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٢٣ .

(٤) ديوانه ج ٢ ص ٢٢٤ .

فإن كنت أردت جمع « سُبَدٍ » وهو طائر فإن « فُعَلا » لا يُجمَعُ على ذلك ؛ وإن كنت سكنت الباء فقد أسأت ، لأن تسكين الفتحة غير معروف » ثم أورد بيتاً للأخطل ، وثانياً لجميل ، وثالثاً لشاعر آخر . وبيّن أن لا حجة له فيها ؛ وبيّن سبب ذلك .

وفي (ص ٩٧)[1] يقول لطرفة : « شد ما اختلف النحاة في قولك :

أَلاَ أَيُّهَـــذا الزَّاجِرِي أَحضُرَ الوَغَى

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنتَ مُخْـلِدِي »[2] .

وبيّن أن سيبويه يكره نصب « أحضر » بأنْ مقدرة ، وأن الكوفيين ينصبون بها ؛ وقد قوّى قولهم . . .

وفي (ص ٣٨)[3] من الغفران يقول للبيد : « أخبرني عن قولك :

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذا لَمْ أَرْضَهَا   أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمامُها[4]

هل أردت « ببعض » معنى « كل » ؟ فيقول لبيد : كلا إنما أردت نفسي .. فيقول له : أخبرني عن قولك : « أو يرتبط » هل مقصدك « إذا لم أرضها أو لم يرتبط . . . » ؟ . فيقول لبيد : الوجهَ الأول أردت .

ثم يقول له : « فما مغزاك في قولك :

وَصَبُوحِ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ   بِمُوَتَّرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهامُهـــا[5]

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٥١ .

(٢) انظر كتاب سيبويه ج ١ ص ٤٥٢ .

(٣) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٠٧ .

(٤) ديوانه تحقيق الدكتور إحسان عباس ص ٣١٣ وفيه : « أو يعتلق .. »

(٥) المصدر السابق ص ٣١٤ .

فإن من الناس من ينشده « تأتاله » يجعله « تفتعله » من « آل الشيء » إذا ساسه ، ومنهم من ينشده : « تأتا له » من الإتيان . فيقول لبيد : كلا الوجهين يحتمله البيت » .

ثم ذكر قول أبي علي الفارسي في هذا البيت ، وتهكم به ، حتى قال لبيد : « معترض لِعَنَنٍ لم يعنِهِ [١] . الأمر أيسر مما ظن هذا المتكلف » .

وذكر في (الغفران ص ١٠٤) [٢] أن الشيخ ينادي في الموقف : « أين عدي بن ربيعة (مهلهل التغلبي) . . . الذي يستشهد النحويون بقوله :

ضَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَيَّ وقالَتْ   يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتْكَ الأَوَاقِي [٣]

وقد استشهدوا له بأشياء . . » . ثم ذكر بيتين له . ثم أثنى على قصيدته الرائية ؛ ثم سأله عن سبب تسميته « مهلهلا » فشفى صدره .

وذكر في (الغفران ص ١٨٧) [٤] أبياتاً منها قوله :

أَتُوبُ إِلَيْكَ يَارَبَّاهُ مِمَّا   جَنَيْتُ فَقَدْ تَظَاهَرَتِ الذُّنُوبُ [٥]

ثم قال : « فيقول : أليس قال البصريون : إن هاء الندبة لا تثبت في الوصل ، والهاء في قوله : « يا ربّاه » مثل تلك الهاء ليس بينهما فرق . . ؟ » .

---

(١) مثل يضرب للمعترض فيما ليس من شأنه ، قال الشاعر :

لنا فتى يحسبنا عنه   معترض لعنن لم يعنه

المحيط (عنن)

(٢) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٧٠ .

(٣) من قصيدة للمهلهل التغلبي مطلعها :

طفلة ما ابنة المحلل بيضاء   لعوب لذيذة في العناق

انظر شعراء النصرانية ص ١٧٧ وانظر العيني على هامش الخزانة ج ٤ ص ٢١١ .

(٤) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٤٩٨ .

(٥) البيت لمجنون ليلى ، انظر ديوانه ص ٤ .

ثم ذكر أبياتا منها قوله :

عَسَى فارِجُ الكَرْبِ عن يُوسُفٍ يُسَخِّرُ لي رَبَّةَ المَحْمَلِ[1]

فقال : ما أيسر لفظ هذه الأبيات ، لولا أنه حذف « أنْ » مِنْ خبر « عسى » .

النقد في العروض والقوافي

ربما كانت هذه المسألة من أدق المسائل ، وأكثرها غموضاً وتعقيدا ؛ وأشدها خطرا ، لما يترتب عليها من تخطئة الشعراء ، وتلحين البلغاء الذين يحتج بأقوالهم لإثبات أصل اللغة وقواعدها ؛ ولما يتفرع عليها من مخالفة المشهور من قواعد النحاة ، وتعارض القواعد الكلية ، وتضارب آراء العلماء ، والحاجة إلى تكلف وجوه بعيدة ، والتماس تأويلات ملفقة ، لتصحيح الرواية أو إصلاح الفاسد منها ، ونحو ذلك .

وإيضاح هذا يتوقف على ذكر مقدمات لا بد من معرفتها ، لتتبين مواطن المخالفة والمعارضة وأسبابها . وهذا يحتاج إلى بسط وتوضيح ، لا يتسع له صدر هذا الكتاب . فاضطررنا تحت تأثير هذين العاملين إلى أن نوجز في القول ، ونقتصر على أشد ما تدعو الحاجة إلى ذكره منه فنقول :

١ – لا شك أنه وردت في أشعار الجاهليين والمخضرمين أبيات أوزانها مخالفة للمشهور المتداول عند شعراء العصرين المذكورين ؛ كما وردت أبيات في قوافيها ما لا يستحسنه شعراء العصرين ، ولا العلماء بالشعر ، وفيها ما تأباه قواعد النحو ونُقُول اللغة .

٢ – ذهب بعض العلماء إلى أن شعراء هذين العصرين كانوا ينظمون أشعارهم على أوزان يدركونها بغرائزهم ، ويحسون بما يقع فيها من الخلل

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة

بطباعهم ؛ وأن غريزة الشاعر أو السامع تدله على مواطن الخلل في الوزن ، كما تدله على مواطن الخروج عن الأسلوب المرتضى في القوافي . وتوسع أناس في تأييد هذا الزعم حتى قال قائلهم :

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُ   مَسَائِلٌ كُلُّهَا فُضُولُ
قَدْ كَانَ شِعْرُ الوَرَى صَحِيحاً   مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الخَلِيلُ

وهناك فريق لم يرتض هذا الرأي ، ولكنه لم يبيّن ما هو الميزان الذي كان الشعراء يزنون به أشعارهم ؛ وما هو الشيء الذي كانوا يعولون عليه في تمييز الصحيح من الفاسد في القوافي .

٣ً — إن العلماء بالشعر من صدر الدولة العباسية إلى هذا اليوم ، لم يطلعوا على جميع الأشعار التي نظمها أهل هذين العصرين الأولين ؛ بل كل ما اطلعوا عليه قلٌّ من كثر ؛ فقد ذكر ابن قتيبة في (الشعر والشعراء ص ٦) : « أن أبا ضَمْضَم أنشد جماعة لمائة شاعر كلهم اسمه عمرو . قال الأصمعي : فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على أكثر من ثلاثين ... ثم قال : هذا ما حفظه أبو ضمضم ، ولم يكن بأروى الناس . وما أبعد أن يكون من لا يعرفه من المسمين بهذا الاسم أكثر ممن عرفه . هذا إلى من سقط شعره من شعراء القبائل ؛ ولم تحمله الينا الرواة والعلماء » اهـ .

وعلى هذا تكون جميع أحكام العلماء على الشعر والشعراء مبنية على استقراء ناقص ، وهو لا يفيد اليقين .

٤ً — ذكر بعض العلماء أن بعض القبائل تقف بالسكون على كل متحرك . ولم تبيّن الرواة لغة كل شاعر ، ليعلم هل لغته كذلك أم لا ، وأن الشاعر الذي يقف على الروي المطلق بالسكون لا يظهر في كلامه إقواء ولا إصراف .

٥ً ـ يتضح من كلام العروضيين أن البيت الذي يكون فيه إقواء مثلا يجب أن تقرأ كلمة الروي فيه على حسب ما يقتضيه العامل فيها من وجوه الإعراب ، مع قطع النظر عن حركة روي القصيدة ، وبذلك يتبين الإقواء وغيره . وقصة النابغة في أبياته الدالية[1] تشهد لذلك ، لأنها لو قرئت على ما تقتضيه القافية لم تتبين فيها عاهة . ويتضح من كلام النحاة أن البيت المذكور ، يجب أن تقرأ كلمة الروي فيه على الوجه الذي تقتضيه قافية القصيدة ، وإن كان مخالفاً لقواعد النحو ؛ لأنهم قالوا : إن من جملة المواضع التي يقدر فيها الإعراب ، ما اشتغل آخره بحركة القافية ؛ ومقتضى هذا أن كلمة الروي تحرك بحركة القافية ، وتقدر فيها الحركة التي يقتضيها العامل للتعذر لاشتغال المحل بحركة القافية .

وقد استوفينا الكلام في هذا البحث في كتابنا (المنهل الصافي في العروض والقوافي) .

٦ً ـ ذكر النحاة ، في مباحث التنوين ، أن قسماً من التنوين يقال له : « تنوين الترنم » وهو الذي يلحق القوافي المطلقة بحرف علة في لغة قيس وتميم بدلاً من حرف المد . ومثّلوا لذلك بقولِ الشاعر :

أقلّي اللومَ عاذلِ والعتابَنْ ... وقولي إنْ أصبتُ لقدْ أصابَنْ[2]

وقول الشاعر :

أزِفَ الترحّلُ غيرَ أن ركابَنا ... لما تزلْ برحالنا وكأنْ قدِنْ

(١) انظر البيت الذي وقع فيه الإقواء في دالية النابغة في مختار الشعر الجاهلي ـ مصطفى السقا ج ١ ص ١٨٣ .

(٢) البيت مطلع قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق ، وفي ديوان جرير ص ٦٤ طبعة الصاوي ١٣٥٣ هـ أنه يهجو بها الراعي النميري وهي في نقائض جرير والفرزدق ص ٤٣٢ انظر سيبويه ج ٢ ص ٢٩٨ فما بعدها (باب وجوه القوافي في الإنشاد) .

وقسماً آخر منه يقال له : « التنوين الغالي » وهو الذي يلحق القوافي المقيدة التي يكون رويها حرفاً صحيحاً ساكناً كقول رؤبة :

وقاتِمِ الأَعماقِ خاوي المُخْتَرَقْنْ(١)

ولم تبين الرواة هل كان هـذا التنوين يلحق كل قافية ؟ أم يلحق بعضا دون بعض ؟ والقافية التي يلحقها التنوين لا تظهر عليهـا حركة الإعراب أحياناً فلا يتبين فيها إقواء ولا غيره .

٧ً ـ إن فريقاً من العلمـاء ، ذهب إلى أن الإقواء لا يجوز على امرىء القيس وأمثاله .

٨ً ـ وقع في كلام بعض شعراء العصر العباسي شيء من الإخـلال بالوزن ، وبعض عيوب القافية .

ونحن إذا استقرينا معظم ما انتهى إلينا من أنواع الشعر المنقول عن أهل هذين العصرين ، وأنعمنا النظر في أوزانه وقوافيه ، تبيّن لنا أمران : أحدهما يتعلق بالأوزان ، والثاني يتعلق بالقافية .

أما ما يتعلق بالأوزان : فإننا نجد قسماً من أوزان الشعر تستطيـع الغريزة السليمة وحدها أن تدرك ما فيه من خلل زيادة أو نقصاً . كبعض الأبيات التي جاءت من الطويل ، والبسيط ، والكامل ، والوافر ، ونحوها .

ونجد قسماً آخر لا تستطيع الغريزة وحدها أن تدرك مـا فيه ، بل لا تمكن معرفته ولا مراعاته إلا بواسطة ضوابط ومقاييس ، تعين الغريزة على معرفته وإدراكه ، وذلك كبعض الأبيات التي جـاءت من ضروب المديد ، والسريع ، والمنسرح ، والخفيف ، والمجتث . وبعض الضروب

---

(١) البيت من ارجوزة لرؤبة بن العجاج وهي بتمامها في أراجيز العرب ص ٢٢ فما بعدها .

والأعاريض التي دخلت عليها الزحافات والعلل من بحور مختلفة فإن كثيراً منها يستحيل على الغريزة وحدها أن تدركه .

ولكن الرواة لم ينقلوا إلينا شيئاً يدل على تلك الضوابط والمقاييس ؛ ولا نستطيع أن ندعي وجودها لأسباب ، منها :

١ً — عدم وجود نصوص تثبت وجودها عند المتقدمين .

ومنها :

٢ً — أن جماعة من فحول الشعراء أخلّوا بالوزن في مقلدات أشعارهم ، كعبيد بن الأبرص ، وعديّ بن زيد ، والمرقّش الأكبر ، وطرفة ، وغيرهم .

ولو كانت لديهم قواعد معروفة لأدركوا بسببها ما في أشعارهم من خلل ، قبل أن تدركه الرواة وغيرهم . ولكانت الرواة اتفقت على تصحيح المروي على وجه واحد في غالب الأحيان . ولم يقع تضارب في الروايات يؤدي إلى ارتكاب ما لا تجيزه قواعد اللغة ، أو إلى خروج الكلمة من معنى إلى معنى آخر بعيد عما يريده الشاعر ؛ فيلتمسون لذلك وجوهاً متكلفة ، وآراء ملفقة ؛ يرى الباحث كثيراً منها في كتب العروض والنحو والأدب .

وأما ما يتعلق بالقافية ، فإنا نجد في كلام أهل العصرين المذكورين شيئاً يدل على ضعف في ملكة الشاعر اللغوية والأدبية . وضعفاً في غريزته التي يدرك بها ؛ وهو ما يسميه المتأخرون : (عيوب القافية) وذلك كالتضمين [١] في قول النابغة :

وهُمْ وَرَدوا الجِفَارَ على تَميمٍ   وهمْ أصحابُ يومِ عُكاظَ إنّي [٢]

شَهِدْتُ لَـهُمْ مَواطِنَ صَادِقاتٍ   . . . .

---

(١) التضمين : هو ألا يتم معنى البيت إلا بالذي يليه . المحيط (ضمن)

(٢) تمام البيت الثاني : « أتيتهم بود الصدر مني » والبيتان من نونيته التي مطلعها :

غشيت منازلاً بعريتنات   فأعلى الجزع للحيّ المبنّ

مختار الشعر الجاهلي — مصطفى السقا — ج ١ ص ٢٠٠ .

والإيطاء [وهو أن تكرر القافية لفظاً ومعنى كما] في قول النابغة أيضاً :

أو أضعَ البيتَ في خرساءَ مُظلِمةٍ   تُقيِّدُ العَيْرَ لا يَسْرِي بها السَّاري[1]

ثم قوله بعد :

لا يَخفِضُ الرِّزَّ عن أرضٍ ألمَّ بها   ولا يَضِلُّ على مِصْبَاحِهِ السَّاري

والإقواء [وهو مخالفة القوافي في القصيدة برفع قافية وجر أخرى كما] في قول النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بنانَهُ   عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَّطافَةِ يعقدُ[2]

والإصراف [وهو مخالفة القوافي بفتح مع ضم أو فتح مع كسر كما] في قول امرىء القيس :

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ ما بينَ مُنْضِجٍ   صَفِيفَ شِواءٍ أوْ قَديرٍ معجَّلِ[3]

وفي قول جرير :

عَرَفْنَا جعفراً وَبَني أبيهِ   وأنكَرْنا زَعانِفَ آخَرِينَ[4]

وسناد التأسيس [وهو أن يأتي بيت مؤسس وآخر غير مؤسس كما] في قول امرىء القيس :

إذا قلتُ هَذا صاحبٌ قدْ رَضيتُهُ   وَقَرَّتْ بِهِ العينانِ بُدِّلْتُ آخرَا[5]

كَذلِكَ جَدّي لا أُصاحِبُ صاحِباً   مِنَ النَّاسِ إلاّ خانَني وَتَغَيَّرا

---

(١) مختار الشعر الجاهلي — مصطفى السقا — ج ١ ص ١٧٧ — ٨ وفيه : «في سوداء مظلمة».

(٢) انظر ما سبق ص ٨٤٩ .

(٣) البيت من معلقة امرىء القيس مكسورة لام القافية ، ديوانه ص ٥٨ (بيروت).

(٤) البيت من قصيدة مكسورة نون القافية يخاطب جرير فيها فضالة حين أوعده بقتله وهي في ص ٥٧٧ من ديوانه طبع الصاوي ١٣٥٣ هـ وأول القصيدة :

عرين من عرينة ليس منا   برئتُ إلى عُرَينةَ من عرين

(٥) ديوانه ص ٩٧ (بيروت) .

ونحو ذلك مما هو مبين في كتب العروض والأدب . وأكثر ما وقع في كلامهم الإقواء ، حتى قال الأخفش : الإقواء رفع بيت وجر آخر ، وقد سمعت هذا من العرب كثيراً لا أحصي ، وقلّتْ قصيدة ينشدونها إلا وفيها إقواء ، ثم لا يستنكرونه ، لأنه لا يكسر الشعر : وأيضاً فإن كل بيت على حياله ؛ وقد أشرنا قبلاً إلى أن بعض العلماء أنكر جواز الإقواء على امرىء القيس وأمثاله . والحق أنه وقع في كلام امرىء القيس في معلقته كقوله :

كأنّ ثبيراً في عَرانينِ وَبْلِه كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمّلُ[1]

وكقوله في غير المعلقة :

جَالَتْ لِتَصْرَعَني فقُلْتُ لها اقصري إنّي امرُؤٌ صَرعي عَلَيْكِ حَرامُ[2]

فجُزيتِ خيرَ جَزاءِ ناقةِ واحدٍ ورَجَعْتِ سَالمةَ القَرا بِسَلامِ

وفي معلقة زهير كقوله :

وَإِنّ سَفَاهَ الشّيخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ وإنّ الفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ[3]

---

(١) البيت من معلقة امرىء القيس مكسورة الثانية ، وفي رواية البيت بضم لام (مزمل) الرواه عند الكثيرين ، وقد خفض آخرون هذه اللام على المجاورة لبجاد ومثله ما روي من قول العرب : هــذا جحر ضب خرب ومنه أيضاً قول الأخطل :

جزى الله عني الأعورين ملامة وفروة ثفر الثورة المتضاجم

بجر المتضاجم على جوار الثورة . انظر مجلة المجمع العلمي العربي ص١٦٧ من المجلدة ٣٨ ج ١ . سنة ١٩٦٣ .

(٢) ديوانه ص ١٦٣ (بيروت)

(٣) المعلقات ــ شرح الزوزني (بيروت) ص ٨٩ .

وفي معلقة الحارث بن حلزة كقوله :

فَمَلَكْنا بِذَلِكَ النَّاسَ حَتَّى مَلَكَ المُنذِرُ بنُ مَاءِ السَّمَاءِ (١)

وفي شعر النابغة الذبياني كثيراً كقوله :

زَعَمَ الغُرابُ بأنْ رِحلَتَنا غَداً وَبِذاكَ خَبَّرَنا الغُدافُ الاسْوَدُ

. . . .

. . .

. . . .   عَنَمٌ يَكَادُ من اللَّطَافَةِ يعقَدُ (٢)

وفي شعر حسان بن ثابت كقوله :

لا بأسَ بِالقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ عِظَمٍ جِسْمُ البِغالِ وأحلامُ العَصَافِيرِ (٣)

كَأنَّهُمْ قَصَبٌ جُوفٌ أَسافِلُهُ مُثَقَّبٌ نَفَخَتْ فِيهِ الاعَاصِيرُ

وفي شعر دريد بن الصمة كقوله :

فَدَافَعْتُ عَنْهُ الخَيْلَ حَتَّى تَنَفَّسَتْ

وَحَتَّى عَلاني حَالِكُ اللَّوْنِ أسْوَدُ (٤)

---

(١) مختار الشعر الجاهلي — كيلاني — ج ٢ ص ٣٤٦ والمعلقة مضمومة القافية .

(٢) صدر البيت : « بمخضب رخص كأن بنانه .. » والبيتان من دالية النابغة المكسورة القافية . انظر ما سبق ص ٨٤٩ .

(٣) البيتان من قصيدة لحسان في هجاء النجاشي وقومه بني عبد المدان وهي في ديوانه ص ٢١٣ طبعة البرقوقي ، ورواية البيت الثاني فيه :

كأنكم خشب جوف اسافله مثقب فيه أرواح الأعاصير

ولا إقواء في هذه الرواية .

(٤) البيت من قصيدة طويلة يرثي دريد بها أخاه عبد الله وهي مكسورة القافية وراجعها في الأغاني طبعة دار الكتب ٩/١٠ . ورواية الحماسة ٣٤٤/١ : « أسودي » بياء النسب المخففة فلا إقواء عندئذ .

وفي كتب الأدب ودواوين الشعر كثير من الأمثلة التي خالف فيها أصحابها المشهورَ من قواعد النحو لأجل القافية . . ولم نجد في كلام العلماء ما يدل على أن المتقدمين كانوا قد وضعوا لمثل هذه المسائل قواعد عامة ، أو ضوابط كلية ، يرجعون اليها في معرفة القوافي السالمة من العيوب ، وغير السالمة منها . وإن وجد في كلام بعضهم الإقواء ، والإضجاع ، والسناد .

وإذا قلنا : إنهم كانوا يدركون ذلك بطباعهم وغرائزهم ، فإن بعض الحوادث لا يدل على ذلك ؛ لأن العقل يستبعد أن يخطىء النابغة مثلاً في لغته الفطرية ، وأن لا يدرك ما في شعره من العاهات ؛ ثم يدركه من هو أدنى منه في غريزته ، وأضعف منه في لغته وأدبه .

وكذلك يستبعد مِنْ مثل زهير بن أبي سلمى أن ينظم شعره وينقحه ويعرضه حولا كاملا ، ثم يبرزه وهو مخالف لأصول لغته الواضحة ، وقواعدها المشهورة ، ولأسلوب الشعر المعروف في عهده . ويخفى ذلك عليه وعلى من عرض عليه شعره ، وهكذا يقال في شعر امرىء القيس ، والحارث بن حلّزة ، ودريد بن الصمة ، وأمثالهم ممن جاءت أشعارهم مؤوفة . وأغرب ما في الأمر أن علماء اللغة يحتجون لإثبات معانيها ، وقواعد إعرابها ، بكلام هؤلاء الشعراء الذي يتكلمون به ، على الوجه الذي يتكلمون به ، لأنهم يستمدون قواعد اللغة ومعانيها من أقوالهم ، فكيف يعدون إقواءه مثلاً غلطا في لغته ؟ وهو قد تكلم به كما تكلم بغيره من الكلام الذي اتخذ حجة في إثبات معنى اللغة وإعرابها . وهذا يقتضي أن تكون لهم أصول يرجعون إليها في تمييز الخطأ من الصواب ، ويعولون عليها في تمييز الصحيح من الفاسد ؛ وبسببها استطاعوا أن يدركوا ما لم يدركه الشاعر بغريزته من العاهات .

ومما ذكرناه يتضح أن موقف الناقد في العروض والقوافي دقيق جداً ، ومحفوف بالمتناقضات ، لأنه إذا رأى بيتاً أو أبياتاً لشاعر ، فيه أو فيها عاهة من العاهات ، لا يستطيع أن يحكم عليه أو عليها بشيء حتى يثلم

لغة الشاعر ، هل يقف بالسكون على كل متحرك أم لا ؟ ثم يعلم كيف روي الشعر ، هل كان على وفق ما يقتضيه قول العروضيين أو قول النحاة ؟ وهل روي مع أحد التنوينين الترنم أو الغالي أم لا ؟ ثم يحكم عليه بعد ذلك بالإقواء ونحوه ، مع علمنا أن بعضهم لا يجيز الإقواء على امرىء القيس وأمثاله ، وأن بعضاً آخر قال بوجود الإقواء والإصراف والسناد وغيرها في شعر المتقدمين .

موقف أبي العلاء في هذه القضية

لا شك أن أبا العلاء كان يعلم كل ما ذكرناه ، ويعلم غيره مما لم نذكره من وجوه الاختلاف والتضارب المثيرة للشكوك ، والباعثة على التردد والحيرة . ولذلك لم نعثر في كلامه على نص صريح ، يبين ما استقر عليه رأيه في هذه القضية ، وإنما وجد في كلامه ما يدل على أنه لم يعوّل على رأي واحد .

فقد قال في (رسالة الغفران ص ٥٥)[1] : « الشعر كلام موزون تقبله الغريزة » .. وقال (ص ٨٧)[2] لامرىء القيس : « إن رواة البغداديين ينشدون ...... قولك :

وَكَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيْمِرِ[3]

• • •

[وكذلك] : وكأن مَكاكيَّ الجواء[4]

---

(١) الغفران ط أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ص ١٤٨ .

(٢) الغفران ط أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ص ٢٢٥ .

(٣) تمام البيت :

« . . . . غدوةً من السيل والغثاء فلكة مغزل »

ديوانه ص ٦٢ (بيروت) .

(٤) المصدر السابق وتمام البيت :

« . . . . غديّةً صبحن سلافاً من رحيق مفلفل »

بزيادة الواو في أولها ، فيقول امرؤ القيس : أبعد الله أولئك ، لقد أساءوا الرواية ، وإذا فعلوا فأي فرق يقع بين النظم والنثر ؟ وإنما ذلك شيء فعله من لا غريزة له في معرفة وزن القريض ، فظنه المتأخرون أصلاً في المنظوم . وهيهات هيهات !! » . ويقول له (في ص ٨٧) : « وبعض المعلمين ينشد قولك :

مِنَ السَّيْلِ والغُثَّاء فَلْكَةُ مِغْزَلِ

فيشدد الثاء . فيقول : إن هذا لجهول ، وهو نقيض الذين زادوا الواو في أوائل الأبيات ، اولئك أرادوا النسق ، فأفسدوا الوزن . وهذا البائس أراد أن يصحح الزنة فأفسد اللفظ . وكذلك قولي :

فجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا[1] . . . .

منهم من يشدّد الضاد .... وإنما حملهم على التشديد كراهة الزحاف ، وليس عندنا بمكروه .... » .

ثم يقول له (في ص ٨٨) : « أخبرني عن كلمتك الصاديّة ، والضاديّة ، والنونيّة[2] .... لقد جئت فيها بأشياء ينكرها السمع » . ويورد من كل كلمة

---

(١) تمام البيت : « لدى الستر إلا لبسة المتفضل » انظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ص ٢٢٧

(٢) ثلاث قصائد لامرىء القيس مطالعها :

أمن ذكر سلمى إذ نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة أو تبوص

. . .

أعنّي على برق أراه وميض يضيء حبياً في شماريخ بيض

. . .

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان

ديوانه الصفحات ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٧٠ (بيروت) .

بيتاً ثم يقول : « ... في أشباه لذلك ، هل كانت غرائزكم لا تحس بهذه الزيادة ؟ أم كنتم مطبوعين على إتيان مغامض الكلام ، وأنتم عالمون بما يقع فيه ؟ .

كما أنه لا ريب أن زهيراً كان يعرف مكان الزحاف في قوله :

يَطْلُبُ شَأْوَ امرأيْنِ قَدَّمَا حَسَبًا   نَالاَ المُلُوكَ وَبَذَّا هذِهِ السُّوَقَا[1]

فإن الغرائز تحس بهذه المواضع .... فيقول امرؤ القيس : أدركنا الأولين من العرب لا يحفلون بمجيء ذلك ، ولا أدري ما شجن[2] عنه . فأما أنا وطبقتي فكنا نمر بالبيت حتى نأتي إلى آخره ، فإذا فني وقارب تبين أمره للسامع » .

ثم يقول له : « أخبرني عن قولك :

ألاَ رُبَّ يومٍ لكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ[3]   . . . .

أتنشده (لَكَ مِنْهُنَّ صالحٍ) فتزاحف بالكف ، أم تنشده على الرواية الأخرى[4] فيقول : أما أنا فما قلت في الجاهلية إلا بزحاف : « لك منهن صالح » ؛ وأما المعلمون في الإسلام فغيروه على حسب ما يريدون ، ولا بأس بالوجه الذي اختاروه » .

---

(١) من قصيدة لزهير بن ابي سلمى يمدح بها هرم بن سنان مطلعها :

ان الخليط اجد البين فانفرقا   وعلق القلب من أسماء ما علقا

وهي في ديوانه (بشرح الشنتمري طبعة القاهرة) ص ٣٤ و (حسباً) فيه (حسناً) .

(٢) شجن : منع وحبس .

(٣) تمامه : « .. ولا سيما يوم بدارة جلجل » .

والبيت من معلقة امرىء القيس انظر ديوانه ص ٣٢ (بيروت) .

(٤) روي هذا البيت على الوجه المذكور ، وروي هكذا : « الا رب يوم من البيض صالح » وروي هكذا ايضاً : « الا رب يوم صالح لك منهما » وعلى الرواية الأولى فيه كف التفعيلة الثانية ؛ وهو على الروايتين الأخريين سالم من زحاف الكف . (ع)

ويقول له في (ص ٩٠)[١] كيف تنشد :

جَالَتْ لِتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا اقْصِرِي[٢] . . . .

أتقول : « حرامُ » فتقوي أم تقول : « حرامِ » فتخرجه مخرج « حذام وقطام » وقد كان بعض علماء الدولة الثانية يحملك لا يجوز الإقواء عليك ؟ .
فيقول امرؤ القيس : لا نكرة عنـــدنا في الإقواء ، أما سمعت البيت في هذه القصيدة :

فَكَأَنَّ بَدْراً واصِلٌ بِكُتَيْفَةٍ ‏ ‏ ‏ وَكَأَنَّمَا من عاقِلٍ إِرْمَامُ

فيقول : لقد صدقت يا أبا هند ، لأن « إرماما » ها هنا ليس واقعاً موقع الصفة فيحمل على المجاورة ، لأنه محمول على كأنما ... » .

وقال في (ص ٢٨) لعدي بن زيد ، وقد أنشده قوله في ولده علقمة :

أَنْعِمْ صَبَاحاً عَلْقَمَ بنَ عَدِيّ ‏ ‏ ‏ أَثَوَيْتَ اليَوْمَ لَمْ تَرْحَلْ[٣]

---

(١) الغفران ط أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ص ٢٣٢ .

(٢) في بنت الشاطىء : « ... فقلت لها قري .. » وتمام البيت : « إني امرؤ صرعي عليك حرام » وهو من ميميته التي مطلعها :

لمن الديار غشيتها بسحام ‏ ‏ ‏ فعمايتين ، فهضب ذي اقدام ؟

ديوانه ص ١٦٣ (بيروت) .

(٣) هذا البيت من قصيدة لعدي مطلعها :

تعرف امس من لميس طلل ‏ ‏ ‏ مثل الكتاب الدارس الأحول

وهو من السريع ، جاءت عروضه مخبولة مكشوفة « فعلن بدلاً من مفعولات » وجاء الضرب اصلم « فعْلن بدلاً من مفعولات » والبيت مصرّع وحق المصرّع ان تجيء العروض فيه مشابهة للضرب ، ولم تجيء ها هنا كذلك .
وكذلك قوله : انعم صباحاً علقم .. جاءت عروضه مخبولة مكشوفة ، وجاء ضربه اصلم والمشهور ان عروض السريع هذه لها ضرب واحد مثلها . (ج)
وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٨٣ .

وإني لأحار يا معاشر العرب في هذه الأوزان التي نقلها عنكم الثقات وتداولتها الطبقات . ومن كلمتك التي على الراء وأولها :

قَدْ آنَ أنْ تَصْحُوَ أوْ تُقْصِرْ وَقَدْ أتى لِمَا عَهِدْتَ عُصُرْ
عَنْ مُبْرِقَاتٍ بالبُرِينَ وتبـــدو بالأكُفِّ اللامِعاتِ سُوُرْ
بِيضٌ عَلَيْهِنَّ الدِّمَقْسُ وبالـ أعْنَاقِ مِنْ تَحْتِ الأكِفَّةِ دُرْ[1]

---

(١) وهذه الأبيات من السريع ، جاء في عروض البيت الأول الصلم (فَعْلُن بدل مفعولات) وجاء الضرب مخبولاً مكشوفاً (فَعِلُن بدل مفعولات) والبيت مصرع ، ولم تشابه عروضه ضربه . وجاءت العروض في البيت الثاني وما بعده مخبولة مكشوفة ، وجاء الضرب مماثلاً لها .

وقد ذكر العروضيون أن للسريع أربع أعاريض : الأولى مطوية مكشوفة ، ولها ثلاثة أضرب ، الأول : مطوي موقوف . والثاني : مطوي مكسوف ، والثالث : اصلم . والعروض الثانية مخبولة مكشوفة ، ولها ضرب واحد مثلها كقول المرقش :

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

هذا هو المختار المشهور ، وقد أثبت بعض العلماء للعروض الثانية ضربا اصلم ؛ ونقل عن الخليل والجمهور ، وقيل إنه هو ضربها المكسوف المخبول المنقول إلى (فعِلن) لكنه زوحف بالإضمار فصار (فَعْلن) .

وقالوا : يجوز اجتماع هذا الضرب الأصلم مع الضرب الآخر المخبول المكسوف في قصيدة واحدة ، كما وقع ذلك في قصيدة المرقش حيث يقول فيها :

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم
ديار أسماء التي تبلت قلبي فعيني ماؤها يسجم

وعلى هذا يكون اعتراض أبي العلاء على عدي والمرقش وطرفة في غير محله والإيضاح هذا في كتابنا المنهل الصافي . (ح)

وقال في (ص ٩٨)[١] لطرفة : « ولقد جئت بأعجوبة في قولك :

لَوْ كانَ في أملاكِنا مَلِكٌ ... يَعْصِرُ فينا كالذي تَعْصِرْ

لاجْتَبْتُ صَحْنَيِ العِراقِ عَلى ... حَرْفٍ أمُونٍ دَفُّهـا أزْوَرْ

مُتْعَني يَوْمَ الرَّحيلِ بِهـا ... فَرْعٌ تَنَقَّـاهُ القِدَاحِ يَسَرْ[٢]

ولكنك سلكت مسالك العرب فجئت بفريّ كلمة المرقّش :

هَلْ بالدِّيارِ أنْ تُجيبَ صَمَمْ ... لو كانَ حَيّاً ناطِقاً كلَّمْ[٣]

وقول الأعشى :

أقْصِرْ فَكُلُّ طالِبٍ سَيَمَلْ[٤] ... .

على أن مرقّشاً خلط في كلامه ، فقال :

مَاذَا عَلَيْنَا أنْ غَزَا مَلِكٌ ... مِنْ آلِ جَفْنَةَ ظَالِمٌ مُرْغِمٌ[٥]

---

(١) من رسالة الغفران ط امين هندية وانظر بنت الشاطىء ص ٢٥٣ .

(٢) هذه الأبيات من الرجز ، جاءت العروض فيها مخبولة مكسوفة ، وجاء الضرب في البيت الأول والثاني أصلم ، وفي الثالث مخبولا مكسوفاً كالعروض . وقد ذكرنا قول العروضيين فيه . (ج)

(٣) هذا البيت مصرّع ، ولكن جاءت عروضه مخبولة مشكولة ، وجاء ضربه أصلم .(ج) والبيت للمرقش الأكبر ، انظر المفضليات تحقيق ـ شاكر ، وهارون ص ٢٣٧ وفيها : « .. لو كان رسم ناطقا كلم » .

(٤) تمام البيت : « إذ لم يكن على الحبيب عول » . ديوانه ط اوربا ص ١٨٩ .

(٥) هذا البيت شطره الأول من الرجز ، عروضه مخبولة مكسوفة ، والشطر الثاني منه من الكامل في أول تفعيلة منه إضمار ، والثانية تامة ، والثالثة فيها إضمار وحذذ . وإذا جعلت الشطر الأول من الكامل فيكون في التفعيلة الأولى اضمار ، وتكون عروضه حذاء ، وحينئذ لا شاهد فيه . (ج)

ورواية البيت في المفضليات ص ٢٣٩ :

« ما ذنبنا في ان غزا ملك ... من آل جفنة حازم مرغم »

وهذا خروج مما ذهب إليه الخليل » .

وقال في (ص ٩٦)[1] للحرث اليشكري : « لقد [أتبعت الرواة في تفسير قولك :

زَعموا أنَّ كلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيـــرَ مُوالٍ لنـــا وأنّا الوَلاء

وما أحسبك أردت إلا العير الحمـار . ولقد] شنعت هـذه الكلمة بالإقواء في ذلك البيت[2] ويجوز أن تكون لغتك أن تقف على آخر البيت ساكناً ، وإذا فعلت ذلك اشتبه المطلق بالمقيد » .

وقال في (ص ٩٥)[3] لعمرو بن كلثـوم : « لوددت أنك لم تُسانِدْ في قولك :

كأنَّ مُتُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ تُصَفِّقُها الرِّياحُ إذا جَرَيْنا[4]

وقال في (لزوم ما لا يلزم ص د ٢)[5] : « ومن الحركات المَجرى ، وهي حركة الروي ، فإذا اختلفت فهو الإقواء ، وأكثر ما يجيء في المرفوع والمخفوض ، ويقال : إنهم اجترأوا على ذلك لأنهم يقفون على الروي بالسكون. وإنما أجازوا ذلك في المرفوع والمخفوض ، وكرهوا الفتحة أن تجيء مع الكسرة أو الضمة .

فأما الخليل وابن مسعدة فلم يذكراه . وقد جاءت أشياء في الشعر

---

(١) من الغفران ط أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ص ٢٤٨ .

(٢) يريد قوله المتقدم :

فملكنا بذلك الناس حتى ملك المنـذر بن ماء السماء (ع)

(٣) من الغفران ط أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ص ٢٤٤ .

(٤) قبل هذا البيت :

إذا وضعت عن الأبطال يوماً رأيت لها جلود القوم جونا

وفيه سناد الحذو ، وهو اختلاف حركة الحرف التي قبل الردف بالفتح مع الضم.(ع) انظر شرح المعلقات السبع الزوزني ص ١٣٢ (بيروت) وفيها : « كأن غضونهن متون ... » .

(٥) شرح عزيز زند ط المحروسة بمصر ، وانظر اللزوميات هـ ص ١٠ .

القديم بعضُها منصوب ، وبعضها مرفوع أو مخفوض وإنما يُحْمَل ذلك على الوقف لأنه يبعد أن يقول عربيٌّ فصيح له علم بالشعر :

أَلَـمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا ... وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدا

فيجيء بالألف ، ثم يجيء ببيت مرفوع أو مخفوض ، إذ كانت الألف منافية للواو والياء .

وإذا حُكِمَ بالوقف على القافية ، فلا فرق بين الحركات الثلاث ؛ على أن تعاقب الحركتين الكسرة والضمة أكثر من معاقبة الفتحة لإحدى هاتين »اهـ .

وذكر في (رسالة الغفران)[١] قول أبي الهندي :

سَيُغْنِي أَبَا الهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ ... أَبَارِيقُ لَمْ يَعْلَقْ بِهَا وَضَرُ الزُّبْدِ

مُفَدَّمَةٌ قَزًّا كَأَنَّ رِقَابَهَا ... رِقَابُ بَنَاتِ المَاءِ أَفْزَعَهَا الرَّعْدُ

ثم قال : « هكذا ينشد على الإقواء ، وبعضهم ينشد : « رقاب بنات الماء خافت من الرعدِ » والرواية الأولى إنشاد النحويين . وأبو الهندي إسلامي واسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس[٢] ، وهذان اسمان شرعيان ، وما استشهد بهذا البيت إلا وقائله عند المستشهد فصيح . فإن كان أبو الهندي عن كتب وعرف حروف المعجم ، فقد أساء في الإقواء . وإن كان بنى الأبيات على السكون فقد صح قول سعيد بن مسعدة في أن الطويل من الشعر له أربعة أضرب » .

وظاهر كلامه أنه لا يسامح شعراء الدولة الثانية بالإقواء ، ولا يعذرهم في غيره كما مر قوله في البحتري .

---

(١) الغفران ط امين هندية وانظر بنت الشاطىء ص ١٨ .

(٢) في الشعر والشعراء ص ٢٦٢ اسمه : عبد القدوس بن شبث . وفي الأغاني اسمه غالب بن عبد القدوس بن شبث ، وكذلك في فوات الوفيات وروى ابن قتيبة في الشعر والشعراء : « رقاب بنات الماء تفزع للرعد » وتوفي نحو سنة ١٨٠هـ.(ج)

وقال في (رسالته إلى النكتي البصري ص ١٠٩)[١] : « أيعرض أفانين القريض ، على ضروب الأعاريض ؛ أم يقولها بغريزة ، غير مؤتشبة[٢] النحيزة . فإن كان يبني البيت كما بناه أهل الجاهلية بطباع ، لا يعرف مكان توجيه ولا إشباع ؛ فكيف نافى العيّ ، ولم يكف الـرُّباعي . وقد كفته فحول الشعراء .. » .

وقال في (ص ١١٩) : « ولست أحمده على مجانبة إقواء أو إكفاء ، ولا أعد ذلك في الغريزة من الوفاء . لأن من عرف حروف المعجم ، من شعراء العرب والعجم ، وجب عليه أن يهجر ذلك » .

وفي (ص ١٢٢) انتقد أبا عبادة البحتري لقوله :

لم تُدْعَ ذَا السَّيْفَيْنِ إلا نَجْدَةً ... بِكَ أَوْجَبَتْ لَكَ أَنْ تُقَلَّدَ آخَرَا[٣]

في قصيدته التي يقول في مطلعها :

لله عَصْرُ سُوَيْقَةٍ ما أَنْضَرا[٤]

ثم قال فيه : وقد دخل فيما هو أشنع من هذا ، أليس هو الذي يقول :

لا تُلْحِقَنَّ إلى الإسَاءَةِ أُخْتَها ... شرُّ الإِسَاءَةِ أَنْ تُسِيء مُعَاوِدَا[٥]

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري ، انظر الرسائل شرح شاهين عطية ص ١٠٥ ــ ١٥٢ .

(٢) مؤتشبة : أي مختلطة ، والنحيزة : الطبيعة .

(٣) ديوانه ٢٤٣/١ ط الجوائب وفيه :

« ما قلد السيفين الا نجدة ... في الحرب توجب أن يقلد آخرا »

(٤) وتمام البيت : « إذ جاور البادون فيه الحضرا »

(٥) ديوانه ١٦٣/٢ .

وارْفَعْ يَدَيْكَ إلى السَّمَاحَةِ مُفْضِلاً

إنَّ العُلَى في القَوْمِ للأعْلَى يَدَا »

ثم أورد بيتاً آخره « أبعدها مدى » وبعده بيت آخره « يكرم والدا»[1] .

ثم قال : « فظن أبو عبادة أن الألف التي في الكلمة المنفردة عن أختها ، وليست الثانية من المتصلات بالضمير ، أو المضمرات نفوسها ، يصلح أن يكون تأسيساً فتجيء مع والد وصاعد . وذلك مجمع على رفضه عند من تقدم .

وغيره لا يجعلون الألف المنفصلة تأسيساً ، أليس قد قال العجاج :

قَدْ هَاجَ أحزَاناً وَشَجْواً قَدْ شَجَا

ثم قال :

فَهُنَّ يَعْكِفْنَ بِهِ إذا حَجَا

وقال عنترة :

الشَّاتِمَيْ عِرْضي وَلَمْ أشْتِمْهُمَا والنَّاذِرَيْنِ إذا لم ألْقَهُمَا دَمي[2]

والقصيدة ليست بمؤسسة . وإنما تضعف بعض الغرائز في غير المؤسس ؛ فتجيء بالتأسيس أو فيما بني عليه ؛ فتجيء بما هو خال منه » .

ثم قال في (ص ١٢٥) : « وإن كان ـ أدام الله عزه ـ يقول الشعر بقياس العروض ، فكيف تفرع هذه الأوزان التي هي سليمة قوية .. ؟ وقد شاهدنا بعض من يقول الشعر بالعروض ، ربما ركب وزن قصيدة المرقش ، وعنده

---

(١) البيتان هما :

شروى أبي الصقر الذي مدت له شيبان في الحسنات أبعدها مدى
ويسرني أن ليس يكرم شيبة من معشر من ليس يكرُمُ والدا

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٠٣ (بيروت) .

أن غرائز الناس اليوم لا تنفر من مثل ذلك . وأحسبه ـ جل الله به ـ قد جمع بين طبع كالبحر الخضم ، وعلم اكتسبه جم .. » .

وذكر في (رسالة الغفران ص ١٤١)[١] قول الحكمي[٢] :

تِيهُ مُغَنٍّ وَظَرْفُ زنديقِ

ثم قال : « فقد عيب عليه هـذا المعنى » ثم قال : « وقوله في صدر هذا البيت :

نَديمُ قَيْلٍ مُحدّثُهُ مَلِكِ[٣]

فهو نحو من قول امرىء القيس :

فاليَومَ أشرَبْ غيرَ مُستَحقِبٍ ... إثماً مِنَ اللهِ ولا واغِلِ[٤]

وليس ينبغي أن يُحمل على قول من وقف على الماء ، كما قال :

يا بَيْذَرَهْ يا بَيْذَرَهْ يا بَيْذَرَهْ

وكما قال الآخر :

يارُبَّ أبازٍ مِنَ العُصْمِ صَدَعْ ... تَقَبّضَ الظّلُّ عَلَيهِ فاجتَمَعْ

لَمّا رأى ألا دَعَهْ ولا شِبَعْ ... مالَ إلى أرْطاةِ حِقْفٍ فاضطَجَعْ

---

(١) طبعة أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ص ٣٦٩ .

(٢) هو أبو نواس الحسن بن هانىء .

(٣) صدر البيت هذا وعجزه الذي سبقه هما بيت من قصيدة في مدح العباس بن الفضل مطلعها :

كنت من الحب في ذُرى نيق ... أرود منها مراد موموق

انظر ديوان أبي نواس ص ٨٩ .

(٤) البيت من لاميته التي مطلعها :

يا دار ماوية بالحـائل ... فالسهب فالخبتين من عاقل

ديوانه ص ١٤٨ (بيروت) .

لأن هذا أحسنُ فيه إظهار الهاء ، إذ كان الكلام تاماً يحسن عليه السكوت ، وقوله : « محدثه مَلكٍ » مضاف ومضاف إليه فلا يحسن فيه مثل ذلك إذ كان الاسمان كاسم واحد » .

وقال فيها (ص ١٥٠)[١] في الكلام على الحلاج : « وأما الأبيات التي على الياء :

يَاسِرَّ سِرِّ يَدِقُّ حَتّى يَجِلَّ عَنْ وَصْفِ كلِّ حَيّ
وَظَاهِراً بَاطِناً تَبَدّى مِنْ كلِّ شَيْءٍ لِكُلِّ شَيّ
يَا جُمْلَةَ الكُلِّ لَسْتَ غَيْري فَمَا اعْتِذَاري إذاً إِلَيّ

فلا بأس بنظمها في القوة ، ولكن قوله : « إليّ » عاهة في الأبيات ؛ إن قُيِّد فالتقييد لمثل هذا الوزن لا يجوز عند بعض الناس ، وإن كسر الياء من « إليّ » فذلك رديء قبيح . وأصحاب العربية مجمعون على كراهة قراءة حمزة (وما أنتُمْ بِمُصْرِخِيِّ)[٢] بكسر الياء . . .

وقال في (الغفران ص ١٦٤)[٣] : « والبيتان اللذان رواهما الناجم عن ابن الرومي مُقَيَّدان ، وما علمت أنه جاء عن الفصحاء هذا الوزن مقيّداً ، إلا في بيت واحد يتداوله رواة اللغة والبيت :

كَأَنَّ القَوْمَ عُشُّوا لَحْمَ ضَأنٍ فَهُمْ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ طُلاَهُمْ[٤]

---

(١) الغفران ، تحقيق بنت الشاطيء ص ٣٩٣ .
(٢) سورة ابراهيم الآية (٢٢) .
(٣) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطيء ص ٤٢٧ .
(٤) البيت لذي الرمة انظر ديوانه ص ٦٧٢ ط كامبريج
ونعج الرجل : كفرح ثقل من أكل لحم الضأن ؛ والطُّلى : كالهدى الأعناق مفردها طُلية وطُلاة .

وهذا البيت مؤسس ، والذي قال ابن الرومي بغير تأسيس » اهـ .

فهذه نصوص متعددة نقلناها من كلام أبي العلاء . وليس فيها ما يدل دلالة صريحة على أن للشعراء قبل العروض مقاييس معروفة ، يعولون عليها في ضبط الأوزان ، وتمييز القوافي الصحيحة من غيرها .

وأكثر كلامه يشعر بأن ذلك مما يدرك بالغريزة . ولقد وقف موقف الحيرة في بعض الأوزان التي نقلتها الثقات ؛ وهي مخالفة للمشهور بين الشعراء ، واستبعد أن يرتكب بعض أولئك الشعراء ما يُخل بفصاحة الكلام ، ويدركه بالبداهة من هو أدنى منهم منزلة في البلاغة ، وأضعف غريزة في نظم الشعر وفهمه .

طريقته في إثبات الشعر ونفيه ، وفي التثبت من الرواية الصحيحة وترجيح رواية على غيرها

قد يتعرض أبو العلاء في نقده الشعر إلى البحث والتحقيق في شعر نسب إلى غير قائله ، فيثبته أو ينفيه ، كما يتعرض أحياناً إلى ترجيح رواية على غيرها ، وقد يأتي بدليل يؤيد به ما يريده ؛ وقد يناقش الدليل ، وأحياناً يقتصر على النفي أو الإثبات من قبل الشاعر أو غيره ، وقد سلك في ذلك طرقاً مختلفة منها :

١ ــ أن يجعل الشاعر هو السائل عن الرواية ، وهو المرجح لرواية على غيرها وأحياناً يكون غير السائل والمسؤول مثبتاً للشعر أو نافيا . مثال ذلك قول النابغة الذبياني في (ص ٣٥ من رسالة الغفران)[1]: «وكيف ينشدون :

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ، ط١ ص ٩٤ .

وإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ أَقْمَرَ مُشْرِقا(١)

وما بعده ؟ فيقال بفتح التاء على الخطاب ، فيقول : قد يسوغ هذا ، ولكن الأجود أن تجعلوه إخباراً عن المتكلم ، ثم يوضح ذلك ؛ ثم تُستدعى الرواة ، ويقال لهم : كيف تروون قول النابغة هذا ؟ فيقولون : بفتح التاء . فيقول : هذا شيخنا أبو أمامة يختار الضم . فيقولون : هو كما جاء في الكتاب الكريم ﴿ والأمْرُ إلَيْكِ فانْظُرِي مَاذا تَأمُرِين(٢) ﴾ .

[فيقول ابن القارح] : مضى الكلام في هذا يا أبا أمامة ، فأنشدنا كلمتك التي أولها :

أَلِمَّا على المَمْطُورَةِ المُتَأَبِّدَه أَقَامَتْ بِهَا في المَرْبَعِ المُتَجَرِّدَه

ويذكر أربعة أبيات منها(٣) . فيقول أبو أمامة : ما أذكر أني سلكت هذا القريّ قط . فيقول الشيخ : من الذي تطوع فنسبها إليك ؟ فيقول : إنها لم تنسب على سبيل التطوع ، ولكن على معنى الغلط [والتوهم] .

ثم ذكر النابغة الجعدي أنها لرجل من بني ثعلبة ، أنشده إياها لنفسه .

---

(١) صدر بيت من دالبته في المتجردة التي مطلعها :

أمن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

انظر ما سبق ص ٨٤٩ .

(٢) سورة النمل الآية (٣٣) .

(٣) الأبيات الثلاثة الأخرى هي :

مضمخة بالمسك مخضوبة الشوى بدرّ وياقوت لها متقلده

كأن ثناياها وما ذقت طعمها مجاجة نحل في كميت مبرده

ليفرر بها النعمان عيناً فانها له نعمة في كل يوم مجدده

٢ ً ـ وقد يكون السـائل غير الشاعر ؛ ويكتفي بإنكار الشعر المنسوب إليه . وذلك مثل قول الشيخ للنابغة الجعدي : ياأبا ليلى أنشدنا كلمتك التي على الشين . وينشد تسعة أبيات منها [١] . فيقول النابغة : ماجعلت الشين قط رويّا . وفي هـذا الشعر ألفاظ لم أسمع بها قط . وذكر ثلاثة منها [٢] . فقال له : شغلك ... وتَنَمَّتْكَ لحوم الطير ... فنسيت ماكنت عرفت . ثم فسر له تلك الألفاظ [٣] .

وقريب من هذا قوله لأعشى قيس : يا أبا بصير أنشدنا قولك :

أَمِنْ قَتْلَةَ بالأَنْقَـا ء دَارٌ غَيْرُ مَحْلُولَـة

---

(١) الأبيات : ولقد أغدو بشَرب أُنُف قبل أن يظهر في الأرض ربش
معنا زِقٌّ إلى سَمَّهة تسق الآكال من رطب وهش
فنزلنا بمليع مقفرٍ مسّه طلٌّ من الدجن ورش
ولدينا قينة مسمعة ضخمة الأرداف من غير نفش
وإذا نحن بإجلٍ نافر ونعامٍ خيطه مثل الحبش
فحملنا ما هنا ينصفنا فوق يعبوبٍ من الخيل أجش
ثم قلنا : دونك الصيد به تدرك المحبوب منا وتعش
فأتانا بشبوب ناشطٍ وظليم معه أم خشش
فاشتوينا من غريض طيب غير ممنون وأبنا بغبش

(٢) وهي : « ربش ، وسمّهة ، وخشش » .

(٣) الغفران ط أمين هندية ص ٣٤ . (ح) . وانظر بنت الشاطىء ص ٩٧ ـ ٩٨ .

وقد أورد منها ثمانية أبيات[1] ؛ فقال له الأعشى : ماهذه مما صدر عني ، وإنك منذ اليوم لمولع بالمنحولات . ويقرب من هذا ماذكره في (الغفران ص ٦٨) أن الشيخ سمع الجواري يرقصن على أبيات أربعة أولها :

إِنَّ الخَلِيطَ تَصَدَّعْ فَطِرْ بِدائِكَ أَوْ قَعْ[2]

فيقول للخليل : لمن هذه الأبيات ؟ فيقول الخليل : لا أعلم . فيقول : إنا كنا في الدار العاجلة نروي هـــذه الأبيات لك . فيقول الخليل : لاأذكر شيئاً من ذلك .

٣ – وقد يحمل السائل غير الشاعر ؛ والمثبت للشعر غيرهما . ومن هذا ماذكره في (الغفران ص ٦٨) أن قينة غنت جماعة بأبيات

---

(١) وهي : أمن قتـــلة بالأنقا ء دار غـــير محلوله
كأن لم تصحب الحي بهـــا بيضاء عطبوله
أناة ينزل القوســـيّ منهـــا منظر هوله
وما صهباء من عانـــة في القارح محموله
تولى كرمها أصهـــب يسقيه ويندو له
ثوت في الخرس أعواماً وجاءت وهي مقتوله
بمـــاء المزنة الغرّا ء راحت وهي مشموله
بأشهى منك للظمآ ن لو انك مبذوله
الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٠١ .

(٢) تمامها : لولا جوارٍ حسانٌ مثل الجآذر أربعْ
أم الرباب وأسما ء والبغوم وبوزعْ
لقلت لظاعن الظعن إذا بدا لك أو دعْ
الغفران تحقيق بنت الشاطىء ص ١٨٣ .

لجران العود؟ فلما عجبوا من إحسانها قالت : أتدرون من أنا؟ فيقولون : لا والله المحمود! فتقول : أنا أم عمرو التي يقول فيها القائل :

تَصُدُّ الكَأسَ عَنَّا أمَّ عَمْرٍو ... وَكانَ الكأسُ مَجْرَاها اليَمِينَا

وَما شَرُّ الثَّلاثَةِ أمَّ عَمْرٍو ... بِصَاحِبِكِ الذي لا تَصْبَحِينَا

فيقولون : لمن هذا الشعر ، ألعمرو بن عدي اللخمي ، أم لعمرو بن كلثوم؟ فتقول: أنا شهدت ندمانَي جذيمة ، مالِكاً وعَقيلاً ، وصَبَحْتُهما الخمر المشعشعة لما وَجَدا عَمْرو بنَ عدي ، فكنت أصرف الكأس عنه ، فقال هذين البيتين؛ فلعل عمرو بن كلثوم حسّن بها كلامَه ، واستزادهما في أبياته [1] .

٤ – وقد يستدل على أن الشعر لشاعر بكلمة استعملها هذا الشاعر في موضع آخر من شعره . مثال ذلك ماذكره في (الغفران ص ١٠٧) [2] أنه قال لتأبط شراً : أحق ما روي عنك من نكاح الغيلان؟ فقال : كنا في الجاهلية نتقوّل ونتخرّص . فما جاءك عنا مما ينكرُه المعقول ، فإنه من الأكاذيب؛ والزمن كله على سجية واحدة ..... فيقول له : نقلت إلينا أبيات تنسب إليك :

أنا الذي نَكَحَ الغِيلانَ في بَلَدٍ ... ما طَلَّ فيها [3] سِماكِيٌّ ولا جادَا

في حيثُ لا يَعْمِتُ الغَادِي عَمَايَتَهُ ... ولا الظَّلِيمُ بِهِ يَبْغِي تَهَبَّادا

---

(١) الغفران ط ‍ه ص ٦٨ والغفران ـ بنت الشاطئ ط ١ ص ١٨٢ .

(٢) انظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٢٧٩ .

(٣) في الغفران تحقيق بنت الشاطئ : « فيه » وتذكير البلد أفصح وكذا جاء في التنزيل وقد يؤنث على معنى الدار .

إلى آخر الأبيات الأربعة[١] . ثم قال : فاستدللت على أنها لك لما قلت : « تهبّادا » مصدر تهبّد الظليم : إذا أكل الهبيد . فقلت : هذا مثل قوله [في القافية] :

طَيفُ ابنةِ الحرّ إذ كُنّا نُواصِلُها   ثم اجتُنِبتُ بها بَعدَ التِّفِرّاقِ[٢]

مصدر تَفَرّقوا تِفِرّاقاً ؛ وهذا مطرد في تَفَعّل ، وإن كان قليلا في الشعر . . فلا يجيبه تأبط شراً بطائل .

٥ — وقد يجعل الشاعر هو المسؤول ؛ فيتولى نفي الشعر عن نفسه ويقيم الأدلة على ذلك من شعره المسؤول عنه ومن غيره . ومثال هذا ماذكره في (الغفران ص ١٠٨)[٣] حيث قال : فيلقى « الشيخ » آدم (عليه السلام) في الطريق ، فيقول يا أبانا — صلى الله عليك — قد روي لنا عنك شعر منه قولك :

نَحنُ بَنُو الأرضِ وسُكّانُها . مِنها خُلِقنا وإليها نَعودْ

والسَّعدُ لا يَبقى لأَصحابِهِ   والنَّحسُ تَمحُوهُ لَيالي السُّعُودْ

فيقول : إن هذا القول حقّ ، وما نطقه إلا بعض الحكماء ، ولكني لم أسمع به حتى الساعة . فيقول له : فلعلك يا أبانا قلته ثم نسيت . . فيقيم آدم الأدلة على أنه كان يتكلم بالسريانية بعد أن هبط إلى الأرض .

---

(١) تمامها : ولقد أموت بمجهول عوارضها   بكر تنازعني كأساً ومفادا
ثم انقضى عصرها عني وأعقبه   عصر للشيب ظل في صالح بالها

(٢) رسالة الملائكة ص ٩٠ (ج) وفيها : « ... ثم اجتنبت » . ويبدو أنها اجتنبت المعلوم في الغفران ط أمين هندية ، والمجهول في بنت الشاطئ .

(٣) وانظر بنت الشاطئ ص ٢٨٠ — ٢٨٢ .

ثم يقول له : زعم بعض أهل السير أن هــذا الشعر وجده يعرُب في متقدم الصحف بالسريانية ، فنقله إلى لسانه ، وهذا لايمتنع أن يكون .

٦ ــ وقد يحمل الشاعر هو المـؤول ، ويكتفي بنفيه الشعر عن نفسه ، ومثال ذلك ماذكره في (الغفران ص ١٠٩) [١] أن الشيخ ابن القارح يقول لآدم : وكذلك يروون لك ــ صلى الله عليك ــ لما قتل قابيلُ هابيلَ :

تغيَّرَتِ البِلادُ ومَن عَلَيْها . . . .

البيتين [٢]

فيقول آدم ﷺ : أعزِز عليّ بكم معشر أبيَّنيّ ! إنكم في الضلالة مُتَهَوِّكون [٣] . آليت ما نطقت هذا النظم ؛ ولا نطق في عصري . وإنما نظمه بعض الفارغين ... كذبتم على خالقكم ثم على آدم أبيكم ، ثم على حواء أمكم ؛ وكذب بعضكم على بعض ، ومآلكم في ذلك إلى الأرض .

وقد قال في (ص ٧٥) [٤] للخيتعور أحد بني الشيصبان : « أخبرني عن أشعار الجن ، فقد جمع منها المعروف بالمرزباني قطعة صالحة . فيقول ذلك الشيخ : إنما ذلك هذيان لا معتمد عليه . . » وقد ذكر في غير هذا الموضع .

---

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ص ٢٨٣ .

(٢) هما : تغيرت البــلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

وأودى ربع أهليها فبانوا وغودر في الثرى الوجه المليح

(٣) تهوك : تحير واضطرب .

(٤) من الغفران ط أمين هندية ، وانظر بنت الشاطىء ط ١ ص ١٩٧ ــ ٨ .

وعلى هذا المثال احتذى في إثبات الشعر ونفيه ، وفي قبول الرواية وردّها ، وفي ترجيح رواية على أخرى . ويمكن أن يقاس عليه ما جاء في (الغفران ص ٨٩) [١] أنه يقول لامرىء القيس : أخبرني عن التسميط المنسوب إليك ، أصحيح هو عنك ؟ وينشده الذي يرويه بعض الناس :

يا صَحْبَنَا عَرِّجوا تَقِفْ بِكُمْ أُسُجُ

إلى آخر الأبيات [٢] فيقول : لا والله ما سمعت هذا قط ، وإنه لقريّ لم أسلكه ، وإن الكذب لكثير ، وأحسب هذا لبعض شعراء الإسلام ، ولقد ظلمني وأساء إلي ؛ أبعد كلمتي التي أوّلها :

ألا عِمْ صَبَاحاً أيُّها الطَّلَلُ البَالي [٣] . . . .

---

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ص ٢٣٠ .

(٢) تمامها : مهريّة دلج في سيرها سعجُ
طالت بها الرحل
فعرّجوا كلهم والهم يشغلهم
والعيس تحملهم ليست تملّهم
وعاجت الرُّجُلُ
ياقوم إن الهوى إذا أصاب الفتى
في القلب ثم ارتقى فهدّ بعض القوى
فقد هوى الرجل

(٣) عجزه : « وهل يعمن من كان في العصر الخالي » . ديوانه ص ١٣٩ (بيروت) .

وقولي

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ[1] . . . .

يقال لي مثل ذلك ؟ والرجز من أضعف الشعر ، وهــذا الوزن من أضعف الرجز ..

ويقول له (ص ٩٠) كيف يُنشد :

جَالَتْ لِتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا اقْصِرِي   إِنِّي امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَامُ[2]

أتقول : حرامُ فتقوي ؟ أم حرامِ فتخرجه مخرج حذام وقطام .

ويقول له (ص ٩١) : إنا لنروي لك بيتا ما هو في كل الروايات ، وأظنه مصنوعا ، لأن فيه ما لم تجر عادتك بمثله ، وهو قولك :

وَعَمْرُو بْنُ دَرْمَاءَ الْهُمَامُ إِذَا غَدَا   بِصَارِمِهِ يَمْشِي كَمِشْيَةِ قَسْوَرَا[3]

فيقول : أبعد الله الآخر ، لقد اخترص . وإن نسبة مثل هذا إلي لأعده إحدى الوصمات ....

وكذلك ما رواه في (الغفران ص ٢١) من أبيات للأعشى ميمون ابن قيس في مدح للنبي (ﷺ) آخرها قوله :

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَوْنَ وَذِكْرُهُ   أَغَارَ لَعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا[4]

---

(١) عجزه : « نقضّ لبانات الفؤاد المعذب » . ديوانه ص ٦٤ (بيروت) .

(٢) انظر ما سبق ص ٨٥٣ .

(٣) انظر ما سبق ص ٧٥٦ .

(٤) روى أبو العلاء تسعة أبيات من دالية الأعشى ابتدأها بالبيت الآتي :

الا أيهذا السائلي أين يمّمت   فان لها في أهل يثرب موعدا

انظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٦١ — ٦٢ .

ثم قال : حكى الفراء وحده « أغار » في معنى غار إذا أتى الغور .
وإذا صح هذا البيت للأعشى فلم يُرد بالإغارة إلاّ ضد الإنجاد ، وروى عنه الأصمعي روايتين[1] : إحداهما أن « أغار » في معنى عَدَّا عَدْواً شديداً ... والأخرى أنه كان يقدّم ويؤخر فيقول :

. . . . لَعَمْرِي غَارَ فِي البِلاَدِ وَأَنْجَدَا

فيجيء به على الزحاف . وكان سعيد بن مسعدة يقول :

. . . . غَارَ لَعَمْرِي فِي البِلاَدِ وَأَنْجَدَا

فيخرمه[2] في النصف الثاني .

كذلك ما رواه في (ص ١٠٥) أنه قال للمهلهل التغلبي : أخبرني عن هذا البيت الذي يروى لك :

أَرْعَدُوا سَاعَةَ الهِيَاجِ وَأَبْرَقْـــنَا كَمَا تُوعِدُ الفُحُولُ الفُحُولاَ[3]

فإن الأصمعي كان ينكره ويقول : إنه مولّد ؛ وكان أبو زيد يستشهد به ويثبته . فيقول : طال الأبد على لبد ، لقد نسيتُ ما قلتُ في الدار الفانية ، فما الذي أنكر منه . فيقول : زعم الأصمعي أنه لا يقال : « أرعد وأبرق » في الوعيد ولا في السحاب . فيقول : إن ذلك لخطأ من القول ؛ وإن هذا البيت لم يقله إلا رجل من جذم[4] الفصاحة . إما أنا وإما سواي فخذ به وأعرض عن قول السفهاء .

---

(١) في الغفران تحقيق بنت الشاطىء : « وروي عن الأصمعي روايتان » .
(٢) الخرم في وزن الشعر : ذهاب الفاء من مفعولن أو الميم من مفاعلتن .
(٣) الغفران تحقيق بنت الشاطىء ص ٢٧٣ — ٤ .
(٤) في الأصل وفي الغفران ط أمين هندية : خدم . ولكنها في بنت الشاطىء وأصول أخرى جذم . والجذم كجعفر : الأصل .

النقد الأدبي

يتبين للمتأمل أن معظم الأمثلة التي أوردناها مما انتقده أبو العلاء في رسائله وكتبه ، يرجع نقدها إلى مخالفة بعضها لأبنية الألفاظ وأوزانها المشهورة ، وأقيستها المعروفة ؛ أو مخالفة بعضها المشهور أو الراجح من قواعد الإعراب ؛ أو شذوذ بعضها عما اصطلح عليه العروضيون في أوزان الشعر وقوافيه . وهذا كله يرجع إلى أن النقد بسبب المخالفة لقواعد العلوم المعروفة .

وهناك أبيات انتقدها أو غيّرها مع أنها سالمة من المخالفة والشذوذ السابق ذكرهما . ولكن بعضها مخالف لما يقتضيه المقام ، أو غير ملائم لما يقتضيه الذوق السليم والغريزة الصحيحة المجردة عن التأثر بما يكتنفها من العوامل الخارجية .

وقد رأينا أن نسمي القسم الأول : النقد العلمي ، لابتنائه على قواعد علمية . والقسم الثاني : النقد الأدبي ، لابتنائه على سلامة الذوق والغريزة ، ومراعاة ما يقتضيه المقام .

وقد ذكرنا القسم الأول أمثلة كثيرة ، وبينا سبب النقد في معظمها ، وذكرنا طرفاً من أمثلة القسم الثاني ، ولكنا لم نُفرِدْه ببيان خاص ؛ ولم نشر اليه بعنوان مستقل ، وسنشير الآن إلى أمثلة منه مما تقدم ذكره أو مما لم يذكر .

فمنه ما ذكره في (رسالة الغفران ص ٣٢) [1] على لسان ابن القارح

---

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ، ص ٩٢ — ٩٦ .

حيث قال للنابغة : يا أبا أمامة ! إنك لحصيف الرأي لبيب ، فكيف حسّن لك لبّك أن تقول للنعمان بن المنذر :

زَعَمَ الهُمَام بِأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ عَذْبٌ إِذَا مَاذُقْتَهُ قُلْتَ ازْدَدِ
زَعَمَ الهُمَامُ وَلَمْ أَذُقْهُ بِأَنَّهُ يُشْفَى بِبَرْدِ لَثَاتِهَا العَطِشُ الصَّدِي

ثم استمر بك القول حتى أنكره عليك خاصة وعامة ؟ . فيقول النابغة بذكاء وفهم : لقد ظلمني من عاب عليّ ؛ ولو أنصف لعلم أنني احترزت أشد احتراز ، وذلك أن النعمان كان مستهتراً بتلك المرأة ، فأمرني أن أذكرها في شعري ، فأدرت ذلك في خلدي ؛ فقلت : إن وصفتُها وصفاً مطلقاً ، جاز أن يكون بغيرها معلّقا ، وخشيت أن أذكر اسمها في النظم ، فلا يكون ذلك موافقاً للملك ، لأن الملوك يأنفون من تسمية نسائهم ؛ فرأيت أن أسند الصفة اليه ، فأقول : « زعم الهمام » إذ كنت لو تركت ذكره لظن السامع أن صفتي على المشاهدة . والأبيات التي جاءت بعدُ داخلة في وصف الهمام ، فمن تأمل المعنى وجده غير مختل . وكيف ينشدون :

وَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ أَقْمَرَ مُشْرِقاً . . . .

وما بعده ؟ . فيقول : ينشد « وإذا نظرتَ » « وإذا لمستَ » « وإذا طعنتَ » « وإذا نزعتَ » على الخطاب . فيقول النابغة : قد يسوغ هذا ، ولكن الأجود أن تجعلوه إخباراً عن المتكلم ، لأن قولي : « زعم الهمام » يؤدي معنى قولنا : « قال الهمام » فهذا أسلم ، إذ كان الملك إنما يحكي عن نفسه . وإذا جعلتموه على الخطاب قبُح ان نسبتموه إليّ ، فهو مُنْدِيَة ، وإن نسبتموه الى النعمان ، فهو إزراء وتنقّص .

ثم يتمنى حضور الرواة الذين صحّفوا على النابغة شعرَه ، فيحضرون . فيقول لهم : كيف ترُوُون أيها المرحومون قول النـــابغة في الدالية : « وإذا نظرت . وإذا لمست . وإذا طعنت . وإذا نزعت » أبفتح التاء أم بضمها ؟ فيقولون : بفتحها . فيقول : هذا شيخنا أبو أمامة . يختار الضم ، ويخبر أنه حكاه عن النعمان . فيقولون : هو كما جاء في الكتاب الكريم : ﴿ والأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذا تَأْمُرِينَ ﴾ [1] إلى آخر ما تقدم .

فقد انتقد البيتين الأولين ، من جهة إسناد الزعم إلى الهمام ، وليس فيها شيء من إخلال بوزن ، أو مخالفة لقياس أو قاعدة . وقد أجاب على لسان النابغة ، وبيّن الأسباب التي حملته على اسناد الزعم إلى الهمام .

ثم نقد الأبيات الأربعة : « وإذا نظرت وإذا لمست . . . » وبيّن على لسان النابغة جواز الفتح والضم في « نظرت ولمست » وأخواتها . وَبيّن أن الرواة صحّفوا عليه . وليس في الأبيات الأربعة شيء يخالف لقواعد الصرف والنحو ، ولا شذوذ عن مذاهب العروضيين .

واتضح من كلامه أن الأبيات الأربعة داخلة في وصف الهمام ؛ فكأنه قال : قال الهمام : « وإذا نظرت . . . » وأن أبا العـــلاء يرجح الضم للأسباب التي ذكرها . وفي ذلك نظر من وجوه منها :

١ً – أن بين قول النابغة : « زعم الهمام . . » وبين قوله : « وإذا نظرت » خمسة أبيات أولها :

أَخَذَ العَذَارَى عِقْدَهَا [2] . . . .

والثاني :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ [3] . . . .

---

(١) سورة النمل الآية ٣٣ .

(٢) تمامه : « ... فنظمنه من لؤلؤ متتابع متسرد » .

(٣) تمامه : « . . . عبد الإله صرورة متعبد » .

والثالث :

كَرَنَا لِرُؤْيَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا[1] . . . .

والرابع :

بِتَكَلُّمٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ حِوَارَهُ[2] . . . .

والخامس :

وَبِفَاحِمٍ رَجْلٍ أَثِيثٍ نَبْتُهُ[3] . . . .

ثم يأتي قوله : « وإذا لمست » و « وإذا نظرت » وإذا جعلنا قوله : « وإذا نظرت » . داخلاً في قوله : « زعم الهمام » صعب تعيين المحل الذي يعطف عليه قوله : « وإذا لمست » ووجب أن تكون الأبيات الخمسة داخلة في قوله : « زعم الهمام » حتى لا يلزم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجمل أجنبية مختلفة المبنى والمعنى . وليس من السهل تأويل الأبيات الخمسة وإدخالها في قوله : « زعم الهمام » .

٢ً — أن البلغاء أحياناً يستعملون الجملة الفعلية الماضوية التي تتصل بها تاء الخطاب ويريدون بها المخاطب وحده ، وأحياناً يريدون بها كل من يتأتى منه الفعل المتصل بالتاء . وكذلك الفعل المضارع المبدوء بالتاء ؛ ففي مثل هذه الأبيات يجوز أن لا يكون المقصود بالخطاب الهمام ، بل كل من تأتّى منه النظر ، واللمس ، والطعن ، والنزع . وقد قال جماعة من المفسرين : إن الخطاب في قوله تعالى ﴿ وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيماً ومُلكاً كبيراً[4] ﴾ لكل مخاطب ، وكذلك في قوله ﴿ أرأيتَ إنْ كانَ على الهُدى .. [5] ﴾

---

(١) تمامه : « ولخاله رشداً وإن لم يرشد » .

(٢) « : « لدنت له أروى الهضاب الصخد » .

(٣) « : « كالكرم مال على الدعام المسند »

(٤) سورة الدهر الآية ٢٠ .

(٥) سورة العلق الآية ١١ .

وكذلك قالوا في قوله تعالى : ﴿ ولو تَرى إذِ المُجْرِمُونَ ناكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ ربهم [١] ﴾ فإن الخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان . لأن المراد بيان حالهم وبلوغها من الفظاعة إلى درجة لا يختص باستفظاعها راء دون راء آخر .

وهنا يريد أن المرئي بلغ في حسنه درجة لا يختص باستحسانها ناظر دون ناظر آخر ؛ بل كل من يكون له نظر يدرك ذلك كما يدركه غيره . وقد حذف مفعول « نظر » لأن القصد كل من تكون فيه حاسة النظر يدرك جمال المنظور وإشراقه ؛ وعلى هذا يحمل مثل قول بشار :

إذَا كُنْتَ في كُلِّ الأمُورِ مُعَاتِباً [٢] . . . .

وقول المتنبي :

إذَا أنتَ أكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ [٣] . . . .

وقول المعري :

إذَا كُنْتَ تَبْغِي العِزَّ فَابْغِ تَوَسُّطَا . . . .

وقول النابغة :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لاَ تَلُمُّهُ [٤] . . . .

---

(١) سورة السجدة الآية ١٢ .

(٢) تمامه : « صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه » ديوانه ج ١ ص ٣٠٩ .

(٣) تمامه : « وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا » . العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج ١ ص ٣٨٧ .

(٤) تمامه : « على شعث أي الرجال المهذب » . مختار الشعر الجاهلي ١٧٦/١ .

إذ ليس المراد حصر الحكم في المخاطب فقط ، بل ذلك كناية عن بلوغ الأمر درجة عظيمة من الاستحسان أو الاستفظاع ، يتعجب منها كل من يتأتّى منه ذلك الفعل ، سواء أكان نظراً أم لمساً أم غيرهما .

وإذا قرأنا « نظرت » وأخواتها بالرفع ، لا تتأتى هذه الكناية ، وربما يتبين عند التأمل أن إسناد « المهام » النظر واللمس والطعن والنزع إلى نفسه لا يخلو من قبح ، لأن الملوك إذا كانوا يأنفون من تسمية نسائهم ، كما قال ، أفلا يأنفون من ذكر ما هو أفظع شيء في نسائهم ؟ فتأمل بإمعان .

ومن القسم الثاني ما ذكره في (ص ٤٧ من الغفران) [١] أن حسان ابن ثابت[٢] يمر بجماعة ، فيقولون : أهلاً يا أبا عبد الرحمن ، ألا تحدّثُ معنا ساعة ! فإذا جلس إليهم قالوا : أين هـذه المشروبة من سبيئتك التي ذكرتها في قولك :

كَأنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ　　يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

ويذكرون بعده ثلاثة أبيات[٣] . ثم يقولون له : ويحك ! ما استحييت أن تذكر مثل هذا في مدحتك رسولَ الله ﷺ ؟ فيقول : إنه كان أسجح خلقاً مما تظنون ، ولم أقل إلا خيراً ، ولم أذكر أني شربت

---

(١) طبعة أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ط ١ ص ١٢٨ — ٩ .

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي ، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم توفي في خلافة معاوية . المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٨٩ .

(٣) وهي قوله :

على أنيابها أو طعم غضٍّ　　من التفاح هصّره اجتناء
على فيها إذا ما الليل قلّت　　كواكبه ومال بها الغطاء
إذا ما الأشربات ذكرن يوماً　　فهن لطيّب الراح الفداء

خمراً ، ولا ركبت بما حُظِر أمراً ؛ وإنما وصفت ريق امرأة ؛ يجوز أن يكون حلالاً لي ، ويمكن أن أقوله على الظن . . . .

ومنه أيضاً قوله لعمرو بن أحمر[1] في (ص ٥٠ من الغفران)[2] :

ولقد يعجبني قولك :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ وَمَا يُفَزِّعُنِي خَوْفٌ أُحَاذِرُهُ وَلاَ ذُعْرُ[3]

ثم ذكر من هذه القصيدة عشرة أبيات أخر منها قوله :

كَشَرَاب قَيْلٍ عَنْ مَطِيَّتِهِ وَلِكُلِّ أمْرٍ وَاقِعٍ قَدَرُ[4]

وقوله :

وَمُسِفَّةٍ دَهْمَـــاء دَاجِنَةٍ رَكَدَتْ وَأُسْبِلَ دُونَهَا السِّتْرُ

وَجَرَادَتَانِ تُغَنِّيَـــانِهِمُ وَتَلأْلأَ المَرْجَانُ والشَّذْرُ

وَمُجَلْجَلٌ دَانٍ زَبَرْجَدُهُ حَدِبٌ كَمَا يَتَحَدَّبُ الدَّبْرُ[5]

---

(١) هو عمرو بن أحمر الباهلي شاعر فصيح ، وكان أعور عمر نحو ٩٠ سنة ، انظر المؤتلف والمختلف ص ٣٧ .

(٢) طبعة أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ط ١ ، ص ١٣٦ — ١٤٢ .

(٣) بعده : رؤد الشباب كأنني غصن بحـــرام مكة ناعم نضر

(٤) بعده : مدّ النهار له وطال عليـــــه الليل واستنت به الخمـــر

(٥) بعد هــذه الأبيات :

وثنان خــانان بينهما وتر أجش غناؤه زمر

وبجيرم ساج بجرّته لم يؤذه غرث ولا نمر

فاذا تجرر شق بازله وإذا أساخ فانه بكر

خلوا طريق الديدبون فقد ولى الصبا وتفاوت التجر

وقال له : لما أردت بقولك : « كشراب قيل » الواحدَ من الأقيال ، أم قيلَ بن عتر من عـــاد ؟ فيقول عمرو : إن الوجهين ليُتصوران . فيقول الشيخ . . . : مما يدل على أن المراد « قيل بن عتر » قولك : « وجرادتان تغنيانهم » لأن الجرادتين – فيما قيل – مغنيتان غنتـا لوفد عاد عند الجرهمي بمكة ، فشغلوا عن الطواف بالبيت وسؤال الله سبحانه وتعالى فيما قصدوا له ، فهلكت عاد وهم سامدون .

ثم ذكر أنه وجد في بعض كتب الأغاني صوتاً يقال: غنته الجرادتان، وهو :

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ المَصِيفُ فَبَطْنُ عَرْدَةَ فَالغَرِيفُ

وذكر بيتين آخرين [1] ثم قال : وهذا شعر على قريّ :

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ[2] . . . .

ومن الذي نقل الى المغنين في عصر هارون وبعده أن هذا الشعر غنته الجرادتان ؟ ان ذلك لبعيد عن المعقول ، وما أجدره أن يكون مكذوبا . . .

ثم يسأله عن قوله : « ومسفّةٍ دهماء » ما أراد به ؟ وكذلك عن قوله : « ومجلجل دان زبرجده » . فيقول ابن أحمر : امـــا ذكر الجرادتين ، فلا يدل على أني خصصت قيل بن عتر ، وإن كان في الوفد الذي غنته الجرادتان ؛ لأن العرب صارت تسمي كل قينة جرادة ، حملاً على أن قينة في الدهر الأول كانت تدعى الجرادة . قال الشاعر :

تُغَنِّينَا الجَرَادُ وَنَحْنُ شَرْبٌ نَعُلُّ الرَّاحَ خَالَطَهَا المَشُورُ

---

(١) هما : هل تبلغني دار قومي مهرية سيرها تقليف
ا أم متى نوليس هل ينفع الثائل اللهيف

(٢) صدر بيت هو مطلع معلقة عبيد بن الأبرص وعجزه :
« فالقطبيات فالذنوب » انظر ديوانه ص ٢٣ (بيروت) .

وأما « المسفة الدهماء » فانها القدر . وأما « الجلجل الداني زبرجده » فهو العود ، وزبرجده : ما حسن منه . أما تسمع القائل يسمي ما تلوّن من السحاب « زبرجاً » ومن روى « بجلجل » بكسر الجيم أراد السحاب . .

ثم يقول له الشيخ : . . تزعم أن الزبرجد من الزبرج . ثم يدور حوار بين الشيخ وبين ابن أحمر في اشتقاق الزبرج وما يترتب عليه ؛ وهو حوار بديع مفيد قلما يجد الإنسان مثله في كتاب وهو في (ص ٥٢ من الغفران) [١] فراجعه .

ومن هذا القسم إنكار الأشعار المنحولة لغير أصحابها ، والمقولة على لسان آدم والجن ونحو ذلك ، مما لم يكن نقده بسبب مخالفته لقواعد علم من العلوم .

ومنه تعريفه الشعر الذي تقدم ، وحكمه على الرجز والرجاز .

ويتبين لنا مما ذكرناه في النقد ، أن أبا العلاء أحياناً يسأل عن الشيء ثم يبين أنه حق . ومثال ذلك قوله في (الغفران ص ٦١) [٢] لراعي الإبل : أحق ما روى عنك سيبويه في قصيدتك اللامية التي تمدح بها عبد الملك بن مروان من أنك تنصب الجماعة في قولك :

أَيامَ قَوْمِي والجمَاعَةَ كالذي لزمِ الرحالةِ أنْ تَمِيلَ مَمِيلا؟[٣]

فيقول : حق ذلك .

وأحياناً يأتي بالشيء فيثير فيه الشك ، ولا يبدي فيه رأيا ، ومثال

---

(١) طبعة أمين هندية .

(٢) طبعة أمين هندية وانظر بنت الشاطيء ط ١ ص ١٦٤ .

(٣) سيبويه ـ الكتاب ج ١ ص ١٥٤ ، وفيه : « أزمان قومي . . . » .

هذا قوله في (الغفران ص ٥٣)[1] : أيكم تميم بن أبيّ ؟ فيقول رجل منهم : ها أنا ذا . فيقول : أخبرني عن قولك :

يَا دَارَ سَلْمَى خَلاءً لاَ أُكَلِّفُهَا   إلاَّ المَرَانَةَ حَتَّى تَسأمَ الدِّينَا[2]

ما أردت بالمرانة ؟ فقد قيـل : إنك أردت اسم امرأة ، وقيل : هي اسم أمة ؛ وقيل : العادة . فيقول تميم : والله ما دخلت من باب الفردوس ومعي كلمة من الشعر ولا الرجز .

ومثله سكوت تأبط شراً عن نسبة الأبيات التي أولها :

أنا الذِي نَكَحَ الغِيلان[3] . . . .

وأحياناً يصرح بالشيء الذي يختاره ويرجحه ؛ وقد تقـدم ذلك في ترجيحه ضم التاء في كلام النابغة « وإذا نظرت » ، « وإذا لمست »[4] .

وأحياناً يزيد على التصريح والترجيح بما يدل على قوة ما اختاره وضعف ما سواه . وذلك كقوله للنابغة الجعدي : فإن أنشد ملشد : « ولا مستنكرٍ » ما تصنع به ؟ فيقول : أزجره وأزبره ، نطق بأمر

(١) طبعة أمين هندية . وانظر بنت الشاطىء ط ١ ص ١٤٣ .

(٢) هو تميم بن أبي بن مقبل ، والبيت في ديوانه الذي حققه عزة حسن من قصيدة مطلعها :

طاف الخيال بنا ركبا يمانينا   ودون ليلى عواد لو تعدينا

وروايته فيه :

يا دار ليلى خلاء لا أكلفها   إلا المرانة حتى تعرف الدينا

(٣) الغفران طبعة أمين هندية ص ١٠٧ — ٨ والأبيات :

أنا الذي نكح الغيلان في بلد   ما طلّ فيه سماكي ولا جادا
في حيث لا يعمت النادي سمايه   ولا الظليم به يبغي تهـّادا
وقد لهوت بمصقول عوارضها   بكر تنازعني كأساً وعنقادا
ثم انقضى عصرها عني وأعقبه   عصر المشيب فقل في صالح بادا

وانظر بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٧٩ — ٨٠ .

(٤) انظر ما سبق ص ٨٧٩ .

لا يخبره (١) . وقول الراجز لأبي علي الفارسي : حركت الياء في قولي « فتأبيه » ووالله ما فعلت ولا غيري من العرب (٢) .

وأحياناً يذكر ما يفيد جواز الوجهين أو الوجوه بصورة صريحة ، كقوله لعنترة بعد أن ذكر قوله :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَمَا ... رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ

فما أردت « بالمشوف المعلم » ، آلدينارَ أم الرداء ؟ فيقول : أيّ الوجهين أردت فهو حسن ولا ينتقض (٣) .

وأحياناً يذكره بطريق الكناية . ومثال ذلك في (الغفران ص ٥٠) حيث قال لعمرو بن أحمر : أنشدني قولك :

بَانَ الشَّبَابُ وَأَخْلَفَ الْعَمْرُ ... وَتَغَيَّرَ الإِخْوَانُ وَالدَّهْرُ

وقد اختلف الناس في تفسير « العَمر » بالفتح ؟ فقيل : إنك أردت البقاء ، وقيل : انك أردت الواحد من عُمور الأسنان ؛ وهو اللحم الذي بينها . فيقول عمرو متمثلاً :

خُذَا وَجْهَ هَرْشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّهُ ... كِلاَ جَانِبَيْ هَرْشَى لَهُنَّ طَرِيقُ

ولم تترك في أهوالُ القيامة غُبَّرا للإنشاد (٤) .

---

(١) الغفران طبعة أمين هندية ص ٣٥ و « لا مستنكر » هي في بيت النابغة :

وليس بمعروف لنا أن نردها ... صحاحاً ولا مستنكر أن نعقرا

وانظر الغفران – بنت الشاطىء ط ١ ص ١٠٠ .

(٢) الغفران طبعة أمين هندية ص ٥٧ و « فتأبيه » في الأرجوزة :

يا إبلي ما ذنبه فتأبيه ... ماء رواء ونصيّ حوليه

وانظر ما سبق ص ٨٤٢ .

(٣) البيت أول بيتين في الغفران طبعة أمين هندية ص ٩٢ .

وثانيهما : بزجاجة صفراء ذات أسرّة ... قرنت بأزهر في الشمال مفدم

وانظر بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٣٦ .

(٤) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٣٥ والغبرّ : بقية الشيء .

وأحياناً يقيم في بعض المسائل دليلاً على شيء ، ثم يذكر ما يعارضه أو يناقضه ؛ وقد يردّ المعارضة ويكثر الحوار والجدل لتمحيص الحقيقة . ونرى شيئاً من ذلك في لفظ « إنسان » واشتقاقه[1] وفي لفظي « تأناله » « واستَنحى »[2] وفي لفظ « زبرجد »[3] وفي لفظ « إوزّة »[4] .

وكتب إليه أبو الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري كتاباً بدّل فيه اسمه وقصر كنيته ، فجعله محمداً بدلا من أحمد في النظم والنثر ، وجعل كنيته أبا علي أو أبا علاء بدلاً من أبي العلاء ، أي بحذف الألف واللام من أول العلاء والهمزة من آخرها . فأساء أبو العلاء الظن بأبي الحسين وظن أنه تعمد ذلك لحاجة في نفسه إما لاستهزاء به أو تهاون شأنه ونسيان لحبته . فكتب اليه جواباً يقول فيه[5] :

« ودلني كتابه على أنه يحسبني قد أضعت ودّه ... إنّي إذاً لمِنَ الظّالِمِين . عرّفني بنفسه أنه من أهل البصرة ؛ وقد صحّ معي أنه من أهل البصيرة ... وتلك أجلّ من البصرة بلده ، وهل البصرة إلا حجارة

---

(١) انظر الغفران طبعة أمين هندية ص ١٠٨ وبنت الشاطىء ط ١ ص ٢٨١ — ٢ .

(٢) جاء لفظ « تأناله » في البيت :

وصبوح صافية وجذب كرينة ... بموتّر تأناله إبهامها

انظر الغفران طبعة أمين هندية ص ٣٨ — ٩ وبنت الشاطىء ط ١ ص ١٠٨ — ٩ .

(٣) هو في بيت عمرو بن أحمر :

وبجلجل ذات زبرجده ... حدب كما يتحدب الدّبر

الغفران طبعة أمين هندية ص ٥٢ وبنت الشاطىء ص ١٤٠ — ٢ .

(٤) رسالة الغفران طبعة أمين هندية ص ٧١ .وبنت الشاطىء ط ١ ص ١٨٨ .وانظر رسالة الملائكة تحقيق المؤلف ص ٨٩ .

(٥) الرسائل — لشاهين عطية — الصفحات ١٢٥ — ١٣٨ .

بيض ، يطؤها إنسان وربيض[1] ؟ وَأَهْلُ البصرة ... ينسبون إلى قلة الحنين . أليس قد مرت به [هـذه] الحكاية ؟ وهي أنهُ وجد على حجر مكتوب :

مَامِنْ غَرِيبٍ وَأَنْ أَبْدَى تَجَلُّدَهُ إِلا سَيَذْكُرُ عِنْدَ الغُرْبَةِ[2] الْوَطَنَا

وقد كُتب تحته : إلا أهل البصرة ؛ فإذا كانت تلك سجيتهم مع أهلهم وأوطـانهم ، فكيف بالذين عرفوهم من إخوانهم ؟ والدّليل على ماقلت أنه ـ أدام الله عزه ـ لم يُثبت اسمي بل [3] جعلني محمداً ، واسمي أحمد » .

ثم افاض في بيان مذاهب العلماء والشعراء في تعدد الأسماء لِلرّجُل وتغييرها ؛ واستشهد لذلك بأبيات من الشعر ثم قال :

« وأنا أتسامح له .. بهنه ، وأعدها زيناً لاشينا ، إذ كانت قذاةً في بحر مُزبد ، بل أثر سجود في وجه[4] متعبد ، وله أن يقول : [إنه] تثبت بالكنية فاستغنى بها عن الاسْم . فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ، ولمْ أنسَ أيامه ولا مذاكرته ... وما عِيبت على أهل البصرة قلة التفاتهم إلى الأوطان ، وإنّما وصفتهم بقوة القلوب والأكباد ؛ لأن العرب تصف نفوسها بذلك ... » .

ثم مدح شعره ببراءته من الضرورات ، وعدم مخالفته الشائع من أبنية الأسماء إلا اسمه . ثم قال : « فكيف استجـاز أن يقصر كنية صديقه ؛ أما السمة فغيّرها ، وأمّا الكنية فقصرها ... هذا أمر من الله ، وليس

---

(١) في الرسائل : « إلس وريض » . والربيض لغةً : الغنم بِرعاتها .

(٢) في الرسائل : « الغلة ... » .

(٣) ليست (بل) في الرسائل .

(٤) في الرسائل : « جبهة » .

[هو] من ضعف الشاعر [ولا وهن القائل] لكنه من سوء حظ المخاطَب[1] ... ولو كان استعملَ ضرورة غيرَ تلك لقبلت حجته ... ولعل سيّدي الشيخ .. ظن أني مُكنٍّ بعلى التي هي من حروف[2] الخفض ... ولو كان[3] كذلك لوجب أن يقال : « أبو عَليّ » ... ولعلّه ... يتأول أن الألف واللام دخلت عليها كما دخلت على العمرو ... واليزيد ... وإن كان ... تأول أني مكنّى بـ « علا » الذي هو فعل ماض ، فهو في التعرية من التعريف بالألف واللام مِثلُ الأول ... »

ثمّ ذكر حروف المعاني إذا خرجت من أبوابها ، وحكم دخول « الـ » على الأفعال ..

فقد حمل كلام صاحبه النكتي على محامل لاوجه لها ، وبيّن له مذاهب العلماء فيما يجوز من ذلك وفيما لايجوز .

وقد ذكر في هذه الرسالة مزاعمَ العرب في شعر الجن ، وشياطين الشعراء ، وذكر ماوقع في كلام الشعراء المولدين وغيرهم من الخرم والحذف في عروض الطويل ، والعقل والنقص وغيرهما مما أوخذ به الشعراء أو العلماء الذين أجازوا ذلك ، وهو يدس التهكم والسخرية في أضعاف كلامه.

ولم يقدّر لي الاطلاع على رسالة النكتي البصري إلى أبي العلاء ، ولكني أعتقد أن فيها شيئاً من الوخز والغمز ، لأن الذي عرفته من أسلوب المعري في أجوبته أنه يكثر التواضع ويعظم شأن مخاطبه ، وهو في جوابه هذا خالف طريقته وملأ رسالته تهكما وغمزا ، وإذا تأملت جوابه هذا ، وجدت في كل جملة لونا من التهكم ، وقد يصاحبه شيء من الاستخفاف والتعريض بغباوة النكتي أو جهله .

---

(١) في الرسائل : « من سوء الحظ لمن خوطب » .
(٢) في الرسائل : « التي هي حرف خفض » .
(٣) في الرسائل : « ولو كنت » .

التقليد والتجديد في نثره

إذا نظرنا إلى ما في نثر أبي العلاء من الاعتراض بالجمل الدعائية في أضعاف كلامه ، والاستطراد من غرض إلى آخر ثم الرجوع إلى الأول ، وترادف الجمل المختلفة الألفاظ على معنى واحد ، وحل المسائل العلمية ، والاستقصاء في البحث ؛ ظننا أن أبا العلاء يجري على طريقة الجاحظ ، بل ربما كان أكثر منه إتياناً بالجمل الدعائية .

وإذا نظرنا إلى ما فيه من إكثار السجع في معظم رسائله ، ومن تعمُّد الصناعات البديعية ، كالجناس ، والمطابقة ، ولزوم ما لا يلزم ، والاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وتضمين الأمثال وأبيات الشعر كلها أو بعضها ، مع التصرف في شيء من لفظها أو بدونه ، والتلميح الى الحوادث التاريخية ، والإشارة الى بعض المصطلحات والمسائل العلمية ، والافتنان في أنواع المجاز والكنايات ، وبعض الصور الخيالية الرائعة ونحو ذلك ؛ خيِّل الينا أنه يطبع على غرار ابن العميد في طريقته .

وإذا نظرنا إلى شدة ميله الى مزاوجة الألفاظ في الوزن ، وحرصه على أن تكون متقاربة في الجرس والنغمة ، قوية الاسلوب ؛ ومحاولته أن يكون أكثر كلامه من الحِكم ، أو ما يقرب منها من جوامع الكلم ؛ توهمنا أنه يحتذي على مثال ابن المقفع .

ولكن عند التحقيق يتبين للمتأمل أن أبا العلاء لم يتعمد ايراد شيء مما ذكرناه بقصد المتابعة لأحد ؛ وإنما كان هذا النوع من الإنشاء سبيل أهل ذلك العصر ، وأن أبا العلاء جمع ما تفرق من أساليب غيره ، وساعده

على أن يجمع بين تلك الطرق ويزيد عليها غزارة علمه وسعة لغته ومواهبه وكثرة ما كان يحفظه ؛ فهو في أسلوبه هذا تابع لحكم زمانه ومواهبه ، لا يقصد به متابعة ولا تقليدا .

التجديد في نثره

في نثر أبي العلاء أشياء يجوز أن يقال : إنه أبو عذرتها وابن بجدتها .

منها النثر العلمي : فقد كان الكتاب قبله يتصدون في رسائلهم الأخوية لذكر مسألة أو مسائل قليلة من علم اللغة أو غيره ؛ وأبو العلاء قد يفعم الرسالة بمباحث متعددة من علم واحد ، أو علوم مختلفة ؛ ويلح أحياناً عليها بالتحقيق والنقد تصريحاً أو تلميحاً ؛ ويكثر من التمثيل بالقضايا العلمية ، والتلميح الى أحكامها كقوله في (رسالة الإغريض)[1] : « كهاء العدد لزمت المذكر[2] . . » ، « يراني . . كألف الوصل[3] . . » « وحال كالهمزة ، تبدل العينَ وتجعل بينَ بينَ[4] » ، « ونوائبَ ألحقت الكبير بالصغير ، كأنها ترخيم تصغير . .[5] » .

« . . ما دام الضرب الأول من الطويل صحيحاً . . وقبض الله يمين عدوّهما . . قبض العروض من أول وزن . . »[6] ، « وخبل كسباعي

---

(١) الرسائل ـ لشاهين عطية ص ٣٥ .

(٢) الرسائل ص ٣٦ .

(٣) الرسائل ص ٣٦ وألف الوصل تثبت في الابتداء وتسقط في درج الكلام .

(٤) الرسائل ص ٣٧ والبين هاهنا : الذات .

(٥) المصدر السابق وفيه : « .. ترخيم التصغير » .

(٦) المصدر السابق .

البسيط ، وعصّب الله الشّر بهامة شانئها وهو مجزوء ، عصْب الوافر وهو مجزوء . . » [١] « ولا عِيب بسناد ولا تضمين » [٢] .

« إن حكم التأليف في ذكر الكلمة مرتين ، كالجمع في النكاح بين أختين . . . » [٣] .

وأشار في هذه الرسالة الى كثير مما اصطلح عليه القراء والصرفيون ، من مد الصوت ، وتخفيف الهمز ، وحذف ألف السلام خطاً ، وذكر الحروف المذلقة ، والمطبقة ، والشديدة ...

وكذلك في (رسالة المنيح) ذكر حكم الشريعة الإسلامية في القمار ، والاستقسام بالأزلام ، وأداء الفرض قبل دخول الوقت ، والإحرام بعد مجاوزة الميقات ، وصلاة الأميّ ، وأن الهواء يجتذب أجزاء البخار ، فيسقي مَن تحته الأمطار العذبة . وذكر منازل القمر ، ومزاعم المنجمين وبعض الفلاسفة في المشتري والزهرة . والبيت والقافية والروي والتوجيه . والمد والجزر . ونقل الكيمياء ما خالط من المزأبق .

وقد بينا ما في رسالته التي كتبها إلى أبي الحسين البصري من المسائل العلمية [٤] .

وفي رسالته الى القاضي أبي الطيب [٥] « . . . لقب الجزء السالم من الزحاف . ولساني بشكره كثير الحركة . . كأنه الكامل من الأوزان . والحمد لله ما أفتقر إلى عقد بيع . . . وصلى الله على محمد [وعترته] حتى يستغني فرض الحج عن طواف ؛ وقريض عن القواف . . . » .

---

(١) الرسائل ص ٣٨ .

(٢) الرسائل ص ٤١ .

(٣) الرسائل ص ٤٩ .

(٤) انظر ماسبق ص ٨٨٩ .

(٥) الرسائل — لشاهين عطية ص ٩٩ — ١٠٠ .

وفي رسالة أبي الحسن بن سنان [1] ذكر الفرض ، والأداء ، والأوقات ، والحج ، والميقات ، وقضاء الصوم في العيدين وكراهة الصلاة في البَرْدَيْن [2] ، وحرمة صوم عيد الفطر ، وتضمخ المحرم بعطر . . .

إلى غير ذلك مما هو مذكور في رسائله التي لم يصل الينا منها إلا القليل ، وأكثر ما وصل منها ناقص .

الأسلوب الخيالي : ومنها الاسلوب القصصي الخيالي في الرسائل الأخوية ، والرسائل العلمية ؛ فإنه لا يعرَف للمتقدمين رسالة تشبه (رسالة الغفران) في أسلوبها وسعة خيالها مع ما فيها من تحقيق ومناقشة في المسائل العلمية . كما لا تُعرف لهم رسالة أو مقدمة رسالة تشبه مقدمة (رسالة الملائكة) في ذلك . وفي كتاب (القائف) كثير من الصور الخيالية .

ولعلنا لو اطلعنا على بقية رسائله لرأينا فيها أعظم وأجل من هاتين الرسالتين وهذا الكتاب .

النقد : ومنها النقد ، فإنه كان عند المتقدمين محصوراً في الغالب في كتب العلم ، أو في الرسائل المختصة بمسألة أو مسائل قليلة محدودة . ولا أعرف رسالة لأحد من المتقدمين تشتمل على مثل ما اشتملت عليه (رسالة الغفران) و (رسالة الملائكة) وجوابه إلى أبي الحسين البصري [3] من المباحث العلمية ، والنقد في الألفاظ ، والمعاني ، والأوزان ، والقوافي ، ونسبة الأبيات والقصائد ، وما شاكل ذلك .

الخلاصة

يسوغ لنا بعد ما تقدم أن نقول : إن أبا العلاء لم يقلد ابن المقفع ،

---

(١) الرسائل شرح شاهين عطية ص ٢٣٠ .

(٢) البردان بفتح أوله كالأبردين : الغداة والعشي .

(٣) أبو الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري ، انظر ماسبق ص ٨٨٩ .

ولا الجاحظ ، ولا ابن العميد في نثره ، ولم يتقيد بطريقة واحدة ، وإنما اختار طريقة تخيّر لها من كل طريقة ما أحب ؛ فطريقته جامعة لمعظم ما في تلك الطرائق وقد تزيد عليها . ويسوغ لنا أن نقول : إنه مجدد في نثره في نواح متعددة ، كما ذكرنا ذلك في مواضعه .

عيوب نثره

لا يكاد يجد الباحث في نثره ما يعاب به ، إلا تكلف السجع ، واستعمال كثير من الكلمات التي يقل تداولها . على أن السجع كان مرغوبا فيه في ذلك العصر ؛ وأن كثيراً من الألفاظ التي نعدها اليوم غريبة بالنسبة إلينا لم يكن غريباً في عصره ، كما بينا ذلك . ولو قدر لنا الاطلاع على جميع نثره لرأينا فيه صنوفاً من الأدب الساحر ، والعلم الزاخر ، والبراعة الرائعة ، والخيال الخصيب .

وقد ذكر ياقوت وغيره أن رسائله القصار أربعون [1] جزءاً ، أو ثمانمائة كراسة ، وما طبع منها في بيروت يبلغ ٢٣٦ صفحة وفيها الشرح الذي يبلغ نحوا من ربعها [2] .

وكنت كتبت مقالة عنوانها (نواحي التجديد والتقليد في نثر أبي العلاء) ونشرت في الصفحة ٩٤٣ من الجزء الثامن من المجلد ٤٦ في العدد الخاص بأبي العلاء الذي نشرته مجلة الهلال المصرية في سنة ١٩٣٨ م وفيها جملة مما ذكرناه هنا .

---

(١) ذكر ذلك ياقوت في إرشاد الأريب وابن الندیم في الانصاف والتحري وغيرهما انظر تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات ١١١ ، ٥٣٤ وغيرها .

(٢) شرحها شاهين عطية وطبعت ببيروت في المطبعة الأدبية سنة ١٨٩٤ .

تقسيم نثره بحسب الزمن

من الحق أن يقسم نثر أبي العلاء إلى ثلاثة أقسام :

الأول : نثره في الطور الذي كان يدرس فيه إلى أن انتهى من التعلم وبلغ عشرين سنة وذلك إلى سنة ٣٨٣ هـ .

الثاني : نثره من سنة ٣٨٣ هـ إلى يوم رجوعه إلى المعرة من بغداد سنة ٤٠٠ هـ .

الثالث : نثره من سنة ٤٠٠ هـ إلى آخر حياته .

ولكن كثيراً من رسائله لم يعين زمن كتابته ؛ ومنها ما لم يصل إلينا تاما حتى نتمكن من معرفة زمنه . وكذلك شأن كتبه ، فإن معظمها لا نعرف إلا اسمه في كتب التاريخ والأدب ؛ وهذا يحول بيننا وبين معرفة أسلوبه النثري في كل فن وفي كل طور . وإذا تعذر إدراك ذلك كله علينا ، فإن من الممكن معرفة بعضه ، ولو على سبيل التقريب .

فنقسم نثره بحسب الزمن إلى قسمين : **القسم الأول** : نثره إلى حدود سنة ٤٠٠ هـ . **والقسم الثاني** : نثره من سنة ٤٠٠ هـ إلى نهاية عمره . ثم نبين خصائص نثره في كل طور منها .

الطور الأول

ما عرفناه من رسائله في الطور الأول قليل للأسباب التي ذكرنا .

منها رسالتاه (المنيح والإغريض) اللتان كتبهما الى الوزير أبي القاسم المغربي ، لأنه ذكر اسم أبيه في الآخرة منها ، وقد قتل أبوه سنة ٤٠٠ هـ .

ومنها كتابه إلى خاله أبي طاهر المشرّف ابن سبيكة وهو ببغداد .

ومنها كتابه إلى القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله . وقيل : إنه بدأ في كتاب (الفصول والغايات) قبل رحلته إلى بغداد ، وأتمه بعد عودته إلى المعرة .

وما عدا ذلك فيغلب على الظن أنه كله في الطور الثاني ..

الطور الثاني

ومنه ما أمكنت معرفته على التقريب كرسالته إلى أهل المعرة وإلى خاله : فإنها في سنة ٤٠٠ هـ .

ورسالة الصاهل والشاحج ، ولسان الصاهل والشاحج ، والقائف ومنار القائف : فان هذه الرسائل عملها لعزيز الدولة فاتك الرومي . وهذا ولي حلب من سنة ٤٠٧ هـ إلى أن قتل سنة ٤١٣ هـ فتكون هذه الرسائل خلال هذه المدة .

والرسالة السندية : عملها لسند الدولة ، وكان والياً على حلب سنة ٤١٤ هـ .

وتاج الحرة : إذا صح أنه عمله لزوجة صالح بن مرداس ؛ وهذا تولى حلب من سنة ٤١٤ هـ إلى سنة ٤٢٠ هـ .

وفي رسالة الغفران في (ص ٥٨) و (ص ١٤٩) [1] ما يشعر بأنه وضعها سنة ٤٢٤ هـ لأنه ذكر في الأولى « قاضي حلب في أيام شبل الدولة » [2] . وذكر في الثانية أنه « لا يجوز أن يخبر مخبر منذ مائة

(١) من الرسالة طبعة أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ط ١ ص ١٥٥ و ٣٨٧ .

(٢) قاضي حلب في أيام شبل الدولة من سنة ٤٢٠ ــ ٤٢٩ هو عبد المنعم بن عبد الكريم . انظر الرسالة تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٥٥ .

سنة أن أمير حلب .. في أربع وعشرين وأربعمائة اسمه فلان ... » .
وقد كانت ولاية شبل الدولة حلب من سنة ٤٢٠ هـ إلى سنة ٤٢٩ هـ .

وكتاب شرف السيف : لأنوشتكين الدزبري ، وهذا ولي دمشق للظاهر سنة ٤١٩ هـ ثم ملك حلب سنة ٤٢٩ هـ إلى سنة ٤٣٤ هـ وقد وضع له هذا الكتاب وهو وال على دمشق ، أي ما بين سنة ٤١٩ هـ وسنة ٤٢٩ هـ .

ورسالة الضبعين : كتبها الى معز الدولة ثمال بن صالح الذي ولي حلب سنة ٤٣٤ هـ .

ورسالة الملائكة : وضعت نحو سنة ٤٣٥ هـ تقريبا .

وذكرى حبيب : ابتدأ قراءة الجزء الثاني منه على أبي العلاء أبو الحسن يحيى الكرداني سنة ٤٤٦ هـ .

وضوء السقط : عمله لتلميذه أبي عبد الله محمد بن محمد الأصبهاني الذي لازمه من نحو سنة ٤٤٦ هـ إلى أن مات سنة ٤٤٩ هـ .

وعون الجمل : يقال : إنه آخر كتاب أملاه ؛ ويقال : إن آخر كتاب أملاه هو (ضوء السقط) .

ورسائله الى داعي الدعاة بمصر : وقد كانت بعد سنة ٤٤٥ هـ كما سيأتي .

وقد قدمنا أن أول كتاب وضعه أو أنه بعد عودته من بغداد هو (الفصول والغايات) ثم (الأيك والغصون) ولكن لم يبيّن لنا زمن كل منهما على التحقيق .

الفروق بين نثره في الطور الأول والطور الثاني

يشترك نثر أبي العلاء في الطورين في أمور كثيرة اتضحت مما قدمناه كاستعمال الكلمات اللغوية القليلة التداول، والسجع والبديع، واستخدام المسائل والاصطلاحات العلمية، والأمثال والحكم، والاستشهاد ببيت من الشعر أو بعض بيت أو أبيات، والإشارة إلى الحوادث التاريخية والرجال المعروفين في التاريخ وما شاكل ذلك. وفي كلا الطورين يتمثل للقارىء حرص أبي العلاء على تحكيم العقل وقبول ما يقبله، ورفض ما يرفضه من غير استسلام لقول العلماء أو غيرهم. فقد تبرأ في (رسالة المنيح) من مزاعم المنجمين وبعض الفلاسفة الزاعمين أن « المشتري والزهرة ... يبلغان الحاب من توليباه». وصرح فيها بأنه لا يعتقد أن « الهواء يجتذب أجزاء البخار، فيسقي من تحته الأمطار العذبة » كما صرح بهذا في قصيدة في السقط حيث يقول:

وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ الغَمَامِ وَإِنَّمَا
مِنَ البَحْرِ فِيمَا يَزْعُمُ النَّاسُ يَجْتَدِي[1]

وليس من غرضنا الآن أن نبين أن هذا الرأي صحيح أم باطل؛ وإنما نريد أن نثبت أن أبا العلاء نضجت حريته العقلية في الطور الأول، خلافاً لما ذكره صاحب (الذكرى)،[2] وأنه يقبل ما يقبله عقله، ويرفض ما سواه، مهما كانت منزلة القائلين به. وفي كلا الطورين يمثل نثر أبي العلاء شخصه وعواطفه. وكتابه الذي أرسله إلى أهل المعرة برهان ساطع على

(١) شروح سقط الزند، ق ١ ص ٣٥٥.

(٢) انظر ذكرى أبي العلاء — لطه حسين — ط ٢ ص ٢٣٦ — ٩ و ٢٨٢ — ٦.

ذلك ؛ ويحرص في كليهما على إخفاء شخصه في رسائله ، ويتضاءل أمـــام مكاتبه ، ولكن غزارة علمه وسعة أدبه تظهران ما يريد أن يخفيه .

عفة ألفاظه وسببها : وألفـاظه في كلا الطورين عفيفة بريئة من الكلمات التي يأباها الأدب وإن لم يأبها الأدباء والكتّاب في عصره . وسبب ذلـك أنه التزم في حياته كلها الجدّ والصدق ، والاعتصام بحبل المروءة والدين ؛ وبالغ في التشدد على نفسه في ترك كثير من الأمور المباحة . ومن كانت سجيته كذلك فمن الحق أن يعف لســانه كما عفت نفسه عن الملاذ واللهو والمجانة .

مميزات الطور الثاني

ويمتاز الطور الثاني من الأول بأمور :

١ — منها سعة الخيال :فليس فيما رأيناه من رســائل المعري أوسع خيالا وأكثر افتنانا في الصور الخيالية من (رسالة الغفران) و (رسالة الملائكة) ولعل في رسائله التي تكلم فيها على ألسنة السوَر ، والخيل ، والحمائم ، والطير ، ونحوها من أنواع الحيوان ما لا يقل عن هاتين الرسالتين ؛ وهي كلها مما كتب في هذا العهد .

٢ — ومنها الاستقصاء : فإن أبا العلاء في هذا الطور إذا ألمّ بمسألة لغوية أو غيرها استفرغ فيها أكثر ما يعلمه ، ولا يفارقها حتى يحيط بها من كل وجه .

٣ — ومنها الاسلوب القصصي : الذي تمثله (رسالة الغفران) و (الملائكة) ورسالته الى خاله في تعزيته بأخيه ورسالة التهنئة أو (الهناء) والأمثلة التي رأيناها من كتاب (القائف) وغيرها .

٤ — ومنها النقد والتهكم : فإن حظ نثره منها في الطور الثاني أكثر

منه في الطور الأول كما يظهر ذلك في (رسالة الغفران) و (الملائكة) ورسالته الى أبي الحسين النكتي البصري .

وهذا الحكم قائم على استقراء ناقص ، بناءً على ما رأيناه من آثاره التي وصلت الينا ، وهي قلٌّ من كثر . ولعلنا لو اطلعنا على جميع آثاره لرأينا غير ذلك .

ما ألف العلماء من الكتب في الاحتذاء على مثاله أو في معارضته

مشابهة الصاهل والشاحج :

ذكر في (نفح الطيب ج ٢ ص ٣٢٦) عن (مطمح الأنفس) أن للوزير أبي القاسم محمد بن عبد الغفور رسالة سماها بـ (الساجعة والغريب) حذا بها حذو أبي العلاء في (الصاهل والشاحج) صنفها للوزير الفقيه أبي أيوب بن أمية .

معارضة خطبة الفصيح :

وذكر في (ج ٢ ص ٥٨٧ [١]) أن للحافظ أبي الربيع الكلاعي صاحب (الاكتفا في مغازي الرسول والخلفا) كتاباً سماه (جهد النصيح ، وحظ المنيح ، من مساجلة أبي العلاء في خطبة الفصيح) وقد تصرف في تسميته فسماه (جهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح) .

معارضة ملقى السبيل :

وأن له كتاباً آخر سماه (مفاوضة القلب العليل ، ومنابذة الأمل الطويل ، بطريقه المعري في ملقى السبيل) .

وللحافظ محمد بن الأبّار القضاعي معارضة أخرى سماها (مظاهرة المسعى الجميل ، ومجاوزة المرعى الوبيل ، في معارضة ملقى السبيل) وقد ضبطت فيها كلمة « ملقى » بضم الميم وفتح اللام وتشديد القاف المفتوحة .

---

(١) نفح الطيب .

ولأبي عبد الله ابن أبي الخصال وزير يوسف بن تاشفين جزء في معارضة (ملقى السبيل) بنظم بديع ، ونثر منيع ، في معنى الزهد الرفيع.

ولأبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي خمسون مقامة ، بناها على (لزوم مالا يلزم) وهذا توفي سنة ٥٣٨ هـ .

ولابن غَلِنْدُه الأموي السرقسطي المتوفى سنة ٥٨١ هـ لزوميات [حاكى فيها أبا العلاء في لزومياته][1] .

اختيار شعره

ذكر ياقوت (ج ٥ ص ٤٢٣)[2] في ترجمة علي بن منجب بن سليمان الصيرفي المتوفى بعد سنة ٥٥٠ هـ أن له اختيارات كثيرة لدواوين الشعر ، كديوان ابن السراج ، وأبي العلاء المعري .

* * *

---

(١) ترك المؤلف في الأصل بعض الأسطر بيضاً ولعله كان يود أن يستوفي ذكر كل من احتذى على مثال أبي العلاء أو عارضه .

(٢) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .

أبو العلاء والشعر

أبو العلاء وابن خلدون

اتفقت كلمة العلماء بالشعر على أن أبا العلاء شاعر مجوّد ، ولم يشذ عنهم إلا ابن خلدون وشيوخه ؛ فإنه ذكر في (مقدمته)[1] شيئاً من أحكام الشعر ، وطريقة نظمه ، ومنزلته عند العرب ؛ ثم قال : « لا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الإطلاق ، بل يحتاج بخصوصه إلى تلطف ، ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصته العرب بها واستعمالها » .

ثم ذكر سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة . ثم قال : « وإذا تقرر معنى الأسلوب ما هو ، فلنذكر بعده حدّاً أو رسماً للشعر ، به تفهم حقيقته على صعوبة هذا الغرض . فإنا لم نقف عليه لأحد من المتقدمين فيما رأيناه . وقول العروضيين : إنه الكلام الموزون المقفّى ليس بحدّ ولا رسم لهذا الشعر الذي نحن بصدده . . فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول : الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به » اهـ .

هذا [هو] التعريف الذي ارتضاه وزعم أنه يعطيه حقيقة الشعر ، ثم بيّن أن قوله : الكلام البليغ جنس . . . وقوله : المبني على الاستعارة . . .

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٢ ط المطبعة الأزهرية .

فصل . وقوله : المفصل بأجزاء متفقة فصل . وقوله : مستقل كل جزء منها .. بيان للحقيقة . وقوله : الجاري على أساليب العرب المخصوصة .. فصل له عما لم يجر منه على أساليبهم المعروفة ، فإنه حينئذ لايكون شعراً إنما هو كلام منظوم . لأن الشعر له أساليب تخصه لاتكون للمنثور؛ وكذا أساليب المنثور لاتكون للشعر . فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعرا . ثم قال : « وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء ، لأنهما لم يجريا على أساليب العرب..». ثم قال : « إنهم كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري لعدم النسج على الأساليب العربية ، فكان شعرهما كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر والحاكم بذلك هو الذوق . » إلى آخر كلامه .

وخلاصة مايرمي إليه في كلامه هذا ثلاثة أمور :

الأول : إن تعريف الشعر الذي عرفه به العروضيون ليس بحدٍ ولا رسم .

الثاني : إنه ذكر تعريفاً للشعر يعطيه حقيقة الشعر .

الثالث : بناءً على هذا أن نظم المتنبي والمعري ليس من الشعر في شيء .

وكلامه في الثلاثة غير سديد ولا صحيح .

أما الأول : فإن قول العروضيين المتقدم هو حد للشعر المطلق . لأن قولهم : « الكلام جنس قريب » وقولهم : « الموزون فصل وكذلك المقفى » ولكنه لم يكن حداً تاماً لعدم استيفائه جميع الذاتيات ، لأن بعضهم اشترط أن يكون الوزن قصداً لا اتفاقاً وأن يكون بوزن عربي . وبعضهم ألغى قيد التقفية ، لأن البيت الواحد ، والشعر المشتمل على عيب

الإكفاء أو الإجازة ، شعر باتفاق العلماء ، وبهذا الاعتبار لم يكن الحد جامعاً ولا مانعاً على قول الجمهور .

وأما الثاني : فإن قوله في تعريف الشعر : « هو الكلام البليغ » غير صحيح ، لأن معظم القصائد المعدودة من عيون الشعر كالمعلقات وأشباهها مملوء بالإقواء ، والإصراف ، والغرابة ، ومخالفة القياس ، وأمثال ذلك مما ينافي شروط البلاغة ، والعلماء في القديم والحديث مجمعون على أنها من الشعر بل من مقلدات الشعر .

وكذلك قوله : « المبني على الاستعارات والأوصاف » فإن كثيراً من الأبيات خال من إحداهما أو كلتيهما ؛ والناس مجمعون على أنها من الشعر الجيد .

ومثله قوله : « المفصل بأجزاء متفقة في الوزن .. » لأن البيت الواحد قد تأتي أجزاؤه مختلفة في الوزن بسبب مايدخل على بعضها من زحاف أو علة دون بعض آخر ؛ وكذلك أجزاء البيت الواحد مع أجزاء بيت آخر من قطعة واحدة أو قصيدة واحدة قد تكون مختلفة في الوزن . وهذا كله يسمى شعرا بإجماع العلماء .

وقوله : « ...والروي ... » فيه نظر ، لأن جمهوراً من العلماء يعدون البيت المفرد شعرا ولذلك لايشترطون التقفية في تعريف الشعر والبيت المفرد ليس فيه اتفاق في الروي . والجمهور أيضاً يعدّون الأبيات التي فيها اختلاف الروي شعرا ، ويعدون ذلك الاختلاف عيباً من عيوب الشعر ، ولو لم تكن شعرا لما عُد ذلك عيباً فيها كالأبيات التي يكون فيها الإكفاء والإجازة .

وقوله : « مستقل كل جزء منها ... » غير صحيح ، لأن العلماء الذين يعتدّ بهم يجمعون على أن قول الأعشى :

مَارَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ   خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ[1]

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ   مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ

يَوْماً بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ   وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الأُصُلُ

من الشعر الجيد ، والبيت الأول منها مرتبط بالثالث ؛ لأن فيه خبر « ما » المذكورة في أول البيت الأول . وليس في هذه الأبيات الثلاثة بيت مستقل عما بعده في غرضه ومقصده ، ولا ما بعده مستقلا عما قبله هنا ؛ بل لا يتم الغرض المقصود إلا بمجموع الأبيات الثلاثة . وكذلك قول الأعشى في هذه القصيدة :

وَبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشَةٍ   لِلْجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلُ

فإنه مرتبط بالبيتين اللذين بعده[2] ، وهما مرتبطان به ؛ لأن قوله : « وبلدة » لا يتم معناه وإعرابه إلا بالبيت الثالث . ومن هذا القبيل قول النابغة في مدح النعمان :

---

(١) الأبيات من لامية الأعشى الكبير ميمون بن قيس ومطلعها :

ودع هريرة إن الركب مرتحل   وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

(٢) هما :

لا يتنمّى لها بالقيظ يركبها   إلا الذين لهم فيها أتوا مَهَل

جاوزتها بطليح جسرة سرح   في مرفقيها إذا استعرضتها فتل

فَمَا الفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ ... تَرْمِي أَوَاذِيُّهُ العِبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ[(١)]

فانه مرتبط بالبيت الثالث الذي بعده ، والثالث مرتبط به . وليس واحد من الأبيات الأربعة مستقلاً عما قبله مستغنياً عما بعده . وكذلك قوله في هذه القصيدة :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ

إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ[(٢)]

فإن أبياته الخمسة [(٣)] مرتبط بعضها ببعض . وأمثال هذا كثير في أشعار المتقدمين والمتأخرين .

وقوله : « الجاري على أساليب العرب المخصوصة به » غير صحيح ، لأنه يقتضي أن يكون الشعر كله مطبوعاً على غرار واحد . وأن يكون

---

(١) من مطولته التي مطلعها :

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد

انظر مختار الشعر الجاهلي — مصطفى السقا — ج ١ ص ١٤٩ فما بعدها ورواية الأبيات فيه:

فما الفرات إذا هب الرياح له ... ترمي غواربه العبرين بالزبد

يمده كل واد مترع لجب ... فيه ركام من الينبوت والخضد

يظل من خوفه الملاح معتصماً ... بالخيزرانة بعد الأين والنجد

يوماً بأجود منه سيب نافلة ... ولا يحول عطاء اليوم دون غد

(٢) في مختار الشعر الجاهلي :

احكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت ... الى حمام شراع وارد الثمد

(٣) الأبيات الأربعة بعد البيت السابق :

يحفه جانبا نيق وتتبعه ... مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا ونصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما حسبت ... تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد

فكملت مئة فيها حمامتها ... وأسرعت حسبة في ذلك العدد

تقليديا في ألفاظه ، وأوزانه ، وبعض أغراضه ، وأخيلته . وهذا يسد باب الاختراع والابتكار . والواقع يشهد بأن شعراء العصر الأموي وصدر العصر العباسي لم يلتزموا أساليب الشعراء الجاهليين ؛ ولذلك كان شعرهم أحسن ديباجة ، وأحكم تأليفا ، وأكثر تثقيفا ، وأروع خيالاً من شعر من تقدمهم . ولو أنهم لم يحيدوا عن أساليب الجاهليين لجاء شعرهم نسخة عما قبله ، ولما رأينا فيه تلك الصور والأخيلة والمعاني التي لم يطل إلى مثلها عقل الجاهلي وتفكيره .

وفي تعريف ابن خلدون المتقدم وجوه أخرى يؤاخذ بها ؛ ولكننا اجتزأنا بهذا القدر خشية الإطالة . على أننا أوضحنا القول في هذا في كلمة نشرناها في الصفحة (٥) من العدد (٨) من المجلد الأول من مجلة الأوقاف الإسلامية التي صدرت في دمشق سنة ١٣٦٥ هـ وسنة ١٩٤٦ م .

ويتضح من خلاصة ما ذكرناه هنا وهناك أن تعريف الشعر الذي ارتضاه ابن خلدون غير صحيح . وإذا تبين بطلان هذا بطل ما بني عليه ، وهو الامر الثالث لأن المبني على الفاسد فاسد . على أن للمتنبي والمعري من الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف كثيرا مما يعجز عنه المتقدمون والمتأخرون .

الشعر عند أبي العلاء

قدمنا ما قاله المتقدمون في تعريف الشعر . وقد عرفه أبو العلاء تعريفاً غاير به طريقة من قبله ؛ وذلك حيث قال في (رسالة الغفران ص ٥٥) [١] : « والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحس » .

---

(١) الغفران ط أمين هندية وانظر تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٤٨ .

وهذا التعريف على مافيه من طرافة وطلاوة لايخلو من نظر . وذلك أن أبا العلاء يشير إلى أن الغريزة وحدها تستطيع أن تدرك معرفة الأوزان ، وتميز الصحيح من الفاسد منها ، كما تستطيع أن تميز الجيد من الرديء من الشعر ، فتقبل الاول ، وتأبى الثاني .

ونحن لاننكر أن شيئاً من هذا قد تدركه الفطرة الصحيحة والذوق السليم ، إذا استطاعت أن تحافظ على الموازنة بين نبرات الالفاظ وجرسها الموسيقي ، وسلمت من مؤثرات أخر .

ولكن لايتأتى لها أن تدرك كل شيء يسمى شعراً .

وإن قوله : « تقبله الغريزة » يحتمل أن يرجع إلى الوزن فقط ، فيكون المراد أن وزنه تقبله الغريزة وتدركه . ويحتمل أن يراد به الشعر عامة ، فيشمل الوزن واللفظ والمعنى . وهو على كلا التقديرين غير سديد ؛ لأن بعض الأوزان لايمكن أن تدرك بالغريزة وحدها ، ولا تقبلها الغريزة كما يتضح ذلك في بعض البحور ، كالمضارع ، والمقتضب ، وبعض أعاريض المنسرح . حتى أن بعض العلماء بالعروض نفى أن تكون هذه من الشعر .

ولأن كثيراً من الابيات تقبلها الغريزة من حيث الوزن ، ولكن لاتقبلها من حيث اللفظ أو المعنى ، إما لغرابة أو تعقيد في اللفظ ، وإما لغموض في المعنى ؛ مع أن ذلك كله يسمى شعراً .

وقوله : « على شرائط . . . » إحالة على مجهول لاتمكن الإحاطة به إلا بعد بيانه . ومثل هذا لا يجوز أن يقع في التعريف .

والأولى أن يرجع قوله : « تقبله الغريزة » إلى الوزن فقط ، ليلتئم مع قوله : « إن زاد أو نقص أبانه الحس » . وفي كلام أبي العلاء كثير مما يؤيد هذا :

١ ـ منه أنه ذكر في (ص ٢٠٥ من رسالة الغفران)[١] أن رجلاً كان يحفظ القرآن ، ويأنس بأشياء من العلم . وكان ينجم على الطريق ، وله قرعة فيها أشعار . . . يعتمد حفظها ويدرسها في بيته ، ولا غريزة له في معرفة الأوزان . فيكسر البيت ، فتقول له امرأته : ما هذا جيد ! فإذا أصبح سأل من يعرف ذلك ، فأخبره أن الصواب معها ، وعرّفه كيف يجب أن يكون . فإذا عاد في الليلة الثانية ، ذكره على الوجه الذي أصلح عليه ، فتقول له امرأته : هذه الساعة جيد .

٢ ـ ومنه أنه ذكر أنه كان له كريٌّ لا يعرف موزون الأبيات من غيره ، وله امرأة تُحِسّ بذلك . وقد مات لها طفل يدعى رجبا فكانت تتأسف عليه ، وتنشد هذا البيت :

إذا كُنْتَ مِنْ جرّا حَبِيبِكَ مُوجعاً فَلاَ بُدَّ يَوْماً مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِ

فقالت يوماً :

إذا كُنْتَ مِنْ جرّا رُجَيْبٍ مُوجعاً . . . .

فعلمت أن الوزن مختل فقالت « من جرّا رُجَيْبَنَ » ، فحركت النون وأنكرتْ تحريكه بالطبع . فقالت :

إذا كُنْتَ مِنْ جرّا رُجَيْبِكَ مُوجعاً . . . .

فأضافته إلى الكاف ، فاستقام الوزن واللفظ .

٣ ـ ومنه ما ذكره في (رسالة الغفران ص ٨٧)[٢] أن ابن القارح

---

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٥٤٨

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٥ .

قال لامرىء القيس : إن رواة البغداديين ينشدون في « قفا نبك » هذه الأبيات بزيادة الواو في أولها أعني قولك :

وَكَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيْمِرِ غُدْوَةً . . . . [1]

وَكَأَنَّ مُكَاكِيَّ الجِوَاءِ غُدَيَّةً . . . .

وَكَأَنَّ السِّبَاعَ فِيهِ غَرْقَى عَشِيَّةً . . . .

فقال له : أبعد الله أولئك ! لقد أساءوا الرواية ؛ وإذا فعلوا ذلك فأي فرق يقع بين النظم والنثر ؟ وإنما ذلك شيء فعله من لا غريزة له في معرفة وزن القريض ، فظنه المتأخرون أصلاً في المنظوم ، وهيهات هيهات ! .

وقال له في (ص ٨٨) [2] : « فأخبرني عن كلمتك النونية ، والصادية والضادية . . . لقد جئت فيها بأشياء ينكرها السمع كقولك :

فَإِنْ أُمْسِ مَكْرُوباً فَيَارُبَّ غَارَةٍ شَهِدْتُ عَلَى أَقَبَّ رِخْوِ اللَّبَانِ [3]

---

(١) أعجاز الأبيات على التوالي :

« من السيل والغثاء فلكة مغزل »

« صبحن سلافاً من رحيق مفلفل »

« بأرجائه القصوى أنابيش عنصل »

انظر ديوانه ط التقدم ص ٣٧ ـ ٨ و ط (بيروت) ص ٦٢ ـ ٣ .

(٢) من الغفران ط أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٢٧ .

(٣) البيت من نونيته التي مطلعها :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان

ديوانه ص ١٧٠ (بيروت) وفيه : « ولن .. » .

وقولك :

عَلَى نِقْنِقٍ هَيْقٍ لَهُ ولِعِرْسِهِ بِمُنْقَطِعِ الوَعْسَاءِ بَيْضٌ رَصِيصُ[1]

وقولك :

فأسقِي بِهِ أُخْتِي ضَعِيفَةَ إِذْ نَأَتْ وَإِذْ بَعُدَ المزدارُ غَيْرَ القَرِيضِ[2]

في أشباه لذلك هل كانت غرائزكم لا تحس بهذه الزيادة[3] ؟ أم كنتم مطبوعين على إتيان مغامض الكلام ، وأنتم عالمون بما يقع فيه . كما أنه لا ريب أن زهيراً كان يعرف مكان الزحاف في قوله :

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَيْنِ قَدَّمَا حَسَباً نَالاَ الملوكَ وَبَذَّا هذهِ السُّوَقَا[4]

فإن الغرائز تحس بهذه المواضع . . . » . اه

٤َ — ومنه أنه ذكر في (لزوم ما لا يلزم ج ١ ص ١١)[5] حكم

---

(١) البيت من صاديته ومطلعها :

أمن ذكر سلمى أن نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص

ديوانه ص ١٢٣ (بيروت) . وفيه : « بمنعرج الوعساء » .

(٢) من ضاديته التي مطلعها :

أعني على برق أراه وميض يضيء حبيّاً في شماريخ بيض

ديوانه ص ١٢٧ (بيروت) وفيه « وإذ بعد المزار غير .. » .

(٣) كذا في الأصل ، والذي في هذه الأبيات من نوع النقص لا من نوع الزيادة ؛ ولعله يريد الزيادة على الأوزان المعروفة في عهده (ج) .

(٤) البيت من قافيته التي يمدح بها هرم بن سنان وأباه وإخوته ومطلعها :

إن الخليط أجد البين فانفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا

انظر ما سبق ص ٨٥٨ .

(٥) طبعة عزيز زند وانظر اللزوميات ﻫ ص ٢ .

ألف التأسيس إذا كانت منفصلة ، وجاء بعدها كلمة مضمرة أو فيها حرف إضمار . ثم قال : « فإذا كانت الألف في كلمة ، وبعدها كلمة ، ليست كما تقدم ذكره ، فإنها لا تجعل تأسيساً ، كما قال العجاج :

فَهُنَّ يَعكِفنَ بِهِ إذَا حَجَا عَكفَ النَّبِيطِ يَلعَبُونَ الفَنزَجا

فألف « إذا » ليست ألف تأسيس ، لأن حجا ليست كلمة مضمرة ، ولا فيها حرف إضمار . فهذا رأي المتقدمين ، ولا يمتنع في حكم الغريزة أن تكون الألف تأسيساً وبعدها كلمة ليس فيها إضمار مثل شم وطر .. » .

٥ ـ ومنه أنه قال في (ج ١ ص٢٩ من لزوم ما لا يلزم)[1] : « ومن تدبر ما ذكر ممن له أيسر غريزة علم أن وَزَنتُ مع ضربتُ في القوافي أضعف من خبتِ وصمتِ ، لأن هذه التاء من السنخ » .

٦ ـ ومنه أنه قال في (ج ١ ص ٣٠)[2] : « وأصحاب هذا القول أي جعل تاء التأنيث وكاف الإضمار وصلاً يعتقدون في قول الراجز :

شُلَّتْ يَدَا فَارِيَةٍ فَرَتْهَا وَسَخِنَتْ عَيْنُ الَّتِي أَرَتْهَا

أن الروي التاء وهي ساكنة ، والهاء وصل ، وهي متحركة . ولو جاء على مذهبهم في هذه القوافي « خذها ومنها » لكان عيباً ، والغريزة تشهد بما زعموه . وقياس أقوال المتقدمين يوجب أن الروي الهاء . . وأن الراجز لو جاء في مثل هذه القوافي بـ « عنها ، منها » لكان ما فعله غير معيب .

---

(١) طبعة عزيز زند وانظر اللزوميات هـ ص ١٢ .

(٢) المصدر السابق وانظر اللزوميات هـ ص ١٣ .

رأي أبي العلاء في معاني الشعر ومقاصده وفنونه

زعم بعض العلماء أن الشعراء المتقدمين ماتركوا بابا من أبواب الشعر إلا ولجوه ، ولا غرضاً من أغراضه إلا وقد تناولوه وافتنوا فيه . ويلخص آراءهم في هذا الموضوع قول بعضهم : ماترك الأول للآخر شيئاً . واحتج هؤلاء ومن لفّ لفهم بمثل قول امرىء القيس :

عُوجا عَلىَ الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنَا ⁂ نَبْكِي الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابنُ خِذَامِ[1]

وقول عنترة العبسي :

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ⁂ أمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ[2]

وقول زهير :

مَا أرَانَا نَقُولُ إلاَّ مُعَاراً ⁂ أوْ مُعاداً مِنْ لَفْظِنَا مَكْرُورَا

وذهب المحققون من المتقدمين والمتأخرين إلى أن الشعر بحر لاينكش ، ومعين لاينضب ؛ وأن المعاني الشعْرية لاتحدّ ولا تنفد ، والصور الخيالية لاتنقطع مادتها ، ولا تنحصر أشكالها .

وأبو العلاء من أصحاب هذا الرأي . ولقد أعرب عن رأيه وأيده بأسلوب رائع حيث قال في (رسالة الغفران ص ٩٢)[3] على لسان ابن القارح لعنترة العبسي :

---

(١) من قصيدة يجيب بها سبيع بن عوف بن مالك مطلعها :

لمن الديار عفيتها بسحام ⁂ فعمايتين فهضب ذي أقدام

ديوانه ص ١٦٢ (بيروت) وفيه « .. المحيل لأننا .. » .

(٢) مطلع معلقته التي كانت تسميها العرب المذهبة .

مختار الشعر الجاهلي ١/٣٦٩ .

(٣) طبعة أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٣٩ ـ ٨ .

« وإني إذا ذكرت قولك :

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاء مِنْ مُتَرَدَّمِ . . . .

لأقول إنما قيل ذلك وديوان الشعر [قليل] محفوظ . فأما الآن فقد كثرت على الصائد الضِّباب . وعرفت مكان الجهل الرُّباب . ولو سمعت ما قيل بعد مبعث النبي [ﷺ] امتدت نفسك على ماقلت ، وعلمت أن الأمر كما قال حبيب بن أوس :

فَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشِّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَتْ
حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي العُصُورِ الذَّوَاهِبِ[١]

وَلكِنَّهُ صَوْبُ العُقُولِ إِذَا انْجَلَتْ سَحَائِبُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ

فيقول : وما حبيبكم هذا ؟ فيقول : شاعر ظهر في الإسلام . وينشده شيئاً من نظمه ، فيقول : أما الأصل فعربي ، وأما الفرع فنطق به غبي . وليس هذا المذهب على ماتعرف قبائل العرب . فيقول وهو ضاحك مستنشر : إنما ينكر عليه المستعار ، وقد جاءت العارية في أشعار كثيرة من المتقدمين ؛ إلا أنها لاتجتمع كاجتماعها فيما نظمه حبيب بن أوس » اهـ.

فكلامه هذا صريح في أن الشعراء الذين كانوا في عهد زهير ، وعنترة وامرىء القيس ، ومن تقدمهم لم يأتوا من أبواب الشعر وأغراضه وأخيلته وصوره إلا بالنزر اليسير بالنسبة لمن جاء بعدهم في عصر الإسلام والعصور التي تلته ، ونحن لاننكر أن ماجاءنا من شعر العصور التي كانت قبل الإسلام كان قلاً من كثر . ولكننا مهما تصورنا كثرته فإن ماجاء من الشعر في عصر الإسلام والذي بعده أضعاف ما تقدمه .

---

(١) البيتان من بائية أبي تمام التي يمدح بها أبا دلف العجلي ، ديوانه ص ٤٤ .

وقد أشار أبو العلاء إلى رأيه في مواطن من شعره كقوله :

تَذُودُ عُلاَكَ شُرَّادَ المَعَاني إلَيَّ فَمَنْ زُهَيْرٌ أوْ زِيَادُ[1]

إذَا مَا صِدْتَهَا قَالَتْ رِجَالٌ أَلَمْ تَكُنِ الكَوَاكِبُ لا تُصَادُ

مِنَ اللاّتي أمَدَّ بِهِنَّ طَبْعٌ وَهَذَّبَهُنَّ فِكْرٌ وانتِقَادُ

وقوله في جواب قصيدة :

أيُّهَا الدُّرُّ إِنَّما فِضْتَ مِن بَحْـــرٍ مُخَلَّى الطَّرِيقِ لِلْجَرَيَانِ[2]

وقد صرح به في قوله :

وَإِنِّي وَإنْ كُنْتُ الأَخِيرَ زَمَانُهُ لآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأوَائِلُ[3]

---

(١) من قصيدة في السقط يمدح بها بعض الأمراء وكان قد اشتكى من علة ، مطلعها :

أفوق البدر يوضع لي مهاد أم الجوزاء تحت يدي وساد

شروح سقط الزند : ق ١ س ٣٢١ ـ ٣ .

(٢) من نونيته التي أجاب بها الشريف أبا ابراهيم العلوي عن قصيدة أولها :

غير مستحسن وصال الغواني بعد ستين حجة وثمان

ومطلع قصيدة أبي العلاء :

علّلاني فان بيض الأماني فنيت والظلام ليس بفان

شروح سقط الزند : ق ١ س ٤٥٩ .

(٣) من لاميته التي يخاطب بها بعض أهل الشام ، وكان نزل عليه فأساء معاملته ونسبه إلى التعطيل ، ومطلعها :

الا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل

شروح سقط الزند : ق ٢ س ٥٢٥ .

رأي أبي العلاء في الرجز والرجاز

أصل الرجز في اللغة : تتابع الحركات ، ومن ذلك قولهم : ناقة رجزاء . ومن هذا رجز الشعر ، لأنه أقصر أبيات الشعر والانتقال من بيت إلى بيت سريع ، ورجز كقتل : قال شعر الرجز ، وارتجز ارتجازاً مثله . وهي أرجوزة ، والجمع أراجيز ، وارتجزوا وتراجزوا : تعاطوا بينهم الرجز ، وهو راجز ، ورجّاز ، ورجازة .

وقد اختلف في الرجز فقيل : هو شعر ابتداء أجزائه سببان ثم وتد . وقيل : كل ما كان على ثلاثة أجزاء . وقيل : كل شعر تركب تركيب الرجز ، والرجز بحر من بحور الشعر ، قيل : سمي بذلك لتقارب أجزائه ، وقلة حروفه ؛ ومن ثم يطلق الرجز على كل شعر قلت حروفه وقصرت بيوته . وقيل : لأن أكثر ماتستعمل العرب منه المشطور الذي هو على ثلاثة أجزاء ، فشبه بالراجز من الإبل ، وهو الذي تشد إحدى يديه ، فيبقى على ثلاث قوائم . وقيل غير ذلك .

واختلف فيه أيضاً ، فقيل : إنه شعر صحيح ؛ وقيل : ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث ...

أولية الرجز ومصدره

لم نجد دليلا قاطعاً يدل على أول من قال الشعر من العرب ، ولا على أول زمان ومكان قيل فيها ، ولا على أية صورة ابتدأ ؛ وإنما قال كل فريق مادار في خلده من غير أن يستند إلى دليل مقنع[١] .

---

(١) راجع كتابنا المنهل الصافي في العروض والقوافي (ج) .

فقد زعم صاحب (الروض الأنف) أن يمن وهو يعرب بن قحطان أول من قال القريض والرجز[1] . وزعم غيره أن الشعر كان كله رجزاً وقطعاً . وإنما قُصِّد على عهد هاشم بن عبد مناف ؛ وأول من قصّده مهلهل وامرؤ القيس الكندي ؛ وهما قبل الإسلام بنحو قرن ونصف[2] .

وزعم آخرون أن مصدر الرجز حداء الإبل ، وأن مضر بن نزار أول من قـــاله حين سقط عن جمل وانكسرت يده ، فجعل يقول : وايداه وايداه ، وكان حسن الصوت ؛ فأصغت اليه الإبل ، وجدّت في السير ، فجعلت العرب مثالاً لقوله : « هايدا هايدا » يحدون به الإبل . وقيل غير ذلك .

وذهب فريق إلى أن العرب كانت تتكلم أولا بالكلام المرسل ، ثم تدرجت منه إلى الكلام المسجع ، ثم منه إلى الرجز ، ثم إلى القصيد ، ثم نوعت القصيد بحسب أغراضه ، حتى بلغت الأوزان التي جمعها الخليل وهي خمسة عشر وزنا ، ثم استدرك الأخفش وزنا آخر فكانت ستة عشر .

---

(١) وزعم قوم أن آدم عليه السلام روي عنه شعر ، منه قوله :

نحن بنو الأرض وسكانها منها خلقنا واليها نعود ...

وانه لما قتل قابيل هابيل قال :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح ..

ونعى ذلك على لسانه أبو العلاء في رسالة الغفران ص ١٠٨ الى ١١٠ وقال فيها : إن بعض أهل السير يزعم أن هذا الشعر ـ أي الأول ـ وجده يعرب في متقدم الصحف السريانية فنقله إلى لسانه . وهذا لايمتنع أن يكون (ج) .

(٢) زعم بعضهم أن مهلهلا سمي بذلك لأنه أول من هلهل الشعر أي رققه . وقد نعى ذلك في رسالة الغفران ص ١٠٥ (ج) .

وهذا القول قريب من القبول ، جارٍ على سنن التكامل الطبيعي ؛ وإن لم يقم عليه دليل قاطع . وقد كان الرجز عند المتقدمين قصيراً حتى منتصف القرن الأول للهجرة ، ثم أخذ الرجاز يبارون الشعراء فأطالوا الأواجيز وافتنوا في أغراضها حتى عظم شأن الرجز والرجّاز عند الأدباء والعلماء ، وزاحموا الشعراء في انتجاع الخلفاء والكبراء ، وتم ذلك على أيدي العجاج ، وابنه رؤبة ، والأغلب العجلي ، وأبي النجم وأضرابهم .

أول من رجز الأراجيز الطوال :

ويقال : إن العجاج أول من رفع الرجز وشبهه بالقصيد ويقال : إن الأغلب العجلي أول من رجز الأراجيز الطوال .

رأي أبي العلاء في الرجز

لم أجد في كلام أبي العلاء نصاً صريحاً في تعريف الرجز ، وإنما يدل ظاهر كلامه على أنه يعد من الرجز كل ما قلّت حروفه وقصرت بيوته ، والدليل على هذا أنه قال في (رسالة الغفران ص ٨٩) [١] : إن ابن القارح يقول لامرىء القيس : أخبرني عن التسميط المنسوب إليك ، أصحيح هو عنك ؟ وينشده الذي يرويه بعض الناس :

يا صَحْبَنَا عرِّجُوا   تَقِفْ بِكُمْ أُسُجُ [٢]

مَهْرِيَّةٌ   دُلُجُ   في سَيْرِها مَعَجُ

طَالَتْ بِها الرِّحَلُ

---

(١) ط أمين هندية وانظر تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٣٠ .

(٢) انظر ما سبق ص ٨٧٥ .

إلى آخر الأبيــات . فيقول : ماسمعت هـذا قط . . . أبعد كلمتي التي أولها :

الاعِمْ صَبَاحاً أيُّها الطَّلَلُ البَالي[1] . . . .

وقولي :

خَلِيلَيَّ مُرَّا بي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ[2] . . . .

يقــال لي مثل ذلك ؟ والرجز من أضعف الشعر ، وهذا الوزن من أضعف الرجز ...

وقال في (ص ١٢٧)[3] : قال الراجز :

اليومَ يُبْنَى لِدُوَيدٍ بَيْتُهُ[4] . . . .

أنواع التلبية : وكلامه في (ص ١٨٦)[5] يدل على أن تلبيات

---

(١) تمامه : « وهل يعمن من كان في العصر الخالي » . انظر ما سبق ص ٨٧٥.

(٢) تمامه : « نقض لبانات الفؤاد المعذب » . انظر ما سبق ص ٨٧٦ .

(٣) الغفران ط أمين هندية وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ص ٣٣١ ـ ٢ .

(٤) تمـامه : . . . . . . يارب بيت حسن بنيته

وصحن فيه برة لويته لو كان الدهر بلى أبليته

أو كان قرناً واحداً كفيته

والرجز لدويد بن زيد ، جاهلي أدرك الإسلام سناً لا يعقل وارتجز وهو يحتضر . وهذه الأبيات : اليوم يبنى ... على اختلاف وزيادة في رواياتها واردة في القاموس المحيط (دود) .

(٥) الغفران ط أمين هندية وانظر تحقيق بنت الشاطئ ص ١٩٣ ـ ٥٠٥ .

العرب جاءت على ثلاثة أنواع ، الأول : مسجوع لا وزن له ، كقولهم : « لبيك ربنا لبيك . والخير كله بيديك » . والثاني : منهوك ، وهو على نوعين ، أحدهما من الرجز ، كقولهم :

لبّيْك إِنَّ الحَمْـدَ لكْ   وَالملكَ لاَ شَرِيكَ لَـكْ

والثاني من المنسرح ، وهو جنسان : أحدهما في آخره ساكنان ، كقولهم :

لبّيْكَ ربّ هَمْـدَانْ   من شَاحِطٍ وَمِنْ دَانْ

والآخر لايجتمع فيه ساكنان ، كقولهم :

لبّيْكَ عَنْ بجيلـهْ   الفَخْمـة الرجيلهْ

وربما جاءوا به على قواف مختلفة .

والثالث مشطور ، وهو جنسان : أحدهما عند الخليل من الرجز ، كما روى في تلبية تميم :

لَبّيْكَ لَوْلا أنّ بَكْراً دُونَكا   يَشكُرُكَ الناسُ وَيَكفُرُونَكا

والآخر : من السريع ، وهو نوعان : أحدهما يلتقي فيه ساكنان ، كما يروون في تلبية همدان :

لَبّيْكَ مَعْ كُلّ قَبيلٍ لَبوكْ   هَمْدان أبناء الملوكِ تَدْعوكْ

والثاني : لايجتمع فيه ساكنان كقولهم :

لَبّيْكَ عَنْ سَعْدٍ وَعَنْ بَنِيهَا   وَعَنْ نِساء خَلْفَهَا تَعْنيها

ثم قال : والموزون من التلبية يجب أن يكون كله من الرجز عند العرب ، ولم تأت التلبية بالقصيد ؛ ولعلهم قد لبوا به ولم تنقله الرواة » .

فظاهر كلامه أنه عدّ الأنواع المتقدمة من الرجز ، مع أن فيها ماهو من الرجز ، وماهو من المنسرح ، ومن السريع .

منزلة الرجز والرجاز عند أبي العلاء

ينظر أبو العلاء إلى الرجز والرجاز نظر استخفاف وازدراء، ويحتقر منزلتها بالنسبة إلى الشعر والشعراء، ويتهكم بمن يرفع شأنها.

وقد أشار إلى ذلك في (رسالة الغفران) فقال في (ص ٩٠)[١]: «والرجز من أضعف الشعر» كما تقدم. وذكر (في ص ١١٥)[٢] أن ابن القارح يمر بأبيات ليس لها سموق أبيات الجنة، فيسأل عنها، فيقال: هذه جنة الرجز ... وفيها كل من غفر له من الرجّاز. فيقول: تبارك العزيز الوهاب! لقد صدق الحديث المروي: «إن الله يحب معالي الأمور ويكره سَفسافها[٣]» وإن الرجز لمن سفساف القريض قصّرتم أيها النفر فقُصّر بكم.

ثم يعرض له رؤبة فيقول له: «ما كان أكلفك بقواف ليست بالمعجبة! تصنع رجزاً ... من الحروف النافرة. ولم تكن صاحب مثل مذكور، ولا لفظ يستحسن. فيقول له رؤبة: أتقول لي هذا، وعني أخذ الخليل، وأبو عمرو بنُ العلاء، وقد كنتَ في الدار السالفة تفتخر باللفظة تقع إليك مما نقله أولئك عني وعن أشباهي.؟ فيقول له: لو شُبِكَ رجزك ورجز أبيك لم تخرج منه قصيدة مستحسنة، وقد كنتَ تأخذ جوائز الملوك بغير استحقاق ...» ثم يأتي العجاج فيسأل المحاجزة.

---

(١) ط أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ص ٢٣٢.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٧ — ٨.

(٣) هذا الحديث رواه الطبراني عن الحسين بن علي وروايته: إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها. قال الهيثمي: فيه خالد بن الياس ضعفه أحمد وابن معين والبخاري والنسائي، وبقيته رجال ثقات؛ وقال العراقي: رواه البيهقي متصلاً ومنفصلاً ورجالها ثقات. (ج)

فأبو العلاء جعل الرجز أضعف الشعر ، ومن سفساف الأمور ؛ وغمر رؤبة وغيره من الرجاز بالازدراء والتهكم والسخرية ، وأشرك معهم من كان يحتج بأقوالهم ويعطيهم الصلات ويجعل لهم شأناً في الأدب واللغة ؛ وجاوز ذلك إلى أراجيزهم فجعلها من الحروف النافرة ، والألفاظ المستكرهة ، والقوافي المكلفة ؛ وهي مع خلوها من الأمثال لا تصلح للمدح ، ولا تفضل عن القطران ، بل هي كالجندل تصكّ المسامع ، ولا يحسن أصحابها الانتقال من غرض إلى آخر .

ولم يقتصر في هذا الباب على هذا القدر ، بل جعل في (لزوم ما لا يلزم) للرجز والرُّجّاز حظاً وافراً من الغمز والانتقاص ، فأشار إلى انتقاص رتبة الراجز عن الشاعر بقوله : [١]

وَمَنْ لَمْ يَنَلْ فِي القَوْلِ رُتْبَةَ شاعِرٍ　　تَقَنَّعَ في نَظْمٍ بِرُتْبَةِ رَاجِزِ

وقوله [٢] :

ولَمْ أرْقَ في دَرَجَاتِ الكَرِيمِ　　وَهَلْ يَبْلُغُ الشَّاعِرَ الرَّاجِزُ

وأشار إلى انحطاط رتبة الرجز عن الشعر بقوله [٣] :

قَصَّرْتَ أنْ تُدْرِكَ العَلْيَاءَ في شَرَفٍ　　إنَّ القَصائِدَ لَمْ يَلْحَقْ بِها الرَّجَزُ

وقال في (الفصول والغايات ج ١ ص ٣١٩) : « والرجز أخفض طبقة من الشعر ، حتى يروى عن الفرزدق أنه قال : إني لأرى طَرَقَةً [٤] الرجز

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧١ .

(٤) كذا في الأصل والفصول ، ولعلها « طُرفة » بالفاء الوحدة وهي الاسم من الطريف .

ولكني أرفع نفسي عنه . وقال اللّعين المنقري للعجّاج :

أَبِالأَراجِيزِ يابنَ اللُّؤْمِ تُوعِدُني   وفي الأَراجيزِ خِلْتُ[1] اللُّؤْمُ والخَوَرَ

وقال في (ص ١٣٨) في المنهوك خامس الرجز : « وإنما يجيء في شذوذ من الشعر ، ولم تسمع فيه أرجوزة طويلة من المتقدمين ... وزعم بعض الناس أنه لا يحسبُ شِعرا .. وقال قوم : الرجز كله ليس بشعر » اهـ

اختصاص العرب بالشعر

وقع في كلام طائفة من العلماء المتقدمين ما يشعر بأن الشعر فضيلة العرب ، وأن هذه الفضيلة مقصورة عليهم ، ونحو هذا من العبارات الدالة على اختصاصه بالعرب .

من ذلك قول الجاحظ في كتاب (الحيوان) : « وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من يتكلم بلسان العرب[2] » .

ومنه قول الثعالبي في (يتيمة الدهر)[3] : « الشعر عمدة الأدب وعلم العرب الذي اختصت به عن سائر الأمم » .

ووقع في كلام طائفة أخرى ما يدل على ان الشعر لا يختص بقوم دون آخرين .

ومن هؤلاء عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ فإنه قال في كتابه (الشعر والشعراء ص ٧) : « ولم يقصر الله الشعرَ والعلمَ والبلاغة

---

(١) عقب أبو العلاء على ذلك فقال : « خلت ها هنا ملغاة ، ويجوز إلغاؤها في الكلام والشعر إذا توسطت : فأما إذا تقدمت فلا » . وعلى هذا يكون « اللؤم » بالرفع على أنها مبتدأ مؤخر .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٧٤ ـ ٥ تحقيق (هارون) .

(٣) طبعة بيروت ج ١ ص ٣ .

على زمن دون زمن ، ولا خص بها قوماً دون قوم ؛ بل جعل ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده ، وجعل كل قديم منه حديثاً في عصره ، وكل شريف خارجياً في أوله ... » .

وقد وقع في كلام أبي العلاء شيء في هذا الموضوع ، منه قوله في (رسالة الغفران ص ٦٣)[1] على لسان حميد بن ثور : « ولقد كان الرجل منا يُعمل فكره السنة والأشهر ، في الرجل قد آتاه الله الشرف والمال فربما رجع بالخيبة . وإن أعطي فعطاء زهيد ، ولكن النظم فضيلة العرب . » .

ومنه قوله في (الغفران ص ٥٥) أيضاً على لسان ابن القارح بعد يأسه من رضوان وإخفاقه في مدحه[2] . . : « فتركته وانصرفت إلى خازن آخر يقال له زفر ، فعملت كلمة ووسمتها باسمه ... ولم أترك وزناً مقيداً ولا مطلقاً يجوز أن يوسم بزفر إلا وسمته به ، فما نجع ولا غيَّر ؛ فقلت : رحمك الله ! كنا في الدار الذاهبة نتقرب إلى الرئيس والملك بالبيتين أو الثلاثة ، فنجد عنده ما نحب . وقد نظمت فيك ما لو جُمع لكان ديوانا ، وكأنك ما سمعت لي زَجْمَة — أي كلمة — . فقال : لا أشعر بالذي حَمْحَمْتَ — أي قصدت — وأحسب هذا الذي تجيئني به قرآن إبليس المارد، ولا ينفُق على الملائكة، إنما هو للجانّ وعلَّموه ولد آدم ، فما بُغْيَتُكَ ؟ فذكرت له ما أريد ،فقال : والله ما أقدر لك على نفع ... فمن أي الأمم أنت ؟ فقلت : من أمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فقال : صدقت ، ذلك نبي العرب ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض ، لأن إبليس اللعين نفثَه في إقليم العرب فتعلمه نساء ورجال ... » .

فقول أبي العلاء على لسان حميد : « لكن النظم فضيلة العرب .. »

---

(١) ط أمين هنديه وانظر بنت الشاطئ ص ١٦٨ .

(٢) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ص ١٤٩ .

يحتمل أن يراد به أن النظم فضيلة عند العرب من جملة الفضائل ، كما يحتمل أن يراد به أنه فضيلة العرب لا غيرهم . والأول هو الظاهر ، لأن المقصود من كلام حميد أن يبيّن أن للشعر مكانة سامية عند العرب ، لا أن يبين منزلة الشعر عند العرب وغيرهم ، وعلى هذا لا يدل دلالة قطعية على أن هذه الفضيلة مقصورة على العرب أو مختصة بهم .

وقوله الآخر على لسان زفر : « ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض ، لأن إبليس اللعين ... » لا يدل على أنه فضيلة عند العرب ولا أنه مختص بهم ، بل يدل على احتقاره ، لأنه من نفث إبليس .

شعر الملائكة والجن

نفى أبو العلاء الشعر عن الملائكة ، لأن أعمالهم مبرورة صالحة ، وأثبته للشياطين على لسان غيره ، لأن عملهم غير صالح ، وإن كان هو لا يعتقد صحة نسبته إليهم ولا إلى الملائكة ، فقد قال في رسالته الى أحمد بن عثمان النكتي البصري : « وله .. أن يحتج بقول النبي ﷺ لحسان ... لما أمره بإجابة شعراء قريش : روح القدس معك . فلمدّع أن يقول : إن حسان ومن جرى مجراه من قالة الحق تعينهم الملائكة على ذلك[1] » .

وقال فيها : « والملائكة لا تنطق بمثل شعره ، ولا نعلم أحداً روى شعراً عن الملائكة ؛ فأما الجن فقد ورد عنها ما يعلمه » . ثم ذكر بيتاً ناحت به الجن على عمر بن الخطاب ،[2] وبيتين قالتها الجن لما مات سعد ابن عبادة[3] . ثم قال : « ولا ينكر.... ما ذكرته من أمر الجن ، فقد علم أنه

---

(١) الرسائل ـ شرح شاهين عطية ـ ص ١٠٦ .

(٢) وهو :

قضيْتَ أموراً ثم غادرتَ بعدَها بوائقَ في أكمامها لم تُفتَّقِ (ج)

(٣) هما في الحماسة منسوبان الى الشماخ وهما :

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده

فرميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده (ع)

مشهور عند العرب أن لكل شاعر شيطاناً يقول الشعر على لسانه ...
وقد زاد ادعاؤهم لذلك حتى سمّوا الشياطين بأسماء يعرفونها بينهم » .

وذكر في (الغفران ص ٧٤)[1] أن ابن القارح رأى في الجنة مدائن ليست كمدائن الجنة ، فسأل ما هذه ؟ فقيل له : جنة العفاريت الذين آمنوا بمحمد ﷺ وهم عدد كثير . وأنه رأى منهم شيخاً اسمه الخيتعور أحد بني الشيصبان ، وكنيته أبو هَدْرَش وهو من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبل ولد آدم ، وليس من ولد إبليس . وذكر حديثاً دار بينهما في الشعر وقلّته عند البشر وكثرته عند الجن .

وأبو العلاء يتوخى من ذكر جنة العفاريت والجن وأشعارهم والحوار الذي كان بين ابن القارح وأبي هدرش أموراً ، منها :

١ً ـ أن يذكر طرفاً من مزاعم الناس في الجن في الجاهلية والإسلام .

٢ً ـ أن يبين أن ما جمعه المرزباني من أشعار الجن هذيان لا معتمد عليه .

٣ً ـ أن يبين أن الشعر قديم العهد .

٤ً ـ أن يبين أن الإنس يلهجون بقصيدة امرىء القيس « قفانبك » ويحفظونها أولادهم ، وفي وسع أبي هدرش أن يملي ألف قصيدة على وزنها لشاعر واحد من رجاله .

٥ً ـ أن يبين أن جميع الأدب في الدنيا نوع من الشقاء لا يحظى صاحبه بطائل في الدنيا والآخرة ؛ وأن الشعراء يجهدون أنفسهم في انتزاع ما يأخذونه من الممدوحين مع قلته .

٦ً ـ أن يبيّن أن رجم النجوم كان قبل الإسلام ، وزاد في أوان المبعث .

وأبو العلاء يقر بوجود الجن ، كما يقر بوجود الملائكة ، ولكنه لا يقر

---

(١) ط أمين هندية ، وانظر تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ١٩٦ ـ ٢١٤ .

بما يزعمه الناس عن الجن وأحوالهم وأقوالهم ولحولهم ، يدل على ذلك قوله :

قَدْ عِشْتُ دَهْراً طَوِيلاً مَا عَلِمْتُ بِهِ حِسّاً يُحَسُّ لِجِنِّيٍّ وَلاَ مَلَكِ[1]

وينكر أن يكون الرجم حدث أوان البعث ، إذ يقول :

وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّ الشُّهْبَ يَوْماً لِبَعْثِ مُحَمَّدٍ جُعِلَتْ رُجُوماً[2]

كما ينكر أن يكون للمرأة تابع من الجن ، حين يقول :

مَا صَحَّ عِنْدِي أَنْ ذَاتَ خَلاَخِلٍ تُقْفَى مِنَ الجِنِّ الغُوَاةِ بِتَابِعِ[3]

أما احتقاره الشعر والشعراء ، والاستخفاف بهم فكثير . منه قصيدته[4] التي ذكرها في (لزوم ما لا يلزم) وفيها يقول :

وَمَا شُعَرَاؤُكُمْ إِلاَّ ذِئَابٌ تَلَصَّصُ فِي المَدَائِحِ وَالسِّبَابِ

ومنه قوله :

وَبِيعَتْ بِالفُلُوسِ لِكُلِّ خِزْيٍ وُجُوهٌ كَالدَّنَانِيرِ الحِسَانِ[5]

وقد ذكرنا شيئاً من هذا في الكلام على الشعراء .

وفي (رسالة الغفران ص ٥٥)[6] دل على احتقاره الشعر واستصغاره

---

(١) اللزوميات ﻫ س ١٨٩ وفيها : « قد عشت عمراً . . . » .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٨٨ .

(٤) مطلعها :

« بني الآداب غرتكم قديماً زخارف مثل زمزمة الذباب »

اللزوميات ﻫ ص ٥١ .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ٢٧٩ .

(٦) انظر ماسبق ص ٩٢٦ .

شأن الشعراء بصور مختلفة ، منها عدم اكتراث رضوان بابن القارح وبما مدحه به من الشعر .

ومنها أن زفر لم يعبأ بما مدح به من الشعر ، وسماه قرآن إبليس، وقال : إنه لا يَنفُق على الملائكة ، إنما هو للجان . إلى آخر ماتقدم عن (الغفران ص ٥٦) [١] .

ومنها قول حمزة لما أنشده الأبيات : « أفي مثل هذا الموطن تجيئني بالمديح . . » .

ومنها قوله (ص ٨٤) [٢] على لسان الحطيئة في الزبرقان بن بدر : هو رئيس في الدنيا والآخرة ، انتفع بهجائي ولم ينتفع غيره بمديحي .

وقوله على لسان رجل [٣] : أنا فلان .. من أهل حلب ، كانت صناعتي الأدب ، أتقرب به إلى الملوك . فيقول : بئس الصناعة ! إنها تهب غفة من العيش لا يتسع بها العيال ، وإنها لمزلة القدم ، وكم أهلكت مثلك .

وقوله (ص ٩٤) [٤] لعلقمة بن عبدة : ما أغنى عنك سِمْطــا لؤلؤك ، يعني قصيدته التي على الباء ، والتي على الميم .

هل أبو العلاء شاعر ؟

بيّنا فيما تقدم أن ابن خلدون لم يوفق إلى السداد في تعريف الشعر . ولم يوفق هو وشيوخه إلى الصواب في نفي الشعر أو الشاعرية عن المتنبي والمعري . وإذا بطل قول هؤلاء، فهل يكون أبو العلاء شاعراً في قول غيرهم أم لا ؟.

---

(١) انظر ماسبق ص ٩٢٦ .

(٢) من الغفران ط أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ط ١ ص ٢١٨ .

(٣) انظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٢٠ .

(٤) من الغفران ط أمين هندية وانظر بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٤١ .

الجواب عن هذا يحتاج إلى بسط في القول ؛ لأن بعض العلماء جعل الوزن والقافية من مقومات الشعر وفصوله ، وبعضاً آخر جعل اللفظ والمعنى منها ، وثالثاً جعل التشبيه والاستعارة منها ، ومنهم من جعل أركانه المدح وغيره على نحو ماتقدم ، ومنهم .. ومنهم . ونحن نبين منزلة أبي العلاء من كل واحد مما ذكروه ، لتتضح منزلته منها منفردة ومجتمعة ، فنقول :

الوزن والقافية

ليس في شعراء العرب عامة من المتقدمين والمتأخرين من يساوي أبا العلاء أو يدانيه في معرفة الأوزان والقوافي ، ومعرفة الجائز والممتنع منها ، ولا من ألف في هذا العلم مثل ما ألف فيه ، وإن لم يصل الينا كله . وفيما انتهى إلينا من أقواله، وبما ذكره في مقدمة(لزوم ما لايلزم)و(الفصول والغايات) وفي « رسالته إلى أبي عثمان النكتي البصري » و « رسالته إلى أبي القاسم المغربي » دليل قاطع على صحة ما قلناه . وليس في شعره كله على كثرته ما يخل بشيء من أحكام الأوزان والقوافي ؛ بل أنكر على كثير من العلماء والشعراء إخلالهم بالوزن ، واستعمالهم أنواعاً من الشعر مفقودة في كلام العرب .

الألفاظ المفردة

أما الألفاظ المفردة ، ففي شعره طائفة كبيرة من الألفاظ ، كل منها مقدر على قدر المعنى ، ولا يستطيع أحد أن يجد في اللغة على سعتها خيراً منها أو ما يقوم مقامها كقوله :

تَقُولُ الهِنْدُ آدَمُ كَانَ قِنًّا لَنَا فَسَرَى إِلَيْهِ مُخَبِّبُوهُ [1]

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٣٣٣ .

وقوله :

تَكَادُ سَوَابِقٌ حَمَلَتْهُ تُغْنِي عَنِ الأَقْدَارِ صَوْناً وابتِذَالا [١]

وقوله :

نَهاراً كأنَّ البَدْرَ قاسَى هَجِيرَهُ فَعادَ بِلَوْنٍ شاحِبٍ من سَهامِهِ [٢]

وقوله :

وَنَحْنُ السَّفْرُ في عُمُرٍ كَمَرْتٍ تَصافَنَ أَهْلُهُ جُرَعَ الحِمَامِ [٣]

يقال : خبب الرجل عبد غيره : إذا أفسده وخدعه . ويقال : صان الفرس عدوَه وجريه : إذا ذخر منه ذخيرة لأوان الحاجة إليه ، ويقال : فرس ذو صون وابتذال : له حَضْر قد صانه لوقت الحاجة إليه ، وعَدْوٌ قد ابتذله . قال لبيد :

يراوح بين صون وابتذال [٤]

---

(١) شروح سقط الزند ق ١ ص ٤٤ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٤٩٩ وفيه : « نهارٌ كأن . . » والسهام : بفتح السين ، الريح الحارة .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٤٧٢ . والمرت : الأرض التي لا نبات فيها . والتصافن : تقاسم الماء القليل .

(٤) من العجيب أن الشراح لم ينتبهوا الى ماذكرناه في معنى « الصون والابتذال » ولذلك قال التبريزي في شرح هذا البيت : المعنى أن سوابق الممدوح بلغته مقاصده وأنالته مراده حتى كأن أفعالها الأقدار ، أو قربت أفعالها من المقادير . ثم بين ماهية أفعالها بقوله : صونا وابتذالا . أي في صيانة مايريد صيانته وحفظه وابتذال عدوه أي إباحة دمه وانتهاك حرمته ، أي تكاد سوابقه تغني عن الأقدار في صيانة مايصون وابتذال مايبتذل ، كأنه يريد في حفظ الذمام واباحة العدو . وطبع صاحب التنوير على هذا الشرح ، وقال البطليوسي : يقول تكاد خيله . . تغني —

والسَّهام : الريح الحارة . والمَرْت : مفازة لا نبات فيها . وتصافن القوم الماء : إذا كانوا في سفر فقل عندهم ، فاقتسموه على حصاة يلقونها في الإناء ، ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة فيُعطاه كل رجل منهم ، ويقال لهذه الحصاة : « المَقْلة والمَلْلة » و « حصاة القَسْم » .

فكل من كلمة « غبيره » في البيت الأول ، و « الصون والابتذال » في البيت الثاني ، و « السَّهام » في البيت الثالث ، و « تصافن » في البيت الرابع ، لا يجد الإنسان خيراً منها في موقعها ؛ ولا ما يقوم مقامها . وهذا النوع كثير في شعره .

الألفاظ المركبة

وفي شعره أبيات جمعت إلى جمال اللفظ متانة التركيب ، وصفاء الديباجة ، وحسن الوقع في السمع ، وشرف المقصد مما يندر مثله في شعر غيره . كقوله :

فِي بَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ الظَّبْيِ بِتُّ بِهَا
كَأَنَّنِي فَوْقَ رَوْقِ الظَّبْيِ مِنْ حَذَرِ [1]

— مانلمله الدار الله من صونها لأوليائها وابتذالها لأعدائها لأن من ركبها سعد بها أو لأنها تسعد بركوبه اياها . وما ذكرناه أولى ، لأنه يريد أن هذه الخيل تعب القدر في سرعتها ونفاذها في كلتا حالتيها الصون والابتذال ، فاذا قدر على قوم شيء على يد الممدوح فان هذه الخيل تصل القوم في سرعة القدر ونفاذه ، فهي تشبه من هذه الجهة ، واذا كانت تغنيه في ذلك في حالتي الصون والابتذال ، فهي غاية في السرعة . وفي ذكر الصون والابتذال في هذا الموضع مع ذكر السوابق والخيل مراعاة النظير على وجه ليس له نظير ، مع المبالغة في وصفها (ج) .

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٣١ .

وقوله :

أرَى جُرَعَ الحَيَاةِ أمَرَّ شَيْءٍ   فَشَاهِدْ صِدقَ ذَلكَ إذْ تُقَاءُ [1]

وقوله :

وَالنَّجْمُ تَستَصْغِرُ الأَبصَارُ رُؤْيَتَه

وَالذَّنبُ للطَّرْفِ لا للنَّجْمِ في الصِّغَرِ [2]

وهذا كثير في شعره .

الغريب في شعره

ولعل قائلاً يقول : إن المعري كان يكثر من استعمال الغريب في شعره ونثره . ونحن لا ننكر وجود الغريب في كلامه ، ولكن أكثر ما نراه غريباً في عهدنا هذا لم يكن غريباً في عصر أبي العلاء ؛ لأننا في حكم الأعاجم ، لا نعلم من الفصيح والمأنوس إلا النزر اليسير ، ونتعلم كل شيء من اللغة كما يتعلمها الأعجمي ، وأبو العلاء كان واسع الاطلاع على اللغة ، كثير الحفظ لمفرداتها ؛ فلم ير غريباً كل ما نعده غريباً . وهناك شيء آخر ، وهو أن أبا العلاء قد يذكر اللفظ ، ثم يأتي بشيء من مشتقاته أو مرادفه أو ضده أو ما يناسبه أو يجانسه ، فيحدث بذلك معنى طريفاً ، أو نكتة بديعية ، أو نحو ذلك . على أنه في أكثر المواطن لا يلجأ إلى ما نعده نحن غريباً إلا إذا اضطرته القافية ، أو لزوم ما لا يلزم ، أو غيره من المحسنات البديعية ، أو إذا استعصى عليه من الكلمات المأنوسة ما يقوم مقامه في الدلالة على مراده . وسيأتي القول في هذا في موضع آخر .

---

(١) اللزوميات ١ ص ٢٣ .

(٢) شروح السقط ق ١ ص ١٦٢ .

التشبيه

قال بعض العلماء : التشبيه أشد ما تكلف الشاعر صعوبة ، لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء العيان . وليس بغريب أن نرى أبا العلاء مجوداً بارعاً في التشبيه الذي لا يتوقف على مشاهدة بحاسة البصر كقوله :

إذا أُلِفَ الشيء استهانَ بهِ الفتى ... فلَمْ يرَهُ بُؤسَى تُعَدُّ ولا نُعمَى [1]

كإنفاقِهِ مِنْ عُمْرِهِ ومَسَاغِهِ ... مِنَ الرِّيقِ عَذْباً لا يُحِسُّ لهُ طَعْمَا

وقوله :

فِدَاهُ مَنْ كَالنَّبْتِ أَضْيَافُهُ ... إذْ تشرَبُ الماءَ ولا تَطْعَمُ [2]

وإنما الغريب أن نجد في تشبيهاته المحسوسة من الدقة والإحكام ، وتصوير الحركة والألوان ، ما يعجز عن مثله البُصَراء كقوله :

سُبْحَانَ مَن خَلَقَ النُّجومَ كأنها ... دُرٌّ طَفَا مِنْ فَوقِ بَحْرٍ مائجِ [3]

. . .

وَكُلُّ أبيضَ هنديٍّ بهِ شُطَبٌ ... مثلُ التكسُّرِ في جارٍ بمُنحَدَرِ [4]

. . .

في حُلَلٍ غُبْرٍ وكَمْ أشبهَتْ ... ثِيَابُها حُلَّةَ طاووسِ [5]

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٣٩ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٦٥ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ٧٩ . وفيها : « سبحان من برأ النجوم .. » .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٥٦ .

(٥) اللزوميات ٥ ص ٣٢٤ .

الاستعارات

في شعر أبي العلاء كثير من أنواع الاستعارات ، وهو في كل موضع يستعير للشيء ما يقرب منه ويليق به ويناسبه ، فتتقبله النفوس والأذواق ، وتأنس به الأسماع . ولا يجد المتأمل بين المستعار والمستعار له منافرة ولا تناكرا ؛ ويقيم قرينة تدل على المعنى المراد ، حتى لا يحتاج في فهمه إلى تكلف أو تأويل ، كقوله في السيوف والدروع :

أقبلُوا حامِلِي الجداولِ في الأعْـــناقِ مُسْتَلْئِمِينَ بالغُدْرانِ [1]

وقوله :

شَرُّ أشجارٍ عَلِمْتُ بِهــا شَجَراتٌ أثْمَرَتْ نَاسَا [2]

وقوله :

أحَاضِنَةَ الغُلامِ ذَمَمْتِ مِنْهُ أذَاهُ فأرْضِعِي حَنَشاً وَضُمِّي [3]

الكنايات

وفي شعره صور رائعة من أنواع الكنايات ، كل منها سهل العبارة ، لطيف الإشارة ، واضح المقصد ؛ وليس فيها ما تنبو عنه الأسماع ، أو تقزز منه الطباع ، كقوله يكني عن شدة الظلمة في مواطن :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤٥٤ . وفيها : « ... الجداول بالأغماد » .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٩٦ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٥١ . وفيها : « ذممت منه أذاك ... » .

بِلادٌ يَضِلُّ النَّجْمُ فيها سَبيلَهُ ... وَتَثْني دُجاها طَيْفَها عَنْ لِمامِهِ[1]

حَنادِسُ تُغْشِي المَوْتَ لَوْلا انْجِيابُها ... عَنِ المَرْءِ ما هَمَّ الرَّدَى باخْتِرامِهِ

رَجا اللَّيْلُ فيها أَنْ يَدُومَ شَبابُهُ ... فَلَمَّا رَآها شابَ قَبْلَ احْتِلامِهِ

الأمثال والحكم

ذكر أن بعض العلماء استخرج أمثال أبي تمام من شعره ، فوجدها ثلاثمائة بيت ، وأربعة وخمسين بيتاً ، وتسعين نصفاً ، واستوعب أمثال أبي الطيب ، فوجدها أربعمائة بيت ، وثلاثة وسبعين نصفاً . منها ماولّده من أمثال أبي تمام ، ومنها ماهو وليد قريحته .

ونحن لا نستطيع أن نحدد ما لأبي العلاء من هذا النوع ؛ لأننا لم نطلع على جميع شعره ، ولكننا اذا استقصينا ما في (سقط الزند) و (لزوم ما لا يلزم) و (ملقى السبيل) وجدنا فيها أكثر مما في كلام أبي تمام وأبي الطيب ؛ لأن أبا العلاء يرسل الأمثال وينثر الحكم على حافتي كلامه في كل غرض من أغراض الشعر ، فترى مثل قوله في الغزل :

لَوِ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الإِحْسانِ زُرْتُكُمُ

والعَذْبُ يُهْجَرُ للإِفْراطِ في الخَصَرِ[2]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٤٩٩ ـ ٥٠١ وفيها :

« بلاد يضل النجم فيها سبيله ... وبتني ...... »

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٢٠ . والخصر : بفتحتين ، البرد .

وفي المدح :

وَافَقْتَهُمْ في اختِلافِ مِنْ زَمَانِكُمُ
والبَدْرُ في الوَهْنِ مِثْلُ البَدْرِ في السَّحَرِ[1]

• • •

وَقَدْ يَنْمي كَبِيرٌ مِنْ صَغِيرٍ ... وَيَخْرُجُ مِنْ نَوَى القَسْبِ اللَّيانُ[2]

وفي الرثاء :

كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهُ ... سُلِّطَتِ الأَرْضُ على خَدِّهِ[3]

• • •

وَرُبَّ ظَمْآنٍ إلى مَوْرِدٍ ... والمَوْتُ لَوْ يَعْلَمُ في وِرْدِهِ

وفي الوصف :

وَمَن تَعْلَقْ بِهِ حُمَةُ الأفاعِي ... يَعِشْ إِنْ فَاتَهُ أَجَلٌ عَلِيلا[4]

المعاني المبتكرة

وفي شعر أبي العلاء كثير من المعاني التي لم أرها لمن تقدمه من الشعراء وهي نوعان :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٤٢ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٩٥ وفيها : « ... وينبت من نوى ... » في الغيّ ينمي وينمو : إذا عظم وزاد . والقسب : ضرب من التمر نواه أصلب النوى . والليان : مفردها لينة وهي النخلة . وقيل : ضرب من النخل ، وقيل : هي الطويلة .

(٣) شروح السقط ق ٣ ص ١٠٢١ .

(٤) المصدر السابق ص ١٣٨٩ .

أحدهما : انتزعه من مسائل العلوم المختلفة ، كقوله فيما انتزعه من العلوم الرياضية :

سَمَا نَفَرٌ ضَرْبَ المِئِينَ وَلَمْ أزَلْ
بِحَمْدِكَ مِثْلَ الكَسْرِ يُضْرَبُ في الكَسْرِ (١)

ومن العلوم الطبيعية :

وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ الغَمَامِ وإنّما
مِنَ البَحْرِ فيما يَزْعُمُ النَّاسُ يَجْتَدي (٢)

ومن الصرف :

بتُّ كالوَاوِ بَيْنَ يَاءٍ وَكَسْرٍ لا يُلامُ الرِّجالُ إنْ أسقطُوني (٣)

ومن النحو :

تَزَوّجْ إنْ أرَدْتَ فَتَاةَ صِدْقٍ كَمُضْمَرِ نِعْمَ دَامَ عَلى الضَّمِيرِ (٤)

ومن التجويد :

فَإنْ تَقِفِ الحَوَادِثُ دُونَ نَفْسِي فَمَا يَتْرُكْنَ إشْمامِي وَرَوْمي (٥) .

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٤٦ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٥٥ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٨٢ . وفيها : « ... الرجال إن يسقطوني »

(٤) اللزوميات هـ ص ١٥٥ .

(٥) اللزوميات هـ ص ٢٥١ وانظر ماسبق ص ٥٨٢ .

ومن العروض :

كالبَيْتِ أُفرِدَ لا إيطاءُ يُدرِكُهُ ولا سِنَادَ ولا في اللفظِ إقواءُ[1]

ومن المنطق :

جَرَتِ القَضَايا في الأُمُورِ وأُمضِيَتْ

صُـدُفاً بأسوارٍ ولا أسوارِ[2]

ومن الفلسفة بأقسامها المختلفة :

وَلَيْسَ اعْتِقَادِي خُلُودَ النُّجُومِ ولا مَذهبي قِدَمَ العَالَمِ[3]

• • •

مِن نُجُومٍ نارِيَّةٍ ونُجُومٍ ناسَبَتْ تُرْبَةً وَمَاءً وَرِيحا[4]

• • •

جائزٌ أنْ يكُونَ آدمُ هذا قَبْلَهُ آدمٌ على إثرِ آدَمْ[5]

• • •

أمّا المَكانُ فثابتٌ لا يَنطَوِي لكِنْ زَمانُكَ ذاهبٌ لا يَثبُتُ[6]

• • •

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٢٢ وانظر ماسبق ص ٦٢٤ .
(٢) اللزوميات ﻫ س ١٥٩ وفيها : « ... القضايا في الأنام ... » .
(٣) اللزوميات ﻫ س ٢٥٥ .
(٤) اللزوميات ﻫ س ٨٤ .
(٥) اللزوميات ﻫ س ٢٥٨ .
(٦) اللزوميات ﻫ س ٦١ .

وَالنُّورُ فِي حُكْمِ الْخَوَاطِرِ مُحْدَثٌ
وَالأَوَّلِيُّ هُوَ الزَّمَانُ الْمُظْلِمُ[1]

. . .

أُثْبِتُ لِي خَالِقاً حَكِيماً ... وَلَسْتُ مِنْ مَعْشَرٍ نُفَاةِ[2]

. . .

وإِنْ سَأَلُوا عَنْ مَذْهَبِي فَهْوَ خَشْيَةٌ ... مِنَ اللهِ لاَ طَوْعاً أُبِتُّ وَلاَ جَبْرا[3]

. . .

وَجِسْمِي شَمْعَةٌ وَالنَّفْسُ نَارٌ ... إِذَا حَانَ الرَّدَى خَمَدَتْ بِأُفِّ[4]

. . .

وَقُدْرَةُ اللهِ حَقٌّ لَيْسَ يُعْجِزُهَا ... حَشْرٌ لِجِسْمٍ وَلاَ بَعْثٌ لأَمْوَاتِ[5]

والنوع الثاني : انتزعه من بيئته الطبيعية والاجتماعية وما كان يكتنفه من الحوادث والتجارب أو ينتهي اليه من الأخبار أو يحفظه من التاريخ أو أقوال المتقدمين أو نحو ذلك كقوله :

كَتَجَاوُرِ الْعَيْنَيْنِ لَنْ تَتَلاَقَيَا ... وَحِجَازُ بَيْنَهُمَا قَصِيرُ جِدَارِ[6]

. . .

---

(١) اللزوميات ‍ﻫ ص ٢٣٥ . وفيها : « والنون في حكم الخواطر ... » .
(٢) اللزوميات ‍ﻫ ص ٦٧ .
(٣) اللزوميات ‍ﻫ ص ١٣٦ .
(٤) اللزوميات ‍ﻫ ص ٢٩٥ .
(٥) « ‍ﻫ ص ٦٧ وفيها : « حشر لخلق .. » .
(٦) « ‍ﻫ ص ١٦٤ .

وَلَوْ يُرْجَى مَعَ الشُّرَكَاءِ خَيْرٌ لَمَا كَانَ الإِلَهُ بِلا شَرِيكِ (١)

• • •

وَالشَّرُّ يَجْلِبُهُ العَلاءُ وَكَمْ شَكَا نَبَأً عَلِيٌّ مَا شَكَاهُ قَنْبَرُ (٢)

• • •

وَالنَّحْلُ يَجْنِي المُرَّ مِنْ نَوْرِ الرُّبَى فَيَعُودُ شَهْداً فِي طَرِيقِ رُضَابِهِ (٣)

عُرِفَتْ جُدُودُكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَالَمَا لَفَظَ القَطَا فَأَبَانَ عَنْ أَنْسَابِهِ

وله أبيات تدل على قدرة واسعة على التصرف في الألفاظ والمعاني ، وإفراغ المعاني العظيمة والأخيلة الواسعة في قوالب موجزة من الألفاظ ، مع انسجام في الاسلوب ، وطلاوة في الديباجة ، واستيعاب للمعنى المقصود ، وذلك كقوله في وصف منهل (٤) :

يَمُرُّ بِهِ رَائِدُ الضُّحَى مُتَنَكِّراً مَخَافَةَ أَنْ يَغْتَالَهُ بِقَتَامِهِ

---

(١) اللزوميات ج ٢ ص ١٨٩ . وفيها : « فلو يرجى ... » .

(٢) « « ص ١٢٦

(٣) البيتان من بائية في السقط مطلعها :

أشفقت من عبء البقاء وعابه
وملّت من أري الزمان وصابه

انظر شروح السقط ق ٢ الصفحات ٧٢٠ ، ٧٢٥ ورواية البيت الأول فيها : « ... فيصير شهداً ... » .

(٤) حيث يقول في بيت سابق من ميميته هذه :

وكم جبن ريف الشام والكرخ منهلاً موارده ممزوجة بسمامه

انظر شروح السقط ق ٢ ص ٤٩٨ .

وفي وصف خَرق [١] :

وتَكتُمُ فيهِ العَاصِفاتُ نُفوسَها   فَلَوْ عَصَفَتْ بالنَّبْتِ لم يَتأوَّدِ

وفي وصف إبل قَطعت مفازةً صعبة مظلمة :

وَكُنَّ يَرَيْنَ نارَ الزَّنْدِ فيهِ   فَلَمْ يُبصِرْنَ إذْ وَرَتِ الزِّنَادُ [٢]

لوَ أنَّ بَيَاضَ عَينِ المَرْءِ صُبحٌ   هُنَالِكَ ما أضاءَ بهِ السَّوادُ

فهذه الأبيات مع تتمتها ، وكثير من أمثالها في شعره ، ترينا من هذا الشاعر قدرة فائقة على ابتداع معان لم يسبق اليها ؛ وتصغير العظيم من الأشياء ، وتعظيم الصغير منها ، إلى حد لايصدقه العقل ، ولكن يستعذبه الذوق لطرافته وروعته ؛ ولأن هذا النوع من المبالغة كان مألوفاً في ذلك العصر ، محبوباً عند العلماء والأدباء فيه . ولقد أجاد فوق الإجادة ، وأحسن فوق الإحسان ، حين جعل لرأد الضحى حياةً وشعوراً بالخوف من هول ذلك المكان ، وأثبت له التنكر مخافة ذلك ، فكأنه حيٌّ عاقل فعّال ما يقتضيه العقل .

وكذلك جعل للعاصفات حياةً وشعوراً بالخوف وتوقّيا بكتم نفوسها من الهلاك .

وفي البيتين الأخيرين أثبت للابل قوة في النظر ، ترى فيها النار وهي كامنة في زندها قبل أن تدخل في هذه الظلمة ؛ ثم صارت بعد

---

(١) حيث يقول في بيت سابق في داليه :

بخرق يطيل الجنح فيه سجوده   وللارض زيّ الراهب المتعبد

انظر شروح السقط ق ١ ص ٢٧٧ .

والخرق من الأرض : بفتح فسكون الفلاة الواسعة .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢١٣ ـ ٢١٥ .

الظلمة لاتبصر النار بعد خروجها من الزناد ؛ وذلك كناية عن حدة بصرها في الأول وشدة الظلمة في الثاني . ومثل هذه المعاني الجسيمة والأخيلة الواسعة لا يتسنى لغير أبي العلاء أن يوردها في هذه الألفاظ القليلة ، السهلة الممتنعة ، الوافية بالغرض ، والدالة على كل ما يريده الشاعر ، مع سلامة وانسجام وصفاء ديباجة .

وفي كلام أبي العلاء كثير من أمثال هذا ، ولكننا الآن اجتزأنا بهذا القدر . ومنه يتضح أن أبا العلاء شاعر بل شاعر مفلق على كل تعريف للشعر ، وعلى كل قول قاله العلماء في حدّه أو رسمه أو ايضاح حقيقته ، وأن إمعان أبي العلاء في تثقيف شعره وتهذيبه ، وإحكام رصفه ، والتماس الأساليب البليغة ، والإشارات اللطيفة ، والأخيلة الرائعة ، والمعاني الدقيقة ، جعلت شعره بعيد المنال لايدرك مافيه منها الا الراسخون في علم الشعر ، العالمون بدقائق الصناعة فيه ، المدركون لأسرار البلاغة في أساليبه البليغة . فأبو العلاء شاعر في رأينا ، وفي رأي العلماء والأدباء عامة ، وفي رأي العلم والأدب ؛ وإن لم يرض ذلك ابن خلدون وشيوخه . ومثل هذا يقال في المتنبي فنحكم على نظمها بأنه شعر ، وندع لابن خلدون وشيوخه أن يسموا الشعر ما كان فيه تشبيه العيون بالنرجس ، والضفائر بالأفاعي ، والأصداغ بالعقارب ، والقوام بغصن البان ، والعجيزة بالكثيب .

أبو العلاء شاعر خنذيذ

قال بعض العلماء : الشعراء أربعة :

شاعر خِنْذِيذ : وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره ؛

وشاعر مُفْلِق : وهو الذي لارواية له ، إلا أنه مجوّد في شعره كالخنذيذ؛

وشاعر فقط : وهو فوق الرديء بدرجة ؛

وشُعْرور : وهو لا شيء .

وقال آخرون : الشعراء أربعة :

شاعر مفلق : وهو الذي يأتي في شعره بالفِلْق ، وهو العجب . وقيل : الفلق : الداهية ؛

وشاعر مطلق ، وشويعر ، وشعرور .[1]

وإذا أنعمنا النظر في شعر أبي العلاء ، واستقرينا ما وصل إلينا في كلامه من أسماء الشعراء الذين اطلع على أشعارهم ، وانتقدها واستشهد بها أو لها ، أو أشار إليها في شعره ونثره ، تبين لنا أنه جمع بين جودة الشعر ، ورواية الجيد الكثير من شعر غيره . فهو إذن شاعر خِنْذِيذ على القول الأول ، وشاعر مفلق على القول الثاني .

أبو العلاء معرق في الشعر ومن بيت شعر

إذا قال الرجل الشعر ولم يكن في آبائه شاعر قبله يقال له : شاعر . فإذا كان أبوه قبله شاعراً فقط يقال له : الثنيان . وإذا كان أبوه وجدُّه شاعرين فقط ، أو كانا هما ومَن فوقهما من آبائه شعراء فهو معرق في الشعر . وإذا عم الشعر أكثر أهل بيته أو جميعهم ، فهو من بيت شعر .

والفرق بين المعرق وذي البيت أن المعرق من تكرر الشعر فيه وفي أبيه وجده فصاعداً ، ولا يكون معرقاً حتى يكون الثالث فما فوقه شعراء . وذو البيت من عمّ الشعر أكثر أهل بيته أو جميعهم .

وأبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان . وقد حدثنا

---

(١) العمدة ١ ــ ٧٣ وغيرها . والخنذيذ : الفحل والخصي أيضاً ، فهو من الأضداد . والخنذيذ : الشاعر المتفلق بالفلق . وجاء بمعنى الخطيب المفلق . ويقال : شاعر مفلق ، أي مجيد يجيء بالعجائب في شعره (ج) .

التاريخ أن هؤلاء الخمسة كانوا كلهم شعراء ، وهم على عمود واحد ، ولم نقف على تاريخ من فوقهم ؛ وربما كان فيهم شعراء .

وكان أخوَا أبي العلاء محمد وعبد الواحد شاعرين ، وفي أولادهما وحفدتهما عدد عظيم من الشعراء . نعرف منهم طائفة غير قليلة . منهم : اسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد أخي أبي العلاء بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان .

فهؤلاء احد عشر أباً على عمود واحد ، وكلهم شعراء ، ولم نقف على بقية أعقابهم ، وربما كان فيهم عدد كبير من الشعراء . وقد ذكرنا في (تاريخ المعرة) طائفة من أمثالهم من بني المهذّب ، وبني حصين ، وبني زريق ، وبني حوارَى ، وغيرهم ، وهؤلاء كلهم من تنوخ . وما فاتنا ذكره منهم أضعاف ما ذكرناه . ولولا أن أبا العلاء قطع حبل النسل لرأينا في أعقابه عدداً عظيماً من الشعراء .

ومن هذا يتبين لنا أن أبا العلاء شاعر معرق في الشعر ، ومن بيت شعر ؛ وأنه أجدر الناس بهاتين الصفتين .

ابتداء قوله الشعر

اتفقت كلمة العلماء على أن أبا العلاء قال الشعر وهو صبي صغير ؛ ولكنهم اختلفوا في تحديد السنة التي قاله فيها ، فجزم فريق منهم بأنه قال الشعر في السنة الحادية عشرة من عمره .

ومن هؤلاء : ابن الجوزي في (المنتظم) ، وياقوت في (إرشاد الأريب) ، وابن خلكان في (الوفيات) ، والذهبي في (تاريخ الإسلام) وابن الوردي في (تتمة المختصر) ، والصفدي في (الوافي بالوفيات) ، واليافعي في (مرآة

الجنان) ، وابن تغري بردي في (النجوم الزاهرة) ، وابن العماد في (شذرات الذهب)[١] .

وشك فريق آخر ، فقال : إنه قال الشعر في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره . ومن هؤلاء ابن الأنباري في (نزهة الألباء) ، وسبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) ، وابن فضل الله العمري في (مسالك الأبصار) والصفدي في (نكت الهميان) ، وابن كثير في (البداية والنهاية) ، والعيني في (عقد الجمان) والسيوطي في (بغيـــة الوعاة) ، والعباسي في (معاهد التنصيص) ، والمكي في (نزهة الجليس) ، وابن العديم في (الإنصاف)[٢] .

والخطب يسير بين هذا الجزم والشك ، ولم ار أحداً زاد على الثانية عشرة . وقد ذكرت في الكلام على بديهته ونباهته أن جماعة من الحلبيين جاءوا ليختبروه ، فقال لهم : هل لكم في المقافاة بالشعر ؟ وكان كلما أنشده واحد منهم بيتاً أجابه من نظمه على قافيته ، حتى قطعهم كلهم . وكان إذ ذاك صبياً صغيراً يلعب مع الصبيان .

ونقلت عن ابن خلكان أن شخصاً قال له : رأيت في تأليف أبي العلاء ما صورته : أصلحك الله وأبقاك ، لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم ... ثم تبين له أن هذه الكلمات تخرج من بحر الرجز .

وهذا وأشباهه مما ذكرناه في بديهته وارتجاله يدلنا على أن أبا العلاء شاعر بفطرته منذ نشأته ، وأنه هو والشعر رضيعا لبان .

---

(١) انظر في ذلك تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات : ١٨ ، ٦٨ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ٢٠٨ ، ٢٦٦ ، ٢٩٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٨ .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ، الصفحات : ١٧ ، ١٤٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٧ ، ٣٠١ ، ٣٢٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٥٤ ، ٥٥١ .

شعر أبي العلاء

لم يتح لنا الوقوف على شعر أبي العلاء كله ، كما أننا لم نوفق إلى الاطلاع على جميع آثاره العلمية ورسائله النثرية . ومما لا شك فيه أن له شعراً كثيراً لا يعرف مثله لشاعر غيره قبله ولا بعده . فقد قيل : إن أبيات (سقط الزند) تزيد على ثلاثة آلاف بيت . وإن في كتاب (استغفر . واستغفري) نحواً من عشرة آلاف بيت . وكتاب (لزوم ما لا يلزم) يحتوي على أحد عشر ألف بيت . وفي كتاب (جامع الأوزان) نحو من تسعة آلاف بيت . ولكن لم يتبين لنا هل هي كلها من شعره ، أم بعضها ، أم هي من أشعار غيره . وذكر البديعي أن (ديوان الألغاز) ضخم . وفي كتاب (ملقى السبيل) كثير من الأبيات .

وزعم الرحالة الفارسي ناصر خسرو أن أبا العلاء نظم من الشعر مائة ألف بيت [1] . وقد كانت رحلته نحو سنة ٤٣٨ هـ . وعاش أبو العلاء بعدها نحواً من إحدى عشرة سنة . ولا شك أنه نظم في خلالها شيئاً كثيراً . وإذا صح ما قاله الرحالة الفارسي ، وأن أبا العلاء قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ؛ وأسقطنا من عمره أيام التعلم والتعليم ، والسفر والمرض ، ومقابلة الزوار وما شاكل ذلك ؛ وقسمنا شعره على أيام حياته الباقية ، أصاب كلَّ يوم منها نحواً من عشرة أبيات ، وهذا ليس بقليل ولا يقدره حق قدره إلا من عانى صناعة الشعر ، لا سيما مثل شعر أبي العلاء الطافح بالمسائل العلمية ، والنكت الأدبية ، والإشارات التاريخية ، والحكم ، والنقد ، والتهكم ، وما أشبه هذا .

ومن المؤسف جداً أننا لم نتمكن من معرفة شيء من كتبه الشعرية

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٦٣ عن سفر نامة ـ لناصر خسرو .

غير (سقط الزند) و (لزوم ما لا يلزم) و (ملقى السبيل) وشيء نزر من (ديوان الألغاز) ؛ وديوانه الذي قيل : إنه قاله في بغداد ؛ إن صح أنه له .

تقسيم شعره بحسب الزمن

حاول بعض الأدباء المتأخرين أن يقسم شعر المعري بحسب أطوار حياته إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : طور الحداثة ، ومدته عشرون سنة تنتهي في سنة ٣٨٣ ﻫ وهي المدة التي ما حدثته نفسه منذ فارقها باجتداء علم من عراقي ولا شآم .

القسم الثاني : الشعر الذي قاله بعد انقضاء الطور الأول إلى أن رجع من بغداد سنة ٤٠٠ ﻫ ، ومدته سبع عشرة سنة . وهي التي نضج فيها عقله ، واستحصف عقله ، ورحل إلى بعض البلدان ، واطلع على كثير مما لم يطلع عليه من العلم أو من العلماء وخزائن الكتب .

القسم الثالث : الشعر الذي قاله بعد رجوعه من بغداد إلى أن فارق الحياة سنة ٤٤٩ ﻫ ومدته تسع وأربعون سنة وهي التي أخصب فيها فكره ، وأثمر أدبه وعلمه ، وألزم نفسه فيها ما لا يلزمها .

وهذا التقسيم حسن جداً ، لكنه يتوقف على معرفة زمن كل قصيدة أو قطعة من شعره ؛ ولم يساعد التاريخ على معرفة ذلك كله ، والحكم المبني على استقراء ناقص أو شُبَهٍ واهية لا قيمة له في نظر العلم .

خصائص شعره

حاول صاحب (ذكرى أبي العلاء) أن يحمل لشعر المعري في كل

طور طابعاً خاصاً به ، وسمة تميزه من شعره في طور آخر . ولكنه لم يوفق حيث قال :

شعره في الطور الأول :

« فأما شعره في طور الحداثة ، فتكثر فيه المبالغة ، ويظهر فيه التكلف ، وتنقصه متانة اللفظ ، ورصانة الأسلوب وإتقان المعنى . ولا يكاد الباحث يتوسمه حتى يرى فيه سذاجة الطفل ، وعبث الوليد ... والتقليدَ في شعر الحداثة ظاهر ... والتكلف بإظهار التفوق والنبوغ يعلن نفسه إلى الناس ، لذلك لا يكاد يخطر له الخـاطر القيم [١] حتى يذهب التكلف بقيمته [٢] » .

واستشهد لذلك ببيت من مرثية أبيه [٣] وهو :

وَنادِبَةٍ في مِسْمَعِي كلُّ قَيْنَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ تُغَرِّدُ بالَّلحْنِ البَرِيءِ مِنَ اللَّحْنِ

وببيت من مرثية أبي حمزة التنوخي [٤] وهو :

أَبَكَتْ تِلكُمُ الحَمَامَةُ أم غَنَّـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـتْ عَلَى فَرعِ غُصْنِها المَيَّادِ

ثم أفاض في تفضيل البيت الثاني على الأول .

---

(١) كذا . (ج)

(٢) ذكرى أبي العلاء — طه حسين — ط ٢ ص ٢٣٧ — ٨ .

(٣) مطلعها :

نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن ‏ ‏ ‏ ‏ فلا جادني إلا عبوس من الدجن

شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٩٤٠ .

(٤) مطلعها :

غير مجد في ملتي واعتقادي ‏ ‏ ‏ ‏ نوح باك ولا ترنم شادي

شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٧٢ .

شعره في الطور الثاني :

ثم قال في (الذكرى) : « فأما شعره في الطور الثاني ، فتكاد تغلب عليه المبالغة ؛ ولكن حظه من التكلف ينقص ، وقسطه من المتانة يزيد ، وتمثيله لعواطف الشاعر يصح ، فإذا جاوز الخامسة والثلاثين ، ورأيناه ببغداد ، بدأنا نودع المبالغة في شعره ، ونستقبل الاقتصاد في اللفظ والمعنى جميعاً ؛ ورأينا ظاهرة ينبسط ظلها على الرجل ، وهي التجمل بالاصطلاحات العلمية ... » .

ثم قال : « في هذا الطور نظم أبو العلاء أكثر ما يشتمل عليه (سقط الزند) [من الشعر] ولا سيما المدح ... وإنما نحكم هذا الحكم لأنا نجد في هذا الشعر متانة قصّر عنها شعره الأول ، ومبالغة جلّ عنها شعره الثالث ، ومعاني لا تلائم شاعراً يفرزم ، ولا توافق فيلسوفاً يتجنب الكذب ... وفي هذا الطور عبثت الضرورات بشعر أبي العلاء ، فوقع فيه بعض الخطأ النحوي : فانظر إليه كيف سكّن لام الفعل مع « أن » في قوله :

. . . . فَكَادَ أنْ يَشْجُو الرَّحالا

وكيف وضع أن بعد كاد . . . وفي هذا الطور نسب [أبو العلاء] وتغزل ، وافتخر لأنه في الطور الثالث لم يمل إلى هذين الفنين . وفي هذا الطور وصف الأشياء المختلفة »[1] .

شعره في الطور الثالث :

وذهب في (الذكرى) إلى أن أبا العلاء في هذا الطور كان متشدداً في كل شيء ، ملتزماً ما لا يلزم في أعماله العقلية ، وحياته المادية ، فامتنعت منه المبالغة والضرورات ، والتزم القوافي الصعبة ، وكان يتشدد في محاكاة المتقدمين من العرب ، فيؤثر الألفاظ البدوية الجزلة ، والمعاني البدوية

(١) ذكرى أبي العلاء — لطه حسين — ط ٢ ص ٢٣٩ — ٢٤٢ .

الفخمة ، ولا يتحضر في شعره إلا إذا اضطر . وكان يتخير غريب اللغة ونادرها ... ويكاد التكلف لا يوجد في شعره في هذا الطور إلا أن يضطر ... ثم لخص رأيه بقوله : « أبو العلاء في هذا الطور بدوي اللفظ والأسلوب . قليل التكلف والمبالغة ، ولكن شعره يمثل شخصه ... ويمثل عواطفه» .[1] إلى آخر كلامه في هذا الباب .

ابطال ما قاله صاحب الذكرى

وفي كل ما ذكره صاحب (الذكرى) هنا نظر يضعفه ، وشك يبطله . وبيان هذا :

١ ً ـ ان المبالغة لا تفارق شعر المعري في جميع أطواره ، وإذا لم تكن في الطور الثاني مثلها في الطور الأول فهي أكثر منها فيه . والأدلة على ذلك كثيرة ، منها قوله في مدح سعيد الدولة[2] :

وَلَوْ أَنَّ الرِّيَاحَ تَهُبُّ غَرْباً … وَقُلْتَ لَـهَا هَلا هَبَّتْ شَمَالا

وَأُقْسِمُ لَوْ غَضِبْتَ عَلى ثَبِيرٍ … لأَزْمَعَ عَنْ مَحَلَّتِهِ ارْتِحالا

وقوله فيها يصف سيفاً :

يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ … فَلَوْلا الغِمْدُ يُمْسِكُهُ لَسَالا

وهذه القصيدة مما قاله في الطور الثاني ؛ وهي طافحة بالمبالغة في وصف الفرس ، والقِسِيّ ، والسيف وفي المدح . . وقلما خلت قصيدة له في مدح ، أو تشوّق ، أو رثاء ، أو فخر من المبالغة .

(١) ذكرى أبي العلاء ط ٢ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٦ .

(٢) من لاميته في سقط الزند ومطلعها :

أعن وخد القلاص كشفت حالا … ومن عند الظلام طلبت مالا

انظر شروح السقط ق ١ ص ٩٣ ـ ٩٤ ، ١٠٤ .

وقوله من قصيدة قالها في الطور الثالث :

وَنَبّالةٍ مِنْ بُحتُرٍ لوْ تعمّدوا ... بليلٍ أناسيّ النّواظرِ لم يُخطِوا[1]

وقوله منها يصف امرأة بطيب الرائحة ، حتى سكر الحادي بها من طيب ريحها ، كأنه شرب من خمر بابل :

وَقدْ ثَمِلَ الحادي بِها مِنْ نَسيمها ... كأنْ غالهُ مِن كَرْمِ بابلَ إسْفَنْطُ

٢ - ان التكلف يظهر في شعر أبي العلاء في كل طور ، انظر إلى قوله :

ألفتِ خَوضَ المَنايا إنْ مَنكَرَةً ... إلفُ الغزالِ مَقاليتاً مَقاليتا[2]

وقوله :

وَحرفٍ كَنونٍ تحتَ راءٍ ولمْ يكُنْ ... بِدالٍ يؤمُّ الرّسمَ غيرّهُ النّقطُ[3]

---

(١) من طائيته التي يخاطب بها خازن دار العلم ببغداد ويصف حال الفتنة بالشام وأسر الزورق الذي كان نزل معه إلى بغداد ومعاونة أبي أحمد المكاري له على تخليصه من أصحاب الأعشار ومطلعها :

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا ... بظللهم ما ظل ينبته الخــط

انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٧٩ ، ١٦٥٨ .

واسفنط : من أسماء الخمر .

(٢) من قصيدة يخاطب بها القاضي أبا القاسم علي بن المحسن بن أبي الفهم التنوخي ، وكان حمل اليه وهو ببغداد جزءاً من شعر تنوخ ، فنقله عند عبد السلام البصري ، ومطلعها :

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا ... وموقد النار لا تكرى بتكريتا

انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦١٨ . وفيه :

« ألفت خوص المطايا إن . . . . » .

(٣) شروح السقط : ق ٤ ص ١٦٥١ .

وهذان البيتان من قصيدتين قالهما في الطور الثالث . وفي (لزوم ما لا يلزم) قصائد وأبيات مغمورة بالتكلف كقوله :

خَوَى دَنُّ شَرْبٍ فَاسْتَجَابُوا إلى التُّقى
فَعِيسُهُمُ نَحْوَ الطَّوافِ خَوَادي[1]

وهذا البيت من قصيدة أبياتها عشرون ، وليس فيها بيت خال من مثل هذا التكلف .

وقوله :

عَوَى في سَوادِ اللّيْلِ عافٍ لعَلّهُ ... يُجَابُ وأنى والدّيارُ عَوافٍ[2]

وهو من قصيدة أبياتها اثنا عشر بيتاً مغمورة بالتكلف . وفي (لزوم ما لا يلزم) وغيره كثير من الأبيات بل القصائد التي لا تخلو من مثل هذا ، وكلها مما قاله في الطورين الأخيرين .

٣ ـ إن أراد بقوله : تنقصه متانة اللفظ ، ورصانة الأسلوب ، وإتقان المعنى ، أن هذه الأشياء كلها لا توجد في كل بيت من أبيات شعره ، فهذا صحيح ؛ ولكنه غير محصور في شعره في هذا الطور ؛ بل غير محصور في هذا الشاعر . فإن شعر كل شاعر لا يخلو من تفاوت في قوة الأسلوب وجلاء المعنى ، ومع هذا لا نسلّم أن معانيه غير متقنة ، وأسلوبه غير رصين . فهذه مرثيته في أبيه فيها أبيات من عيون الشعر كقوله[3] :

حِجىً زَادَهُ مِنْ جُرْأةٍ وَسَمَاحَةٍ
وبَعْضُ الحِجَى دَاعٍ إلَى البُخْلِ والجُبْنِ

. . . .

---

(١) اللزوميات ٥ ص ١٠٧ . وعيس خواد : سراع في السير .
(٢) المصدر السابق ص ٢٩٤ .
(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٩١٢ ـ ٩٢٢ .

إِذَا غُيِّبَ المَرْءُ اسْتَسَرَّ حَدِيثُهُ وَلَمْ تُخْبِرِ الأَفْكَارُ عَنْهُ بِمَا يُغْنِي

. . . .

وَجَدْنَا أَذَى الدُّنْيَا لَذِيذاً كَأَنَّمَا جَنَى النَّحْلِ أَصْنَافُ الشَّقَاءِ الذي نَجْنِي

. . . .

وَخَوْفُ الرَّدَى آوَى إِلَى الكَهْفِ أَهْلَهُ
وَكَلَّفَ نُوحاً وابْنَهُ عَمَلَ السُّفْنِ

ولو عرفنا كل ما قاله في هذا المهد ، لرأينا كثيراً من الأبيات الرائعة ، والآيات البارعة .

٤ً — ان التقليد في شعره في الطور الثاني أكثر منه في الطور الأول ، إن كان هناك تقليد .

٥ً — ان إظهار التفوق لا يفارق شعره في الطور الثاني ؛ بل هو أكثر منه في الطور الأول ، كما سيتضح ذلك من الأمثلة الآتية .

٦ً — انّ التجمل بالاصطلاحات العلمية لا يخلو شعره منه في كل طور . يدل على ذلك قوله في مرثية أبيه :

تَئِنُّ ونَصْبِي في أَنِينِكَ وَاجِبٌ
كَمَا وَجَبَ النَّصْبُ اعْتِرَافاً عَلَى إِنَّ[1]

٧ً — انه تغزل في (تائيته) التي أرسلها إلى التنوخي [2] ، وفي

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٩٣٢ .

(٢) السقط ج ٢ ص ١١٢ (ج) ومطلعها :

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا وموقد النار لا تكرى بتكريتا

وانظر ما سبق ص ٩٥٣ .

(الطائية) التي أرسلها إلى خازن دار العلم [١] وكلتاهما في الطور الثالث .

٨ً — أن الوصف أكثَرَ منه في الأطوار الثلاثة ، كما نرى في وصف السيف في (التائية) المذكورة ، وفي وصف الطير في (الطائية) ووصف الأسد ، والحية ، والسيف ، في (الميمية) التي رثى بها أمه [٢] وفي أبيات الوصف التي جاءت في (لزوم ما لا يلزم) .

٩ً — ان ما ذكره من الضرورات وقع مثله في (لزوم ما لا يلزم) وهو قوله :

وَاللهُ يَقْدِرُ أَنْ يُفْنِي بَرِيَّتَهُ   مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ وَلَكِنْ جُنْدُهُ العِلَلُ [٣]

وقد وقع مثل هذه الضرورة في كلام المتقدمين كقول عامر بن الطفيل :

فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ   أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبِ [٤]

وقول كعب بن زهير :

أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا   وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ [١]

---

(١) السقط ج ٢ ص ١٢١ (ج) : وانظر ماسبق ص ٩٥٣ .

(٢) السقط ج ٢ ص ٨٧ (ج) مطلعها :

سمعت نعيها صمّي صمامِ   وإن قال العواذل لا همامِ

وانظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٤٥٣ .

(٣) اللزوميات ه ص ١٩٦ .

(٤) انظر ماسبق ص ٦٢٤ .

وقول الآخر :

إِذَا شئتَ أَنْ تَلْهو ببعضِ حديثها ... رَفعنَ وأنزلْنَ الحديثَ المقطّعا[1]

ووقع كثير مثلها في أقوال المتأخرين أيضاً كقول المتنبي :

إِذَا شَاء أَن يَلْهُو بِلِحْيةِ أَحمَقٍ ... أَراهُ غُبَارِي ثُم قَالَ لَه الحَقِ[2]

وللنحاة في مثل هذا قولان ، الأول : إهمال « أن » المصدرية حملاً على ما المصدرية ، والثاني : إجراء الفتحة على الواو مجرى الضمة للضرورة ، قال المبرد : وهو من أحسن الضرورات . وقد جاء اسكان الواو في النثر ، وقرأ الحسن قوله تعالى: ﴿إلا أنْ يَعفُونَ أوْ يَعفُوْ الذي بيده عقدة النكاح﴾[3] بسكون الواو في يعفو. قال الزمخشري : وإسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالألف لأنهما أختاها .

١٠ — ان محاكاة العرب وإيثار الألفاظ البدوية غير محصورة في طور واحد من أطوار شعره . وأكثر (سقط الزند) مطبوع على هذا الغرار ، مع اختلاف الزمن الذي قيلت فيه قصائده .

١١ — ان المعاني البدوية مستفيضة في أكثر قصائده ، وقلما خلت قصيدة له منها ، لا سيما ما كان منها في مدح ، أو تهنئة ، أو تشوق ، أو فخر ، أو رثاء .

١٢ — ان غريب اللغة الذي ذكره مبثوث في أكثر أقواله ؛ ولعل السبب في ذلك وفيما قبله أنه كان لا يراه غريباً كما قدمنا ؛ وأنه الكثرة ما كان يحفظه من كلام العرب في أغراض مختلفة تأثر بألفاظهم ومعانيهم . انظر إلى قصيدته :

---

(١) انظر ما سبق ص ٦٢٤ .

(٢) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ٢/٣٦٢ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٧ .

أرى العَنْقَاء تَكْبُرُ أن تُصَادَا[1] . . . .

فإنها طافحة بالألفاظ والمعاني البدوية .

وفي الجملة لم يوفق صاحب (الذكرى) إلى ما أراده من التقسيم ، ولا فيما أورده من الخصائص لكل طور .

التقسيم القريب من القبول والصحة

ويظهر للمتأمل أن تقسيم شعره بحسب الزمن تقسيماً صحيحاً غير متيسر ، لأن ذلك يتوقف على معرفة شعره كله ، وعلى معرفة زمن كل قصيدة أو قطعة أو بيت منه ؛ وكلا الأمرين بعيد المنال . وإذا لم يكن بد من تقسيمه لتقريب البحث على الدارس بقدر الإمكان ، فالأقرب أن يقسم شعره إلى عهدين :

الأول : شعره من أول حياته الشعرية إلى حين رجوعه من بغداد ، ومدة هذا العهد نحو سبع وثلاثين سنة .

الثاني : شعره بعد رجوعه من بغداد إلى نهاية عمره ، ومدة هذا العهد نحو تسع وأربعين سنة .

العهد الأول

أما شعره في العهد الأول ، فهو كثير المبالغة ، له حظ وافر من التكلف ، وفيه شيء من المصطلحات العلمية تقل في أوله وتكثر في آخره ، وأسلوبه فيه متين قوي الأسر ، وعلى مدحه وفخره مسحة البداوة ،

---

(١) عجزه : « فعاند من تطيق له عنادا » . وهو مطلع دالية في السقط ، انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٥٣ .

وللحِكَم فيه نصيب وافر ، وفيه قصائد من عيون الشعر وآياته في الرثاء والمدح والفخر وغيرها .

وهذا الحكم إجمالي لأننا لم نقف على كل شعره ، ولم نعرف زمن كل قصيدة منه .

الأغراض في هذا العهد

أما الأغراض التي نظم فيها الشعر في هذا العهد فهي : **النسيب** ، **والمدح** : **والفخر** ، **والهجاء** ، **والرثاء** ، **والوصف** ، **والحنين إلى بلاده** ، **والحكمة** ، وتقل فيه الأغراض والمعاني الفلسفية بالنسبة للعهد الذي بعده .

العهد الثاني

وأما شعره في العهد الثاني فينقسم إلى قسمين :

الأول : قصائده في المدح ، والرثاء ، والحنين إلى بغداد وأهلها ، وأجزبته للشعراء ، وتهنئته وما شاكل ذلك . وشعره هذا كله من فصيلة شعره في العهد الأول ؛ إلا أن خياله فيه أوسع مدى ، ونصيبه من المصطلحات العلمية أوفر .

الثاني : شعره في (لزوم ما لا يلزم) وهذا على ما في بعض أبياته من التكلف ، قوي الأسر ، محكم الوضع ، شريف المعنى ؛ وفيه من أنواع الحكمة ومسائل العلم أكثر مما في العهد الأول .

ولا يخلو شعره في هذا العهد من الصناعات البديعية ، لا سيما الجناس ، والتورية ، والطباق ، والمقابلة ، والتلميح .

الأغراض في العهد الثاني

وقد تناول في هذا العهد جميع الأغراض التي نظم فيها في العهد الماضي ، وزاد عليه كثرة الآراء الفلسفية والمسائل العلمية . وعلى شعره مسحة البداوة في كل عهد .

وهذا الحكم إجمالي كما ذكرنا .

تاريخ بعض قصائده وأبياته

قلنا : إن التاريخ لم يساعدنا على معرفة الزمن لكل قصيدة أو قطعة من شعر المعري ، ولكننا استطعنا معرفة بعض ذلك مما ذكر في عناوينها ، أو استنتجناه من مضامينها ، أو من الحوادث المرتبطة بها ، أو من دليل آخر . فنذكر طرفاً منه هنا ليتضح للباحث معرفة شيء من اسلوبه الحقيقي في كل عهد :

ما قاله في العهد الأول

١ ـ ذكر في (سقط الزند ج ٢ ص ٢٠) [١] قصيدة مطلعها :

أَلَيسَ الذي قَادَ الجِيَادَ مُغِذَّةً   رَوَافِلَ في ثَوبٍ مِنَ النَّقْعِ ذَائِلِ

وذكر في عنوانها أنه قالها في الصبى ، وليس في أبياتها ما يدل على ذلك . فلعل كلمة « في الصبى » من زياده الشراح أو النساخ . أو ربما حذف من القصيدة بعض الأبيات ، أو توسعوا في معنى الصبى حتى تتناول ما بعده .

---

(١) التنوير على سقط الزند ـ للخويي . وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٦٧ .

٢ — وفي (ج ٢ ص ٢٤)[1] منه أبيات أولها :

لِتَذْكُرْ قُضَاعَةُ أَيَّامَهَا وتُزْهَ بأملاكِهَا حِمْيَرُ

وقد جاء في عنوانها : أنها من قصيدة قالها في صباه يمدح فارس ويفضلها على العراق . وليس في الأبيات المذكورة ما يدل على أنها قيلت في الصبى ؛ بل ليس فيها تفضيل لفارس على العراق . ولعل ذلك كان في أبيات أخر لم تذكر ، لأن أبا العلاء كان يحذف بعض الأبيات من (السقط) كما ذكر ذلك صاحب التنوير والتبريزي والبطليوسي في مواطن متعددة .

٣ ـ مرثيته لأبيه[2] :

نَقِمْتَ الرِّضَى حَتَّى عَلَى ضَاحِكِ المُزْنِ
فَلاَ جَادَنِي إِلاَّ عَبُوسٌ مِنَ الدَّجْنِ

وقد كانت وفاة أبيه سنة ٣٧٧ هـ أو ٢٩٥ هـ[3] .

٤ ـ قصيدته في مدح سعيد الدولة التي مطلعها[4] :

أَعَنْ وَخْدِ القِلاَصِ كَشَفْتِ حَالاَ وَمِنْ عِنْدِ الظَّلاَمِ طَلَبْتِ مَالاَ

وقد ذكر في (ضوء السقط) أنه كتب بها لسعيد الدولة بن سعد الدولة . وذكر الميمني أنه وجد في عنوان نسخة (السقط) التي في دار الكتب الأهلية في باريس أنه قالها في سعيد الدولة حفيد سيف الدولة سنة ٣٩٠ هـ وقد كانت إمارة سعيد من سنة ٣٨١ هـ إلى سنة ٣٩٠ هـ وفيها يقول :

---

(١) التنوير ، وانظر شروح السقط ق ٣ ص ١٠٨٧ .

(٢) ذكرها الخويي في التنوير ١/١٩٣ وهي في شروح السقط ق ٢ ص ٩٠٧ .

(٣) انظر ما سبق ص ١٧٣ حول سنة وفاته .

(٤) ذكرها الخويي في التنوير ١/١٤ وهي في شروح السقط ق ١ ص ٢٥ .

سَأَلْنَ فَقُلْتُ مَقْصِدُنَا سَعِيدٌ   فَكَانَ اسمُ الأَمِيرِ لَهُنّ فالاَ

وقد أشار فيها إلى الحروب التي كانت بين سعيد وبين عسكر مصر وهي ما بين سنة ٣٨٣ هـ وسنة ٣٨٦ هـ .

٥ً ـ وقصيدته التي مدح بها أبا ابراهيم العلوي ومطلعها [١] :

أَلاَحَ وَقَدْ رَأَى بَرْقاً مُلِيحَا   . . . .

يقول فيها :

أعبَّادَ المسيحِ يخافُ صحْبي   ونحنُ عبيدُ منْ خلقَ المَسيحَا

وقد قال الشراح : إن هذه القصيدة قيلت وملك الروم خرج إلى أرض المسلمين ، وخاف الذين قربوا منه فرحلوا عن أوطانهم .

وقد ذكر المؤرخون أن فردوس الدمستق نزل على باب حلب سنة ٣٧٣ هـ في خمسمائة الف فارس ، فالتقى في الميدان مع عسكر سعد الدولة ، ثم رجع عسكر فردوس وأتبعه سعد الدولة جيشاً من قبله غازياً حتى بلغ عسكره أنطاكية .

وفي سنة ٤٢١ هـ خرج ملك الروم من القسطنطينية إلى الشام ، فبلغوا قريباً من حلب وكان صاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس .

٦ً ـ وذكر البطليوسي (ج ١ ص ٣٥٠) [٢] أن أبا العلاء مدح الشريف أبا ابراهيم العلوي بقصيدته التي يقول في مطلعها :

---

(١) ذكرها الخوبي في التنوير ج ١ ص ٥٦ ، وهي في شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٣٧ . وعجز المطلع : سرى فأتى الحمى نضواً طليحا .

(٢) من شروح سقط الزند ، والقصيدة في التنوير ج ١ ص ٧٧ .

إلَيْكَ تَنَاهَى كُلّ فخرٍ وَسُؤْدَدِ ... فَأَبْلِ اللَّيَالِي والأَنَامَ وَجَدِّدِ

وأما القصيدة التي مطلعها :

لَقَدْ آنَ أنْ يَثْنِي الجَمُوحَ لِجَامُ ... وأنْ يَمْلِكَ الصَّعْبَ الأبِيَّ زِمَامُ[1]

فالذي يفهم من كلام البطليوسي ، والتبريزي ، والخوارزمي [2] . والخوني شراح (سقط الزند) ومن القصيدة المذكورة ، من كلام ابن الأثير في (الكامل ج ٩ ص ٣٧) أن العزيز صاحب مصر

---

(١) في شروح السقط : « ... ذمام » بالذال .

(٢) يقول البطليوسي : « وقال يصف وقعة كانت للمسلمين على الروم بموضع يعرف بالروج قريب من المعرة . وكان رئيس المسلمين بنجوتكين التركي في أيام العزيز بالله » .

وقال البطليوسي أيضاً عند شرحه البيت :

كأن لم يكن بين المخاض وحارم ... كتائب يشجين الفلا وخيام

« المخاض : نهر يخاض ، قريب من المعرة بأرض تعرف بالروج .

وحارم : بلد قريب من أنطاكية . وكان التقى بهذا الموضع عسكر المسلمين وعسكر الروم . فتقاتل الفريقان والمخاض بينهما ، ثم عبر المسلمون إليهم النهر فانهزموا .. » .

وقال التبريزي : « المخاض : نهر يخاض في الأرض التي تعرف بالروج وهي قريبة من معرة النعمان ، والتقى في هذا الموضع عسكران ، أحدهما للمسلمين ، وأمير العسكر الذي للمسلمين بنجوتكين التركي الذي اصطنعه أبو منصور نزار ، الملقب بالعزيز بن معد الملقب بالمعز . فتقاتل العسكران والمخاض بينهما ، ثم عبر المسلمون إليهم ، فانهزموا ... » .

وقال الخوارزمي : « المخاض : نهر بالقرب من معرة النعمان . حارم : مدينة قريبة من أنطاكية ، كانت بها وقعة بين الروم والمسلمين ، فانهزم الروم ... » .

وقال الخوني : « المخاض : نهر بالقرب من معرة النعمان . وحارم : بلد قريب من أنطاكية . وكانت بينهما وقعة بين المسلمين وبين الروم ، وانهزم الروم بين يدي المسلمين ... » .

انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٠٢ ـ ٦٠٤ . والتنوير على سقط الزند ١/١٢٥ .

جهز جيشاً إلى حلب ، وجعل منجوتكين أميراً عليه ، وذلك في سنة ٣٨١ هـ بعد وفاة سعد الدولة وتولي ولده أبي الفضائل مكانه ، لأن الوزير أبا الحسن المغربي أطمعه فيها . فسار منجوتكين وحصرها ، وفيها أبو الفضائل والوصيُّ عليه لؤلؤ ؛ فكتبا إلى بسيل ملك الروم يستنجدانه ، وكان يقاتل البلغار ، فأرسل إلى نائبه بأنطاكية يأمره بإنجاد أبي الفضائل . فسار في خمسين ألفاً حتى نزل على الجسر الجديد بالعاصي ؛ فلما سمع منجوتكين الخبر سار إلى الروم ليلقاهم قبل اجتماعهم بأبي الفضائل ، وعبر اليهم العاصي ؛ وأوقعوا بالروم فهزموهم ، وولوا الأدبار نحو أنطاكية ، وكثر القتل فيهم ، وتبعهم منجوتكين إلى أنطاكية ، فنهب بلدها وقراها وأحرقها . ثم عاد إلى حلب فحصرها ، فأرسل لؤلؤ الى أبي الحسن المغربي وغيره مالاً ليردوا منجوتكين عنهم هذه السنة بعلّةِ تعذّر الأقوات ، ففعلوا وساروا إلى دمشق ، فغضب العزيز وكتب بعودِ العسكر إلى حلب ، وإبعاد المغربي . فعاد العسكر وحاصرها ثلاثة عشر شهرا . وعاد لؤلؤ فراسل ملك الروم ، فنزل على باب حلب ، ورحل جيش مصر .

وأغضب ذلك العزيز ، واستنفر الناس لغزو الروم ، وخرج من القاهرة وحدث به مرض فمات سنة ٣٨٦ هـ .

وذكر الشراح وغيرهم أن منجوتكين عبر بعسكره المخاض ، وهو نهر يخاض في الأرض التي تعرف بالروج . واقتتل العسكران ، ثم انهزم الروم .

وان حارم مدينة قريبة من أنطاكية ، كانت بها وقعة بين الروم والمسلمين فانهزم الروم . وأن الروم كانوا يسكنون في بقعة كانت في أيديهم . وقد عبّرعنه أبو العلاء بالمحل وذكر البطليوسي في (شرح السقط

ج ٢ ص ٦١١) أن أبا العلاء يخاطب بقوله في هذه القصيدة :

وَرَدُّوا إليكَ الرُّسْلَ وَالصُّلْحُ مُمْكِنٌ(١) . . . .

العزيز بالله ، فتكون هذه القصيدة في مدحه . وقد قالها بعد انكسار الروم في سنة ٣٨١ هـ ولا أستبعد أن تكون لقائد جيشه منجوتكين بل ذلك أقرب .

وقال التبريزي في (شرح السقط) عند قوله :

إلى حَارِمٍ قَادَ العِتَاقَ سَوَاهِماً(٢) . . . .

وكان هذا المخاطب قد غزا حارماً في بعض السنين .

٨ — وقال البطليوسي في (شرح السقط) : « وله من قصيدة أولها(٣) :

هُوَ الهَجْرُ حَتَّى ما يُلِمُّ خَيَالُ ... وَبَعْضُ صُدُودِ الزَائِرِينَ وِصَالُ

وهذه القصيدة مدح بها رجلاً يقال له علي بن الحسين ، ويعرف بابن المغربي . وكان مدبر عسكر بنجوتكين التركي الذي اصطنعه العزيز من أمراء الشيعة . وكان لقي الروم بموضع يعرف بالروج ، وبين العسكرين نهر ، فخاضه المسلمون إلى الروم وأوقعوا بهم » . وقال في شرح قوله :

إلى حَارِمٍ قَادَ العِتَاقَ . . . .

« حارم : بحاء وراء غير معجمتين ، وهو واد قريب من أنطاكية ،

---

(١) عجزه : « وقالوا على غير القتال سلام » .

(٢) عجزه : « لها من نشاط بالكماة زمال » .

انظر شروح السقط ق ٣ ص ١٠٤٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٤٧ — ١٠٥٩ .

كان لقي فيه بنجوتكين التركي قائد العزيز بالله الروم فهزمهم . وكان الممدوح بهذا الشعر قد ولاّه بنجوتكين أمر عسكره وقدمه عليه . وقد ذكر المعري هذه الوقعة في قوله :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ المخاضِ وحارِمٍ   كَتَائِبُ يُشْجِينَ الفَلاَ وَخِيَامُ

وقال في شرح قوله في هذه القصيدة :

وَكَيْفَ لِقَاءُ ابْنِ الحُسَيْنِ مُخَالِفٌ   يُحَدِّثُ عَنْ أَفْعَالِهِ فَيُهَالُ

« هو علي بن الحسين ، المعروف بابن المغربي . . . » .

وقال التبريزي في شرح قوله :

وَفي الخَيْلِ مِنْ مَاءِ المَخَاضَةِ عِفَّةٌ   وهُنَّ إِلى مَاءِ النُّفُوسِ نِهَالُ

« المخاضة : يراد بها مخاضة ماء ، وكان علي بن الحسين المعروف بابن المغربي مدبر ذلك العسكر ، وأميره بنجوتكين التركي الذي اصطنعه العزيز من أمراء الشيعة ؛ فالتقوا بالمكان الذي يعرف بالروج ؛ وبين الفئتين ماء يخاض ، فخاضه اليهم المسلمون ، وظفروا ظفراً عظيما . . . » .

وقال البطليوسي في (شرح سقط الزند)[1] عند شرحه الأبيات التي أولها :

لِتَذْكُرْ قُضَاعَةُ أَيَّامَهَا   وَتُزْهَ بِأَمْلاَكِهَا حِمْيَرُ

« هذه الأبيات له من قصيدة قالها في صباه يمدح بها علي بن الحسين المغربي الفارسي . . . » .

---

(١) شروح السقط ق ٣ ص ١٠٨٧ .

١٠ — قصيدته التي مطلعها [١] :

مَعَانٌ مِنْ أحِبَّتِنَا مَعَـانُ　　تُجيبُ الصَّاهِلاتِ بِهِ القِيانُ

فقد ذكر الخوارزمي عن الزمخشري أنه قالها في أبي الفضائل سعيد بن شريف بن علي بن أبي الهيجاء . وجاء في شرح التبريزي والبطليوسي : سعد بن شريف بن علي بن أبي الهيجاء .

١١ — وكذلك قصيدته التي مطلعها [٢] :

اِبْقَ في نِعْمَةٍ بَقَـاءَ الدهُورِ　　نَافِذَ الأمْرِ في جَمِيعِ الأُمُورِ

فقد قال في (ضوء الفند) : إنه يعني بها بعض بني حمدان ملوك حلب . وفي الميمني : إنه قالها في سعيد الدولة الحمداني .

١٢ — وقصيدته التي أولها :

يَا لَلْمُفَضَّلِ تَكْسُونِي مَدَائِحُهُ　　. . . . . [٣]

---

(١) ذكرها الخويي في التنوير ج ١ ص ٤١ ، وهي في شروح السقط ق ١ ص ١٧٢ . ومعان الأولى : اسم موضع بعينه . ومعان الثانية : المنزل أو المكان الكثير الحلق .

(٢) هي في التنوير ج ١ ص ٥٣ وفي شروح السقط ق ١ ص ٢٢٤ .

(٣) تمام البيت : « ... وقد خلعت لباس المنظر الأنق » .

قال الخويي في التنوير : « وقال أيضاً في البسيط الأول والقافية من المتراكب يجيب بعض الشعراء عن قصيدة أولها :

ارقد هنيئاً فذي دائم الأرق　　ولا تشقني وغيري سالياً فشق

وعلى هذه الرواية يكون البيت :

يا للمفضل تكسوني مدائحه　　وقد خلعت لباس المنظر الأنق

مطلع قصيدة أبي العلاء كما ذكر ذلك الخويي وكما أورده المؤلف ، بيد أنه ذكر في شروح السقط نقلاً عن الخوارزمي والتبريزي أن البيت :

فإن قوله فيها :

وَمَا ازْدُهِيتُ وَأَثْوابُ الصِّبَى جُدُدٌ
فَكَيفَ أَزْهُو[1] بِثَوْبٍ مِنْ صِبىً خَلَقِ

يدل على أنه قالها في عهد الكهولة . وزعم بعض المعاصرين أن المفضّلَ ابنُ سعيد بن عَمرو المعري . ولا يتعين ذلك ، أو ليس في القصيدة ما يدل عليه . وقد كان في المعرة في عهد أبي العلاء جماعة يسمّون بالمفضل ، منهم المذكور ، ومنهم المفضل بن محمد بن المهذب ، ومنهم المفضل بن جعفر بن علي بن المهذب ، ومنهم المفضل بن أبي غانم ، ومنهم المفضل بن محمد بن مسعر . ولم أستطع تعيين واحد منهم . على أن لفظ « المفضل » في البيت لا يجب أن يكون علما ، بل يجوز أن يكون صفة مدح فتأمل . والقصيدة تدل على أن المفضل هذا تلميذ لأبي العلاء امتدحه بأبيات فأجابه بهذه القصيدة .

١٣ — وقصيدته :

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي واعْتِقَادِي[2] . . . .

— ارقد هنيئاً نائي دائم الأرق ولا تشقني وهيري سالياً فشق

أول قصيدة أبي العلاء ، وأن البيت ، وروايته في الفروح :

يا المفضل يكسوني مدائحه . . . . .

هو ثاني أبياتها . ولم ترو هذه القصيدة جلة في البطليوسي . انظر التنوير على سقط الزند ج ١ ص ١٤٢ ، وشروح السقط ق ٢ ص ٦٧٣ — ٤ .

(١) في شروح السقط : « ... أزهى ... » .

(٢) تمامه : « نوح باك ولا ترنم شادي » .

انظر التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٠٨ وشروح السقط ق ٣ ص ٩٧١.

فإنه رثى بها أبا حمزة الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد بن محمد بن داود بن المطهر التنوخي ، وقد كانت وفاته قبل الأربعمائة . ويفهم من القصيدة أن المرثي بها كان خليل صباه ، وأنه مات شابا .

١٤ — وقصيدته التي مطلعها :

لَا وَضْعَ لِلرَّحْلِ إِلَّا بَعْدَ إِيضَاعِ فَكَيْفَ شَاهَدْتِ إِمْضَائِي وَإِزْمَاعِي[1]

فإنه كتبها إلى أبي حامد الإسفرائيني بعد دخوله بغداد سنة ٣٩٨ ﻫ .

١٥ — ومنها أبياته اللامية التي أجاب بها القاضي أبا الطيب طاهر بن عبد الله البصري[2] ، وهو في بغداد ومطلع الأبيات الأولى :

---

(١) هي في التنوير على السقط ج ١ ص ١٥٨ وشروح السقط ق ٢ ص ٧٤١ .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل المؤلف يريد : « الطبري » فقد جاء في (فائت شعر أبي العلاء) ضميم (أبو العلاء وما إليه) للميمني ص ٩ نقلاً عن بدائع البدائه بهامش المعاهد ٢/١١٤ ، والوفيات ١/٢٣٣ ومرآة الجنان لليافعي ٣/٧٠ مانصه : « قال القاضي أبو الطيب الطبري : كتبت إلى أبي العلاء المعري حين وافى بغداد .... » .

وذكر خمسة أبيات مطلعها :

وما ذات در لايحل لحالب تناوله واللحم منها محلل

وقال : « فأجابني وأملى على الرسول في الحال ارتجالا :

جوابان عن هذا السؤال كلاهما صواب وبعض القائلين مضلل

وذكر بعد هذا البيت خمسة أبيات أخر ثم قال : « فأجبته عنه وقلت :

أثار ضميري من يعز نظيره من الناس طراً سابغ الفضل مكمل

وأورد مقطعته التي تبلغ ثمانية أبيات وقال : « فأجاب مرتجلا وأملى على الرسول :

ألا أيها القاضي الذي بدهائه سيوف على أهل الخلاف تسلّل

وذكر بعده ثلاثة عشر بيتاً لأبي العلاء .

وجاء في تتمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي : « ووضع أبو طاهر الحافظ السلفي كتاباً في أخبار أبي العلاء ، وقال فيه مسنداً عن القاضي أبي الطيب —

جَوابانِ عَن هَذَا السُّؤالِ كِلاهُما صَوابٌ وبَعضُ القَائلِينَ مُضَلَّلُ

ومطلع الثانية :

ألا أيُّها القاضِي الذي بِدَهائِهِ سُيُوفٌ على أهلِ الضَّلالِ تُسَلَّلُ

١٦ — وقصيدته التي قالها في بغداد يتشوق إلى المعرة ، ومطلعها [1] :

طَرِبْنَ لِضَوْءِ البَارِقِ المُتَعالِي بِبَغْدادَ وَهْناً مَالَهُنّ وَمَالِي

١٧ — وقصيدته الثانية فيها التي مطلعها [2] :

مَغَانِي اللِّوَى مِن شَخْصِكِ اليَوْمَ أطْلالُ
وَفِي النَّوْمِ مَغْنىً مِنْ خَيالِكِ مِحْلالُ

١٨ — وقصيدته التي رثى بها الشريف أبا أحمد الموسوي والد الشريف المرتضى والرضي ، ومطلعها [3] :

أوْدَى فَلَيْتَ الحَادِثاتِ كَفَافِ مَالُ المُسِيفِ وَعَنْبَرُ المُسْتَافِ

— الطبري رحمه الله : كتبت إلى أبي العلاء المعري حين وافى بغداد ، وقد كان نزل في سويقة غالب ... » . وذكر ماذكره اليمني في كتابه .

وأبو الطيب هذا هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي الفقيه الشافعي ، ونسبته إلى طبرستان ، ولد بآمل سنة ٣٤٨ هـ وتوفي ببغداد سنة ٤٥٠ هـ ولامبا أبي العلاء هاتان الأبيتان مما لم يرو في الديوانين .

انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢١٢ عن تتمة المختصر لابن الوردي . وطبقات الشافعية ٣ / ١٧٦ — ١٩٧ .

(١) التنوير على السقط ج ٢ ص ٣٨ وشروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٦٢ .

(٢) التنوير على السقط ج ٢ ص ٤٦ وشروح السقط ق ٣ ص ١٢١١ .

(٣) التنوير على السقط ج ٢ ص ٥٥ وشروح السقط ق ٣ ص ١٢٦٤ .

١٩ – وقصيدته التي يهنىء بها أبا القاسم التنوخي بمولود ، ومطلعها [١] :

مَتَى نَزَلَ السِّمَاكُ فَحَلَّ مَهْداً تُغَذِّيهِ بِدَرَّتِهَا الثُّـــدِيُّ

وفيها يقول :

إِذَا نَأَتِ العِرَاقَ بِنَا المَطَايَا فَلا كُنَّا وَلا كَانَ المَطِيُّ

عَلَى الدُّنْيَا السَّلامُ فَمَا حَيَاةٌ إِذَا فَارَقْتُكُمْ إِلا نَعِيُّ [٢]

وقد قال البطليوسي : إنه قالها في بغداد .

٢٠ – وقصيدته التي ودع بها بغداد ، ومطلعها [٣] :

نَبِيٌّ مِنَ الغِرْبَانِ لَيْسَ عَلَى شَرْعِ يُخَبِّرُنَا أَنَّ الشُّعُوبَ إِلَى الصَّدْعِ

قال الخوارزمي : إنه قالها بمدينة السلام .

٢١ – والقصيدة التي أجاب بها محمد بن حمد بن فورّجة ، ومطلعها [٤] :

كَفَى بِشُحُوبِ أَوْجُهِنَا دَلِيلاً عَلَى إِزْمَاعِنَا عَنْكَ الرَّحِيلا

قال البطليوسي : إنه قالها بمدينة السلام وكذلك صاحب التنوير .

٢٢ – والقصيدة التي أجاب بها ابن تميم البرقي ، ومطلعها [٥] .

أَمُعَاتِبِي فِي الهَجْرِ إِنْ جَارَيْتَنِي طَلَقَ الجِدَالِ وُجِدْتَ عَيْنَ الظَّالِمِ

---

(١) التنوير على السقط ج ٢ ص ٦٦ ، ٦٨ وشروح السقط ق ٣ ص ١٣٢١ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ .

(٢) في الشروح : « . . . . إلا النعي » .

(٣) التنوير على سقط الزند ج٢ ص ٦٨ وشروح السقط ق٣ص١٣٣٢ وفيها «الصدع» .

(٤) التنوير على السقط ج ٢ ص ٨٠ وشروح السقط ق ٣ ص ١٣٦٩ .

(٥) التنوير على السقط ج ٢ ص ٩٨ ، ١٠٠ وشروح السقط ق ٤ ص ١٥١٦ ، ١٥٢٣ .

فإن قوله فيها :

بِمَحَلّةِ الفُقَهاء لا يَعْشُو الفَتَى نَاري ولا تُنْضِي المَطِيَّ عَزَائِمي

يدل على أنه قالها وهو في بغداد .

٢٣ — وقصيدته التي أجاب بها أبا الخطاب محمد بن علي الجَبُّلِيّ ، ومطلعها [١] :

أشْفَقْتُ مِنْ عِبْءِ البَقَاءِ وَعَابِهِ وَمَلِلْتُ مِنْ أرْيِ الزَّمانِ وَصَابِهِ

فإن الخطيب روى في (تاريخ بغداد) هذه القصيدة عن أبي القاسم التنوخي عن أبي العلاء . وذكر غير الخطيب أن أبا الخطاب زار أبا العلاء قبل رحلته إلى بغداد ومدحه ، فأجابه أبو العلاء بالبائية المذكورة .

٢٤ — وذكر البديعي في (أوج التحري) أن القصيدة التي مطلعها [٢] :

مِنْكِ الصُّدُودُ وَمِنّي بالصُّدُودِ رِضى مَنْ ذا عَلَيَّ بِهذا في هَواكِ قَضَى

قالها أبو العلاء وهو في بغداد .

ما قاله في العهد الثاني

١ — في سقط الزند كثير مما نظمه بعد رجوعه من بغداد ، مثل

(١) التنوير على سقط الزند ج ١ ص ١٥٣ وشروح السقط ق ٢ ص ٧١٥ ، وانظر ترجمة أبي الخطاب هذا وخبره مع أبي العلاء في تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٩٣ .

(٢) أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري — ليوسف البديعي والتنوير على سقط الزند ج ١ ص ١٣٢ ، وشروح السقط ق ٢ ص ٦٥٤ .

القصيدة التي أرسلها إلى أبي عبد السلام والبصري والتي مطلعها [١] :

تَحِيَّةُ كِسْرَى فِي السَّنَاءِ وَتُبَّعِ ... لِرَبْعِكَ لا أَرْضَى تَحِيَّةَ أَرْبُعِ

٢ ـ والقصيدة التي أرسلها إلى أبي القاسم التنوخي ، وأولها [٢] :

هَاتِ الحَدِيثَ عَنِ الزَّوْرَاءِ أَوْ هِيتَا ... وَمُوقِدِ النَّارِ لا تَكْرَى بِتَكْرِيتَا

٣ ـ والقصيدة التي أرسلها إلى خازن دار الكتب ببغداد ، ومطلعها [٣] :

لِمَنْ جِيرَةٌ سِيمُوا النَّوَالَ فَلَمْ يُنْطُوا

يُظَلِّلُهُمْ مَا ظَلَّ يُنْبِتُهُ الخَطُّ

فإنه ذكر فيها أمر السفينة التي أعادها إليه آل حكار بقوله :

فَإِنْ يُنْسِهِمْ أَمْرَ السَّفِينَةِ فَضْلُهُمْ

فَلَيْسَ بِمُنْسِيَّ الفِرَاقُ وَلا الشَّحْطُ

وذكر فيهـا الفتنة العامرية الطائية ، والظاهر أنه أراد بها ما اتفق عليه صالح بن مرداس من بني كلاب بن عامر بن صعصعة ، وحسان أمير طيء وسنان بن عليان ؛ فقد تحالفوا على أن يكون لصالح من حلب إلى عانة ، ولحسان من الرملة إلى مصر ، ولسنان دمشق ، فاستولى صالح على حلب وملك مابين بعلبك إلى عانة ، وسار حسان إلى الرملة ، ووقعت فتن وحروب وكانت هذه الحادثة سنة ٤١٤ هـ وقبيل بعد ذلك .

---

(١) التنوير على سقط الزند ج ٢ ص ١٠١ وشروح السقط ق ٤ ص ١٥٢٢ .

(٢) التنوير على سقط الزند ج ٢ ص ١١٢ وشروح السقط ق ٤ ص ١٥٩٣ .

(٣) التنوير على سقط الزند ج ٢ ص ١٢١ وشروح السقط ق ٤ ص ١٦٤٦ .

٤ ـ والقصيدة التي يقول فيها [١] :

فَيَالَيْتَنِي أَهْدَيْتُ خَمْسِينَ حِجَّةً   مَضَتْ لِي فِيهَا صِحَّتِي وَشَبَابِي

فإنها قيلت سنة ٤١٣ هـ أو سنة ٤٢٠ هـ على مـــا تقدم في الكلام على القاضي عبد الوهاب المالكي .

٥ ـ والقصيدة التي يقول فيها لأبي القاسم التنوخي [٢] :

أذاكِرٌ أنتَ عَصْراً مَرَّ عِنْدَكَ لي   فَلَيْسَ مِثْلِي بِنَاسٍ ذَلِكَ العُصُرَا

ويقول فيها :

والمَالِكِيُّ ابنُ نَصْرٍ زَارَ في سَفَرٍ   بِلادَنَا فَحَمِدْنَا النَّأْيَ والسَّفَرَا

فإنها قيلت نحو سنة ٤٢٠ هـ لأنها قيلت بعد زيارة ابن نصر .

٦ ـ والأبيات التي قالها لصريع الدلاء علي بن عبد الواحد البغدادي ، ومطلعها [٣] :

تَفَهَّمْ يا صَرِيعَ البَيْنِ بُشْرَى   أَتَتْ مِنْ مُسْتَقِلٍّ مُسْتَقِيلِ

---

(١) مطلعها :

أيسخط عنبري منهم أم يخصني   بما هو حظي من أليم عتاب

قال البطليوسي : « وقال يخاطب القاضي أبا محمد عبد الوهاب بن نصر المالكي ، وكان اجتاز بالمعرة فبعث اليه بثلاثين درهما » .

انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٣٢ ، والتنوير على السقط ج ٢ ص ١٣٨ .

(٢) مطلعها :

لولا مساعيك لم نعدد مساعينا   ولم نسام بأحكام العلا مضرا

انظر شروح السقط : ق ٤ ص ١٧٣٦ ، والتنوير على السقط ج ٢ ص ١٣٩ .

(٣) التنوير على السقط ج ٢ ص ٣٤ . وشروح السقط ق ٣ ص ١١٤١ .

فقد ذكر ابن خلكان أن صريع الدلاء هذا طلب من أبي العلاء شرابا وما يليق به ، فسير إليه قليل نفقة واعتذر إليه بهذه الأبيات ؛ وأنه قدم مصر سنة ٤١٢ هـ وتوفي فيها . فهذه الأبيات إما في هذه السنة أو في التي قبلها .

٧ — والقصيدة اللامية التي رثى بها أمه ، ومطلعها [١] :

خُلُوُّ فُؤادي بالمَوَدَّةِ إِخْلاَلُ وَإِبْلاءُ جِسْمي في طِلابِكِ إِبْلالُ

٨ — والقصيدة الميمية التي رثى بها أمه أيضاً ، ومطلعها [٢] :

سَمِعْتُ نَعِيَّها صَمِّي صَمَامِ وإنْ قالَ العَواذِلُ لا هَمَامِ

فإن كلتيهما قيلتا بعد عودته من العراق سنة ٤٠٠ هـ وفي الميمية ذكر قبائل عامر ، ودعا عليها . وهذا يدل على أنها قيلت أيام الفتنة العامرية الطائية .

٩ — والقصيدة التي رثى بها جعفر بن علي بن المهذب ، ومطلعها [٣] :

أَحْسَنُ بِالوَاجِدِ مِنْ وَجْدِهِ صَبْرٌ يُعِيدُ النَّارَ في زَنْدِهِ

وقد قيل إن جعفراً هذا توفي نحو سنة ٤٣٥ هـ .

١٠ — والقصيدة التي مطلعها [٤] :

لَيْتَ الجِيادَ خَرِسْنَ يَوْمَ جُلاجِلِ ورُزِقْنَ عَقْلاً في تَنَائِفِ عاقِلِ

---

(١) التنوير على سقط الزند ج ٢ ص ١٣٧ وشروح السقط ق ٤ ص ١٧٢٥ .
(٢) التنوير على سقط الزند ج ٢ ص ٨٧ وشروح السقط ق ٤ ص ١٤٥٣ .
(٣) التنوير على سقط الزند ج ٢ ص ٢ وشروح السقط ق ٣ ص ١٠٠٦ .
(٤) التنوير على سقط الزند ج ١ ص ١٥٦ ، ٧ وشروح السقط ق ٢ ص ٧٢٩ ، ٧٣٦ .

وفيها يقول :

لا تأمَنِنّ فوارساً مِنْ عَامِرٍ   إلاّ بِذِمّةِ فارسٍ مِنْ وَائِلِ

قال التبريزي : « يريد عامرَ بن صعصعة ، وهم المستولون على الجزيرة والعراق والشام ، وكان في الدهر الأول بقية من آل حمدان بحلب ، وهم من وائل بن قاسط . وكانت هذه القصيدة مدحاً لرجل وائلي من أولاد سيف الدولة . . » .

وقال البطليوسي : « وإنما قال هذا للفتنة التي كانت هاجتْ في ذلك الوقت في بلاد الشام وما والاها ؛ وقد ذكرها بقوله :

وَلاَ فِتْنَةَ طائيّـــة عَامِرِيّة   يُحَرّقُ في نِيرانِها الجَعْدُ والسَّبْطُ

وكان بنو عامر بن صعصعة مستولين على العراق والجزيرة والشام ، وذكر وائلاً لأنه كان بحلب إذ ذاك بقية من آل حمـــدان ، وهم من تغلب بن وائل بن قاسط . . . . » .

وكانت هذه الفتنة ابتدأت سنة ٤١٤ هـ ، حين اتفق صالح بن مرداس من عامر بن صعصعة ، وحسان أمير طيء ، وسنان بن عليان أمير بني كلب كما تقدم ، فتكون هذه القصيدة قيلت مـــا بين سنة ٤١٤ هـ وسنة ٤٢٠ هـ ولكن يشكل على هذا أنّ بني حمدان لم يكن لهم في حلب في ذلك العهد ملك ولا إمارة فتأمل .

ما قاله في العهد الثاني ، وهو في لزوم ما لا يلزم

وهذا النوع ينقسم إلى قسمين : قسم عُلم زمنه من الحوادث التي قيل فيها ، أو ذكرت فيه ، أو كان له اتصال بهـــا . وقسم عُلم زمنه من الزمن الذي ذكر فيه .

فمن الأول :

١ ـ قوله :

يا لَهفَ نَفْسي على أني رَجَعتُ إلى   هَذي البِلادِ ولم أهْلِكْ ببَغْداذَا[١]

٢ ـ وقوله :

شُئِمْتِ يا هِمَّةً قَدْ عُدْتِ شامِئَةً   مِن بَعْدِ ما أوْطَنْتِ عَصْراً ببَغْدادِ[٢]

فالبيتان صريحان في أنهما قيلا بعد عودته من بغداد .

٣ ـ والقصيدة التي أولها :

أتَتْ جامعٌ يَوْمَ العَروبَةِ جامِعاً   تَقُصُّ على الشُّهّادِ بالمِصْرِ أمْرَها[٣]

فإنها قيلت في حادثة الماخور في المعرة سنة ٤١٨ ﻫ .

٤ ـ ومنها الأبيات التي يقول فيها :

بُعِثْتُ شَفيعاً إلى صَالِحٍ   وذاكَ مِنَ القَوْمِ رَأيٌ فَسَدْ[٤]

٥ ـ والأبيات التي يقول فيها :

نَجَّى المَعَرَّةَ مِنْ بَرَاثِنِ صَالِحٍ   رَبٌّ يُفَرِّجُ كُلَّ أمْرٍ مُعْضِلِ[٥]

فانها قيلت بعد حادثة الماخور المذكورة .

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٧ وفيه : « ... يا همة عادت شامئة ... » (؟) .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٨ وجامع الأولى: المرأة الحامل . ويوم العروبة : بفتح العين، الجمعة.

(٤) البيت الثالث من لزومية مطلعها :

تنيت في منزلي برهـة   ستير العيوب فقيد الحسد

اللزوميات ﻫ ص ١١٦ .

(٥) البيت الثاني من لزومية مطلعها :

آليت أرغب في قميص مموه   فأكون شارب حنظل من حنظل

اللزوميات ﻫ ص ٢٢٠ وفيها : « نجى العاصر ... » .

٦ ـ ومنها الأبيات التي يقول فيها :

أرَى حَلَبــاً حازَها صَالحٌ وَجالَ سِنانٌ على جِلـَّقَا[١]

فقد تقدم أن صالحاً استولى على حلب سنة ٤١٤ هـ .

٧ ـ والأبيات التي يقول فيها :

والرَّمْلةُ البَيْضَاءُ غُودِرَ أهْلُها بَعْدَ الرَّفاغَةِ يأكُلونَ قفارَها[٢]

٨ ـ والأبيات التي يقول فيها :

ألم تَرَ طَيِّئاً وَبني كِلاَبٍ سَمَوْا لِبِلادِ غَزَّةَ والعَرِيشِ[٣]

٩ ـ والأبيات التي يقول فيها :

إذَا عامِرٌ تَبِعَتْ صَالِحــاً وَزَجَّتْ بَنُو قُرَّةَ الحرْذُبا[٤]

١٠ ـ والأبيات التي يقول فيها :

قَدأشْرَعَتْ سِنْبِسٌ ذَوَابِلَها وأرْهَفَتْ بُحْتُرٌ مَعَابِلَها[٥]

---

(١) البيت الرابع من لزومية مطلعها :

لدنياك حسنٌ على أنني أرى حسنها حسناً مخلقا

اللزوميات هـ ص ٣٠٥ .

(٢) البيت السابع من لزومية مطلعها :

ما للنعائم لا تمل تفارها والشهب تألف سيرها وسفارها

اللزوميات هـ ص ١٤٣ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٣٢٧ .

(٤) البيت الخامس من لزومية مطلعها :

يؤدبك الدهر بالحادثات إذا كان شيخاك ما أدبا

اللزوميات هـ ص ٤٤ .

(٥) اللزوميات هـ ص ٢٠٨ .

١١ ـ والأبيات التي يقول فيها :

وبالرَّمْلَةِ الشَّعْثاءِ شِيبٌ وَوِلْـدَةٌ أَصابَهُمُ مِمّا جَنَيْتَ الدَّهارِسُ[١]

١٢ ـ والأبيات التي يقول فيها :

أَزَايَلَ الملْكُ آلَ كِسْرى وَصارَ بالشّامِ عَامِرِيّا[٢]

فهذه الأبيات التي يذكر فيها صالحاً ، وعامرا ، والرملة ، وسِنِبس ، وبُحْتر ، ونحوها كلها قيلت في عهد فتنة صالح وحسان وسنان وبعدها .

١٣ ـ والأبيات التي رثى بها الوزير أبا القاسم المغربي المتوفى سنة ٤١٨ هـ وفيها يقول :

يا أبا القاسِمِ الوَزِيرَ تَرَحَّلْـــتَ وَخَلَّفْتَني ثِقالَ رَحَايَه[٣]

١٤ ـ والأبيات التي قالها في موت ملك مصر الحاكم بأمر الله المتوفى سنة ٤١٠ هـ وفيها يقول :

---

(١) البيت السابع من لزومية مطلعها :

تشاد المغـــاني والقبور دوارس ولا يمنع المطروق باب وحارس

ودهارس : واحدها دهرس وهي الداهية .

انظر اللزوميات هـ ص ٣١٠ .

(٢) آخر لزومية مطلعها .

ســـاء بريا من البرايا من لبس الدين ســـابريا

اللزوميات هـ ص ٣٤٤ .

(٣) البيت الثاني من لزومية أولها :

ليس يبلى الضرب الطويل على الدهـــــــر ولا نو البسالة الدرحايـــه

اللزوميات هـ ص ٣٤٦ .

مَضَى قَيْلُ مِصْرَ إِلى رَبِّهِ وَخَلّى السِّياسَةَ لِلْخَائِلِ (١)

١٥ — والأبيات التي يقول فيها :

مَالي وللنَّفَرِ الذينَ عَهِدْتُهُمْ بالكَرْخِ مِنْ شَاشٍ ومِنْ إِيلاقِ (٢)

. . .

سَيَموتُ مُحْمُودٌ وَيَهْلِكُ آلِكٌ وَيَدُومُ وَجْهُ الواحِدِ الخَلاّقِ

فانها قيلت بعد رجوعه من بغداد ، وقبل وفاة محمود ، وقد كانت وفاته سنة ٤٢٢ هـ .

١٦ — وقصيدته الحائية التي مطلعها :

غَدَوْتَ مَرِيضَ العَقْلِ والدِّينِ فالقَنِي لِتَسْمَعَ أَنْباءَ الأُمُورِ الصَّحائِحِ (٣)

فان داعي الدعاة كاتبه من أجلها ، وذكر في كتابه الثاني أنه كاتب تاج الأمراء أن يجري على أبي العلاء رزقاً يكشف به غاشية الضرورة عنه . وقد كانت ولاية تاج الأمراء حلب سنة ٤٣٤ هـ ثم نزل عنها سنة ٤٤٩ هـ . وذكر أبو العلاء في جوابه لداعي الدعاة أنه عجز عن القيام

---

(١) البيت السابع من لزومية أولها :

عجبت وكم عجب في الزمان لرأي بني دهرك القائل

اللزوميات هـ ص ٢٢٤ .

(٢) من لزومية أولها :

أما الحقيقة فهي أني ذاهب والله يعلم بالذي أنا لاقِ

اللزوميات هـ ص ٣٠٨ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٨٤ ، وفيها : « غدوتُ » بضم التاء .

إلى الصلاة ، وأنه مـا أكل شيئاً من حيوان خمساً وأربعين سنة ؛ فهذا يدل على أن هذه القصيدة قيلت نحو سنة ٤٤٥ هـ .

١٧ - وقوله :

مَحْمُودُنا اللهُ والمسْعُودُ خَائِفُهُ ... فَعَدَّ عَنْ ذِكْرِ مَحْمُودٍ ومَسْعُودِ[1]

مَلْكَانِ لوْ أنَّني خُيِّرْتُ مُلْكَهُما ... وَعُودَ مُلْبٍ أشَارَ العَقْلُ بالعُودِ

فان مسعود بن محمود المتوفى سنة ٤٢٢ هـ ولي بعد أبيه وقتل سنة ٤٣٠ هـ فتكون هذه الأبيات خلال الفترة التي بين ملك مسعود وقتله .

ومن الثاني نوع قاله بعد أن بلغ الأربعين ومنه :

١ - الأبيات التي يقول فيها :

وَمَا بَعْدَ مَرِّ الخَمْسَ عَشْرَةَ مِنْ صِبًا

وَلا بَعْـــدَ مَرِّ الأرْبعينَ صَبَاءُ[2]

وكَيْفَ تَلا فِيَّ الذي فاتَ بَعْدَما ... تَلَفَّعَ نيرانَ الحَرِيقِ هَبَاءُ

فإنها قيلت سنة ٤٠٣ هـ أو بعدها .

٢ — ومثلها قوله :

شَرِبْتُ سِنِيَّ الأرْبَعِينَ تَجَرُّعاً

فَيَـــا مَقِراً ما شُرْبُهُ فِيَّ ناجِعُ[3]

---

(١) اللزوميات هـ ص ١١٠ .

(٢) مطلع اللزومية :

أولو الفضل في أوطانهم غرباء ... تشذ وتنأى عنهم القرباء

اللزوميات هـ ص ٢٠ وفيها : « .. نيران الحريق أباء » والأباء : القصب ، الواحدة أباءة .

(٣) البيت الخامس من لزومية أولها :

هي النفس عناها من الدهر فاجع ... برزء وغناها لتطرب ساجع

اللزوميات هـ ص ٢٨١ ، والمقر : الصبر .

٣ ـ وقوله :

وَرَمَيْتُ أعْوامي وَرَائي مِثْلَما رَمَتِ الْمَطِيُّ مَهامِهَ السُّفَّارِ[1]

وَرَكِبْتُ مِنْها أرْبَعين مَطِيَّةً لَمْ تَخْلُ من عَنَتٍ وَسُوءِ نِفارِ

ونوع قاله بعد أن بلغ الخمسين ومنه :

٤ ـ الأبيات التي يقول فيها :

فَمالي وَقَدْ أدْرَكْتُ خَمْسَةَ أعْقُدٍ أبَيْني وَبَيْنَ الحادِثاتِ عُقُودُ[2]

٥ ـ والأبيات التي يقول فيها :

أخَمْسِينَ قَدْ أفْنَيْتُها لَيْسَ نافِعِي بِتَأخِيرِ يَوْمٍ أنْ أعَضَّ على خَمْسِ[3]

٦ ـ والأبيات التي يقول فيها :

لا خَيْرَ مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ انْقَضَتْ كَمَلاً

في أنْ نُمارِسَ أمْرَاضاً وأرْعاشاً[4]

---

(١) السادس والسابع من لزومية أولها :

يا أم دفر إذا أكرمت عن أمة وحنك أن يغال دفار

اللزوميات ﻫ ص ١٦٢ .

(٢) البيت الثاني من لزومية مطلعها :

حياتي بعد الأربعين منية ووجدان حاف الأربعين فقود

اللزوميات ﻫ ص ٩١ .

(٣) الثالث من لزومية أولها :

لذا ما خضوب غاضبت كل ريبة وكانت بليس لا تقر على اللبس

اللزوميات ﻫ ص ٢٩٧ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٣٢٦ .

٨ — والتي يقول فيها :

عَلِقْتُ بِحَبْلِ العُمْرِ خَمْسِينَ حِجَّةً

فَقَدْ رَثَّ حتى كاد يَنْصَرِمُ الحَبْلُ[1]

وقال التبريزي (ج ١ [2] ص ٨٣) : قال أبو العلاء للفقيه عبد الوهاب المالكي :

فَيالَيْتَني أَهْدَيْتُ خَمْسِينَ حِجَّةً

مَضَتْ لِيَ فيها صِحَّتي وَشَبابي

٩ — ونوع قاله بعد أن جاوز الخمسين وهو في طريقه إلى الستين ومنه قوله :

لَعَمْري لقَدْ جاوَزْتُ خَمْسِينَ حِجَّةً

وَحَسْبيَ عَشْرٌ في الشَّدائدِ أو خَمْسُ[3]

١٠ — وقوله :

إذا كُنْتُ قدْ جاوَزْتُ خَمْسِينَ حِجَّةً

وَلَمْ أَلْقَ خَيْراً فالمَنِيَّةُ لي سِتْرُ[4]

---

(١) الثامن من لزومية مطلعها :

إذا شئت أن ترقى جدارك مرة   لأمر فآذن جار بيتك من قبل

اللزوميات ﻫ ص ١٩٤ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٣٢ .

(٣) السادس من لزومية أولها :

تداولني صبح ومسي وحندس   ومر عليّ اليوم والغد والأمس

اللزوميات ﻫ ص ٣٠٩ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ١٢٠ .

ونوع قاله بعد أن بلغ الستين فما فوقها ، ولكن هذا لم يرد في ديوانيه (سقط الزند) و (لزوم ما لا يلزم) وإنما رواه المؤرخون والعلماء ؛ فمن ذلك قوله من أبيات رواها الذهبي [١] :

أَتَتْنِي مِنَ الأَيّامِ سِتُّونَ حِجَّةً وما أمسكت كفّي بثِنْي عِنانِ

وقوله من أبيات رواها سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان ص ١٦١) :

سرتُ ثمانينَ طالباً أجلي والحَيْنُ إثري كأنّهُ حادِ

وقوله مما رواه دولت شاه [٢] :

مَنْ راعَهُ سَبَبٌ أوْ هالهُ عَجَبٌ فلي ثَمانونَ حوْلاً لا أرى عَجَبَا

★ ★ ★

---

(١) تاريخ الإسلام ص ١٣٤ ، وذكرها الميمني في فائت شعر أبي العلاء ص ١٤ ، ورواية البيت فيه : « .... وما أمسكت كفاي ثني عنان » .

(٢) من تذكرة دولت شاه ص ٢٥ ط ليدن ، وذكره الميمني في فائت شعر أبي العلاء ص ٣ .

آثار أبي العلاء

وصفها — دراستها — موضوعاتها — شخصية المعري فيها [1]

---

(١) انظر سرد آثار أبي العلاء ص ٦٩٦ وما يليها .

ديوان الغزل

قلنا : إننا عثرنا في دار الكتب الظاهرية في دمشق على ديوان لأبي العلاء ؛ وقد جاء فيه بعض الأبيات مختل الوزن ، وبعضها فاسد الإعراب قلق المعنى ، وبعضها ضعيف التأليف ، وليس فيه ما يدل دلالة قطعية على أنه لأبي العلاء المعري التنوخي ، وإنما يجد الباحث فيه أمارات تسوّغ نسبته إليه .

منها ما كتب على ظهره ، وما ذكر في مقدمته من نسبته إليه ، ومنها التزامه حرفاً واحداً في أول كل بيت وآخره من جميع أبيات القصيدة ، وأبو العلاء مولع بمثل هذا التكلف لإظهار قدرته اللغوية والأدبية ، ومنها اشتمال الديوان على كثير من المحسنات البديعية كالجناس في قوله :

أمُوتُ اشتِيَاقاً ثمّ أحيا لِشقوتي ... كَذاكَ حياةُ العَاشِقِينَ شَقَاء

والطباق في مثل قوله :

بَعيدٌ على أنّ الدّيارَ قَرِيبَةٌ ... فحتّى متَى بالبُعْدِ تَمزُجُ لي القُرْبَا

والتلميح في مثل قوله :

يَئِستُ مِنَ السُّلْوانِ حتّى نكبتُهُ ... فلو أنّني غَيْلانُ مَا سُليت مَيُّ

وإرسال المثل في مثل قوله :

ثمَارُ المنَى مَنْ يَجْنِها دُونَ إلْفِهِ ... يَجِدْ طَيِّبَاتِ العَيْشِ مِثْلَ الخَبَائِثِ

والغلو في مثل قوله :

حِسَانُ الدُّمَى تصبُو إلى حُسْنِ وَجهِهِ
وَصَلْدُ الصَّفَا مِنْ لمسِ كَفَّيْهِ يَرْشَحُ

وفيه أنماط من الغزل العفيف كقوله :

زَرَرْنا عَلَى غيْرِ الفَوَاحِشِ قُمْصَنَا　　وَلَمْ نَسْتَجِزْ إلاّ الذي هُوَ أجوَزُ

وفيه أبيات جمعت قوة التأليف وإحكام الوصف إلى طلاوة الديباجة وحسن الانسجام ، مع شرف المعنى كقوله :

لَبِسْتُ الضَّنَى حتَّى تبدلت صُورَةً　　سِوَى صُورَتي والحبُّ لا يَتَبَدَّلُ

. . .

مَوَارِدُكُم أشهَى إلى الحائِمِ الصدي　　وَلَوْ أنها شِيبَتْ بِسُمِّ الأرَاقِمِ

. . .

فَيَا أسَفَا مَا لِلْمَغَانِي كَأنّها　　سُطُورٌ مَحَاهَا الدَّهرُ غَيْرَ حُرُوفِ

. . .

فَقَدْتُ شُموساً كنتُ أجلُو بها الدُّجى　　إلى أنْ أصَابَتْني النَّوَى بكُسُوفِ

. . .

بَرَاني هَوَى الظَّبْي الغَرِيرِ وَقَادَني　　ذَليلاً وَكَمْ رَاضَ الهَوَى جَامِحاً صَعْبَا

. . .

فهذا وأمثاله يجوِّز أن يكون هذا الديوان من شعر أبي العلاء ، وأنه سلّى نفسه في بغداد ، كما سلى نفسه فيها بقصيدته :

مِنْكِ الصُّدُودُ ومِنيّ بالصُّدُودِ رِضىً
مَنْ ذَا عَلَيَّ بِهَذا في هَواكِ قَضَى[1]

ولا يردُ على هذا ما في بعض الأبيات من الوهن ، فإن الشاعر يتفاوت شعره في القصيدة الواحدة في قوة التأليف ، وجمال الديباجة ، وإحكام التشبيه ، ولطف الكناية ، والسلامة مما يؤخذ به . وإذا عرفنا أن الأبيـــات المذكورة هي في الغزل ، وأن أبا العلاء لم يكن َغزلاً ولا عاشقاً هان علينا أن نجد التفاوت في أبياته في هذا الديوان .

ويقابل هذه الأمارات أمارات ُتبعد أن يكون هذا الديوان لأبي العلاء منها قوله في المقدمة : « قال أبو العلاء . إنه كان ببغداد وكان يتشوق إلى حلب ونواحيها ونظم هذا الديوان . . . » .

وهذه المقدمة ليست من كلامه ، وليس في الديوان كله ذكر حلب ولا شيء من التشوق اليها أو إلى نواحيها .

ومنها أننا لم نر أحداً ذكر هذا الديوان في فهرس كتب أبي العلاء .

ومنها ما في الديوان من اللحن والخروج عن أقيسة النحو والصرف كما في قوله :

إِذَا كُنتَ خِلْواً فاعْذرِ الصَّبَّ في الـهَوَى
فمـــا المبْتَلى والُمسْتَرِيحُ سَوَاه

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٤ .

بضم « سواء » للروي ، وقوله :

ذَهَبْتُ وَقَدْ سَدَّ الفِرَاقُ مَذَاهِبِي وَقَلْبِي إِلَى نَحْوِ الأَحِبَّةِ مُجْبَذُ

وقوله :

ظَعَنْتُ وَقَلْبِي فِي يَدَيْكَ وَدِيعَةٌ فَهَلْ أَنْتَ لِلْمُسْتَوْدَعَاتِ حَفُوظُ

ظَنَنْتُ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَبْقَى مُسَالِماً وَهَيْهَاتَ حَرْبُ النَّائِبَاتِ كَظُوظُ[1]

ولم أر أحداً ذكر لفظ « مجبذ » ولا « حفوظ » ولا « كظوظ » . ويحتمل أن تكون هذه الكلمات عبثت بها أيدي النساخ فحرفت الأولى عن « يجبذ » والثانية عن « حفيظ » والثالثة عن « كظيظ » أو « لظيظ » ، ويجوز أن تكون أوزان مبالغة على رأي من قال : إن أوزان المبالغة مَقيسة في كل فعل متعد ثلاثي .

وفيه استعارات غثة لا يقبلها الذوق السليم كقوله :

رَشاً صَامَ عُلْواً فادَّعتْ يَثْرِبُ الحَشَا

وأَفْطَرَ سُفْلاً فادَّعتْ رِدْفَهُ مِصْرُ

وفيه أبيات سخيفة التأليف كقوله :

ذَوَائِبُهُ مِسْكٌ ثَنَايَاهُ لُؤْلُؤٌ وَخَدَّاهُ تِبْرٌ والعِذَارُ زُمُرُّدُ

وقوله :

شُوَيْدِنُ أُنْسٍ صَادَ قَلْبِي بِلَحْظِهِ وَطَاوُوسُ حُسْنٍ فِي فُؤَادِي عَشَّشَا

---

(١) كظه الأمر : بهظه وكربه وجهده ، والكظاظ : الشدة والتعب والممارسة الشديدة في الحرب .

ولم أعلم أحداً شبه العذار بالزمرد ، ولا من شبه المحبوب بالطاووس ، وإنما يشبه العذار بالنمل والنبت . ويشبه بالطاووس الثياب ، كما قال أبو العلاء في (لزوم ما لا يلزم) :

فِي حُلَلٍ غُبْرٍ وَكَمْ أَشْبَهَتْ   ثِيَابُهَا حُلَّةَ طَاوُسِ [1]

وفيه كثير من الكلمات التي أصلحناها أو بدّلناها بما يوافق المعنى والمقام . ويظهر للمتأمل أن أكثر الغزل في هذا الديوان بالمذكر .

فهذا وأمثاله لا يستطيع الإنسان أن يجزم معه بأن هذا الديوان لأبي العلاء . على أن معظم أبياته من الشعر المتوسط ، وفيه ما يدل على سعة اطلاع في اللغة ، وعلى براعة في تأليف الكلمات ، وقدرة على التصرف في فنون القول ؛ ولو سلم من التحريف والعبث لرأينا فيه من الروعة والبراعة أكثر مما رأينا .

وقد كتبت مقالة نشرت في الصفحة (١١٦ من العدد ٣ من المجلد ١٨ من مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق) بينت فيها شيئاً مما في هذا الديوان من الأغلاط وغيرها ؛ وذكرت شيئاً من الأمور التي تسوّغ نسبته إلى أبي العلاء ، وشيئاً مما يبعد نسبته اليه ، فراجعها إن شئت .

* * *

(١) اللزوميات ١ ص ٣٢٥ .

ديوان سقط الزند ومقدمته

مقدمة[1] سقط الزند، شخصيته فيها

لأبي العلاء المعري خصائص نفسية يحب أن لايتخلى عنها في كل فرصة تسنح له، ويحب أن ينوه بها تصريحاً أو تلويحاً في كل أثر من آثاره الأدبية. وقد افتتح ديوانه (سقط الزند) بمقدمة ذكر فيها طائفة من تلك الخصائص كالدلالة على تواضعه، وترفعه عن قبول الجوائز أو طلبها وتهاونه بالشعر، واعترافه بما في شعره من غلو، وإحداثه تقسيماً حديثاً في الشعر، وابتكاره معاني وأخيلة جديدة، والإشارة إلى نبغه وعبقريته ودهائه، واعتداده بنفسه وبشعره، وتتجلى هذه الأشياء في أمور ذكرها في المقدمة منها :

١ً ـ تواضعه : ويظهر هذا من تسميته هذا الديوان بـ (سقط الزند) لأن سقط الزند ماوقع من النار حين يقدح .

وقال ابن سيده : سَقط النار ماسقط بين الزندين قبل استحكام الوري وهذا يكون في الغالب ضعيفاً ولا يخرج من الزند إلا بجهد وتكلف، فشبه أبو العلاء طبعه بالزند، وشعره في هذا الديوان بالسقط؛ لأن فيه أول شعر أنشأه في شبابه، وجادت به قريحته ؛ وأيد هذا بقوله : « كنت في رُبّانِ الحَدَاثةِ وَجنّ النّشَاطِ مائلا . . . [في صفو القريض] ... ثم رَفَضْته رَفْضَ السَّقْبِ غِرْسَه . . [2] » .

٢ً ـ تعففه وترفعه عن الاستجداء بشعره أو قبول الجوائز عليه، ويتجلى هذا في مثل قوله : « ولم أطرف مَسَامِعَ الرؤساء بالنشيد،

---

(١) هي وشرحها للتبريزي في شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٠ ـ ١٤ .

(٢) السقب بفتح أوله : ولد الناقة ساعة يولد . والغرس بكسر أوله : جليدة تكون على وجه الفصيل ساعة يولد، فان تركت عليه قتلته .

ولا مدحتُ طالبا للثواب . فالحمد لله الذي ستر .. ورزق شعبة من القناعة أوفت على جزيل الوفر ... » .

٣ً — رفضه الشعر بعد أن كان يعتده من مآثر الأديب ، وأشرف مراتب البليغ ، لأسباب بيّنها .

٤ً — اعترافه بأن في شعره مبالغة وغلوا .

٥ً — توزيعه مافي الديوان من غلوّ بين ما يحتمل صفات الله ، وما صلح لمخلوق ، وما كان محضا من المَيْنِ . لأنه في هذا التوزيع تبرأ من تبعة كل قول ، وفسح مجالاً واسعاً للتأويل . وهذا عمل داهية منكر .

٦ً — اعتذاره بأن الشعر للخلَد كالصورة لليد ، فلا يطالب الشاعر بتحقيق ماوصف به في شعره ، كما لايطالب المصور بتحقيق ماصوره .

٧ً — اعتداده بنفسه وبشعره ؛ ويظهر هذا جلياً في قوله : « وليس الريُّ عن التشافّ » فإنه يريد أن هذا القليل المدون من شعره يحصل به شرف البلاغة ، لأنه قد يدرك بالقليل ، كما أن الإنسان قد يَروى من غير أن يشرب كل ما في الإناء . ويظهر أيضاً في قوله : « الثمرة الواحدة من الشجرة تدل على طعم ثمرة الشجرة كلها ، والنفحة الواحدة من خزامى الأرض تدل على رائحتها كلها » . وفي قوله : « والجيد من قيل الشعر وإن قل يغلب على رديئه وإن كثر » .

فإن مجموع هذه الأقوال يدل على أن أبا العلاء يعد شعرَه جيداً وإن كان قليلاً . وهذا يدل على قوة الطبع ، ويجعل صاحبه في عداد البلغاء .

٨ً — ابتكاره معاني لم يسبق إليها ، وهذا يظهر في مثل قوله : « الشعر للخلد كالصورة » وفي مثل قوله : « رفضته رفضَ السَّقْبِ غِرسَه ، والرأل تريكته .. » وقوله : « وليس الري عن التشافّ » وقوله : « يعلمك مجنى الشجرة الواحدةُ من ثمرتها ، ويدلكّ على خزامى الأرض النفحةُ من رائحتها » .

فإن هذه المعاني كلها شريفة ، ولا نعلم أحداً سبق إليها أبا العلاء ؛ وفي كل منهـا من الدقة في التشبيه والإحكام والمطابقة ما لا يخفى على عارف بصناعة الشعر .

سقط الزند

قدمنا أن أبياته تزيد على ثلاثـة آلاف بيت ، وقد قال أبو العلاء في مقدمته :

«وقد كُنْتُ في ربّانِ الحداثةِ ، وجنّ النشاطِ مائلاً في صِغْوِ القريض ، اعتدّه بعضَ مآثِر الأديب ، ومن أشرف مراقب البليغ ، ثم رفضته رفض السّقْبِ غرسَه ، والرألِ تريكتَه ، رغبة عن أدبٍ مُعظم جيّده كـذب ، ورديئه ينقص ويجدب . . . » إلى آخر المقدمة ، وقد يستنتج منها أمور :

أولها : أنه هو الذي تولى ترتيب هذا الديوان . وقد يعترض عليه بأنه لم يجر في ترتيبه على ما يقتضيه التاريخ أو الفن ، فإنه لم يرتب قصائده على مقتضى الزمن الذي قيلت فيـه ، ولا رتبها على حسب الأغراض لأنه لم يجمع كلاّ من قصائد المدح والفخر والرثاء وغيرها تحت عنوان واحد ، وإنما خلط بعضها ببعض من غير سبب يبينه ؛ ولا رتبها على حروف الهجاء ليسهل الرجوع إلى كل قطعة من كلامه .

ثانيها : أن كلامه في المقدمة يوهم أن كل ما في السقط كان في ربّان الحداثة . ومن استقرى ما فيه وجد قصائد قالها في الكهولة والشيخوخة . وقد بينا شيئاً من ذلك في تاريخ قصائده .

ثالثها : أنه لم يطرف مسامع الرؤساء بالنشيد ، ولا مدح طالباً للثواب ؛ وإنما كان ذلك على معنى رياضة النفس وامتحان الطبيعة . وهذا

حق لا ريب فيه ؛ إذ لا يعرف شاعر ترفع عن التكسب بشعره مثل أبي العلاء ؛ ولو أراد ذلك لنال من المال ما لم يتح لغيره . وقد عرض عليه ذلك كما قدمنا فأبى ، واعتصم بحبل العفة ، وقنع بالقُفّة .

النسخ التي اطلعت عليها من هذا الديوان :

١ — سقط الزند مع الدرعيات طبعَ في بيروت .

٢ — شرح التنوير طبع في مصر مرتين منفرداً .

٣ — ضرام السقط طبع في العجم منفردا .

٤ — ضوء السقط نسخة مخطوطة .

٥ — نسخة سقط الزند خطية ، كانت لعم والدي أمين الجندي مفتي دمشق ، كتبت منذ ستمائة سنة وفيها بعض الصحائف بخط أحدث من خط النسخة الأصلي .

٦ — نسخة طبعت في مصر تشتمل على (شرح السقط) للتبريزي و (شرحه للبطليوسي) و (شرحه للخوارزمي) .

اسلوبه في سقط الزند

اللغة : ألمعنا فيما سبق إلى أن أبا العلاء أحاط من مفردات اللغة وشواردها ونوادرها بما لم يحط به العرب الأقحاح ، واطلع من أساليب البلغاء وأسرار البلاغة على مالم يطلع عليه غيره . فإذا حاول أن يأتي بمعنى وجد لديه من الكلم الصالح للدلالة عليه ، والأساليب اللائقة لإفراغه فيها مالا يتسنّى لغيره بسهولة .

ولا تكاد تجد في كلامه على كثرته كلمة نابية ، أو لفظة خارجة عن سنن البلاغة ، أو شاذة عن الآداب إلا نادر ، ويجوز أن يكون ذلك من عبث الرواة أو النساخ أو الشراح .

وجود الغريب في شعره

وقد قضى عليه حرصه على البديع وعلى إظهار ثروته اللغوية أن يأتي بكثير من الكلمات التي يجد في اللغة ماهو ألطف منها وأرقّ . وقد زعم بعض الأدباء أنه كان يتعمد الغريب في (لزوم مالا يلزم) ليخفي أغراضه ، وجعل من خصائص شعره غموض الأغراض . . وقد بينا أن أبا العلاء لم يتعمد الغموض في شيء من شعره ، وإنما كثرة درسه الشعر الجاهلي والإسلامي ، وسعة اطلاعه على اللغة ، جعلتاه يأنس بما يراه غيره وحشياً . يدل على ذلك وجود الغريب في الدرعيات وغيرها ؛ على أنه وضع كتاب (ضوء السقط)وفسر فيه ما في (سقط الزند) من الغريب .

اللحن في شعره

كان أبو العلاء واسع الاطلاع على قواعد النحو والصرف ، ومعرفة ما يجوز وما يمتنع . وقد تسرع بعض العلماء فخطأه في بعض التراكيب . وكان هو المخطىء في تخطئته ؛ كما قيل ذلك في قوله :

يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَولاَ الغِمْدُ يُمْسِكُهُ لَسَالاَ[1]

وقد بيّنا ذلك في الكلام على لحنه وتخطئته . ونزيد هنا على ما تقدم أنه كان بصيراً بأساليب البلاغة دقيق الملاحظة ، فلكل كلمة عنده مقام ، فلا يضع كلمة في موضع إلا لنكتة ، ولا يتخير نوعاً من أنواع التعبير إلا لغرض ؛ فانظر إلى قوله :

إِذَا سَئِمَتْ مُهَنَّدَهُ يَمِينٌ لِطولِ الحَمْلِ بَدَّلَه شِمالاَ[2]

فإن حق الكلام بحسب الظاهر أن يقول : إذا سئمت مهنده يمينه بدله شماله . لكن ذلك فيه نسبة السآمة إلى يمين الممدوح وشماله ، فكره ذلك

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٠٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٠ .

وأتى باللفظين منكّرين ، والنكرة هنا تفيد فائدة المعرفة ، لأن هذا البيت من قصيدة مدح بها سعيد الدولة ، وقبله يقول :

وُيضْحي والحديد . . . .

فيُفني الدّرْع . . . .

يَبيتُ مُسَهّداً . . . .

إذا سَئِمتْ مُهَنّدَهُ . . . . (١)

وتعريف مهنده بالإضافة ينوب عن تعريف يمين وشمال ، وإذا لم ينتبه الناظر إلى مثل هذا ، فربما خطأ المعري في هذا البيت فتأمل .

(وراجع مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ج ١ ص ٢٥٤) .

الاقتضاب في شعره

كان أبو العلاء بعيد النظر ، دقيق الملاحظة ، يدرك من المناسبات اللطيفة ، والروابط الدقيقة التي بين أبياته ما لم يدركه إلا الراسخون في العلم .

وكان يحذف بعض الأبيات من شعره الذي في (سقط الزند) فلا تظهر مناسبة بين السابق واللاحق من كلامه ؛ فتوهم بعض العلماء أن في كلامه اقتضابا لخفاء العلاقة والمناسبة ، ولا يظهر للمتأمل شيء من الاقتضاب في كلامه الذي لم يحذف منه شيء .

---

(١) تمام الأبيات :

. . . . عليه شماله وتكفيه مهابته النزالا

. . . . لبأً واليماني صحاباً والرديني اعتقالا

. . . . والليل يدعو بضوء الصبح خالقه ابتهالا

الطلاوة ، وإحكام الرصف ، وجمال الديباجة في شعره

والناظر في (سقط الزند) يجد كثيراً من الأبيات التي جمعت أناقة التأليف ، وحسن الانسجام ، إلى رشاقة الألفاظ ، ونبل المعنى ؛ حتى كانت آية في الروعة ، وحسن الوقع في السمع ، وصقل الديباجة .

كقوله :

وَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ
بَيتٍ مِنَ الشِّعْرِ أو بَيْتٍ مِنَ الشَّعَرِ [1]

. . .

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الأَبْصَارُ رُؤْيَتَهُ
وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لا لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ [2]

. . .

إِذَا كُنْتَ تَبْغِي العِزَّ فَابْغِ تَوَسُّطاً
فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ المُتَطَاوِلُ [3]

وسترى في الأبيات الآتية من شعره ما يدل على أنه أتى بما لم تستطعه الأوائل .

التشبيه في شعره

لأبي العلاء في باب التشبيه صور رائعة ، ولا يستكثر على مثله أن يجود في التشابيه المعنوية ؛ وإنما الغريب أن نرى في تشبيهاته في الأمور المحسوسة ما يعجز عن مثله كثير من البصراء من الدقة والإحكام والإحاطة بكل ناحية ظاهرة أو خفية ؛ بحيث لا تفوته حركة ولا سكون ، ولا

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٢٩ وفيها : « فالحسن » .
(٢) المصدر السابق ص ١٦٢ وفيه : « . . . الأبصار صورته » .
(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٥٢ وفيها « وإن كنت تهوى العيش فابغ توسطا.. » .

يستعصي عليه لون . وربما وهب للمشبه أو المشبه به حياة لم تكن له ، وخلع عليه من صفات الأحياء ما يخيل إلى القارىء أنه حي حقيقة ؛ كل ذلك مع إحكام في الرصف ، ورشاقة في الألفاظ .

ومن ذلك قوله في وصف عرق الفرس :

تَرَى أعْطَافَهَا تَرْمِي حَمِيماً كَأَجْنِحَةِ البُزَاةِ رَمَتْ نُسَالاَ (١)

وقوله في وصف الظلام :

وَجُنْحٍ يَمْلأُ الفَوْدَيْنِ شَيْباً وَلَكِنْ يَجْعَلُ الصَّحْرَاءَ خَالاَ (٢)

وقوله في وصف السيف :

مُحَلَّى البُرْدِ تَحْسَبُهُ تَرَدَّى نُجُومَ اللَّيْلِ وانْتَعَلَ الهِلاَلاَ (٣)

وقوله في وصف سيف :

وَكُلُّ أبيضَ هِنْدِيٍّ بِهِ شُطَبٌ مِثْلُ التَّكَسُّرِ في جَارٍ بِمُنْحَدِرِ (٤)

. . . .

رَوْضُ المَنَايَا عَلَى أنَّ الدِّمَاءَ بِهِ وإِنْ تَخَالَفْنَ أبْدَالٌ مِنَ الزَّهَرِ

وقوله في وصف نار :

حَمْرَاءُ سَاطِعَةُ الذَّوَائِبِ في الدُّجى تَرْمِي بِكُلِّ شَرَارَةٍ كَطِرَافِ (٥)

وقوله في أعناق إبل :

وَقَدْ دَقَّتْ هَوَادِيهِنَّ حَتَّى كَأَنَّ رِقَابَهُنَّ الخَيْزُرَانُ (٦)

---

(١) شروح سقط الزند ق : ١ ص ٤٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٢ .
(٣) المصدر السابق ص ٩٩ .
(٤) المصدر السابق ص ١٥٧ ، ١٥٨ .
(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٠٧ .
(٦) شروح سقط الزند ؛ ق ١ ص ١٨٢ .

وقوله في وصف أعجاز الخيل إذا أسرعت :

كَأَنَّ قَطَاةَ أعجَزِهَا قَطَاةٌ أُدِيفَ بِمَحْجِرَيْهاالزَّعفَرَانُ (١)

وقوله في وصف الهلال :

فَصِيمٌ نِصْفُهُ في الماء بَادٍ [ونِصْفٌ فيالسّماء بِه تُزانُ] (٢)

كَأَنَّ اللَّيلَ حَارَبَها فَفِيهِ هِلالٌ مِثْلُ مَا انعَطَفَ السِّنَانُ

وَمِنْ أمِّ النُّجُومِ عَلَيْهِ دِرْعٌ يُحَاذِرُ أن يُمَزِّقَهَا الطِّعَانُ

وقوله في وصف الربيع :

وَكَسَاالأَرْضَ خِدْمَةً لَكَ يَامَوْ لاَهُ دُونَ المُلُوكِ خُضْرَالحَرِيرِ (٣)

فَهِيَ تَخْتَالُ في زَبَرْجَدَةٍ خَضْـــرَاء تُغْذَى بِلُؤْلُؤٍ مَنْثُورِ

وقوله في وصف البرق في سواد الليل وتتابع لمعانه :

كَمَا أغضَى الفَتَى لِيَذُوقَ غُمْضاً فَصَادَفَ جَفْنُهُ جَفْناً قَرِيحا (٤)

إِذَاما اهْتَاجَ أحمَرَ مُسْتَطِيراً حَسِبْتَ اللَّيْلَ زِنْجِيّاً جَرِيحاً

وقوله في وصف الدرع :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٠٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٣١ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٣٩ — ٤٠ .

كَأثوابِ الأراقِمِ مَزَّقَتْها ... فَخَاطَتْها بِأعْيُنِها الجَرادُ[١]

وقوله فيها :

إذا طُوِيَتْ فالقَعْبُ يَجْمَعُ شَمْلَها ... وإنْ نُثِلَتْ سالَتْ مَسِيلِ ثِمادِ[٢]

وقوله فيها :

غَدِيرٌ نَقَّتِ الخِرْصانُ فِيهِ ... نَقِيقَ عَلاجِمٍ واللَّيْلُ داجِ[٣]

وقوله فيها :

مَنْ يَشْتَرِيها وهي قَضَّاءُ الذَّيْلْ ... كأنها بَقِيَّةٌ من السَّيْلْ[٤]

وقوله فيها :

كَهِلالِ الحَياةِ أوْ كَقَمِيصِ ... لِهِلالِ الحَيّاتِ غَيْرِ مَجُوبِ[٥]

وقوله في وصف الليل وبعض النجوم :

لَيْلَتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّنْـ ... ـجِ عَلَيْها قَلائِدٌ مِنْ جُمانِ[٦]

. . . .

وَسُهَيْلٌ كَوَجْنَةِ الحِبِّ في اللَّوْ ... نِ وَقَلْبِ المُحِبِّ في الخَفَقانِ

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٠٥

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٥٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٦٤ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨١٢ . والبيت مطلع قصيدة من الدرع على لسان رجل ينادي على درعه من يشتريها .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٩٢٢ . وهلال الأولى : قليل من الماء . وهلال الثانية : ذكر الحيات . وجبت القميص : نوّرت جيبه .

(٦) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤٢٩ ، ٤٣٣ — ٥ .

مُسْتَبِداً كَأَنَّهُ الفَارِسُ المُعْـــلِمُ يَبْدُو مُعَارِضَ الفُرْسَانِ
يُسْرِعُ اللَّمحَ في احمِرارٍ كَمَا تُسْـــرِعُ في اللَّمحِ مُقْلَةُ الغَضْبَانِ

وذكر الصفدي في (نكت الهميان ص ٨٣) أن الجـاحظ أورد بيتاً للأعشى وهو :

بَيْضَـــاءُ ضَحْوَتَهـــا وَصَفْـــرَاءُ العَشِيَّةَ كالعراره

وبيتاً لبشار وهو :

فَـــإِذَا دَخلْتِ تَقَنَّعي بالُحسْنِ إِنَّ الُحسْنَ أحمَر

ثم قال : وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق الأمور إلى ما لا يبلغه تمييز البصراء ، ولبشار خاصة في هذا الباب مـا ليس لأحد . ثم قال الصفدي : قلت : تعجب الجاحظ من قول الأعشى وبشار ، وكيف به لو سمع قول أبي العلاء المعري ؟ ثم أورد هذه الأبيات وبعدها قوله :

وَلاَحَ هِلاَلٌ مِثْلُ نُونٍ أَجادَهَـــا
بِجَارِي النُّضَارِ الكَاتِبُ ابنُ هِلاَلِ[1]

ولأبي العلاء في وصف الليلة :

كَأَنَّما هِي إذْ لاَحتْ كَواكِبُهـــا
خَوْدٌ مِنَ الزَّنجِ تُجْلَى وُشِّحَتْ خَضَضَا[2]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٩٢ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٧ ، والخضض : خرز أبيض تلبسه الإماء.

وفي وصف الهلال :

وَانْجُمْ عَلَى جُنْحِ الدُّجَى وَلَوَ انَّهُ
أَسَدٌ يَصُولُ مِنَ الهِلاَلِ بِمِخْلَبِ [١]

ومن بديع التشبيه قوله :

فَيَا قَلبُ لا تُلْحِقْ بِشُكْلِ مُحَمَّدٍ
سِوَاهُ لِيَبْقَى شُكْلُهُ بَيِّنَ الوَسْمِ [٢]
فَإِنِي رَأَيتُ الحُزْنَ لِلْحُزنِ مَاحِياً
كَمَا خُطَّ فِي القِرْطاسِ رَسْمٌ عَلَى رَسْمِ

وقوله في وصف الزَّبَد الذي يخرج من فم البعير :

والعِيسُ تُعْلِنُ بالحَنِينِ إليكُمُ   وَلُغَامُها كَالبُرْسِ طَارَ نَدِيفُهُ [٣]

وقوله في وصف الشمعة :

وَصَفْرَاء لونَ التِّبْرِ مِثْلِي جَلِيدَةٌ
عَلَى نُوَبِ الأَيَّامِ والعِيشَةِ الضَّنْكِ [٤]

إلى غير ذلك مما تعسر الإحاطة به ، ويتعذر وجود نظيره في كلام غيره .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٣٢ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٥٤ ـ ٥ ومنها : « .. شكله بين الوسم » .
(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٠٨ ، ولغامها : ماترميه الإبل من الزبد من فيها ، والبرس : القطن .
(٤) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٢٣ .

وأما التشبيه في الأمور المعنوية ففي كلامه كثير من الصور النادرة ، والطرف الرائعة ، من ذلك قوله :

وَالخِلُّ كَالماءِ يُبْدي لي ضَمائِرَهُ   مَعَ الصَّفاءِ وَيُخْفيها مَعَ الكَدَرِ [١]

• • •

وَالمَرْءُ مَا لَمْ تُفِدْ نَفْعاً إِقَامَتُهُ
غَيْمٌ حَمَى الشمسَ لَمْ يُمْطِرْ وَلَمْ يَسِرِ

• • •

وَاَفَقْتُمُ في اخْتِلافٍ مِنْ زَمَانِكُمُ
والبَدْرُ في الوَهْنِ مِثْلُ البَدْرِ في السَّحَرِ

وقوله في الإنسان تربّيه الدنيا على ظهرها ، حتى يكمل ثم تدفنه في بطنها :

يُرَبَّبُ مِثْلَ الغُصْنِ حَتَّى إِذَا انْتَهَى
أَتَى عَاضِدٌ واسْتَقْبَلَ التُّرْبَ غَارِسُ [٢]

وقوله :

وَكَالنَّارِ الحَيَاةُ فَمِنْ رَمَادٍ   أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانُ [٣]

وقوله :

وَبَعْضُ الظَّاعِنِينَ كَقَرْنِ شَمْسٍ   يَغِيبُ فَإِنْ أَضَاءَ الفَجْرُ عَادَا [٤]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٣٢ ، ١٦٤ ، ١٤٢ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠١٢ .
(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٧٨ .
(٤) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٧٦ ـ ٧ .

وَلكِنِّي الشَّبَـــابُ إِذَا توَلّى ... فَجَهْلٌ انْ تَرومَ لهُ ارْتِدَادَا

وقوله في أصحابه ورفاقه الذين كان يجمعهم في الليل ليسيروا فيه ، ويفرقهم في النهار ليختفوا عن عيون الأعداء :

فِي مَعْشَرٍ كَجِمَارِ الرَّمْيِ أَجْمَعُهَا ... لَيْلاً وَفِي الصُّبْحِ أُلْقِيهَا إِلَى القَاعِ [١]

الاستعارات

وفي أشعاره من أنواع الاستعارات صور بديعة جمعت إحكام التشبيه إلى رقة الأسلوب ، وإتقان التأليف ، وطيب النبرات ؛ من ذلك قوله في السيف وفرنده :

وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَايَا ... وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مُسِخَتْ نِمَالاَ [٢]

• • •

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ جَفْناً قَبْلَ مَسْكَنِهِ ... فِي الْجَفْنِ يُطْوَى عَلَى نَارٍ وَلاَ نَهَرِ [٣]

وَلاَ حَسِبْتُ صِغَارَ النَّمْلِ يُمْكِنُهَا ... مَشْيٌ عَلَى اللُّجِّ أَوْ سَعْيٌ عَلَى السُّعُرِ

• • •

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٠ وفيها : « من معشر . . . » .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٠٤ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ وفيها : « ولا ظننت . . . » .

يُعَبِّرُ سَيفُهُ لَفظَ المَنَايَـــا كَـمَا شَرَحَ الكَلامَ التَرْجُمَانُ[١]

وقوله في السيوف والدروع :

أقبَلُوا حَامِلِي الجَدَاوِلِ في الأعْـــنَاقِ مُسْتَلْئِمِينَ بِالغُدْرَانِ[٢]

وقوله في الفرس وحافره :

بِرِيحٍ أُعِيرَتْ حَافِراً مِنْ زَبَرْجَدٍ
لَهَا التِّبْرُ جِسْمٌ واللُّجَيْنُ خلاَخِلُ[٣]

• • •

أذَالَ الجَرْيُ مِنْهُ زَبَرْجَدِيّاً وَمَا حَقُّ الزَّبَرْجَدِ أنْ يُذَالاَ[٤]

وَقَدْ يُلْفَى زَبَرْجَدُهُ عَقِيقاً إذَا شَهِدَ الأَمِيرُ بِهِ القِتَالا

وقوله في المدح :

القَاتِلُ المَحْلَ إذْ تَبْدُو السَّمَاءُ لَنَا كَـأَنَّهَا مِنْ نَجِيعِ الجَدْبِ في أُزُرِ[٥]

وقوله في الأيام والليالي :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢١٨ .

(٢) انظر ما سبق ص ٩٣٦ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٣٩ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٩٠ ورواية البيت الأول فيها :
« وما حق المكرم . . . » .

(٥) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٣٦ .

بِسَبْعِ إِمَاءٍ مِنْ زَغَاوَةَ زُوِّجَتْ
مِنَ الرُّومِ فِي نُعْمَاكَ سَبْعَةَ أَعْبُدِ[1]

الكنايات

وفي كلام أبي العلاء أمثلة رائعة ، وصور بديعة من الكنايات اللطيفة الواضحة والمستعذبة ، كقوله يكني عن عظم الممدوح :

وَلَوْ تَقَدَّمَ فِي عَصْرٍ مَضَى نَزَلَت
فِي وَصْفِهِ مُعْجِزَاتُ الآيِ والسُّوَرِ[2]

وعن حسن الممدوح :

وَيُوشَعُ رَدَّ يُوحَى بَعْضَ يَومٍ وَأَنْتَ مَتَى سَفَرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا[3]

وقوله يكني به عن أن قوم الممدوح ملوك لا رعاة ، وأنهم كرماء أعزّاء :

يَا بْنَ الأولى غَيْرَ زَجْرِ الخَيْلِ مَا عَرَفُوا
إِذْ تَعْرِفُ العُرْبُ زَجْرَ الشَّاءِ والعَكَرِ[4]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٥٩ ، وزغاوة : قبيلة من السودان .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٣٨ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٧٨ ، ويوح ويوحى : من أسماء الشمس .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٤٠ ، ١٤٢ ، والعكر : مفردها عكرة وهي القطعة من الإبل الضخمة . واللأم : جمع لأمة ، وهي الدرع . والقطر : العود الذي يتبخر به .

وَالقَائِدِيهَا مَعَ الأَضْيَافِ يَتْبَعُهَا ... أُلاَّفُهَا وَأُلُوفُ اللاَّمِ وَالبِدَرِ

. . . .

المُوقِدُونَ بِنَجْدٍ نَارَ بَادِيَةٍ ... لاَ يَحْضُرُونَ وَفَقْدُ العِزِّ فِي الحَضَرِ

إِذَا هَمَى القَطْرُ شَبَّتْهَا عَبِيدُهُمُ ... تَحْتَ الغَمَائِمِ لِلسَّارِينَ بِالقُطُرِ

وقوله يكني عن بعد الغور وعمقه :

وَمُزِيرِهَا الغَوْرَ الَّذِي لَوْ سُلِّمَتْ ... رِيحٌ عَلَى أَرْجَائِهِ لَمْ تَسْلَمِ (١)

إلى آخر الأبيات . وقوله يكني به عن ضمور البعير وهزاله :

وَأَعْيَسَ لَوْ وَافَى بِهِ خُرْتَ مِخْيَطٍ ... لأَنْفَذَهُ مِنْ ضُمْرِهِ وَانْضِمَامِهِ (٢)

وقوله يكني به عن خفة الإبل وسرعتها في سيرها :

وَلَوْ وَطِئَتْ فِي سَيْرِهَا جَفْنَ نَائِمٍ ... بِأَخْفَافِهَا لَمْ يَنْتَبِهْ مِنْ مَنَامِهِ (٣)

المعاني

شعر أبي العلاء معرض عام ، اجتمع فيه من كل نوع من المعاني طائفة صالحة ؛ والغالب على معانيه في (السقط) الوضوح والجلاء . وفيها ما يحتاج في فهمه إلى دراسة علم ، ومعرفة بالتاريخ ؛ لأنه كثير الإشارات والتلميح إلى الحوادث والرجال الذين لهم ذكر في التاريخ ، وهو يحسن استعمال تلك المعاني ، ويحكم الإشارة إلى الحوادث .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٣١ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٤٩٤ وفيها : « . . خرت مخيط » والمخيط : الإبرة .

(٣) المصدر السابق ص ٤٩٣ .

فمن الأول قوله :

وَفي الَحيّ أعْرَابيّةُ الأَصْلِ مَحْضَةٌ
مِنَ القَوْمِ إعْرَابيّةُ القَوْلِ بالطّبْعِ [1]
وَقَدْ دَرَسَتْ نَحْوَ السُّرَى فَهْيَ لَبّةٌ
بِمَا كَانَ مِنْ جَرّ البَعِيرِ أوِ الرّفْعِ

يريد أن في الحي امرأة أصلها من الأعراب الخلّص ، وهي لا تلحن في قولها ، لأنها منسوبة إلى الأعراب بالطبع والسليقة ، وهي لم تدرس علم النحو الذي تكون حركات الإعراب فيه بالجر والرفع ، وإنما درست نحو السير في الليل ، فهي لبيبة عالمة بجر البعير ورفعه . يقال : جر البعير بزمامه:جذبه وجر الإبل: ساقها سوقاً رويدا ، والسير المرفوع : دون الحضر وفوق الموضوع ، ورفع البعيرُ في السير : بالغ وسار ذلك السير ، ورفعه الرجل : ساره كذلك يتعدى ولا يتعدى ، فقد ذكر النحو وذكر من متعلقاته الجرّ والرفع ، وجعل للسرى نحوا ، وذكر من متعلقاته جر البعير ورفعه ، ومراده أنها دائمة السُّرى فهي عالمة برفع البعير وجره .

ومنه قوله :

فَصَرّفَني فَغَيّرني زَمَـــانٌ سَيُعْقِبُني بِحذْفٍ وادّغَامِ [2]

وقوله :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٤٤ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٤٧٣ وفيها : « وصرفني . . . » .

وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ الغَمَامِ وإنما
مِنَ البَحْرِ فيمَا يَزْعُمُ النَاسُ يَجْتَدِي [١]

وقوله :

وَالنَّفْسُ تَحيَا بإعْطَاءِ الهَوَاءِ لَهَا
مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا أعْطَتْهُ مِنْ نَفَسِ [٢]

وقوله :

وَهَوَاكِ عِنْدِي كَالغِنَاءِ لأَنَّهُ ... حَسَنٌ لَدَيَّ ثَقِيلُهُ وَخَفِيفُهُ [٣]

ومن الثاني قوله :

إذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالبُخْلِ مَادِرٌ ... وَعَيَّرَ قُسّاً بالفَهَاهَةِ باقِلُ [٤]

وقوله :

يَابنَ مُسْتَعْرِضِ الصُّفُوفِ بِبَدْرٍ ... وَمُبِيدِ الجُمُوعِ مِنْ غَطَفَانِ [٥]

(١) انظر ما سبق ص ٩٣٩ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٩٥ .
(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٠٩ .
(٤) يريد بالطائي : حاتماً الذي ضرب المثل بجوده . ومادر : رجل من بني هلال بن عامر يضرب به المثل في البخل ، وقس بن ساعدة الإيادي : يضرب المثل ببلاغته ، وباقل : رجل من إياد أو من ربيعة يضرب المثل بعيّه ، والفهاهة : العي وهو خلاف البيان . (ج) انظر شروح السقط ق ٢ ص ٥٣٣ .
(٥) أراد بمستعرض الصفوف : علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه قتل نيفاً وثلاثين —

وقوله :

فَكَمْ حَلَّهُ مِنْ أَصْمَعِ القَلْبِ آيِسٍ
يَطُولُ ابنَ أوْسٍ فَضْلُهُ وابنَ أصْمَعِ (١)

وقوله :

وَقَالَ الوَلِيدُ : النَّبعُ لَيسَ بمُثْمِرٍ
وَأخطأَ سِربُ الوَحشِ مِنْ ثَمَرِ النَّبْعِ (٢)

— رجلا يوم بدر وهو المراد بيد الجوع ، لأنه قتل عمرو بن عبد وُدّ يوم الخندق ، وقد اجتمع فيه نحو عشرة آلاف من قريش وُسلَيم وأسد وغطفان، فلما قتل عمرو انكشف أصحابه وتبعهم المسلمون ، ولما كان علي (ض) هو السبب في انهزام غطفان أضافه أبو العلاء إلى عليّ . (ج) انظر شروح السقط ق ١ ص ٤٤٣ .

(١) أصمع القلب : متيقظ ذكي حاد الفطنة ، والأوس : الإعطاء والتعويض ، آسه أوسا ، وابن أوس هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور وقيل : هو أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس بن زيد . وابن أصمع : هو الأصمعي عبد الملك بن قريب الإمام اللغوي المشهور ، وقد أجاد أبو العلاء في الجناسة بين هذه الألفاظ . (ج) وانظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٨٩ .

(٢) الوليد : هو البحتري الشاعر المشهور ، قال من قصيدة :

وَعَيَّرتني بِخلالِ العُدمِ آونةً   والنَّبعُ عُريانُ مالَ عودِه ثَمَرُ

والنبع : شجر تتخذ منه القسي ، يريد البحتري أن النبع ليس له ثمر ، ويريد أبو العلاء أن البحتري أخطأ في قوله هذا لأن القسي التي تؤخذ من النبع يصاد بها بقر الوحش وحمر الوحش وغيرها من أنواع الوحش ، فيكون سرب الوحش من ثمر النبع . وهو استدراك خيالي بديع . (ج) وانظر شروح السقط ق٣ ص١٣٤٨ .

وقوله :

وَلاَ هَدِيّةَ عِنْدي غَيْرُ مَا حَمَلَتْ … عَنِ الْمُسَيّبِ أَرْوَاحٌ لِقَعْقَاعِ [١]

وَلَمْ أَكُنْ وَرَسُولِي حِينَ أُرْسِلُهُ … مِثْلَ الفَرَزْدَقِ في إِرْسَالِ وَقّاعِ [٢]

المبالغة في شعره

المبالغة في الشعر والإفراط في الوصف نوع من الأساليب المستحسنة عند جمهور من المتقدمين والمتأخرين من الشعراء والعلماء ؛ وقد كان بعضهم يفضلها ويراها الغاية القصوى في الجودة . وقد نقل عن النابغة أنه قال : « أشعر الناس من استجيدَ كذبه ، وضحك من رديئه » ونقل عن غيره « أحسن الشعر أكذبه » . وشاع على ألسنة المتأخرين : أعذبه أكذبه . وقد وقع منها في كلام المتقدمين شيء كثير ، منه قول مهلهل :

فَلَوْلاَ الرِّيحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحُجْرٍ … صَلِيلَ البِيضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ

وقد قيل : إنه أكذب بيت قالته العرب ، لأن المسافة بين « حجر »

---

(١) المسيب بن علس : شاعر مدح القعقاع بن معبد التميمي بقصيدة قال فيها :

فَلأُهدِيَنّ مَعَ الرياحِ قصيدةً … مني مُغَلغَلَةً إلى القَعْقَاعِ

يريد أبو العلاء أنه ليس عنده هدية غير الشعر . (ج) وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٠٩ .

(٢) وقاع : غلام الفرزدق كان يراسل به في الجنايات والقبائح والأمور التي ليست بجميلة ؛ يريد أبو العلاء أن رسائله لاتكون إلا فيما هو جميل . وقد تقدم هنا . (ج) .

وهي قصبة اليمامة ، وبين مكان الوقعة عشرة أيام . ومنه قول امرىء القيس :

تَنَوَّرْتُها مِنْ أذْرِعَاتَ وَأَهْلُهَا ... بِيَثْرِبَ أدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِ (١)

أذرعات : من بلاد الشام ، ويثرب : هي المدينة المنورة .

وقول النابغة في وصف السيوف :

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... وَتُوقِدُ بالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ

وقول جرير :

فَلَوْ وُضِعَتْ فِقَاحُ بني نُمَيْرٍ ... عَلَى خَبَثِ الحَدِيدِ إذاً لَذَابَا (٢)

ثم لما جاء العصر العباسي أكثر منه الشعراء ، فوقع في شعر بشار مثل قوله :

سَلَبْتِ عِظَامِي لَحْمَهَا فَتَرَكْتِها ... عَوَارِيَ في أجْلَادِهَا تَتَكَسَّرُ

وَأخْلَيْتِ مِنْهَا مُخَّهَا فَتَرَكْتِها ... أنَابِيبَ في أجْوَافِهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ

خُذِي بِيَدِي ثُمَّ ارْفَعِي الثَّوبَ فَانْظُرِي ... ضَنَى جَسَدِي لَكِنَّنِي أتَسَتَّرُ

---

(١) ديوان امرىء القيس ، ط بيروت ، ص ١٤١ ، ومطلع القصيدة :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

(٢) ديوان جرير ، ط الصاوي ، ص ٧٢ . ومطلع القصيدة :

أقلي اللوم عاذل والعتابا ... وقولي إن أصبت لقد أصابا

وَلَيسَ الذي يَجري مِنَ العَيْنِ مَاؤُهَا
وَلَكِنَّهـــا نَفسٌ تَذُوبُ فَتَقْطُرُ

وجاء في شعر أبي نواس مثل قوله :

وَأَخَفْتَ أَهلَ الشِّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ ... لَتَخافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَقِ

وفي شعر أبي تمام مثل قوله :

وَيَهْتَزُّ مِثلَ السَّيْفِ لَوْ لَمْ تَسُلَّهُ ... يَدانِ لَسَلَّتْهُ ظُبَاهُ مِنَ الغِمْدِ(١)

وفي كلام البحتري مثل قوله في السيف :

مَاضٍ وإِنْ لم تُمْضِهِ يَدُ فَارِسٍ ... بَطَلٍ وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لم يُصْقَلِ(٢)
مُتَأَلِّقٌ يَفْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ ... مَا أَدْرَكَتْ وَلَوَانَّهُ في يَذْبُلِ

ثم جاء المتنبي فأكثر من مثل قوله :

كَفَى بِجِسْمِي نُحولاً أَنني رَجُلٌ ... لَوْلاَ مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي(٣)

وقوله :

عَقَدَتْ سَنابِكُها عَلَيْها عِثْيَراً ... لَوْ تبتغي عنقاً عَلَيْهِ لأَمْكَنا(٤)

---

(١) ديوان أبي تمام ، ط . بيروت ص ١١٦ وفي رواية الديوان تصحيف .

(٢) ديوان البحتري ، ط . بيروت ص ٣٣٣ .

(٣) ديوان المتنبي ، ط . بيروت ص ٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

ثم جاء أبو العلاء ، فاحتذى على مثال هؤلاء العباقرة ، ونهز معهم بدلوهم . وزعم بعضهم أن أبا تمام هو الذي كثّر هذا الباب ، ثم تبعه الناس من بعده . ولكن يظهر للمستقصي أن أبا الطيب أكثرُ الناس غلوّاً ، وأن أبا العلاء لايقل عنه في ذلك .

وقد قسم العلماء هذا الإفراط إلى ثلاثة أقسام :

الاول المبالغة : ويسمى التبليغ ، وهو وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة .

الثاني الإغراق : وهو وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة .

الثالث الغلو : وهو وصف الشيء بما يستحيل وقوعه .

وقال بعضهم : المبالغة : ادعاء ممكن عقلا وعادة ، والإغراق : ادعاء ممكن عقلا لاعادة ، والغلو : ادعاء مالا يمكن عقلا ولا عادة .

وأكثرهم لايعد الإغراق والغلو من المحاسن إلا إذا اقترن بما يقرّبه إلى القبول ، مثل « قد ، ولو ، ولولا ، وكاد ، وكأن » وما شاكل ذلك .

وفي شعر أبي العلاء في (سقط الزند) صور مختلفه من الأنواع الثلاثة . منه ماهو مقرون بأداة تقرّبه إلى القبول ، ومنه ماتضمن معنىً حسناً من التخييل يجعله مقبولا كقوله :

تَكَادُ قِسِيُّهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ... تُمَكِّنُ في قُلُوبِهِمُ النِّبَالاَ [1]

تَكَادُ سُيُوفُهُ مِنْ غَيْرِ سَلٍّ ... تَجِدُّ إِلى رِقَابِهِمُ انْسِلَالا

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ١٠٤ .

يُذيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلاَ الغِمْدُ يُمْسِكُهُ لَسَالاَ

وقوله في وصف فرس :

يُحِسُّ وَطْءَ الرَّزَايَا وَهْيَ نَازِلَةٌ
فَيُنْهِبُ الجَرْيَ نَفْسَ الحَادِثِ المكِرِ [(١)]

وقوله في أعناق الإبل :

وَقَدْ دَقَّتْ هَوَادِيهِنَّ حَتَّى كَأَنَّ رِقَابَهُنَّ الخَيْزُرَانُ [(٢)]

إِذَا شَرِبَتْ رَأَيْتَ المَاءَ فِيهَا أُزَيرِقَ لَيْسَ يَسْتُرُهُ الجِرانُ

وقوله في المدح :

إِذَا سَمَّيْتَهُ في أَرْضِ جَدْبٍ نَزَلْتَ وَكُلُّ رَابِيَةٍ خِوَانُ [(٣)]

وقوله فيه :

وَقَدْ بَلَغَ الضُّرَاحَ وَسَاكِنِيهِ نَثَاكَ وَزَارَ مَنْ سَكَنَ الضَّرِيحَا [(٤)]

وقوله يصف الإبل بحدة البصر ، والليل بشدة الظلمة :

وَكُنَّ يَرَيْنَ نَارَ الزَّنْدِ فِيهِ فَلَمْ يُبْصِرْنَ إِذْ وَرَتِ الزِّنَادُ [(٥)]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٤٧ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٨٢ – ٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٢٢
(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٦٩ وفيها : « فقد بلغ . . » والضراح : بيت في السماء إزاء الكعبة تطوف به الملائكة ، وهو البيت المعمور المذكور في القرآن . والثنا : الخبر المنتشر حسناً كان أو قبيحاً .
(٥) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣١٣ – ٣١٥ .

لوَ أنّ بياضَ عَيْنِ المرء صُبْحٌ هُنالِكَ مَا أضاء بِهِ السّوادُ

وقوله في وصف الخيل في عظمها وضمورها :

ضَمُرَتْ وَشَزَّبها القِيَادُ فأصبحَتْ

والطِّرْفُ يَرْكُضُ في مَسَابِ الأرْقَمِ[1]

مِنْ كُلّ مُعْطِيَةِ الأعِنَّةِ،سَرْجُها تَرْقَى فَوارِسُها إلَيْهِ بِسُلَّمِ

وقوله المتقدم في وصف إبل :

وَلَوْ وَطِئَتْ فِي سَيْرِها جَفْنَ نائِمٍ[2] . . . .

وقوله المتقدم أيضاً :

وَأعْيَسَ لَوْ وَافَى بِهِ خُرْقَ مِخْيَطٍ[3] . . . .

وقوله في الدرع :

لَهَا حِلَقٌ ضَيْقٌ لَوَ انَّ وَضِينَهُ فُؤادُكَ لَمْ يَخْطُرْ بِقَلْبِكَ هَاجِسُ[4]

البديع في شعره في السقط :

لأبي العلاء ولع شديد بالبديع، ولا سيما الجناس، والطباق، والتورية ؛ ولعله

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٤٠ – ٣٤١ .

(٢) تمامه : « بأخفافها لم ينتبه من منامه » انظر ما سبق ص ١٠٠٨ .

(٣) تمامه : « لأعجله من عمره واتضاله » . انظر ما سبق ص ١٠٠٨ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ١٩٩٦ .

كان يتعمد ذلك وتساعده على إتقانه وإحكامه غزارة لغته ، وسعة علمه ، وحفظه . وإليك أمثلة من قوله ، فيها أنواع من البديع ..

حسن المطلع :

يَاسَاهِرَ البَرْقِ أيقِظْ رَاقِدَ السَّمُرِ لَعَلَّ بِالجزْعِ أعْوانًا عَلَى السَّهَرِ [1]

الالتفات :

يَوَدُّ أنْ ظَلامَ اللَّيلِ دَامَ لَهُ وَزِيدَ فِيهِ سَوادُ القَلْبِ والبَصَرِ [2]

أوِ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الإحْسَانِ زُرْتُكُمْ

والعَذْبُ يُهْجَرُ للإفراطِ في الخَصَرِ

الجناس التام :

كَأنَّ قَطَاةَ أعْجَزِهَا قَطَاةٌ أُدِيفَ بِمَحْجَرَيْهَا الزَّعْفرانُ [3]

الجناس المحرف:

لِغَيْرِي زَكَاةٌ مِنْ جمالٍ فَإنْ تَكُنْ زَكَاةُ جَمَالٍ فَاذْكُرِي ابْنَ سَبِيلِ [4]

الجناس المركب :

ألِفَتْ خُوصَ المطَايَا إنْ مَنْكَرَةً إلفُ الغَزَالِ مَقَالِيتًا مَقَالِيتَا [5]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١١٤ .

(٢) أنظر ماسبق ص ٩٣٧ والمصدر السابق : ١١٩ ـ ١٢٠ .

(٣) أنظر ماسبق ص ١٠٠٠ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٤١ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦١٨ . ومقا : صقل وجلا ، والليت : صفحة العنق . والمقاليت : مفردها مقلات وهي التي لايعيش لها ولد .

مواعاة النظير :

دَعِ اليَرَاعَ لِقَوْمٍ يَفْخَرونَ بِهِ وبالطِّوالِ الرُّدَيْنِيَّاتِ فافْتَخِرِ [١]
فَهُنَّ أقلامُكَ اللاَّتي إذا كَتَبَتْ مَجْداً أتَتْ بِمِدَادٍ مِنْ دَمٍ هَدَرِ

التسميط :

أَلِفْتِ المَلاَ حَتَّى تَعَلَّمْتِ بالفَـــلاَ
رُنُوَّ الطَّلاَ أوْ صَنْعَةَ الآلِ في الخَدْعِ [٢]

حسن التخلص :

وَلَوْ أنَّ المَطِيَّ لَهـــا عُقُولٌ وَجَدِّكَ لَمْ نَشُدَّ بِهَا عِقَالاَ [٣]
مُوَاصَلَةً بِهـــا رَحْلي كَأَنِّي عَنِ الدُّنْيَا أُرِيدُ بها انفِصَالاَ
سَأَلْنَ فقلتُ مَقصِدُنا سَعيدٌ فكَانَ اسمُ الأميرِ لَهُنَّ فَالاَ

قال ابن حجة : هذا الخلص من العجائب ، فإن الشيخ أبا العلاء سبكه في قالب التورية والاتفاق البديع ، وكان اسم الأمير في فألهم سعيدا ، والعرب ما برحوا يتفاءلون بالاسم الحسن ويتطيرون بضده .

التصدير أورد العجز على الصدر :

فَلَوْ سَمَحَ الزمَانُ بِهَا لضَنَّتْ وَلَوْ سَمَحَتْ لضَنَّ بِهَا الزَّمَانُ [٤]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٥٦ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٤٥ ، والملا : المتسع من الأرض ، الطلا : بفتح أوله ولد الظبية ، الآل : السراب ـ الخدع : بسكون الدال الخديعة .
(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٩ ـ ٤١ .
(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٧٦ .

حسن التعليل :

وَمَا كُلْفَةُ البدْرِ المنيرِ قَديمةٌ   وَلكِنَّها في وَجهِهِ أثَرُ اللَّدْمِ [(١)]

حسن الاتباع :

لوِ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الإحْسَانِ زُرْتُكُمُ
والعَذْبُ يُهْجَرُ للإفْراطِ في الخَصَرِ [(٢)]

فإنه استوعب معنى بيتَي البحتري :

أخجلتَني بِنَدَى يَدَيْكَ فسوَّدَتْ   ما بينَنَا تلكَ اليدُ البيضَاءُ [(٣)]
[وَقَطَعْتَنِي بِالجودِ حتّى إنني   مُتَخَوِّفٌ ألاّ يَكُونَ لِقَاءُ]
صِلَةٌ غَدَتْ في الناسِ وهيَ قَطِيعَةٌ   عَجَبٌ وَبِرٌّ رَاحَ وهو جَفَاءُ

في صدر بيته ، وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الإيجاز والإيضاح والبيان.

التلميح :

ويوشَعُ رَدَّ يُوحَى بَعْضَ يَوْمٍ   وَأَنْتَ مَتَى سَفَرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا [(٤)]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٦٢ . اللدم : ضرب المرأة وجهها باليد .
(٢) أنظر ماسبق ص ٩٣٢ .
(٣) ديوانه ط بيروت ص ٧٢٥ .
(٤) أنظر ماسبق ص ١٠٠٧ .

التورية :

وَحَرْفٍ كَنُونٍ تحتَ رَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ
بِدَالٍ يَؤُمُّ الرَّسْمَ غَيَّرَهُ النَّقْطُ (١)

• • •

إِذَا صَدَقَ الجَدُّ افْتَرَى العَمُّ لِلْفَتَى
مَكَارِمَ لاَ تُكْرِي وإِنْ كَذَبَ الخَالُ (٢)

الاستخدام :

وَفَقِيهاً أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنُّعْـــمانِ مَا لَمْ يَشِدْهُ شِعْرُ زِيَادِ (٣)

ومن ذلك قوله في الدرع :

مِثْلُ وَشْيِ الوَلِيدِ لاَنَتْ وَإِنْ كَا　　نَتْ مِنَ الصُّنْعِ مِثْلَ وَشْيِ حَبِيبِ (٤)
تِلْكَ مَاذِيَّةٌ وَمَا لِذُبَابِ السَّـــيْفِ وِالصَّيْفِ عِنْدَهَا مِنْ نَصِيبِ

قال في معاهد التنصيص : استخدم لفظ الذباب في معنييه ، الأول : طرف السيف ، والثاني : الطائر المعروف ، وفيه نظر .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٥١ . وقوله : تحت راء : أي تحت رجل يضرب رئتها ، ولم يكن بدال : اي لم يكن برافق . والنقط المطر .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٦٢ . والجد : الحظ ، والعم : الجماعة ، وتكري : تنقص ، والخال : المخيلة .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٨٦ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٩٢٣ وفيها تقدم الصيف على السيف ، في البيت الثاني .

المدح في معرض الذم :

ثُمَّ مَضَى يُثْنِي عَلَى سَيِّدٍ كَاللَّيْثِ إِلاَّ أَنَّهُ أَحْزَمُ (١)

التجريد :

مَاجَتْ نُمَيْرٌ فَهَاجَتْ مِنْكَ ذَا لِبَدٍ وَاللَّيْثُ أَفْتَكُ أَفْعالاً مِنَ النَّمِرِ (٢)

الارصاد أو التسهيم :

إِذَا الفَتَى ذَمَّ عَيْشـــاً فِي شَبِيبَتِهِ

فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصْرُ الشَّبابِ مَضَى (٣)

فإن الحاذق في صناعة الكلام ، إذا سمع المصراع الأول علم أن مقتضى الكلام أن يتلوه « اذا عصر الشباب مضى » لا سيما بعد معرفة القافية ؛ ومثله قوله :

جَهُولٌ بِالْمَنَاسِكِ لَيْسَ يَدْرِي أَغَيّاً بَاتَ يَفْعَلُ أَمْ رَشَادَا (٤)

فان الكلام يقتضي أن يكون آخره « ام رشادا » .

الاشارة :

بِي مِنْكِ مَا لَوْ غَدَا بِالشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ مِنَ الكَآبَةِ أَوْ بِالبَرْقِ مَا وَمَضَا (٥)

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٥٤ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٥٢ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٥ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٩٠ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٤ .

فقد أشار بلفظ (ما) الأولى الى ما لا يحصى من الكآبة والحزن .

الافتنان :

فَكُنْ في كُلِّ نَائِبَةٍ جَرِيئاً تُصِبْ في الرَّأْيِ إنْ خَطِئَ الهِدَانُ[١]

وَسَائِلْ مَنْ تَنَطَّسَ في التَّوَقِّي لأَيَّةِ عِلَّةٍ مَاتَ الجَبَانُ

فإنَّ تعاوُنَ الأَمْلاكِ جَلَّ عَلَى مَلِكٍ بِخَالِقِهِ يُعَانُ

فقد جمع في هذه الأبيات الهجاء والمدح ؛ ومن هذا النوع قصيدته :

وَرَائِي أَمَامٌ والأَمَامُ وَرَاءُ إذَا أنا لَمْ تُكْبِرْنِيَ الكُبَرَاءُ[٢]

فانه جمع فيها بين الفخر والمدح والهجاء .

الاقتباس :

أُعِدُّ مِنْ صَلَوَاتِي حِفْظَ عَهْدِكُمُ إنَّ الصَّلاةَ كِتَابٌ كَانَ مَوْقُوتَا[٣]

التصريع :

تَحِيَّةُ كِسْرَى في الثَّنَاءِ وَتُبَّعِ لِرَبْعِكَ لا أَرْضَى تَحِيَّةَ أَرْبُعِ[٤]

الايجاز : حذف أكثر من جملة :

طَرِبْنَ لِضَوْءِ البَارِقِ المُتَعَالِي بِبَغْدَادَ وَهْناً مَا لَهُنَّ وَمَالِي[٥]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢١٧ ـ ٨ والهدان : الجبان الضعيف .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٩٢ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٤٣ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٢٧ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٦٢ .

شخصية المعري في سقط الزند:

قلنا غير مرة : إن لأبي العلاء خصائص نفسية وأدبية تتجلى في أضعاف كلامه ، وقلما خلا أثر من آثاره من ذكر شيء منها ، إما تصريحاً وإما تلميحاً ، منها :

١ ـ تواضعه مع مخاطبيه أو ممدوحيه ، وذلك يتمثل في مثل قوله في (سقط الزند ج ١ ص ٦٣) من قصيدة [١] أجاب بها الشريف أبا إبراهيم :

وَكَوْنُ جَوَابِهِ فِي الوَزْنِ ذَنْبٌ   وَلَكِنْ لَمْ تَزَلْ مَوْلًى صَفُوحَا

وَذَلِكَ أَنَّ شِعْرَكَ طَالَ شِعْرِي   فَمَا نِلْتُ النَّسِيبَ وَلاَ المَدِيحَا

الأبيات . . وقوله من قصيدة [٢] أخرى أجابه بها (ج ١ ص ٩٧) :

قَدْ أَجَبْنَا قَوْلَ الشَّرِيفِ بِقَوْلٍ   وَأَثَبْنَا الحَصَى عَنِ المَرْجَانِ

وقوله (ج ١ ص ٩٩) من قصيدة [٣] أجاب بها أبا القاسم علي بن الحسن بن جلبات التنوخي المعري :

فَإِنْ يَكُ أَضْحَى القَوْلُ جَمّاً طُيُورُهُ   فَمَا تَسْتَوِي عِقْبَانُهُ بِحَمَامِهِ

---

(١) مطلعها :

ألاح وقد رأى برقاً مليحا   سرى فأتى الحمى نضواً طليحا

وانظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٣٧ ، ٢٧٤ .

(٢) مطلعها :

علّلاني فان بيض الأماني   فنيت والزمان ليس بفان

وانظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤٢٥ ، ٤٥٦ .

(٣) مطلعها :

يرومك والجوزاء دون مرامه   عدو يعيب البدر عند تمامه

وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٤٧٣ .

وَإِنْ يَكُ وَادِينَا مِنَ الشِّعْرِ نَبْتُهُ ... فَغَيْرُ خَفِيٍّ أَثْلُهُ مِنْ ثُمامِهِ

وقوله (ج ١ ص ١٥٥) من قصيدة[١] أجاب بها أبا الخطاب محمد بن علي الجَبُّلي :

وَظَلَمْتَ شِعْرَكَ إِذْ حَبَوْتَ رِيَاضَهُ ... رَجُلاً سِواهُ مِنَ الوَرَى أَوْلَى بِهِ

فَأَجَابَ عَنْهُ مُقَصِّراً عَنْ شَأْوِهِ ... إِذْ كَانَ يَقْصُرُ عَنْ بُلُوغِ ثَوابِهِ

وقوله (ج ٢ ص ٦٦) من قصيدة[٢] رثى بها الشريف أبا أحمد والد المرتضى والرضي :

يَا مَالِكَيْ سَرْحِ القَرِيضِ أَتَتْكُمَا ... مِنِّيَ حَمُولَةُ مُسْنِتِينَ عِجَافِ

. . . .

وَأَنَا الذي أُهْدِي أَقَلَّ بَهَارَةٍ ... حُسْناً لِأَحْسَنِ رَوْضَةٍ مِئْنَافِ

ويلحق بهذا الباب ادعاؤه هجر الشعر ، أو أنه جدير بهجره ، وذلك في مثل قوله[٣] (ج ١ ص ١٥٢) :

لاَ يُوهِمَنَّكَ أَنَّ الشِّعْرَ لِي خُلُقٌ ... وَأَنَّنِي بِالقَوَافِي دَائِمُ الأُنُسِ

---

(١) مطلعها :

أشفقت من عبء البقاء وعابه ... ومللت من أري الزمان وصابه

وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧١٥ ، ٧٢٧ — ٨ ، ورواية البيت الثاني فيها : « . . . إذ كان يعجز عن بلوغ ثوابه » .

(٢) مطلعها :

أودى فليت الحادثات كفاف ... مال المسيف وعنبر المستاف

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٦٤ ، ١٣١٨ — ٩ .

(٣) من قصيدة أولها :

لولا تحية بعض الأربع الدرس ... ماهاب حد لساني حادث الحُبُس

وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٨٩ ، ٧١١ — ١٣ .

فإنّما كانَ إلمامي بِساحَتِها ... في الدّهرِ إلمامَ طيرِ الماء بالعَلَسِ
عَساكَ تعذِرُ أن قصّرْتُ في مِدَحي ... فإنّ مِثْلي بِهجْرانِ القَريضِ عَسِ

٢ ـ تعففه عن الاستجداء بشعره ، وعن قبول أي شيء كان من ممدوحيه أو غيرهم ؛ وهذا كثير في شعره ، منه قوله في مرثية الشريف أبي أحمد :

أوْضَعتُ في طُرُقِ التّشرُّفِ سامِياً ... بِكُما ولَم أسلُكْ طَريقَ العَافي[1]

وقوله في (ج ١ ص ١٦٢ — ١٦٣) :

وَلاَ أُثقِّلَ في جاه وَلاَ نَشَبِ ... وَلَوْ غَدَوْتُ أخاعُدْمٍ وإدْقاعِ[2]
وَلَمْ أكُنْ وَرَسُولي حينَ أُرْسِلُهُ ... مِثْلَ الفَرَزْدَقِ في إرْسالِ وَقّاعِ

وقوله (ج ١ ص ٧٢) :

وَلَوْلاَ فَرطُ حُبِّكَ مَا ازْدَهاني ... إلى المَدْحِ الطَّريفُ وَلاَ التِّلادُ[3]

وقوله من قصيدة[4] قالها في بغداد (ج ٢ ص ٤٥) :

أُنَبِّئُكُمْ أني عَلَى العَهْدِ سالِمٌ ... وَوَجْهِيَ لمّا يُبْتَذَلْ بِسُؤالِ

إلى اخر الأبيات التي تقدمت .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٢٠ ، وانظر الصفحة السابقة .
(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٦ ، ٧٦٠ وانظر ماسبق ص ١٠١٢ .
(٣) وانظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٢٤ .
(٤) مطلعها :
طربن لضوء البارق المتعالي ... ببغداد وهنا مالهن ومالي
وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٦٢ ، ١٢٠٥ .

وقوله من قصيدة[١] اخرى قالها في بغداد (ج ٢ ص ٥٤) .

وَكَمْ مَاجِدٍ فِي سِيفِ دِجْلَةَ لَمْ أَشِمْ لَهُ بارِقاً والمرء كالمزنِ هَطّالُ

وقوله من قصيدة[٢] كتبها إلى أبي القاسم علي القـاضي التنوخي (ج ٢ ص ١١٩) .

رَحَلْتُ لَمْ آتِ قِرْواشاً أُزاوِلُهُ وَلاَ الْمهذَّبَ أَبْغي النَّيْلَ تَقْويتَا

والموتُ أحسنُ بالنَّفسِ التي أَلِفتْ عِزَّ القَنَاعَةِ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ القُوتَا

٣ عفاف لسانه : فإن الباحث في ديوانه هذا كله لا يجد كلمة بذيئة تتقزز منه النفس وينفر منها الطبع ، على كثرة ما فيه من الألفاظ اللغوية .

٤ ـ اعتداده بنفسه : وهذا كثير في فخره ومديحه ؛ وحسبك منه لاميته[٣] التي يقول فيها :

وَإِنّي وإِنْ كُنْتُ الأخيرَ زَمَانُهُ لآتٍ بمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأوائلُ

. . . .

---

(١) مطلعها .

منانِي الهوى من شخصك اليوم أطلال
وفي النوم مغنى من خيالك محلال

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢١١ ، ١٢٥٩ .

(٢) مطلعها :

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا وموقد النار لاتكرى بتكريتا

وانظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٩٣ ، ١٦٣٩ .

(٣) مطلعها :

الا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل

وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥١٩ ، ٥٢٥ ، ٥٣٠ .

يُنَافِسُ يَوْمِي فِيَّ أَمْسِي تَشَرُّفاً ... وَتَحْسُدُ أَسْحَارِي عَلَيَّ الأَصَائِلُ

وأبياته[١] التي يقول فيها : (ج ١ ص ٦٦) :

أَأَخْمُلُ وَالنَّبَاهَةُ فِيَّ لَفْظٌ ... وَأُقْتِرُ وَالقَنَاعَــةُ لِي عَتَادُ

وأبياته[٢] التي يقول فيها (ج ١ ص ١١٧) :

كَأَنِّي فِي لِسَانِ الدَّهْرِ لَفْظٌ ... تَضَمَّنَ مِنْهُ أَغْرَاضًا بِعَادَا

يُكَرِّرُنِي لِيَفْهَمَنِي رِجَــالٌ ... كَمَا كَرَّرْتَ مَعْنًى مُسْتَعَادَا

وأبياته[٣] التي يقول فيها (ج ١ ص ١٣٠) :

إِلَى كَمْ تَشَكَّانِي إِلَيَّ رِكَائِبِي ... وَتُكْثِرُ عَتْبِي خِفْيَةً وَجِهَــارَا

أَسِيرُ بِهَا تَحْتَ المَنَايَا وَفَوْقَهَا ... فَيَسْقُطُ بِي شَخْصُ الحِمَامِ عِثَارَا

---

(١) أولها :

أفوق البدر يوضع لي مهاد ... أم الجوزاء تحت يدي وساد

وانظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٨١ ، ٢٨٧ .

(٢) أولها :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا ... فعاند من تطيــق له عنادا

وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٥٣ ، ٥٦٣ .

(٣) أولها :

تجزّت جهدي لو وجدت خياراً

وطرت بعزمي لو أصبت مطارا

وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦١٨ ــ ١٩ .

وقوله[١] (ج ١ ص ١٣٦) :

تَعَاطَوْا مَكَاني وَقَدْ فُتُّهُمْ ... فَمَا أدرَكُوا غيرَ لَمْحِ البَصَرْ
وَقَدْ نَبَحُوني فَمَا هِجْتُهُمْ ... كَمَا نَبَحَ الكَلْبُ ضَوْءَ القَمَرْ

وقد يقال : إن الشاعر قد يطرق مثل هذه المعاني في باب الفخر ، ويتكثر بما ليس عنده ، وليس في مثل هذا دلالة على أنه يعتد بنفسه . فيقال : إن أبا العلاء ذكر شيئاً من هذه المعاني في غير باب الفخر ، كقوله من قصيدة[٢] (ج ٢ ص ٢٠) :

وَفِيَّ لِمَنْ رَامَ المَعَالِي بَقِيَّةٌ ... وَعِنْدِي إِذَا عَيَّ البَلِيغُ مَقَالُ

٥ ــ اعتداده بشعره : وذلك يتجلى في مثل قوله[٣] (ج ١ ص ٧٢) :

تَذُودُ عُلاكَ شُرَّادَ المَعَاني ... إليَّ فَمَنْ زُهَيْرٌ أوْ زِيَادُ
إِذَا مَا صِدْتُها قَالَتْ رِجَالٌ ... أَلَمْ تَكُنِ الكَوَاكِبُ لاَ تُصَادُ

وقوله (في ج ٢ ص ٨٦) من قصيدة[٤]

تُسَاوِرُ فَحْلَ الشِّعْرِ أوْ لَيْثَ غَابِهِ ... سَفَاهاً وأنتَ النَاقَةُ العُشَرَاءُ

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٤٩ . وفيها « .. وما هجتهم » .
(٢) مطلعها :
هو الهجر حتى مايلم خيال ... وبعض صدود الزائرين وصال
وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٤٦ ، ١٠٦٦ .
(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٢١ ـ ٢ .
(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٩٧ .

وقوله (في ج ١ ص ٨٨) من قصيدة [١] :

وَلَقَدْ غَصَبْتُ اللَّيْلَ أَحْسَنَ شُهْبِهِ   وَنَظَمْتُهَا عِقْداً لِأَحْسَنِ لَابِسِ
وَأَفَدْتُهَا القِدْحَ الْمُعَلَّى فَائِضاً   يَجْرِي وَلَمْ أُقْنَعْ لَهَا بِالنَّافِسِ

وقوله من أبيات [٢] (في ج ١ ص ١٠٩) :

سَنَنْتُ لِأَرْبَابِ القَرِيضِ امْتِدَاحَهُ
كَمَا سَنَّ إِبْرَاهِيمُ حَجَّ مَقَامِهِ

. . . .

وَهَذَا لِأَهْلِ النُّطْقِ شَرْعِي وَمَذْهَبِي
فَمَنْ لَمْ يُطِعْنِي عَقَّ أَمْرَ إِمَامِهِ

وقوله من أبيات [٣] في (ج ١ ص ١١١) :

وَلِيَ مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنْزِلِي
عَلَى أَنَّنِي بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ نَازِلُ

---

(١) مطلعها :

بتنا فريق في سروج ضوامر   منا وآخر في رحال عرامس

وانظر شروح سقط الزند ق ١ ص ١٠٣ ، ١١٢ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥١٧ — ٨ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٢٧ وانظر ماسبق ص ١٠٢٧ .

٦ – تذمره من الحياة وطولها وءافيها : وهذا كثير في شعره منه قوله في (ج ١ ص ٦٦) :

كَأَنِّي حَيْثُ يَنْشَا الدَّجْنُ تَحْتِي   فَمَا أَنَا لاَ أُطَلُّ وَلاَ أُجَادُ[1]

وقوله في (ج ١ ص ٤٣) :

وَعِيشَتِيَ الشَّبَابُ وَلَيْسَ مِنْهَا   صِبَايَ وَلاَ ذَوَائِبِيَ الهِجَانُ[2]

وَكَالنَّارِ الحَيَاةُ فَمِنْ رَمَادٍ   أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانُ

وقوله[3] في (ج ٢ ص ١٧٢) :

وَقَدْ طَالَ فَوْقَ الأَرْضِ كَوْنِي وَشَبَّهَت
ثَغَاماً بِجَوْنِي عَاذِلاَتِي وَعُذَّالِي

. . . .

أُبِلُّ مِنَ الأَمْرَاضِ وَالعِلْمُ وَاقِعٌ   بِعِلَّةِ يَوْمٍ جَانَبَتْ كُلَّ إِبْلاَلِ

. . . .

وَلَمْ تُغْدِرِ الأَيَّامُ بَيْنَ مَفَارِقِي   وَأَرْجَائِهَا كِنّاً لأَدْهَمَ جَوَّالِ

إلى آخر الأبيات .

---

(١) انظر شروح سقط الزند ق ١ ص ٢٨٥ .

(٢) وانظر شروح سقط الزند ق ١ ص ١٧٧ ـ ٨ .

(٣) من قصيدة مطلعها :

أراني وضعت السرد عني وعزني   جوادي ولم ينهض لك الغزو أمثالي

وانظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٥٢ ، ١٨٧٨ ، ١٨٨٠ .

٧ - تذمره من العمى : وهـذا يتجلى في مثل قوله [١] (في ج ٢ ص ٢٤) .

فَلَيْتَ اللَّيَالِي سَامَحَتْنِي بِنَاظِرٍ ... يَرَاكَ وَمَنْ لِي بِالضُّحَى فِي الأَصَائِلِ

فَلَوْ أَنَّ عَيْنِي مَتَّعَتْهَا بِنَظْرَةٍ ... إِلَيْكَ الأَمَانِي مَا حَلَمْتَ بِفَائِلِ

٨ - تذمره من الناس : وهـذا تحته أنواع تتجلى في قوله [٢] في (ج ١ ص ١٢٦) .

فَظُنَّ بِسَائِرِ الإِخْوَانِ شَرّاً ... وَلاَ تَأْمَنْ عَلَى سِرٍّ فُؤَادَا

فَلَوْ خَبَّرْتُهُم الجَوْزَاءُ خُبْرِي ... لَمَا طَلَعَتْ مَخَافَةَ أَنْ تُكَادَا

. . . .

فَأَيَّ النَّاسِ أَجْعَلُهُ صَدِيقاً ... وَأَيَّ الأَرْضِ أَسْلُكُهُ ارْتِيَادَا

وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ لَدَيَّ مَالٌ ... نَفَتْ كَفَّايَ أَكْثَرَهَا انْتِقَادَا

وقوله في (ج ٢ ص ١٧٣) [٣] :

بَنُو الوَقْتِ إِنْ غَرُّوكَ مِنْهُمْ بِحِكْمَةٍ ... فَمَا خَلْفَهَا إِلاَّ غَرَائِزُ جُهَّالِ

---

(١) من قصيدة أولها :

أليس الذي قاد الجياد مغذة ... روافلَ في ثوب من النقع ذائل

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٦٧ ، ١٠٨٤ .

(٢) انظر الشروح : ق ٢ ص ٥٥٩ ، ٥٦٢ .

(٣) انظر الشروح : ق ٤ ص ٩٨٨٠ - ١ .

لِذَاكَ سَجَنْتُ النَّفسَ حَتى أرَحْتُها
مِنَ الإنسِ ما أخلاهُ رَبعٌ بإخلالِ
إذَا مَا حَلَلْتُ الجذبَ فَرْداً بلاَ أذىً
فَسَقْياً لَهُ مِنْ رَوضَــةٍ غيرِ مخلالِ

٩ ـ تذمره من حساده : وهــذا يتجلى في مثل قوله [١] في (ج ١ ص ٨٥) :

تكلّمَ بِالقَوْلِ المضَلَّلِ حاسِدٌ وكلُّ كلامِ الحاسِدِينَ هُرَاءُ

الأبيات ؛ وفي قوله في (ج ١ ص ١١٨)[٢] :

وَكَـمْ مِنْ طالِبٍ أمَدي سَيَلْقَى دُوَيْنَ مَكَانِيَ السَّبْعَ الشِّدَادَا

إلى آخر الأبيات ؛ وفي قوله في (ج ١ ص ١١٠)[٣].

تُعَدُّ ذُنوبي عندَ قومٍ كثيرةً وَلاَ ذَنبَ لِي إلا العُلاَ والفَوَاضِلُ

الى آخر الأبيات ؛ وفى مثل قوله :

فأصبَحتُ مَحسُوداً بِفَضْلِي وَحدَهُ عَلَى بُعْدِ أنصَاري وَقِلَّةِ مالي[٤]

(١) انظر الفروح : ق ١ ص ٣٩٤ .
(٢) انظر الفروح : ق ٢ ص ٥٦٥ .
(٣) المصدر السابق : ص ٥٢٢ .
(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٠٧ .

١٠ – تذمره من النساء وتنفيره منهن : وذلك يتبين في مثل قوله في (ج ١ ص ٧٣ – ٧٤) [١] :

وَتَوَقَّ أَمْرَ الغَانِيَـاتِ فإنَّهُ   أَمْرٌ إِذَا خَالَفْتَهُ لَمْ تَنْدَمِ

. . . .

وَاسْتَزْرِ بالبِيضِ الحِسَانِ وَلاَ يَكُنْ   لَكَ غَيْرُ هِمَّـةِ صَارِمٍ أَوْ لَهْذَمِ

١١ – تذمره من الدنيا ونقمته عليها : وهذا أيضاً كثير في شعره كقوله [٢] في (ج ١ ص ١٩٤) :

عَلَى أمِّ دَفْرٍ غَضْبَةُ اللهِ إنَّهَـا   لأَجْدَرُ أُنْثَى أن تَخُونَ وأنْ تُخْني

الأبيات ؛ وكقوله [٣] في (ج ٢ ص ٢٠٤) :

أَرَى أُمَّ دَفْرٍ أُخْتَ هَجْرٍ وَلا أرَى   لها سالياً ما غَيَّبَتْهُ الرَّوَامِسُ

الأبيات ؛ وقوله [٤] في (ج ٢ ص ٢١٩) .

دُنْيَاكَ تَخْدُو بِالْمُسَا   فِرِ وَالْمُقِيمِ جِمَالَها

---

(١) من قصيدة مطلعها :

أدني الفوارس من يغير لمغنم   فاجعل مغارك للمكارم تكرم

وانظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٢٧ ، ٣٣٠ .

(٢) من قصيدة مطلعها :

تمنت الرضا حتى على ضاحك المزن   فلا جادني إلا عبوس من الدجن

وانظر شروح السقط ق ٢ ص ٩٠٧ ، ٩١٢ .

(٣) من قصيدة مطلعها :

مهرت الفتـاة الأحمسية نـبزة   على أن أقراني غضاب أحامس

وأنظر شروح سقط الزند : ق ٥ ص ١٩٨٧ ، ٢٠١١ .

(٤) وانظر شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٥٩ . وفيها : « فلمْ هويت » .

فَعّـالةٌ غَيرَ الجميـــلِ فَكَمْ هَوِيتَ جمَالَها

إلى آخر الأبيات .

١٢ – الاكثار من الامثال والحكم : وقلّما خلت قصيدة من ذلك ، بل ربما وجد في القصيدة الواحدة عـدد عظيم منهـا ، كما ترى ذلك في قصيدته [١] التي يقول فيها في (ج ١ ص ٣٩) :

وَالنَّجْمُ تَستَصْغِرُ الأَبْصَارُ رُؤْيتَهُ

وَالذَّنبُ للطَّرْفِ لا لِلنَّجْمِ في الصِّغَرِ

وقصيدته [٢] التي يقول فيها في (ج ١ ص ٤٦) :

وَلَوْ طَرِبَ الجَمَادُ لَكَانَ أَوْلَى شُرُوبِ الراحِ بالطَّرَبِ الدِّنَانُ

وَقَد يَنْمِي كَبِيرٌ مِنْ صَغِيرٍ وَيَنْبُتُ مِنْ نَوَى القَسْبِ اللِّيانُ

وقصيدته [٣] التي يقول فيها في (ج ٢ ص ٥) .

لَوْ عَرَفَ الإِنْسَانُ مِقْدارَهُ لَمْ يَفْخَرِ المَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ

وهذه القصيدة يكاد يكون معظمها من هذا النوع .

---

(١) وانظر ما سبق ص ٩٩٨ .

(٢) وانظر ما سبق ص ٩٣٨ .

(٣) مطلعها :

أحسن بالواجـد من وجـده صبر يجد النـار في زنـده

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٠٦ ، ١٠١٦ .

١٣ استخدام المعاني العلمية في الصور الأدبية ، وذكر المصطلحات العلوم المختلفة : كقوله في الفقه في (ج ١ ص ١٦٠) :

فِي مَعْشَرٍ كَجِمَارِ الرَّمْيِ أَجْمَعُهَا
لَيْلاً وَفِي الصُّبْحِ أُلْقِيهَا إِلَى القَاعِ [1]

مع الأبيات التي قبله ؛ وقوله في النحو في (ج ٢ ص ٣٨) :

وَأَهْوِنْ بِهِ فِي رَاحَـةِ أَرْيَحِيَّةٍ
كَآخِرِ مَاضٍ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ الضَّمُّ [2]

وقوله في الصرف في (ج ٢ ص ١٤٦) .

فَلَوْ كَانَ المُثَقَّفُ جُمْلَةَ اسْمٍ أَبَى التَّرْخِيمَ صَارَ حُرُوفَ هَاجٍ [3]

وقوله في العروض في (ج ٢ ص ٣٨) وفي (ج ١ ص ١٢١) .

فَلَوْ كُنْتَ شِعْراً كُنْتَ أَحْسَنَ مُنْشَدٍ
سَلِيمَ القَوَافِي لَا زِحَافٌ وَلَا خَرْمُ [4]

• • •

(١) وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٠ وفيها : « من معشر . . . » .
(٢) من قصيدة مطلعها :
أوالي تنتِ الراح من شنف بها لملك خال للمدامـة أو عم
وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٥٠ ، ١١٥٨ .
(٣) من قصيدة أولها :
ألم يبلغـك فتـكي بالمواضي وسخري بالأسنـة والزجاج
وانظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٦٠ ، ١٧٧٦ .
(٤) وفي شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٥٩ .

بُناةُ الشِّعْرِ مَا أكْفَؤا رَوِيّاً وَلاَ عَرَفُوا الإِجازَةَ والسِّنَادَا[1]

وقوله [2] في الهندسة والعروض في (ج ٢ ص ٨٦) :

وَأَنتَ فِكَاكُ دَائِرَتَيْ قَرِيضٍ وَهَنْدَسَةٍ حَلَلتَ بِهَا الشُّكُولا

وقوله في الطبيعيات في (ج ١ ص ٧٨) :

وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ الغَمَامِ وَإِنَّما
مِنَ البَحْرِ فِيمَا يَزْعُمُ النَّاسُ يَجْتَدِي[3]

وقوله في الموسيقى في (ج ٢ ص ٤٢) :

كَأَنَّ المَثَانِي والمَثَالِثَ بالضُّحَى تَجَاوَبُ فِي غِيدٍ رُفِعْنَ طِوالِ[4]

كَأَنَّ ثَقِيلاً أَوَّلاً تَزْدَهِي بِهِ ضَمَائِرُ قَوْمٍ فِي الخُطُوبِ ثِقَالِ

وقوله [5] في العقائد في (ج ٢ ص ١٢) :

ضَلَّ الذي قَالَ : البِلادُ قَدِيمَةٌ بالطَّبْعِ كَانَتْ والأَنَامُ كَنَبْتِهَا

---

(١) وفي شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٨١ .

(٢) من قصيدة مطلعها :

كفى بشحوب أوجهنا دليلاً على إزماعنا عنك الرحيلا

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٦٩ ، ١٣٩٦ .

(٣) وانظر ما سبق ص ٩٣٩ .

(٤) وفي شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٨٨ .

(٥) من قصيدة مطلعها :

يا راعي الود الذي أنساله تثني بظاهر أمرها عن نعتها

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٢٨ ، ١٠٣٤ ،

وفي (ج ١ ص ١٨٤) :

مَنْ قَالَ إِنَّ ٱلنَّيِّرَاتِ عَوَامِلٌ ... فَبِضِدِّ ذَلِكَ فِي عُلَاكَ يَقُولُ[1]

يَعْمَلْنَ فِيمَا دُونَهُنَّ بِزَعْمِهِ ... وَلَهُنَّ دُونَكَ مَطْلَعٌ وَأُفُولُ

١٤ — التلميح إلى الحوادث التاريخية ، وإلى الرجال الذين لهم تعلق بها :

وهذا كثير في شعره كقوله [2] في (ج ٢ ص ١٢٧) :

إِذَا أَنَا عَالَيْتُ ٱلْقُتُودَ لِرِحْلَةٍ ... فَدُونَ عُلَيَّانَ ٱلْقَتَادَةُ وَٱلْخَرْطُ

وقوله في (ج ٢ ص ١٧١ في الدرع) [3] :

وَخُطِّي لَهَا قَبْراً يَضِلُّونَ دُونَهُ ... كَقَبْرٍ لِمُوسَى ضَلَّهُ آلُ إِسْرَالِ

وَلَا تَدْفِنِيهَا ٱلْجَهْرَ بَلْ دَفْنَ فَاطِمٍ ... وَدَفْنَ ابْنِ أَرْوَى لَمْ يُشَيَّعْ بِإِعْوَالِ

١٥ — تضمين الامثال كقوله [4] في (ج ٢ ص ١١) :

لَا بُدَّ لِلْحَسْنَاءِ مِنْ ذَامٍ وَلَا ... ذَامٌ لِنَفْسِيَ غَيْرَ سَيِّءِ بَخْتِهَا

---

(١) من قصيدة مطلعها :

ليت التحمل عن ذراك حلول ... والسير عن حلب إليك رحيل

وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٦٧ ، ٨٧١ — ٢ .

(٢) من قصيدة مطلعها :

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا ... بظللهم ما ظل ينبته الخط

وانظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٤٦ ، ١٦٨١ .

(٣) انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٧٥ .

(٤) انظر الشروح : ق ٣ ص ١٠٣١ .

١٦ — الاشارة إلى نكتة أو نادرة أو حادثة وقعت في شعر غيره :

كقوله [١] في (ج ٢ ص ١٢١) .

بِنَازِلَةٍ سِقْطَ العَقِيقِ بِمِثْلِهَـا
دَعَا أَدْمُعَ الكِنْدِيِّ فِي الدِّمَنِ السُّقْطُ

يشير إلى قول امرىء القيس :

قِفَا نَبْكِ . . . . بِسِقْطِ اللِّوى . . . . . .

وكقوله في القصيدة نفسها :

شَكَرْتُهُم شُكْرَ الوَلِيدِ بِفَـارِسٍ
رِجَالاً بِحِمْصٍ كَانَ جَدُّهُمُ السِّمْطُ

يشير إلى قول البحتري بيتين يشكر فيها بني السمط وكانوا بحمص .

وكقوله في (ج ٢ ص ١١٥) :

لَيْسَتْ كَـزَعْمِ جَرِيرٍ بَلْ لَهَا مَسَكٌ
يَرْفَضُّ عَنْهُ ذَكِيُّ المِسْكِ مَفْتُوتَا [٢]

هجا جرير أم البعيث بأبيات منها قوله :

تَرَى العَبَسَ الحَوْلِيَّ جَوْناً بِكُوعِها لَهَا مَسَكاً مِنْ غَيْرِ عَاجٍ وَلاَ ذَبْلِ [٣]

---

(١) وفي شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٤٨ ، ١٦٩٤ .

(٢) وفي شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦١٣ وفيها : « يرفض عنها » .

(٣) ديوانه ط . الصاوي ص ٤٦٣ .

وأبو العلاء قال إن النساء اللاتي ذكرهن في قوله السابق لها مَسْكٌ ينتشر منه المسك، وليس لها عَبَسٌ حوليّ كما زعمه جرير في أم البعيث.

وقوله في القصيدة نفسها :

ذَمَّ الوليدُ ولم أذمُمْ جوارَكُمُ　　فقال: ما أنصَفَتْ بغدادُ حوشيّتا[1]

يشير إلى قول البحتري :

ما أنصَفَتْ بغدادُ حين توحّشتْ　　لنزيلها وهي المحلُّ الآنِسُ[2]

ما يستنتج من السقط ومقدمته

فاذا تدبرنا ما أشرنا اليه في الكلام على مقدمة (السقط) أولا ، ثم ما ذكرناه في الكلام على السقط ثانياً ، وأضفنا إلى ذلك ما ألمعنا إليه في الكلام على أسلوبه فيه ، وفي ترجمته ، تبين لنا من مجموع ذلك أن أبا العلاء عميَ صغيرا ، وحالفَه السقمُ شابًا وكهلا وشيخاً ، كما حالفه الفقر والإقلال ؛ وأنه فقد أباه ثم أمه ، وفقد بذلك من يقوم بأمره ويحدب عليه ؛ وأنه كان محسوداً كثير الأعداء . وكان على الرغم من تألب الدنيا وأعدائه وحساده عليه ، عفيفاً طاهر اليد والذيل واللسان ، صبوراً على نكباتْ الدهر ؛

وأنه كان عالماً نحريراً جامعاً لعلوم مختلفة قادراً على تذليل كل أبيٍ منها ، وتسخيره لاستخدام مسائلها في الأغراض الشعرية . وكان شاعراً مفلقاً ، واسع الخيال ، طويل الباع في الاختراع ، كثير الحكم ، كثير التواضع . وكان شديد الاعتداد بنفسه وبشعره ، كثير الوثوق بعلمه وحفظه

---

(١) الفروح : ق ٤ ص ١٦٤١ .

(٢) البيت من قصيدة يخاطب البحتري فيها علي بن يحيى المنجم ، وهي في ديوانه ط . بيروت ص ٣٨١ .

وعقله ، جريئاً لا يخشى في الحق لومة لائم . وهو يصور لنا إكبار الناس في عهده للعلم والعلماء ، وتقديرهم للشعر والشعراء ؛ كما يصور لنا شعره أوضاع الناس ومواضعاتهم في البدو والحضر ، وفي السلم والحروب ، وما كان لديهم من عتاد وأثاث ورياش ولباس وحلي . وفي وسع الباحث أن يستخرج من كلامه صورة كاملة عن حيـاة الأمة الاجتماعية والخلقية والاقتصادية ، وحياتها العقلية .

ويستطيع بعد ذلك أن يقول : إن أبا العلاء أمّة مستقلة ، وإن شعره يمثل حياته العملية .

وإن ما ذكرناه من خصـائصه النفسية والأدبية يتجلى في ديوانه (سقط الزند) .

التقلب في شعره وما أخذه من غيره

كانت دائرة الشعر في العصر الجاهلي ضيقة الأطراف ، قليلة التنوع ، لأن الشاعر يقتبس معانيه من حياته العملية والعقلية ، ويقتنص بعض أخيلته من مشاهد الطبيعة ، وما يكتنفه في بيئتـه ؛ ويستمد من وحي إلهامه بقدر ما لديه من العوامل التي تثير قريحته . وقد كان هذا كله في ذلك العصر قريباً بعضه من بعض ؛ وكانت للشعراء في ذلك العصر سنن متبعة يقتفي المتأخر منهم أثرَ المتقدم فيها ؛ وكانت لهم آداب لا بد من رعايتها ، وأغراض محدودة لا يتعدونها ، ولذلك يرى المتأمل كثيراً من الشعر يشبه بعضه بعضاً في باب الغزل ، والوصف ، والمدح ، والرثاء ، ونحوها . وربما اضطر شاعر إلى أن يأخذ معنىً من شاعر آخر ؛ وربما أخذ اللفظ كله أو بعضه . وإنمـا يقع التفاوت بين شاعر وآخر بجمال التأليف ، وطلاوة التركيب ، وما يحدث في المعنى من زيادة أو اختصار ، أو إيضاح أو صور خيالية .

ثم لما جاء الإسلام اتسعت آفاق الشعر بما أدخله الدين عليه ، وبما اقتضته السياسة والفتح من احداث النظم الشرعية ، والمدنية ، وبما تجدد وتعدد من مشاهد الطبيعة والحضارة التي رآها العرب بسبب الفتح .

ولما جاء العصر العباسي ازدادت آفاق الشعر اتساعاً ، وأضاف إليها العباسيون ما عند الأمم ذوات الحضارة من علم ، وأدب ، وحكمة . فبلغ الشعر مبلغاً لم يبلغه من قبل ؛ وتعددت أغراضه ونواحيه ، وكثر الشعراء وألموا بكل شيء كان في ذلك العصر ، حتى يخيل إلى الإنسان أن ما من كائن في ذلك العهد إلا وللشعراء فيه قول .

وربما اتفق شاعران فأكثر في المعنى ، أو في اللفظ ، أو فيهما معاً ، أو في بعض من أحدهما أو كليهما . وهذا الاتفاق قد يقع بين شاعرين في عصر واحد ، أو عصرين مختلفين ؛ وتحت هـذا أنواع مختلفة وصور متعددة ؛ لأن الشاعرين إما أن يلتقيا أوْ لا ، وإما أن يسمع كل منهما شعر الآخر أوْلا ...

ولذلك قسم العلماء هذه الأحوال ، وجعلوا لكل قسم اسماً خاصاً ، واستيفاء هذه الأقسام يعوز إلى إطالة ليس محلها هنا . وقد ذكر صاحب (العمدة ج ٢ ص ٢١٥) جملة منها ؛ وليس غرضنا أن نبين هنا الصحيح المقبول منها وغيره ، ولا أن نستدرك عليه ما فاته منها ؛ وإنما غرضنا أن نبين أن بعض الشعراء يستمد من بعض منذ القديم ، فقد قال امرؤ القيس في وصف الجسم بالنعومة والنضاضة :

مِنَ القاصِراتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ
مِنَ الذَرِّ فَوْقَ الأُتْبِ منها لأثّرا[1]

---

(١) ديوانه ص ٩٦ ط (بيروت) .

فجاء حسّان بعده وقال :

لَوْ يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَرْ ... رِ عَلَيْها لأَنْدَبَتْها الكُلُومُ [١]

ثم جاء بعده عمر بن أبي ربيعة فقال :

لَوْ دَبَّ ذَرٌّ فَوْقَ ضَاحِي جِلْدِهَا ... لأَبَانَ مِنْ آثَارِهِنَّ حُدُورَا

فهؤلاء من عصور مختلفة . وقال امرؤ القيس :

وُقوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لاَ تَهْلِكْ أَسىً وَتَجَمَّلِ [٢]

وقال طرفة :

وُقوفاً بِها صَحْبِي عليَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لا تَهْلِكْ أَسىً وَتَجَلَّدِ [٣]

فهذان شاعران في عصر واحد وقد أخذ الثاني المعنى واللفظ إلا كلمة واحدة .

وقال النابغة الذبياني :

فَمَا الفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ ... تَرْمِي أَوَاذِيُّهُ العِبْرَيْنِ بالزَّبَدِ [٤]

. . . .

يَوماً بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ ... وَلاَ يَحُولُ عَطَاءُ اليَوْمِ دُونَ غَدِ

---

(١) ديوانه ص ٣٧٧ ط . البرقوقي ، القاهرة .

(٢) ديوانه ص ٣١. ط (بيروت) .

(٣) المعلقات العشر ، ص ٦٩ .

(٤) المعلقات العشر ، ص ١٥١ .

أخذه الأخطل فقال :

وَمَا الفُرَاتَ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِبُهُ ... فِي حَافَتَيْهِ وفي أوْسَاطِهِ العُشَرُ

يَوماً بأجودَ مِنهُ حِينَ تَسْأَلُهُ ... وَلاَ بِأجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهَرُ

وهذان شاعران في عصرين وقد أخذ أحدهما من المعنى واللفظ .

وقال أبو تمام :

لوْ سَعَتْ بُقعَةٌ لإِعْظَامِ نُعْمَى ... لَسَعَى نَحوَهَا المكانُ الجَدِيبُ[1]

وقال البحتري :

فَلوَ أنَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ فَوقَ مَا ... فِي وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ المِنْبَرُ[2]

وهذان شاعران من عصر واحد وقد أدرك أحدهما الآخر ؛ إلى غير ذلك من الأمثال .

ومما ذكرناه يتبين أن الشاعر قد يأخذ بعض اللفظ أو أكثره مع المعنى كله أو بعضه ، سواء كان الشاعران في عصر أم عصرين ، وسواء التقى الشاعران أم لمْ يلتقيا . وقد قيل لأبي عمرو بن العلاء : أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ، ويتواردان في اللفظ ، لم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره ؟ فقال : تلك عقول رجال توافت على ألسنتها . وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال : الشعر جادّة ، وربما وقع الحافر على الحافر .

---

(١) ديوانه ص ٥٧ طبعة الخياط ، بيروت .

(٢) ديوانه ص ١٨ طبعة بيروت .

انواع الاخذ :

قال بعض المتأخرين : من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً ؛ فإن غير بعض اللفظ كان سالخاً ، فإن غيّر بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه . ولابن رشيق كلام حسن في هذا الباب ، حيث يقول في (العمدة ج ٢ ص ٢٢٣) : « والمخترع معروف له فضله ، متروك له من درجته ؛ غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده ، بأن يختصره إن كان طويلا ، أو يبسطه إن كان كزّاً ، أو يبينه إن كان غامضاً ، أو يختار له حسن الكلام إن كان سفسافا ، أو رشيق الوزن إن كان جافياً ؛ فهو اولى به من مبتدعه ، وكذلك إن قلبَه أو صرفه عن وجه الى وجه آخر . فأما إن ساوى المبتدع فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها ؛ فإن قصّر كان ذلك دليلاً على سوء طبعه ، وسقوط همته ، وضعف قدرته » .

هذه لمحة موجزة من أقوال العلماء في السرقة أو الاغارة على اللفظ أو المعنى كلاً أو بعضاً . وأما أهل البديع فقد ذكروا نوعاً سموه الإيداع أو التضمين ؛ وهو أن يودع الشاعر شعره بيتاً من شعر غيره ، أو نصف بيت ، أو ربع بيت ، بعد أن يوطىء له توطئة تناسبه بروابط متلائمة ، بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له .

اخذ ابي العلاء من غيره :

وقد وقع في كلام قوم أن أبا العلاء كان يأخذ من معاني المتنبي . وكان يقلّده في شعره . ولم أرَ مَن بسط ذلك وأوضحه أو أورد له مثالا يبينه . وأنا أذكر طرفا من ذلك إيضاحاً للحقيقة فأقول : إن

أبا العلاء أخذ من أقوال غيره من الشعراء ، لأغراض أرادها ؛ وهو تارة يصرح باسم الشاعر كقوله :

مَنْ قَالَ : صَادِقْ لِئَامَ النَّاسِ قُلْتُ لَهُ
قَوْلَ ابنِ أَسْلَتَ قَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي [١]

فقوله : « قد أبلغت . . . » من قول أبي قيس بن الأسلت :

قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيلِ الخَنَا مَهْلاً فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي

وقوله السابق :

وَقَالَ الوَلِيدُ النَّبْعُ لَيْسَ بِمُثْمِرٍ [٢]

فإنه من قول البحتري :

والنَّبْعُ عُرْيَانٌ مَا فِي عُودِهِ ثَمَرُ [٣]

وليس هذا من التضمين ولا السرقة ، لأنه ذكر قائله . وأحياناً لا يصرح باسم الشاعر بل يكني عنه كقوله :

وَهَلْ فَاتَ الحُتُوفَ أَخُو هُذَيْلٍ كَأَنَّ مُلاءَ تَيْهٍ عَلَى هِجَفٍّ [٤]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٨ . وفيها : ابن الاسلت ، بتخفيف همزة الأسلت .
(٢) تمامه : . . . . وأخطأ ، سرب الوحش من ثمر النبع
انظر ما سبق ص ١٠١١ .
(٣) صدر البيت : وعيرتني خلال العدم آونة . . . .
انظر ما سبق ص ١٠١١ الحاشية ٢ .
(٤) اللزوميات هـ ص ٢٩٤ .

الهيجَفُ : الظليم . وأخو هذيل : هو الأعلم حبيب بن عبد الله الهذلي ؛ قال من قصيدة :

كَأَنَّ مُلاءَتَيَّ عَلَى هِجَفٍّ يَعُنُّ مَعَ العَشِيَّةِ لِلرِّئالِ

وأحياناً لا يصرح ولا يكني كقوله :

كَأَنَّ الصَّبَا أَلْقَتْ إِليَّ عِنَانَها تَخُبُّ بِسَرْجِي مَرَّةً وَتُنَاقِلُ [١]

والشطر الأخير من قول النابغة الذبياني :

فَسَلَّيْتُ مَا عِنْدِي بِرَوْحَةِ عِرْمِسٍ تَخُبُّ بِرَحْلِي تَارَةً وَتُنَاقِلُ [٢]

وفيه تغيير الرحل بالسرج ، وتارة بمرة . وهذا نادر جداً في شعره .

ومن أنعم النظر في أشعار أبي العلاء اتضح له أن الرجل غاب عليه أسلوب الجاهليين والإسلام في بعض أغراض الشعر ، كالمدح والفخر ونحوهما ؛ فهو يطبع على غرار شعرائها في هذه الأغراض ؛ ولذلك نراه في قصائد المدح يصف الوادي ، والخرق ، والفرس ، والسيف ، والدرع ، والوحش ، والناقة ، وما شاكل ذلك ؛ حتى يخيل إليك أن صاحب هذا الشعر أعرابي عريق في أعرابيته : في ألفاظه وفي مناحي كلامه وأسلوبه . ولا شك أن سبب ذلك كثرة ما يحفظه من كلام أهل العصرين . فانظر إلى قصيدته التي أجاب بها أبا القاسم [علي بن] الحسن[٣] بن جَلَبَات التنوخي المعري ، فإنك

---

(١) الشروح : ق ٢ ص ٥٤١ ، من القصيدة اللامية المشهورة التي مطلعها :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل

(٢) مختار الشعر الجاهلي — مصطفى السقا — ج ١ ص ١٩٥ .

(٣) انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٤٧٣ ؛ ومطلع هذه القصيدة :

يرومك والجوزاء دون مرامه عدو يعيب البدر عند تمامه

تجد فيها الأثل ، والثمام ، والحمام ، والعقبان ، والخيل ، والضواري ، والبهام ، والوعول ، والضرغام ، والقرن ، والسيف ، والسهام ، والرماح ، والهجين ، والعيس ، والنعام ، والمهارى ، والحوار ، والصدى ، والهام ، والغدير ، والغلفق ، والحباحب ، والأطناب ، والتنوفة ، والضب ، والشادن ، و . . . وكذلك قصيدته الدالية [١] التي قالها في الفخر ، فقد ذكر فيها العنقاء ، والصيد ، والخيل ، والمطايا والركاب ، والبداد ، والفوارس ، والأسد ، والنقاد ، والذئب ، والمغار ، والطراد ، والغزو ، والعوالي ، والعهاد ، والترس ، والقتاد ، والمزاد ، والعصام ، والوَضين ، والروابي ، والوهاد ، ونحو ذلك . ولم يكن بصيراً يدرك هذه الأشياء ثم يأخذ معانيه مما يراه فيها من أشكال وخصائص ، ولا كان أعرابياً كثير الممارسة لها والاتصال بها ؛ وإنما أكثر من حفظ كلام القوم ، وفهمه حق الفهم ، فانطبعت في مخيلته هذه الأشياء ، واستطاع أن يتصرف بها في كلامه من تصوير ، ووصف ، وإرسال مثل ، وغير ذلك تصرُّفَ المبصر لها ، العالم بكل مالها وعليها ؛ وربما زاد على المبصرين بما أورده من الأخيلة الدقيقة والصور البديعة والتشابيه الرائعة ، كقوله في مرثية [٢] أمه يصف أسداً :

بَدَا فَدَعَا الفَرَاشَ بِنَاظِرَيْهِ   كَمَا تَدْعُوهُ مُوقِدَتَا ظَلاَمِ
بِنَارَيْ قَادِحَيْنِ قَدِ اسْتَظَلاَّ   إِلَى صَرْحَيْنِ أَوْ قَدَحَيْ مُدَامِ [٣]

---

(١) ومطلعها :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا   فعاند من تطيق له عنادا

انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٥٣ – ٦٠١ .

(٢) مطلعها :

سمعت نعيها صمي صمام   وإن قال العواذل لا همام

انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٤٥٣ ، ١٤٧٦ .

(٣) في الشروح : « ندام. »

كَأَنَّ اللَّحْظَ يَصْدُرُ عَنْ سُهَيْلٍ وآخَرَ مِثْلِهِ ذَاكِي الضِّرَامِ

. . . .

وَقَدْ وَطِيءَ الحَصَى بِبَنِي بُدُورٍ صِغَارٍ مَا قَرُبْنَ مِنَ التَّمَامِ

اُحْتَذِيَ الأَهِلَّةِ غَيْرَ زَهْوٍ سَلَبْتَ مِنَ الشُّهُورِ[١] حُلِيَّ عَامِ

وكان أبو الطيب كثير الإلمام بوصف الحروب ، وما تحتاج اليه من خيل وعتاد ، وما شاكل ذلك . وقد كان يصف الأمكنة التي تقع الحرب فيها أو في طريقها ، وما فيها من حيوان ونبات وماء ونحو هذا ، وربما تصدى أبو العلاء في شعره إلى شيء من هذا ؛ فجاءت بعض الصور في كلامه مشابهة لما في كلام المتنبي . وليس هذا من التقليد ، وإنما كانت صور الحروب وما يتعلق بها في ذلك العهد محدودة متقاربة ، فظن بعض الكتاب أن أبا العلاء يحتذي على مثال المتنبي ، أو يأخذ منه في ذلك أو في غيره ، وهذا وهم ، لأن المتنبي والمعري يجريان في مناهج الشعر مجرى المتقدمين ، وإن كانا يخالفانهم في دقة التصوير ، وروعة الخيال ، ولطف الأسلوب ، وتزيينه بالحكمة ، وهذه أمثلة مما تلاقى فيه المعري والمتنبي من الأغراض واختلفا فيه ، بما يجعلها كأنهما لم يتلاقيا . وصف المتنبي الغبار الذي تثيره حوافر الخيل ببيت بديع على ما فيه من الغلو فقال :

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَراً لَوْ تَبْتَغِي عَنَقاً عَلَيْهِ لَأَمْكَنَا[٢]

ووصفه أبو العلاء فقال :

وَبَنَتْ حَوَافِرُهَا قَتَاماً سَاطِعاً لَوْلاَ انْقِيادُ عِدَاكَ لَمْ يَتَهَدَّمِ

---

(١) في الشروح : « .. من الحلي شهور عام » .

(٢) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج ١ ص ١٥٥

إلى آخر الأبيات الثلاثة[١] ، فكلاهما وصف الغبار ، ولكن المتنبي بالغ في كثافته وبقائه ، حتى لو أرادت الخيل السير السريع فوقه لاستطاعت ذلك . وأبو العلاء بالغ في كثافته وبقائه حتى باضت فيه النسور وفرخت ، وبالغ في ارتفاعه حتى بلغ السحاب ، وخالط ماءه فكدره ، وقد وافق المتنبي في شيء وزاد عليه في غيره ، مع اختلاف الصورة والجهة .

ووصف المتنبي الخيل بحدة السمع فقال :

وَتَنْصِبُ للجَرْسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعاً يَخَلْنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيَا[٢]

ووصفها أبو العلاء بذلك فقال في فرس :

يُحِسُّ إذَا الخَيَالُ سَرَى إلَيْنَا فَيَمْنَعُ مِنْ تَعَهُّدِنَا الخَيَالاَ[٣]

وقال في ذلك أيضاً :

كَأَنَّ أُذْنَيهِ أَعْطَتْ قَلْبَهُ خَبَراً عَنِ السَّماءِ بِمَا يَلْقَى مِنَ الغِيَرِ[٤]

يُحِسُّ وَطْءَ الرَّزَايَا وَهْيَ نَازِلَةٌ فَيُنْهِبُ الجَرْيَ نَفْسَ الحَادِثِ المُكِرِ

ووصف المعري أعلى وأروع وأحلى .

---

(١) تمامها :

باض النسور به وخيم مصعداً حتى ترعرع فيه فرخ القشعم

وسما الى حوض الغمام فاؤه كدر بمنهال الغبار الأقتم

شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٤٧ .

(٢) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج ٢ ص ٤٧٣ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٧٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١٤٦ — ٧ .

ووصف أبو الطيب الخيل في أعالي الجبال فقال :

تَدُوسُ بِكَ الخَيلُ الوُكُورَ عَلى الذُّرَا
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الوُكُورِ المَطَاعِمُ[١]

إلى آخر الأبيات . وتصدى أبو العلاء إلى ذلك فقال :

فَوَطِئْنَ أَوْكَارَ الأَنُوقِ وَرُوِّعَتْ   مِنْهَا وَبَاتَ المُهْرُ ضَيفَ الهَيْثَمِ[٢]

الأبيات . . فكلاهما رقى الخيل إلى أعالي الجبال ، حتى وطئت الوكور ، وأبو الطيب أجاد حيث جعل الفراخ تظن الخيل أمهاتها ، وزاد على الإجادة في تمشيتها على بطونها كالأراقم . وأبو العلاء أجاد حين جعلها تهوي على الجبال مع الطيور كأنما تسقط بمظلة ، وجعل المهر ضيفاً للهيثم ، وجعل العقاب تضعف عن الطيران من ووعتها .

وقال أبو الطيب :

أَتَى الزَّمانَ بَنُوهُ فِي شَبِيبَتِهِ   فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى هَرَمِ[٣]

وقال المعري :

تَمَتَّـــعَ أَبْكَارُ الزَّمـــانِ بِأَيْدِهِ
وَجِئْنَا بِوَهْنٍ بَعْدَمَا خَرِفَ الدَّهْرُ[٤]

---

(١) العرف الطيب ج ٢ ص ٤٠٥ ومطلع القصيدة :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٣٥ .

(٣) العرف الطيب : ج ٢ ص ٥٤١ ومطلع القصيدة :

حتام نحن نساري النجم في الظلم   وما سراه على خف ولا قدم

(٤) اللزوميات هـ ص ١١٨ .

وهو أوفى من معنى بيت المتنبي ، وأقوم أسلوباً ، وأغنى عن التقدير .

وقال المتنبي :

رَقّتْ مَضَارِبُهُ فَهُنّ كَأنّما يُبْدِينَ مِنْ عِشْقِ الرّجالِ نُحولا (١)

وقال المعري :

فَإِنْ عَشِقَتْ صَوارِمُكَ الهَوادي فَمَا عَدِمَتْ بِمَنْ تَهْوَى اتّصالا (٢)

وبيت المعري أحسن لأن المتنبي لم يذكر أنها بلغت من معشوقها بغية ، بل جعلها كأنها تبدي النحول من العشق .

وقال المتنبي :

وَمَنْ يُنْفِقِ السّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالّذي فَعَلَ الفَقْرُ (٣)

وقال أبو العلاء :

إِذَا زَادَكَ المَالُ افتِقَاراً وَحَاجَةً إِلى جَامِعِيهِ فَالثّراءُ هُوَ الفَقْرُ (٤)

وليس هذا البيت مطابقاً لبيت المتنبي من كل وجه .

وتعرض أبو الطيب الى مذاهب القوم في الروح والجسم في مثل قوله :

فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ المَرْءِ سَالِمَةً

وَقِيلَ تَشْرَكُ جِسمَ المَرْءِ في العَطَبِ (٥)

---

(١) العرف الطيب : ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٩٥ .

(٣) العرف الطيب : ج ١ ص ١٩٦ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ١١٩ .

(٥) العرف الطيب : ج ٢ ص ٤٦٥ .

وقوله :

فَهَـذِهِ الأَرْوَاحُ مِنْ جَوِّهِ وَهَذِهِ الأَجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ[١]

ولكن كل ماوقع في كلامه من هذا النوع لايدل على أنه درس هذا الموضوع درساً كافياً ، ولا على أنه اتخذ لنفسه فيه طريقة خاصة . وأبو العلاء طويل الباع في الاطلاع على المذاهب المتعددة في هذا الغرض ، وله فيه آراء سنذكرها فيما بعد .

ولو أردنا أن نستوفي ماتلاقى فيه الشاعران من الصور اللفظية ، والأغراض ، والشك في بعض الأمور ، والاستخفاف ببعض آخر ، ونحو ذلك لطال القول . ولكننا نكتفي بهذا القدر لنبين به أن المعري لم يأخذ من المتنبي ولم يقلده ؛ وإنما توافق هو وإياه في بعض الأشياء ، كما توافق المتنبي وغيره في بعضها ، وكما توافق غيرهما من الشعراء . فإن المعنى الواحد قد يلم به جماعة من الشعراء في عصور مختلفة ؛ مثال ذلك وصف الطير التي تتبع الغزاة ، فقد قال فيها الأفوه الأودي ولعله أول من سبق إلى هذا المعنى :

وَتَرَى الطيرَ عَلَى آثَارِنَا رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ[٢]

ثم قال النابغة أبياته التي يقول فيها :

إِذَا مَا غَزَوْا بالجَيْشِ حلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ[٣]

---

(١) المصدر السابق : ج ٢ ص ٦٠٩ .

(٢) انظر ديوان الأفوه الأودي في نافعة (الطرائف الأدبية) — ص ١٣ — التي نشرها الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوني في القاهرة سنة ١٩٣٧ .

(٣) مختار الشعر الجاهلي — مصطفى السقا : ج ١ ص ١٦٠ وفيه :
« إذا ما غزوا في الجيش ... »

ثم قال حميد بن ثور :

إِذَا مَا غَدَا يَوْماً رَأَيْتَ غَمَامَةً ... مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الذي هُوَ صَانِعُ

ثم قال الكميت :

وَقَدْ سَتَرَتْ أَسِنَّتَه الْمَوَاضِي ... حُدَيٌّ الجوِّ والرَّخَمُ السِّغَابُ

حدي : تصغير الحدر ، لغة في الحدأ جمع حِدَأة : طائر من الجوارح .

ثم قال أبو نواس :

تَتَأَيَّا الطَّيْرُ غَزْوَتَهُ ... ثِقَةً بالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ

تحتَ ظِلِّ الرُّمْحِ تَتْبَعُهُ ... فَهيَ تَتْلُوهُ عَلَى أَثَرِهْ

ثم قال أبو تمام :

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبَانُ رَايَاتِه ضُحىً ... بِعِقْبَانِ طَيْرٍ في الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ [١]

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا ... مِنَ الجَيْشِ إِلاَّ أَنها لَمْ تُقَاتِلِ

ثم قال المتنبي في جيش :

تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهْيَ ضَعِيفَةٌ ... تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ القَشَاعِمِ [٢]

إِذَا ضوءُها لاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً ... تَدَوَّرَ فَوْقَ البَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ

---

(١) ديوانه ط بيروت ، ص ٢٤٨ ، وفيه : أعلامه بدل راياته .

(٢) العرف الطيب : ج ١ ص ٢٢٠ والبيت من قصيدة مطلعها :

أنا لائمي إن كنت وقت اللوائم ... علمت بما بي بين تلك المعالم

وقال :

سَحَابٌ مِنَ العِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهُ
سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَى سَقَتْهَا صَوَارِمُهْ[١]

ثم قال أبو العلاء :

كَأَنَّ الأُنوقَ الخُرسَ فَوقَ غُبارِهِ طَوَالِعُ شَيْبٍ فِي مَفَارِقِ أَسْوَدِ[٢]

وكثير من الشعراء غير من ذكرناه ذكر هذه الطير في شعره كمروان ابن أبي الجنوب ، ومسلم بن الوليد ، وبكر بن النطاح ، وابن شهيد ، وغيرهم ، وقد اقتصرنا على هذا القدر خشية الإطالة . وأنت ترى كل متأخر منهم قد يوافق من قبله في شيء ، وقد يخالفه ؛ وليس هذا من التقليد في شيء ، لأن المعاني — كما قال الجاحظ — مطروحة في الطريق ، فيحق لكل أحد أن يلم بها ، وإنما يتفاوت هؤلاء الشعراء بالزيادة ، والايجاز ، والسهولة ، والبسط ، وحسن التأليف ، وما يقع في كلامهم من النكت الرائعة ، والأخيلة الجميلة ، والصور البديعة .

وعلى هذا يمكن أن يحمل ما وقع في كلام أبي العلاء مما توهمه بعض الأدباء أنه قلد المتنبي فيه .

ومن مجموع ما ذكرنا يتبين أن المعري لم يقلد المتنبي ولا غيره ؛ وإنما تأثر بأسلوب الجاهليين والإسلاميين ، وشاركهم في صور الشعر ومعانيه وأخيلته الضيقة ، وزاد عليهم بما ذكرناه ، وبما نذكره في أسلوبه وأخيلته .

---

(١) العرف الطيب : ج ٢ ص ٢٦٥ وفيه : تحتها ، بدل : تحته ، و : استسقت ، بدل : استسقى .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٦٤ .

الأغراض التي يشتمل عليها سقط الزند

درج أبو العلاء في (سقط الزند) على الطريقة التي درج عليها شعراء عصره ، وشعراء العصور المتقدمة عليه . فنظم في الغزل ، والمدح ، والتهنئة ، والاستعطاف ، والرثاء ، والفخر ، والهجاء ، والوصف ، وما شاكل ذلك من الأغراض المستفيضة في العصور المذكورة :

الغزل :

افتتح كثيراً من قصائده بالغزل ، ولم يلتزم فيه طريقة واحدة ، فتارة ابتدأها[1] بمخاطبة البرق الساهر ، وطلب إليه أن يوقظ السمُر الراقد ليعينه على السهر ، وأن يسقي « بني مطر » ثم خاطب المحبوبة بقوله :

وَيَا أَسِيرَةَ حِجْلَيْها أرَى سَفَهاً ‌‌ ‌ ‌ حَمْلَ الْحُلِيِّ لِمَنْ أَعْيَا عَنِ النَّظَرِ

وذكر أن طيفها لا يفارقه ، وأنه يتمنى أن يدوم معه ، وأنّ بقر الوحش والظباء يطلبان منها حسن الدلّ والحور ، فلم تسمح لهما بشيء منها ، وإنما سمحت لهما بالدّرّ حتى لم تدع من الظباء والبقر خالياً مِنَ الحَلْي ، وأن المحبوبة حسّنت بيت الشّعر الذي تقيم فيه ، وبيت الشعر الذي توصف به لفرط حسنها وخفرها .

وتارة ذكر أن منزل أحبابه منزل ملوك ، لأن عندهم خيلاً تصهل ،

---

(١) يشير إلى قصيدته الرائية ومطلعها :

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر ‌ ‌ لعل بالجزع أعواناً على السهر

انظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ١١٤ وفيها : بمن أعيا ، بدل : لمن أعيا .

وقيانا تغني كأنما تجيب الخيل . ثم ذكر أن تلك المنازل كبروج القمر في مناعتها ، وأن النساء اللاتي تقيم فيهن ، تمكن حبهن من كل قلب . ثم انتقل إلى ذم الحياة ووصف الركاب . وتارة أخرى ذكر سنوح الغراب وهكذا .

وقد علمنا أن أبا العلاء كان يحذف بعض الأبيات من قصائده ، ولا نعلم له قصيدة مستقلة بالغزل ، وإنما له أبيات أولها :

أَسَالَتْ أَتِيَّ الدَّمْعِ فَوْقَ أَسِيلِ   وَمَالَتْ لِظِلٍّ بِالعِرَاقِ ظَلِيلِ (١)

وأبيات أجاز بها بيتاً وأولها :

مَا يَوْمُ وَصْلِكِ وَهُوَ أَقْصَرُ مِنْ   نَفَسٍ بِأَطْوَلِ عِيشَةٍ غَالِ (٢)

وأبيات أولها :

إِنْ كُنْتَ مُدَّعِياً مَوَدَّةَ زَيْنَبٍ   فَاسْكُبْ دُمُوعَكَ يَا غَمَامُ وَنَسْكُبِ (٣)

وأبيات أولها :

تَوَقَّتْكَ سِرّاً وَزَارَتْ جِهَاراً   وَهَلْ تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلاَّ نَهَارَا (٤)

وأبيات قالها على لسان امرأة توصي بها ابنها بلبس الدرع وترك الزواج ، تقول فيها :

كَأَنَّ رُضَابَهَا مِسْكٌ شَنِينٌ   عَلَى رَاحٍ تُخَالِطُ مَاءَ شَنَّهْ (٥)

. . . .

---

(١) الشروح : ق ٣ ص ١٠٤٠ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٨٤ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٢٤ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٣٧ .

(٥) من قصيدة مطلعها :

عليك السابغات فإنهنه   يدافعن الصوارم والأسنه

شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٤١ ، ٢٠٤٥ .

إِذَا قَبَّلْتَهَا قَابَلْتَ مِنْهَـــا أَرِيجَ النَّوْرِ فِي زُهْرٍ مُغِنَّهْ

وفي أبياته وقصائده التي في (السقط) يجد المتأمل أسلوباً لطيفاً ، ومحاورة خلابة ، ومعاني شريفة ، وديباجة عليها طلاوة وحلاوة ؛ ولكنه لا يجد عليها مسحة من الحب الصادق ، واللوعة المتــأججة . وهذا أمر طبيعي لأن أبا العلاء لا يحب المرأة ، لأنها سبب النسل ومستودعه ومزدرعه . ويزهد فيها لأنه زهد في كل متعة من متع الحياة ، وهي أحبها للنفوس . ومن كان شأنه كذلك لا يحبها حباً خالصاً ، ولا يشتاف اليهـــا ، ولا يحزن لفراقها . وأبو العلاء قصير النفس في الغزل فإن في قصيدته :

مِنكِ الصُّدودُ وَمِنّي بِالصُّدُودِ رِضَى (١)

بيتين من الغزل . وفي قصيدته :

يـا سَاهِرَ ٱلْبَرْقِ أَيْقِظْ رَاقِدَ السَّمُرِ (٢)

نحو خمسة عشر بيتــاً في الغزل ، منهــا خمسة في وصف ما منحته المحبوبة من الحُلِيّ والزينة لبقر الوحش ، وبيت يتعلق بالناقة ، وبيتان يخــاطب بها البرق . وفي هذه الأبيات معان بديعة ، وحكم رائعة ، وإيجـــاز معجز ؛ ولكن عاطفة الحب فيها متكلفة ، على قلتها .

المدح

مدح أبو العلاء الملوك ، والأمراء ، والعلماء ، والشعراء ، والكبراء ، وغيرهم ؛ ولم يكن طالباً لثواب في مدحه ، وإنما كان ذلك على معنى

---

(١) تمامه : من ذا عليّ بهذا في هواك قضى .
شروح السقط ق ٢ ص ٦٥٤ .

(٢) عجزه : لعل بالجزع أعوانا على السهر . انظر ما سبق ص ١٠٥٦ .

الرياضة وامتحان الطبيعة ، كما صرح بذلك في مقدمة (سقط الزند) .

ويمكن أن ينقسم مدحه الى قسمين ، **أحدهما** : المدح الذي لم يكن جوابا .

والثاني : ما كان جوابا لأحد من العلماء . أو الشعراء الذين ابتدأوه بالمدح .

أما الاول : فمنه القصائد التي مدح بها الملوك والأمراء والعلماء كالقصيدة التي مدح بها سعيد الدولة ومطلعها :

مَعَانٌ مِنْ أحِبّتِنَـا مَعانُ تُجيبُ الصّاهلاتِ بِهِ القِيانُ [1]

والتي مدح بها أبا الرضى عبد الله النصيبي ومطلعها :

يا ساهِرَ البَرْقِ أيقِظْ راقِدَ السَّمُرِ لَعَلّ بالجزْعِ أعوانا على السّهَرِ [2]

والقصيدة التي مدح بها أبا حامد الإسفرائيني ومطلعها :

لاَ وَضْعَ للرَّحْلِ إلا بَعْدَ إيضَاعِ
فَكَيْفَ شَاهَدْتَ إمْضَائي وإزْمَاعي [3]

وأما **الثاني** : فمنه القصيدة التي أجاب بها الشريف أبا ابراهيم ومطلعها :

ألاَحَ وَقَدْ رَأى بَرْقاً مُلِيحا سَرَى فَأتَى الحِمَى نِضْواً طَلِيحا [4]

والقصيدة التي أجاب بها أبا الخطاب الجبلي ومطلعها :

أشْفَقْتُ مِنْ عِبْءِ البَقاءِ وَعابِهِ وَمَلِلْتُ مِنْ أرْيِ الزّمانِ وَصَابِهِ [5]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٧٢ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١١٤ .
(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٤١ .
(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٣٧ .
(٥) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧١٥ .

الخلائق التي مدح بها ممدوحيه :

سلك أبو العلاء في مديحه سبيل المتقدمين ، فمدح بالشجاعة ، والفروسية ، والجلَد ، والكرم ، والمهابة ، والذكاء ، وكرم المحتد ، والكمال ، والقرى ، ونحو ذلك من الصفات التي كانوا يمدحون بها . واستطرد في خلال مدائحه إلى وصف الخيل ، والناقة ، والسيف ، والدرع ، والفلاة . وسلك سبيل المغالاة في كثير من أوصافه ، وأتى بصور بديعة من التشبيه ، والمجاز ، والاستعارة ، والكناية ، وبطرف نادرة من الأمثال والحكم .

وهذه صور من وصفه في الكرم ، قال في القصيدة الأولى[1] :

تَرَى مَا نَالَتِ الأَضيافُ نَزْرا ... وَلَوْ مُلِئَتْ مِنَ الذَّهَبِ الجِفَانُ

. . . .

إِذَا ضُرِبَتْ خِيامُكَ في مَكَانٍ ... فذَلِكَ حَيثُ يُلْتَقَطُ الجُمانُ

. . . .

كِلاَ كَفَّيْكَ في سِلْمٍ وَحَرْبٍ ... يَكُونُ الخَوْفُ مِنْها والأَمَانُ

فَلَيْسَ بِشَاغِلِ اليُمنَى حُسَامٌ ... وَلَيْسَ بِشَاغِلِ اليُسْرَى عِنَانُ

وقال في الثانية[2]:

القَاتِلُ المَحْلَ إِذْ تَبْدُو السَّمَاءُ لَنَا ... كَأَنَّها مِنْ نَجِيعِ الجَدْبِ في أُزُرِ

. . . .

وَقَاسِمُ الجُودِ في عَالٍ وَمُنْخَفِضٍ ... كَقِسْمَةِ الغَيْثِ بَيْنَ النَّجْمِ والشَّجَرِ

. . . .

---

(١) انظر الفروح : ق ١ ص ١٨٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٢) انظر الفروح : ق ١ ص ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ .

يُبينُ بالبِشْرِ عَنْ إحسانِ مُصطَنِعٍ ... كَالسَّيفِ دَلَّ عَلَى التأثيرِ بالأُثُرِ

. . . .

يا بْنَ الأولى غَيْرَ زَجْرِ الخيلِ ما عَرَفُوا

إذْ تَعرِفُ العُرْبُ زَجرَ الشَّاء والعَكَرِ

والقائديها مع الأضيافِ يَتْبَعُها ... ألاّفُها وأُلوفُ اللامِ والبِدَرِ

. . . .

المُوقِدونَ بِنَجْدٍ نارَ بادِيَةٍ ... لا يَحضُرونَ وَفَقْدُ العِزِّ في الحَضَرِ

إذا هَمَى القَطرُ شَبَّتْها عَبيدُهُمُ ... تَحتَ الغَمائِمِ للسَّارِينَ بالقُطُرِ

وقال من قصيدة أخرى[١] :

أبلجُ مِنْ بَعضِ قِرَى ضَيفِهِ الْـ .... أمنُ إذا لَمْ يأْمَنِ المُجرِمُ

فِـداهُ مَنْ كَالنَّبتِ أضيافُهُ ... إذْ يَشرَبُ الماءَ وَلاَ يَطعَمُ

لاَ يَكذِبُ المُقسِمُ في قَولِهِ ... إنَّ الغِنَى مِنْ يَدِهِ يُقْسَمُ

وهذه صور من مدحه بالشجاعة والمهابة والسلطة[٢] :

إذا سَقَتِ السَّماءُ الأرضَ سَجلاً ... سَقَاهَا مِنْ صَوارِمِهِ سِجَالاَ

---

(١) مطلعها :

سالم أعداءك مستسلم ... والبغي موت لهم مرغم

انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٤٤ ، ٨٦٣ ، ٨٦٥ . وفي البيت الثاني فيها :

اذ تَعربُ الماء ولا تطعم

(٢) شروح السقط : ق ١ ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٤ .

وَيُضحي والحديدُ عليهِ شاكٍ ... وَتكفيهِ مَهابتُهُ النِّزالا

. . . .

إذا خفقت لمغربها الثريا ... توقت من أسنته اغتيالا

. . . .

ولو أنّ الرياح تهب غرباً ... وقلت لها هلا هبت شمالا

وأقسم لو غضبت على ثبير ... لأزمع عن محلته ارتحالا

. . .

تهابُ الأعادي بأسهُ وهو ساكنٌ

كما هيبَ مسُّ الجمرِ قبلَ اضطرامِهِ [1]

وربّ جرازٍ يُتّقى وهو مغمدٌ ... ولُجٍّ تهالُ النفسُ دونَ اقتحامِهِ

. . .

إذا ما أخفتَ المرءَ جُنّ مخافةً ... فأيقنَ أنّ الأرضَ كفّةُ حابلِ [2]

يرى نفسه في ظلّ سيفك واقفاً ... وبينكما بُعدُ المدى المتطاولِ

يظُنّ سنيراً من تفاوتِ لحظِهِ ... ولبنانَ سارا في القنا والقنابلِ

الشجاعة والجود والذكاء :

من كلِّ من لولا تسعُّرُ بأسهِ ... لاخضرَّ في يمنى يديهِ الأسمرُ [3]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥١١ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١١٤ وما بعدها ، وفيها : « بذكي تلهب . . »

يُذكي تَوَقُّدُ ذِهْنِهِ أوقاتَهُ   فكأنما هُوَ بالغُدُوِّ مُهَجِّرُ

. . .

ذَكِيُّ القَلْبِ يَخضِبُها نَجيعاً   بِما جَعَلَ الحَريرَ لَها جِلالاَ [1]

. . .

رَدَّتْ لَطافَتُهُ وَحِدَّةُ ذِهْنِهِ   وَحْشَ اللُّغاتِ أوانِساً بِخِطابِهِ [2]

والنَّحلُ يَجْني المُرَّ مِنْ نَوْرِ الرُّبى   فَيَصيرُ شُهْداً في طَريقِ رُضابِهِ

العفاف وعلو الهمة :

مِنْ كُلِّ أزْهَرَ لَمْ تَأشَرْ ضَمائِرُهُ   لِلَثْمِ خَدٍّ ولا تَقْبيلِ ذي أشَرِ [3]

لَكِنْ يُقَبِّلُ فُوهُ سامِعَيْ فَرَسٍ   مُقابَلِ الخَلْقِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ

التواضع :

عَلَوْتُمُ فَتَواضَعْتُمْ عَلى ثِقَةٍ   لَمّا تَواضَعَ أقْوامٌ عَلى غَرَرِ

وَالكِبْرُ وَالحَمْدُ ضِدّانِ اتِّفاقُهُما   مِثْلُ اتِّفاقِ فَتاءِ السِّنِّ والكِبَرِ

الحلم والاناة والوقار :

خَفَّ الوَرَى وَأقَرَّتْكُمْ حُلُومُكُمُ   والجَمْرُ يُعْدَمُ فيهِ خِفَّةُ الشَّرَرِ

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٦٠

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٢٠ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٤٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ .

العلم والشعر :

كَأَنَّ كلَّ جَوَابٍ أنْتَ ذَاكِرُهُ ... شَنْفٌ يُناطُ بأُذْنِ السَّامِعِ الوَاعِي(١)

• • •

وَفقِيهاً أفكارُهُ شِدْنَ لِلنُّعْـــمانِ مَا لَمْ يَشِدْهُ شِعْرُ زِيادِ(٢)

فَالعِرَاقِيُّ بَعْـــدَهُ لِلْحِجَازِيِّ قَلِيلُ الخلافِ سَهْلُ القِيَادِ

• • •

إذَا تَفَقَّهَ أحيَا مَالِكاً جَدَلاً ... وَيَنْشُرُ المَلِكَ الضِّلِّيلَ إنْ شَعَرا(٣)

• • •

لَشَرُفَتَ القَوَافِيَ والمَعَـــانِي ... بِلَفْظِكَ والأخِلَّةَ والخَلِيلاَ(٤)

إذَا المَنْهُوكُ فُهْتَ بِهِ انتِصَاراً ... لَهُ مِنْ غَيْرِهِ فَضَلَ الطَّوِيلاَ

عظم القرى والإطعام وأدواته :

وَقُدُورُهُمْ مِثْلُ الهِضَابِ رَوَاكِداً ... وَجِفَانُهُمْ كَرَحِيبَةِ الأفْيافِ(٥)

مِنْ كُلِّ جَائِشَةِ العَشِيِّ مُفِيئَةٍ ... بِالمَيْرِ خَيْرَ مَرَافِدٍ وَصِحَافِ

دَهْمَاءَ رَاكِبَةٍ ثَلاثَةَ أجْبُلٍ ... عِظَماً وَإنْ حُسِبَتْ ثَلاثَ أثَافِ

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٨ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٨٦ ، ٩٨٧ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٤٠ وفيها : « . . . أحيا مالكا . » .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٣٩٤ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣١٥ ـ ١٣١٧ .

التهنئة

في (سقط الزند) عدة قصائد في التهنئة ، منها ما هو تهنئة بالعيد ، كالقصيدة التي قالها في سعيد الدولة حفيد سيف الدولة ومطلعها :

أَعَنْ وَخْدِ القِلاَصِ كَشَفْتِ حَالاً   وَمِنْ عِنْدِ الظَّلاَمِ طَلَبْتِ مَالاَ[(١)]

وفيها يقول :

وَأَنتَ أَجَلُّ مِنْ عِيدٍ تُهَنَّا   بِعَوْدَتِهِ فَهُنِّيتَ الجَلاَلاَ

والقصيدة التي قالها في أبي الرضى الفصيصي ومطلعها :

يَاسَاهِرَ البَرْقِ أَيْقِظْ رَاقِدَ السَّمُرِ   . . . .[(٢)]

وفيها يقول :

لَوْلاَ قُدُومُكَ قَبْلَ النَّحْرِ أَخَّرَهُ   إِلَى قُدُومِكَ أَهْلُ النَّفْعِ وَالضَّرَرِ

سَافَرْتَ عَنَّا فَظَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمُ   يُرَاقِبُونَ إِيَابَ العِيدِ مِنْ سَفَرِ

لَوْ غِبْتَ شَهْرَكَ مَوْصُولاً بِتَابِعِهِ   وَأَبْتَ لاَنْتَقَلَ الأَضْحَى إِلَى صَفَرِ . .

ومنها ما هو تهنئة بعرس كالقصيدة التي هنأ بها بعض الأمراء بعرس ومطلعها :

لَوْلاَ تَحِيَّةُ بَعْضِ الأَرْبُعِ الدُّرُسِ   . . . .[(٣)]

---

(١) شروح السقط : ق ١ ص ٢٥ .

(٢) عجزه : لعل بالجزع أعواناً على السهر . وانظر شروح السقط : ق ١ ص ١١٤ .

(٣) عجزه : ما هاب حد لساني حادث الحُبُس وانظر شروح سقط الزند:ق ٢ ص ٦٨٩ .

وفيها يقول :

مَا رَبَّةُ الغَيلِ أختُ الظَّبْيِ فُزتَ بِها
بَلْ رَبَّةُ الغِيلِ أُختُ الضَّيْغَمِ الشَّرِسِ

مِن مَعشَرٍ لاَ يَخافُ الجارُ بَأسَهُمُ   غَشَّوا صُرُوفَ اللَّيالي بُرْدَ مُبتَئِسِ...

والقصيدة التي يقول فيها [١] :

زُفَّتْ إلى دَارِكَ شَمسُ الضُّحَى   وَحَولَها مِنْ شَمَعٍ أنجُمُ

مِثلُ شِيَاتٍ في قَمِيصِ الدُّجى   زِينَ بِهِنَّ الفَرَسُ الأدْهَمُ

تَخفَى وَلاَ تَظْهَرُ إلا إذَا   أحرَزَهَا مَنْزِلُكَ الأعْظَمُ

كأنها سر الإلهِ الذي   عِنْدَكَ دُونَ النَّاسِ يُستَكتَمُ

ثم وصف هذا العرس بأنه كثر فيه نثر الدنانير الشبيهة بالنجوم ، حتى عم الآفاق ، وسما إلى الجو سلم منه ، حتى كأن الشهب درر مبثوثة في السماء ، أو أن السماء نزلت فنهبت خفية من الدرر المنثورة ؛ وعذرها في ذلك أن الثريا بعض ما غنمته . وقال : إن عملها هذا لا يخفى لأن بعض ما نهبته المريخ والجوزاء والمِرزم . ثم زعم أن حمرة الشفق في الجو من كثرة ما استعمل من الطيب والعندم في ليلة العُرْس التي رأى فيها الليل ما لم تره عاد ولا جرهم ؛ حتى إن رائحة الطيب ملأت مناخر البدر ، وانتشر في الأرض فشمه المُنجِد والمُتْهِم ، وانتشقه الطير فزار الممدوحَ الناشيءُ والقشعمُ منها ، وماجت الوحوش واضطربت ، وجعلت

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٤٦ ، ٨٤٧ .

تسأل الطير عن سبب زيارتها هذا الممدوحَ المتزوج ؛ ثم مضى بعد ذلك في مدحه بصور رائعة .

ومنها ما هو تهنئة بمولود : ومنه القصيدة التي أولها :

مَتَى يُضْعِفْكَ أَيْنٌ أَوْ مَلاَلٌ   فَلَيْسَ عَلَيْكَ لِلزَّمَنِ ابْتِهَالُ[1]

وفيها يقول :

هَنِيئاً والهَنَاءُ لَنَا جَمِيعاً   يَقِيناً لا يُظَنُّ ولا يُخَالُ

. . . .

بأن اللهَ قَدْ أَعْطَاكَ سَيْفاً   عَدُوُّكَ مِنْ مَخَايِلِهِ يُهَالُ

حُسَامٌ لا الذُّبَابُ لَهُ قَرِينٌ   وَلاَ دَرَجَتْ بِصَفْحَتِهِ النِّمَالُ

وَقَدْ سَمَّاهُ سَيِّدُهُ عَلِيّـاً   وَذَلِكَ مِنْ عُلُوِّ القَدْرِ فَالُ

ثم مضى فقال : إن هذا المولود لما رفع صوته عند ولادته ، بشر أهله بأخوة له كالأسود تأتي بعده ، وإن تتابع الأولاد عز للرجل إذا اكتهل ، وإن هذا المولود سيبلغ مراتب آبائه ؛ كما أن الشبل يصير ليثا ، والهلال يصير بدراً كاملا ، وأنه يتمنى للممدوح أن يكثر عدده حتى يزيد على عدد الرمال ، وأن يعطىَ خلوداً في سعود .

ومنه القصيدة التي أولها :

مَتَى نَزَلَ السِّمَاكُ فَحَلَّ مَهْداً   تُغَذِّيهِ بِدِرَّتِهَا الثُّدِيُّ[2]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٩٧ ، ١٧٠٩ ، ١٧١٥ — ١٧ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٢١ ، ١٣٢٢ .

وفيها يقول :

أَهَلَّ بِصَوْتِهِ فَأَهَلَّ شُكْراً ... بِهِ الأَقْوَامُ وَافْتَخَرَ النَّدِيُّ

بِيَوْمِ قُدُومِهِ وَجَبَتْ عَلَيْنَا الـ ... ـنُّذُورُ وَسِيقَ لِلْبَيْتِ الهَدِيُّ

ثم ذكر أن المهنأ بالمولود من تنوخ من بني الفهم ، ومدحهم في الجاهلية والإسلام ؛ وبيّن أن اسم المولود محمد وكنيته أبو علي ، ودعا له أن يعيش عمر الثريا ، ودعا على نفسه وركائبه بالهلاك إذا فارق العراق .

ومنها ما هو تهنئة بشفاء : ومنه القصيدة التي مطلعها :

عَظِيمٌ لَعَمْرِي أَنْ يُلِمَّ عَظِيمُ ... بِآلِ عَلِيٍّ والأَنَامُ سَلِيمُ[1]

وفيها يقول :

هَنِيئاً لِأَهْلِ العَصْرِ بُرْءُ مُحَمَّدٍ ... وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ جَاهِلٌ وَعَلِيمُ

. . . .

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ مِثْلَكَ يَشْتَكِي ... وَلَمْ يَتَغَيَّرْ لِلرِّيَاحِ نَسِيمُ

وَلَمْ تُطْبِقِ الدُّنْيَا الفِجَاجَ عَلَى الوَرَى ... فَيَهْلِكَ مَحْمُودٌ بِهَا وَذَمِيمُ

فَإِنْ نَالَ مِنْكَ السُّقْمُ حَظّاً فَطَالَمَا ... رَأَيْتَ هِلَالَ الأُفْقِ وَهْوَ سَقِيمُ

ومنه القصيدة التي أولها :

أَفَوْقَ البَدْرِ يُوضَعُ لِي مِهَادُ ... أَمِ الجَوْزَاءُ تَحْتَ يَدِي وِسَادُ[2]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٨ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٨١ .

وفيها يقول :

شَكَا فَتَشَكَّتِ الدُّنيَا وَمَادَتْ بِأَهْلِيهَا الغَوَائِرُ وَالنِّجَادُ (١)
وَأُرْعِدَتِ القَنَا زَمَعاً وَخَوْفاً لِذلِكَ والمُهَنَّدَةُ الحِـدادُ
وَكَيفَ يَقِرُّ قَلْبٌ فِي ضُلُوعٍ وَقَدْ رَجَفَتْ لِعِلَّتِهِ البِلادُ

ثم مضى بعد ذلك في مدحه ومدح قبيلته ، ولم يذكر أبياتاً تتعلق بمرضه وشفائه غير هذه الأبيات الثلاثة ؛ ولعله أسقط منها شيئاً كما فعله في كثير من قصائده التي قالها في المدح وما يتصل به .

الاستعطاف والاعتذار

عتب عليه بعض العلويين لأنه لم يَعُدْهُ في مرضه ، فكتب اليه قصيدته التي مطلعها :

عَظِيمٌ لَعَمْري أنْ يُلِمَّ عَظِيمُ . . . . (٢)

وفيها يقول معتذراً ومستعطفاً :

لَكَ اللهُ لا تَذْعَرْ وليّاً بِغَضْبَةٍ أعَلَّ لَهُ عُذْراً وَأنْتَ تَلُومُ
فَلو زارَ أهلَ الخُلْدِ عَتْبُكَ زَوْرَةً لأَوْهَمَهُمْ أنَّ الجِنَانَ جَحِيمُ
إذا عَصَفَتْ بالرَّوْضِ أنفَاسُ نَاجِرٍ فَأيّ وَمِيضٍ للغَمَامِ أشِيمُ

(١) الفروح ، ق ١ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .
(٢) عجزه : بآل علي والأنام سليم . وانظر الفروح : ق ٢ ص ٦٦٣ ، ٦٦٥ ـ ٢ .

وَهَلْ لِيَ فِي ظِلِّ النَّعَامِ تَقَيُّلٌ ... إِذَا مَنَعَتْ ظِلَّ الأَرَاكِ سَمُومُ

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ مِثْلَكَ يَشْتَكِي ... وَلَمْ يَتَغَيَّرْ لِلرِّيَاحِ نَسِيمُ

وكان ابن تميم البرقي مريضاً فلم يعده أبو العلاء ؛ فكتب اليه أبياتاً يعتب فيها عليه لعدم عيادته ، فأجابه بأبيات (١) بيّن فيها معذرته في ترك العيادة ، منها قوله :

أَمُعَاتِبِي فِي الهَجْرِ إِنْ جَارَيْتَنِي ... طَلَقَ الجِدَالِ وُجِدْتَ عَيْنَ الظَّالِمِ

حُوشِيتَ مِنْ شَكْوَى تُعَادُ وَإِنَّمَا ... شَكْوَاكَ مِنْ نَظَرٍ بِدِجْلَةَ عَارِمِ

فَاكْفُفْ جُفُونَكَ عَنْ غَرَائِرِ فَارِسٍ ... فَالضَّرْبُ يَثْلِمُ فِي غِرَارِ الصَّارِمِ

وَعِيَادَةُ المَرْضَى يَرَاهَا ذُو النُّهَى ... فَرْضاً وَلَمْ تُفْرَضْ عِيَادَةُ هَائِمِ

تَصِفُ المَدَامَةَ فِي القَرِيضِ وَإِنَّمَا ... صِفَةُ المَدَامَةِ لِلْمُعَافَى السَّالِمِ

ثم بيّن له أنه يشرب الماء جامدا ، وأن ناره ضعيفة ، وقد أحرقت ثوبه وبساطه ، وتركت في نمرقه أثراً كأثر الكي ، وأن النسيب الذي اشتمل على عتابه كان شديد الوقع عليه ؛ ووصف ما هو عليه في منزله الذي يقيم فيه في بغداد .

الرثاء

أفضل الرثاء ما جمع بين التفجّع على المرثي ، وتعداد مناقبه المحمودة ،

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٠١٦ — ١٨ .

بأسلوب رائع ؛ ويزداد جودة بما يضاف إلى ذلك من طلاوة الألفاظ ، والديباجة ، وطرافة المعاني ، ونحو هذا من محسنات الشعر .

وأبو العلاء جمع في رثائه بين هذه الوجوه ، وأضاف اليها صوراً رائعة من التشبيه والخيال ، وطرفاً نادرة من الحكم والأمثال ، حتى كان أمةً وحدَه في الرثاء .

رثى أبا ابراهيم العلوي بقصيدة شكا فيها صروف الدهر وأحداثه ومصائبه ؛ ولم يجد فيها مصيبة تشبه فقد الشريف ، ولا فاجعة أشد منها ، وجعله فوق نعشه سرّاً سماويا ، ولحده مقر الثريا ؛ وأقسم أنه لم يتقلد صارماً مثلُه ، ولا صاح في الخيل : أقدمي مَن يشبهه ، ولا صرّف الخطيّ مثلُ يمينه ؛ ولا أمسكت يد عناناً مثل يساره ، وأن جبريل تقرب بروحه إلى جده وأمه فاطمة . ومدحه بالكرم والحلم والعفاف ؛ وهوّل مصابه ، وعزّى آله وأصحابه ، ومدحهم بالشجاعة والنجدة ونحو ذلك . وجعل بنيه كالشهب التي هي الأسباب في تنفيذ الأقدار ، وافتنّ ما شاء وشاءت له بلاغته ، ومن رائع ابياته فيها قوله :

فَيَا قَلْبُ لاَ تُلْحِقْ بِثُكْلِ مُحَمَّدٍ سِوَاهُ لِيَبْقَى ثُكْلُهُ بَيْنَ الرَّسْمِ[1]

فَإِنِّي رَأَيْتُ الحزنَ للحُزْنِ مَاحِياً

كَمَا خُطَّ في القِرْطَاسِ رَسْمٌ عَلَى رَسْمِ

وقوله :

---

(١) مطلع هذه المرثية :

بني الحسب الوضاح والشرف الجمّ لساني إن لم أرث والدكم خصمي

انظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٤٩ — ٩٦٨ .

نَعَيْنَاهُ حَتَّى لِلْغَزَالَةِ والسُّهَى ... فَكُلٌّ تَمَنَّى لَوْ فَدَاهُ مِنَ الحَتْمِ

وَمَا كُلْفَةُ البَدْرِ المُنِيرِ قَدِيمَةً ... وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّدْمِ

فَيَا مُزْمِعَ التَّوْدِيعِ إِنْ تُمْسِ نَائِياً ... فَإِنَّكَ دَانٍ فِي التَّخَيُّلِ وَالوَهْمِ

والقصيدة كلها متينة الأسلوب ، محكمة الرصف تفيض على أبياتها عاطفة الحزن واللوعة .

ورثى أبا حمزة الحسن بن عبد الله التنوخي بقصيدة أبياتها نحو أربعة وستين بيتاً [١] بأبيات ساوى فيها بين نوح الباكي وترنّم الشادي في عدم الإجداء ، وجعل النعيّ شبيهاً بصوت البشير بالمولود ، لأن المصير واحد . وتساءل عن صوت الحمامة هل هو غناء يؤذن بالسرور بحياة غرارة ؟ أم هو بكاء من حياة مصيرها إلى الفناء ؟ ثم نبه إلى أن مصير كل إنسان إلى الفناء بعد الحياة ، والذلّة بعد العزة ، والضيق بعد السعة ، والرضى بالإقامة مع ضده على ما في ذلك من مهانة . وأن ذلك سبيل كل حي حاضر ، كما كان مصير كل حي سابق ؛ وسيكون مصير كل حي لاحق ، ليهون على الأحياء مصابهم بالأموات ، بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب ، ويقصر عن إدراكه كل متطاول ، ولم يسبقه اليه أحد من الأوائل ، وذلك حيث يقول :

صَاحِ هَذِي قُبُورُنَا تَمْلأُ الرُّحْـ ... ـبَ فَأَيْنَ القُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ

خَفِّفِ الوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْـ ... أَرْضِ إِلاَّ مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ

---

(١) مطلعها :

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنم شادي

انظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٧١ ـ ١٠٠٥ .

وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ العَهْـــدُ هَوانُ الآبـاء والأجدادِ

سِرْ إنِ ٱسْطَعْتَ في الهواءِ رُوَيْداً لا ٱخْتِيالاً عَلَى رُفاتِ العِبَادِ

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مِرَاراً ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأَضْدَادِ

وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ في طَوِيلِ الأَزْمَانِ والآبـادِ

وإذا كنت تشك في طول الأمد ، وقدم العهد ، وكثرة من مـات وصار ترابا ، كما صارت ديارهم خرابا يبابا ،

فَاسْأَلِ الفَرْقَدَيْنِ عَمَّنْ أَحَسَّا مِنْ قَبِيلٍ وآنَسَا مِنْ بِلادِ

كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهـارٍ وَأَنـارَا لِمُدْلِجٍ في سَوادِ

وقد عرّف بعض الحكماء المتقدمين الحياة بأنها حركة ، وعرّف الحركة بأنها تعب ؛ فألف أبو العلاء من هاتين المقدمتين قياساً منطقياً من الشكل الأول ، وكانت نتيجته : الحياة تعب ، وإن فرح الناس في الساعة التي يولد فيها المولود مهما كان كثيراً لا يعدل لحظة من حزنهم عليه عند موته . وإن للإنسان حياتين ، الأولى : قبل الموت وهي حيـاة عمل وليست بخالدة . والثانية : بعد الموت ، وهي اليقظة الحقيقية ، والحياة الخالدة ، وحياة الجزاء ، والموت بينهما يشبه رقدة يستريـح فيها الجسم من تعب الحياة الأولى ، ولقد أبدع وأوجز فأعجز في إفراغ هذه المعاني بقوله :

تَعَبٌ كُلُّها الحَياةُ فَمَا أَعْـــجَبُ إلاَّ مِنْ رَاغِبٍ في ازْدِيادِ

إنَّ حُزْناً في سَاعَةِ المَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ في سَاعَةِ المِيلادِ[1]

(١) في شروح السقط : « إن حزنا في ساعة الموت ... » .

خُلِقَ النَّاسُ للبَقَاءِ فضلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ للنَّفَادِ
إنما يُنقَلونَ مِنْ دَارِ أعْمَا لِ إلى دَارِ شِقْوةٍ أوْ رَشَادِ
ضَجْعَةُ المَوتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الْـ ـجِسْمُ فيها والعَيْشُ مِثْلُ السُّهادِ

ثم رأى أنه لا يستطيع أن يقوم بما يجب عليه من الحزن والنواح والبكاء على المرثي ، لعظم المصاب به ؛ فسأل الحَمَام أن تساعده على نواحه أو تعده بالمساعدة ؛ لأنها مشهورة بحفظ الوداد ، ولأن الناس يزعمون أن الهديل وهو واحد من الحَمَام كان على عهد نوحٍ ، فصاده جارح من جوارح الطير ؛ فما من حمامة تهتف إلا وهي تنوح عليه . ولكن أبا العلاء لم يرتضِ نواحها لأن أطواقها التي في أعناقها نوع من الزينة ، وهي تنافي حالة الحزينة ؛ وإنما يريد منها أن تنزع الأطواق من أجيادها ، وأن تستعير من الظلام ثوباً أسود ، ثم بعد ذلك تنوح معه على المرثي .

ثم انتقل إلى مدح المرثي ، فوصفه بأنه فقيه ، حنفي ، خطيب ، مصقع ، راوٍ للحديث ، ناسك ، مجتهد في الكشف عن الحقائق العلمية ، غير معوّل على الظواهر ، زاهد في متع الحياة .

وبالنظر لجلالة الميت ، وجلالة المصاب به ، وكثرة الباكين عليه ، طلب أن يغسل بالدموع لكثرتها ، وأن يدفن بين الحشَى والفؤاد ، إجلالاً له عن التراب ؛ وأن يكفن بورق المصحف لشرفه ؛ ولأنه أكبر من أن يكفن بالأبراد النفيسة ، وأن يشيع نعشه بالقرآن والتسبيح ، لا بالبكاء وتعداد مناقبه .

ثم هدأت ثائرةُ نفسه من الحزن ، وثاب إلى رشده ؛ فرأى أن الحزن غير نافع ، وأن الاجتهاد في التماس الحيلة لدفع الموت لا يجدي فتيلا ، وأن الحزن ربما أخرج صاحبه إلى ما لا يليق بالسداد ؛ وضرب لذلك مثلا بأن سليمان ﷺ عُرضت عليه الخيل فاشتغل بها حتى فاتته صلاة العصر ،

فحزن لذلك ؛ فجعل يضرب أعناق الخيل وسوقها لأنها كانت السبب في فوت الصلاة . وأنه خاف على ولده من الناس ، فلم يأمن عليه غير الريح ؛ فاستودعها إيّاه ، فلم تستطع الريح دفع الموت عنه ، فلما مات ألقت الريح جسده على كرسي أبيه .

ثم سأل المرثي كيف أصبح في قبره بعده ؛ وذكر أن الطبيب اعترف بعجزه عن معالجته ، وأن اليأس بلغ منه نهايته ، وأن العوّاد انقطع تردّدهم عنه . ثم انتقل إلى مدح أسرة المرثي ، واستطرد بعد ذلك فالتمس علة لطيفةً لموت المرثي ، فادعى أنه كان خليلاً لصباه ، فلما أراد الصبا أنْ يفارقه ويزول عنه ، وافقه في رأيه فزال معه ، وعدّ ذلك من الوفاء للصاحب الأول . ثم أراد أن يهوّن على نفسه الأمر فقال : إن زُحَل وهو أعلى الكواكب السيارة ، لأنه في الفلك السابع ، لا يسلم من الهلاك ، وكذلك المريخ وهو في الفلك الخامس لا بد أن يطفىء الردى نارَه ؛ والثريا لا بد من أن يفترق شملها ، فليس بعد هذا يعظُم على الموت أن يصيب المرثي ، وإن كان عظيم القدر ، رفيع الشأن ، عالي المكان .

ثم دعا لأخيه وحضه على أن تطيب نفسه عن أبناء أخيه المرثي ، وبيّن له أن كل ما في الدنيا صائر إلى الزوال والدمار بقوله :

كُلُّ بيْتٍ للهَدْمِ مَا تَبْتَني الوَرْ ... قَاءُ والسَّيِّدُ الرفيعُ العِمَادِ

وأن العاقل من يعلم أن مصيره للفناء ، فيكتفي من الدنيا بالقليل التافه الذي يدفع به الأذى :

والفَتَى ظَاعِنٌ وَيَكْفيهِ ظِلُّ السِّـ ... ـدْرِ ضربَ الأطْنَابِ والأوْتادِ

لأن أمر الله ظاهر في أنْ لا بقاء لغيره . وقد اختلف الناس ، ففريق عرف هذه الحقيقة ، فزهد في الدنيا ومتعها ، ودعا إلى الزهد فيها فهو مهتدٍ هاد ؛ وفريق غفل عن ذلك فحرَصَ على جمع حُطامها ، ودعا إلى ذلك فهو ضالّ مضل :

بَانَ أمرُ الإلَهِ واخْتَلَفَ النَّا سُ فَدَاعٍ إلى ضَلاَلٍ وَهَادِ

ثم ذكر أن الناس تحيّروا في آدم ﷺ لأنه حيّ استُحدث من جماد . ومن عرف أن قدرة الله صالحة لذلك وأمثاله هان عليه الأمر وابتعد عن الحيرة ، وهان عليه أن يعتقد أن الله يبعث الناس بعد الموت ، فيكونون أحياء بعد أن صاروا ترابا ، بل إعادتهم أحياء أهون من خلقهم أول مرة . وأظن أن أبا العلاء أراد هذا بقوله :

وَالذي حَارَتِ البَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جمادِ

ثم ختم القصيدة بقوله :

واللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيسَ يَغْتَـــرُّ بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

إذا قرأ الإنسان هذه القصيدة ، بل هذه الطرفة الفريدة ، وأدرك ما فيها من مقاصد وأغراض تتعلق بفلسفة الحياة وما بعدها ، وفطن إلى ما فيها من المغازي الدقيقة ، والإشارات اللطيفة إلى الحوادث التـــاريخية وغيرها ، وإلى قدرة الشاعر على التصرف بالألفاظ والمعاني ، ووضْعِ كل شيء في محله ، وإحكام المناسبة بين الأبيات ، وتسلسل المعاني ، ونحو ذلك مما تقتضيه الصناعة الشعرية ، تجاذبته أنواع من الأعجاب والإكبار والطرب ؟ ثم أخذته حيرة فلا يدري أيكون إعجابه وإكباره وطربه بما اشتملت عليه

من المعـــاني المبتكرة ، والصور الطريفة الرائعة في الغرض الواحد ، أم بإفراغ تلك المعاني الشريفة العظيمة في قوالب موجزة لطيفة سهلة ، يظن كل أحد أنه يستطيع أن يأتي بمثلها ، فإذا حاول ذلك امتنـــع عليه واستعصى ؟ أم برشاقة ألفاظها ، وطيب نبراتها ، وحسن تنسيقهـــا ، وطلاوة ديباجتها ، ثم لا يستطيع بعد ذلك أن ينكر أن هذه القصيدة بمجموعها ومن جميع وجوهها هي فلتة من فلتات الدهر ، ونادرة من مقلدات الشعر ، وأن صاحبها أتى فيها بما لم تستطعه الأوائل ، ولم تشق غبارَه فيه الأواخر .

ورثى جعفر بن علي بن المهذب التنوخي المعري[١] بقصيدة تبلغ أبياتها نحو خمسين بيتـــاً أقل ما يقال فيها : إنها عقد نفيس ، جمع من عقائل الحِكَم والأمثال ، وطرائف المقاصد ، ونوادر الصناعة الشعرية ما تقصر عنه يد كل متطاول اليه . ففيها ألفاظ تشبه النسيم لطافة ورقة ؛ وجمل تكاد تكون رموزاً لإيجازها ، مـــع إيضاح المعنى ، والوفاء بالغرض . وقد تضمنت مقاصد نبيلة متعددة ، ولمحات لطيفة تضيق عنها الصفحـات الكثيرة ؛ وجمعت إلى إحكام الرصف جمال الديباجة ، وحسن النغمة ؛ فهي تنحدر إلى قرارات النفوس انحدار الماء ، وتدخل الآذان بلا استئذان ، بل تَطلُبها الأسماع وتجتذبها النفوس .

أشار في مطلع هذه القصيدة إلى أن أفضل ما يلجأ اليه المصاب بمصيبة هو الصبر عليها ، لأن الجزع لا يجدي نفعا ؛ ومن أبى إلا أن يجزع فإن البكاء غاية ما يستطيعه :

---

(١) هكذا قال الخوارزمي ، وقال البطليوسي يرثي بها بعض الأشراف . وقال غيره يرثي بها ابن عمه علي بن المهذب . والأول أولى لأن أبا العلاء يقول فيهـا :

فليذرف الجفن على جَعْفَر ... (ج)

انظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٠٦ ــ ١٠٢٧ .

أَحْسَنُ بِالوَاجِدِ مِنْ وَجْدِهِ   صَبْرٌ يُعِيدُ النَّارَ فِي زَنْدِهِ
وَمَنْ أَبَى فِي الرُّزْءِ غَيْرَ[١] الأَسَى   كَانَ بُكَاهُ مُنْتَهَى جَهْدِهِ

ثم عاود نفسه ، فتبين له أن الصبر إنما يكون على مفقود له نظير ؛ أما إذا كان منقطع النظير فلا يكفي فيه الصبر ، بل لا بد من البكاء عليه وإذا كان الأمر كذلك :

فَلْيَذْرِفِ الجَفْنَ عَلَى جَعْفَرٍ   إِذْ كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نِدِّهِ

وقد تبين فضل المرثي على غيره لمّا قيس إلى أضداده ؛ وظهرت مناقبه التي يفوق بها غيره :

وَالشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مُدَّاحُهُ   إِلَّا إِذَا قِيسَ إِلَى ضِدِّهِ

والإنسان يشبه الإنسان في تكوينه من لحم ودم ؛ وإنما يقع التفاضل بالسجايا الكريمة والمناقب ، ويثنى على المرء لخلائقه وخلاله . كما ان النبات يفضُل بعضه بعضاً بطيب الرائحة إذا قيس أحدهما بالآخر :

لَوْلَا غَضَى نَجْدٍ وَقُلَّامُهُ   لَمْ يُثْنَ بِالطِّيبِ عَلَى رَنْدِهِ

والناس يحبون مخالطة الحرّ الكريم الحسن الشيم ؛ ويكرهون مفارقته ؛ كما يحبون مفارقة غيره ، ويكرهون قربه ومواصلته . وبديهي أن :

لَيْسَ الَّذِي يُبْكَى عَلَى وَصْلِهِ   مِثْلَ الَّذِي يُبْكَى عَلَى فَقْدِهِ[٢]

والناس مفطورون على حب النافع لنفعه ، ويرتاحون إلى لقائه ؛ كما انهم يكرهون قرب الضار لضرره ، ولا يرتاحون إلى لقائه :

---

(١) في شروح السقط : « إلا الأسى » .
(٢) في الشروح : « على صده » .

والطَّرفُ يَرتاحُ إلى غُمضِهِ ... ولَيس يَرتاحُ إلى سُهدِهِ

ثم ذكر أن الحزن على الفقيد كان فرضاً علينا لو استطعنا فداءه ولم نَفْدِه ؛ ولكنه لم يكن مشابها للموتى ، بل كان كوكباً يهتدى به ؛ فانتقل من التراب إلى محل سعده ، وأصبح قريباً منا في المسافة ، بعيداً في المنال والزيارة . يريد بذلك أن يهوّن على نفسه ، ويعتذر عن عدم حزنه وبكائه ؛ ثم أخذ يعاتب الدهر ويلومه على بعض أعماله التي بيّنها بقوله :

يا دَهرُ يا مُنجزَ إيعادِهِ ... ومُخلفَ المأمولِ مِنْ وَعدِهِ

أيُّ جديدٍ لكَ لمْ تُبلِهِ ... وأيُّ أقرانِكَ لمْ تُردِهِ

تستأسِرُ العِقبانَ مِنْ[1] جوِّها ... وتُنزِلُ الأعصَمَ مِنْ فِنْدِهِ

وأنكر على الدهر أن يسوي بين الناس في الموت ، فلا يفرق بين فاضل وناقص ، ولا بين غويّ ورشيد ؛ حتى يكاد يخيل إلى المرء أن الغيّ والجهل خير من الرشاد والفضل ؛ لأن الأخيرين يحتاج صاحبها إلى كد وعناء في اكتسابها بخلاف الأولين ؛ وإذا لم يكن لذلك العناء ثمرة في دفع الردى عن صاحبيها فالجهل والغي أقل عناء وأكثر راحة ، وربما كانا أكثر نفعاً لأن الحياة تصفو للجاهل :

أرَى ذَوِي الفَضلِ وأضْدادَهُمْ ... يَجمَعُهُمْ سَيلُكَ في مَدِّهِ

إنْ لمْ يكُنْ رُشدُ الفَتى نافِعاً ... فَغَيُّه أنفَعُ مِنْ رُشدِهِ

وإذا جرب الإنسان الدنيا ، واستقرى أحوالها وتقلبها وجورها ،

---

(١) في شروح السقط : « العقبان في جوها » .

حكم عليه العقل بأن يزهد فيها . ولكن القلوب تطغى عليها الأهواء فتستعبدها وتدفعها إلى غير ما يقتضيه العقل :

تَجْرِبَةُ الدُّنْيَا وأفْعالُهـــا حَثَّتْ أخا الزُّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ

والقَلْبُ مِنْ أهْوائِهِ عَابِدٌ مَـا يَعْبُدُ الكَافِرُ مِنْ بُدِّهِ

وإن أبا العلاء جرب الدنيا وزهد فيها ، ولكنها لم تزهد فيه ؛ فما زالت توالي عليه المصائب والأرزاء حتى ألِفها ، وصار لا يحسّ لأحداثها ألماً ، بل صار يأنس بها ؛ كما أن من اعتاد أكل السم لا يألم من أكله وربما تلذّذ به :

إنّ زَمَــاني بِرَزَايَاهُ لي صَيَّرَني أمْرَحُ في قِدِّهِ

ثم ذكر أن تعجيل الموت وتأجيله لا يتوقف على شرف الإنسان أوخسته ، لأن الناس في قبضة الزمان كالمال في قبضة الإنسان ، فهو ينفق ما يختار منه ، ولكن يرون في الغالب أنه يعجل بالأخيار ويؤثر الكرام :

كَأنّنَــا في كَفِّهِ مَالُهُ يُنْفِقُ مَا يَخْتَارُ مِنْ نَقْدِهِ

والإنسان لو تذكر أن مبدأه نطفة مذرة ، ومنتهاه جيفة قذرة ؛ وهو ما بين المبدأ والمنتهى مثل أعلى للضعف والعجز ، وعرضة للكوارث والمحن لا يجد فيه ما يحق له أن يفتخر به على غيره ولو كان عبداً مملوكا له :

لَوْ عَرَفَ الإنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرِ المَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ

وليس الضعف والعجز خاصين بإنسان دون آخر ، بل ذلك عــام شامل لكل إنسان منفرداً ومجتمعاً ؛ فهم عاجزون لا يستطيعون دفع

عاديته عنهم . وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ولو اجتمعوا من أولهم إلى آخرهم على أن يردّوا أقرب يوم مضى لما قدروا :

أَمسِ الذي مَرَّ عَلَى قُرْبِهِ   يَعجِزُ أهلُ الأرضِ عَنْ رَدِّهِ

وإذا لم يكن من الموت بد فلا فرق بالنسبة الى الموت بين من يموت في مهده وبين من يعيش عمر لبد :

أضحَى الذي أُجِّلَ في سِنِّهِ   مِثْلَ الذي عُوجِلَ في مَهْدِهِ

وكذلك لا فرق بين من يُشَيَّع بالحمد أو الذم أو بين السوقة المفرد ، والملك الذي يحشد الجيوش الجرارة :

ولاَ يُبَالي الميْتُ في قبرِهِ   بِذَمِّهِ شُيِّع أوْ حَمْدِهِ[1]

والوَاحِدُ الْمُفْرَدُ في حَتْفِهِ   كالحَاشِدِ الْمُكْثِرِ في حَشْدِهِ

وصفوة القول : ان الناس سواسية عند الموت ، فلا فرق عنده بين انسان وآخر مهما كان بينهما من التفاوت في الأحوال والخلال والأعمار فهو عام شامل لجميع الناس .

وأما نسبة بعض الناس الى بعض فقد سبقت الإشارة الى أن التفاضل بالسجايا والأخلاق ، والشرف الحقيقي للمرء هو ما يكسبه بأفعاله لا بما يرثه من آبائه . ولولا السجايا الطيبة في الإنسان لكان كالمعدوم :

لَوْلاَ سَجَايَاهُ وأَخلاَقُــهُ   لَكَانَ كَالْمَعْدُومِ فِي وَجْدِهِ

---

(١) في شروح السقط : « أم حمده »

والنفوس البشرية تحب الإنسان وتشتاق اليه ، لا لصورته وجسمه بل لصفاته وأخلاقه كما :

تَشتَاق أيارَ نفوسُ الوَرَى ... وَإِنما الشَّوْقُ إِلَى وَرْدِهِ

والناس من فرط جهلهم بالحقائق ، وقصر نظرهم إلى العواقب ، إذا أحبوا إنساناً دعوا له بطول البقاء ، وهو يسر بذلك . ولكن لو تأمل لعلم أن كل ما يكرهه يلقاه في طول البقاء :

تَدْعو بِطُولِ العُمْرِ أفواهُنَا ... لِمَنْ تَنَاهَى القَلْبُ في وُدِّهِ

يُسَرُّ إِنْ مُدَّ بَقَاءٌ لَــهُ ... وَكُلُّ مَا يَكْرَهُ في مَــدِّهِ

وذلك لأن الإنســان عَلَى ضعفه عرضةٌ للمصائب ، وكل ما في هذا الكون عدو له ، وأقرباؤه وخلصانه أشد الناس عداوة له ، حتى إن جسده ضد له يحاربه . وأفضل ما في الإنسان من الأعضاء عدو له ، يكيد له كل كيد ويغتاله . فقد يعمل بيده عملا يسبب هلاكه أو يتكلم بكلمة فتودي بحياته ؛ أو يرى شيئاً فيحبه فيسعى لالتماسه فيكون ذلك سبباً لحتفه . وضرب لذلك أمثلة في قوله :

أفضَلُ مَا في النَّفسِ يَغتَالُها ... فَنَستَعِيذُ اللهَ مِنْ جُنْدِهِ

وَآفَــةُ العَاشِقِ مِنْ طَرْفِهِ ... وَآفةُ الصّارِمِ مِنْ حَــدِّهِ

ثم عاد إلى الموت ، فبين أنه لا يقتصر على خراب البدن وإبادة ما كان فيه من قوى ؛ وإنما يبدل ما كان له في الحيــاة من عِزّة وترف بذلة وشظف ، فانظر :

كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبلَةٍ خَدَّهُ ... سُلِّطَتِ الأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ

وَحَامِلٍ ثِقْلَ الثَّرَى جِيدُهُ ... وَكَانَ يَشْكُو الضَّعْفَ مِنْ عِقْدِهِ[1]

وانظر إلى الدهر كيف يخدع ويغري ، ثم يفجع ويَفْرِي ، فكم من فارسٍ بطل هو :

أَشْجَعُ مَنْ قَلَّبَ خَطِّيَّةً ... عَلَى طَوِيلِ البَاعِ مُمْتَدِّهِ

لاَ يَصِلُ الرمْحُ إِلَى طِرْفِهِ ... وَلاَ إِلَى المُحْكَمِ مِنْ سَرْدِهِ

. . . .

أَمْهَلَهُ الدَّهْرُ . فَأَوْدَى بِهِ ... مُبْيَضُّهُ يُخْدَى بِمُسْوَدِّهِ

وبعد أن انتهى من ذكر الدهر وخدعاته ، والموت وفجعاته ، والمرثي وصفاته ؛ التفت إلى المعزّى ليسليه ، ويخفف مصابه ؛ فذكر له أن أخاه المفقود ترك خمسة بنين كالشهب ، وفيهم سلاة عن أبيهم . وأن كل ما يسوءه أو يسره من عند الله فيجب التسليم اليه إذ لا يستطاع رد ما قضى به . وأن عاقبة كل شيء الفناء ، وإن لم يباشر أسبابه بنفسه أو بواسطة غيره . وأن المفقود الذي ترك في داره وحشة بسبب فقده ، تؤنسه رحمة الله في لحده :

فَيَا أَخَا المَفْقُودِ فِي خَمْسَةٍ ... كَالشُّهْبِ مَا سَلاَّكَ عَنْ فَقْدِهِ

جَاءَكَ هَذَا الحُزْنُ مُسْتَجْدِياً ... أَجْرَكَ فِي الصَّبْرِ فَلاَ تُجْدِهِ

سَلِّمْ إِلَى اللهِ فَكُلُّ الَّذِي ... سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ

لاَ يَعْدَمُ الأَسْمَرُ فِي غَابِهِ ... حَتْفاً وَلاَ الأَبْيَضُ فِي غِمْدِهِ

إِنَّ الذي الوَحْشَةُ فِي دَارِهِ ... تُؤْنِسُهُ الرَّحْمَةُ فِي لَحْدِهِ

---

(١) في شروح السقط : « يشكو الثقل من عقده » .

وفي كل واحد مما ذكر تهوين للمصاب ، وتخفيف للوعة والأسى على أمر لا بد منه ولا سبيل الى دفعه . ثم دعا بطول البقاء للمعزّى ولذويه مراعاة للعادة المتبعة بقوله :

لاَ أوْحَشَتْ دَارُكَ مِنْ شَمْسِهَا وَلاَ خَلاَ غَابُكَ مِنْ أُسْدِهِ

وهذه القصيدة معرض أبرز فيه أبو العلاء صوراً متعددة من أدبه ، وعلمه ، وبراعته ، وتعمق تفكيره .

ففيها البارع الفائق من المعاني الدقيقة مثل قوله :

صَبْرٌ يعيدُ النارَ في زَنْدِهِ . . . .

ومن الإيجاز المعجز مثل قوله :

إذْ كانَ لَمْ يُفتَح عَلى نِدِّهِ . . . .

ومن الاستعارات البديعة مثل قوله :

يَجْمَعُهُمْ سَيلُكَ في مَدِّهِ . . . .

ومن المعاني المبتكرة مثل :

جاءكَ هَذَا الحزنُ مُستَجدياً . . . .

وفيها من الحث على الصبر والتزهيد في الدنيا ، والتحذير من الدهر وخِدَعه ، والثناء على المعزّى والمعزى به وأبنائه ، وتعريف الإنسان بحقيقة نفسه حيا وميتاً ، وبحقيقة الحياة ومبدئها ومنتهاها ، وبغلبة الهوى على القلوب ونحو ذلك من الأمور والمقاصد النبيلة . وفيها كثير من الحِكم الرائعة مثل قوله :

وَالشيء لاَ يَكثُرُ مداحـــه . . . .

لَوْ عَرَفَ الإِنسانُ مِقْدَارَهُ . . . .

ولو شئتَ أن تقول : إن أكثر أبياتها صالح لأن يعد من الحكم لكنت غير مبالغ .

وأما أسلوب الشاعر فيها فهو من الموجز المعجز ، والسهل الممتنع . وقد قدمنا أمام بعض أبياتها ما مهدنا به السبيل الى فهمها . وهي في جملتها من مقلدات الشعر ، ومن نوادر الدهر ؛ وإن الإكثار فيها من الحكم شغل الشاعر عن الإكثار من الحزن واللوعة إيثاراً للأفضل على الفاضل .

ورثى صديقاً له لم يسمه بأبيات يعتذر فيها عن تأخره في التعزية ، منها قوله [١] :

فَالأَرْضُ تَعْلَمُ انني مُتَصَرِّفٌ مِنْ فَوْقِهَا وَكَأَنني مِنْ تَحْتِهَا

غَدَرَتْ بِيَ الدُّنْيَاوَكُلُّ مُصَاحِبٍ صَاحَبْتُهُ غَدْرَ الشِّمَالِ بِأُخْتِهَا

شُغِفَتْ بِوَامِقِهَا الحريصِ وَأَظْهَرَتْ مَقْتِي لِمَا أَظْهَرْتُهُ مِنْ مَقْتِهَا

لاَ بُدَّ لِلْحَسْنَاءِ مِنْ ذَامٍ وَلاَ ذَامٌ لِنَفْسِيَ غَيْرَ سَيِّءِ بَخْتِهَا

ورثى الشريف أبا أحمد الحسين والد الرضي والمرتضى والمرضي بقصيدة غرّاء قالها [٢] وهو في بغداد سنة ٤٠٠ هـ وفيها أبيات من عيون الشعر منها

---

(١) مطلع المرثية :

يا راعي الودّ الذي أضاله تنى بظاهر أمرها عن نعتها

انظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٢٨ ـ ١٠٣٥ . وفيها : .. من فوقها متصرف

(٢) مطلعها :

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف

انظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٦٤ ـ ١٣٢٠ .

قوله ، وقد كانت الأمطار قليلة في تلك السنة ، وفي الليلة التي توفي منها كثر الرعد والمطر :

رَغَتِ الرُّعُودُ وَتِلْكَ هَدَّةُ واجِبٍ   جَبَلٌ هَوَى مِنْ آلِ عَبدِ مَنَافِ

بَخِلَتْ فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ فَقْدِهِ   سَمَحَ الغَمَامُ بِدَمْعِهِ المِذْرَافِ[1]

وَيُقَالُ إنَّ البَحْرَ غَاضَ وَإنَّمَا   سَتَعُودُ سِيفاً لُجَّةَ الرَّجَّافِ

وَيَحِقُّ في رُزْءِ الحُسَيْنِ تَغَيُّرُ الـ   ـحَرَسَيْنِ بَلْهَ الدُّرِّ في الأَصْدَافِ

ووصفه بأبيات تدل على شجاعته وعظم مصيبته ، فالرماح بعده رُعْشُ المتون ، كليلة الأطراف ، متعطفة ، فالزج منها عند السنان ، ولا مطمع في تثقيفها ، والسيوف ترجف تحت قوائمها لهول المصاب ؛ والغربان تندبه لكل الناس وقد لبست سواداً حداداً عليه ؛ وجميع الطيور كالأغربة في الحزن عليه . ووصفه بالجود حتى بعد الموت فلو زاره الموتى كساهم أكفانا . وقد أكبر الناس والحيوان فقده ، فالركب ترك الطعام ، والفصال أعرضت عن الرضاع جزعاً على هذا الرزء العظيم . ووصفه بالجلالة وعلو المنزلة في الدين بقوله :

تَكبِيرَتَانِ حِيالَ قَبْرِكَ لِلْفَتَى   مَحْسُوبَتَانِ بِعُمْرَةٍ وَطَوَافِ

ووصفه بالزهد والسخط على الدهر ، وأنه فارقه ساخطاً أفعاله ؛ ثم مدح أبناء المرثي الثلاثة ، ومن لطيف مدحه قوله :

أَنْتُمْ ذَوُو النَّسَبِ القَصِيرِ فَطَوْلُكُمْ   بَادٍ عَلَى الكُبَرَاءِ وَالأَشْرَافِ

---

(١) في شروح السقط : « . . . الذرّاف » .

والرَّاحُ إنْ قيلَ ابنَةُ العِنَبِ اكْتَفَتْ ... بأبٍ عن الأسماءِ والأوصافِ
ما زاغَ بيتُكُمُ الرفيعُ وإنّما ... بالوَجدِ أدرَكَهُ خَفيُّ زِحافِ

ثم مدحهم بالكرم ، ووصف نار قرام بأبيات منها قوله :

حمراءُ ساطِعَةُ الذَّوائِبِ في الدُّجى ... تَرمي بكُلِّ شَرارَةٍ كَطِرافِ

. . . .

يُمْسي الطَّرِيدُ أمامَها وكأنَّهُ ... أسَدُ الشَّرَى أو طائِرٌ بشَرافِ
زَهراءُ يَحلُمُ في العَواصِفِ جَمرُها ... وتَقَرُّ إلاّ هِزَّةَ الأعطافِ
سَطَعَتْ فما يَسطِيعُ إطفاءً لها ... زُحَلٌ ونُورُ الحقِّ ليسَ بِطافِ
تَصِلُ الوُقودَ ولا خُمودَ ولو جرَى ... باليَمِّ صَوبُ الوابِلِ الغَرّافِ
شُبَّتْ بعالِيَةِ العِراقِ ونُورُها ... يَغشَى منازِلَ نائِلٍ وإسافِ

ووصف القدور بقوله :

وقُدُورُهُم مِثلُ الهِضابِ رَواكِداً ... وجِفانُهم كَرَحِيبَةِ الأفيافِ
مِن كُلِّ جائِشَةِ العَشِيِّ مُفيئَةٍ ... بالمِيرِ خيرَ مَرافِدٍ وصِحافِ
دَهماءَ راكِبَةٍ ثلاثَةَ أجْبُلٍ ... عِظَماً وإنْ حُسِبَتْ ثلاثَ أثافِ

ثم ختم القصيدة بالمدح لابنَي المرني ، واعتذر بأن قصيدته هذه أقل بهارة تهدى لأحسن روضة مئناف ، وأنه سلك بها طريق التشرف بها ، ولم يسلك طريق طالب المعروف .

ورثى أباه بقصيدة أبياتها ثلاثة وخمسون بيتاً [١] أبان فيها أنه نقم الرضا على كل شيء حتى السحاب الضاحك الذي تلمع بروقه ، ودعا أن لا يجوده إلا السحاب العابس ؛ وتمنى أن يدمى فمه إذا ابتسم . ثم تحسر لأن أباه حكمت فيه المنايا حكما لا يرد . ثم وصفه بأنه طاهر الظاهر والباطن ، حليم متأن ؛ عاقل زاده عقله جرأة وسماحة . ثم ذم الدنيا واستنزل غضب الله عليها لأنها لا تبقي ابناً لها كأنهم أولاد زنى فتخشى العار من إبقاء أحد منهم .

ثم التفت الى ما بعد الموت ، واعترف بأن الناس يجهلون ما يراد بهم ، والعلم بذلك لله فقط ؛ لأن الإنسان إذا غُيّبَ في قبره خفي أمره ولم تهتد الأفكار الى معرفة حقيقة ما هو فيه .

ثم نظر الى الحياة فرأى أن الساعة التي تمضي من عمر الانسان أقتَلُ له من قِرْنٍ في الحرب ؛ ولكن الناس وجدوا أذى الدنيا لذيذا ، والحياة محببة على شرها وضرها ، والموت مكروه وإن كان فيه خلاص من الأذى ، فما رغبت فيه القطا من الطير ، ولا حمر الوحش من الحيوان الأعجم ، مع أن كلا منها يكابد عناء في طلب الماء حرصاً على حياته ؛ ولا استعذبته روح آدم وموسى ؛ وقد وُعِدا مِنْ بعده جنة عدن . والخوف من الموت ألجأ أهل الكهف الى الاعتصام به ، وكلف نوحاً وابنه عمل السفينة .

ثم عاد فمدح أباه بالفصاحة ، وتحسر على قربه من سكنه ، وبعده من التمكن من لقائه ؛ ودعا لأهل القبور بالسقيا .

---

(١) مطلعها :

نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن فلا جادني إلا عبوس من الدَّجْنِ

انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٩٠٧ — ٩٤١ .

ثم عاد الى الحيرة في أمرهم ، وبيّن أن نفسه لم يُشف غليلها لانه لم يقف على حقيقة أمرهم :

طلبتُ يقيناً من جُهَيْنَةَ عنهُمُ ... وَلَنْ تُخبريني يا جُهَيْنَ سِوَى الظنِّ

فإنْ تعهديني لا أزالُ مُسائِلاً ... فإني لم أُعطَ الصَّحيحَ فأستَغني

وقد بيّن اجلاله لأبيه في مثل قوله :

أمُرُّ بِرَبْعٍ كنتَ فيهِ كأنَّما

أمُرُّ مِنَ الإكرامِ بالحِجْرِ والرُّكْنِ

وأعرب عن ألمه وقلقه وجزعه لموته في قوله :

لقدْ مَسَختْ قلبي وَفاتُكَ طائِراً ... فأقسمَ ألاَّ يستقِرَّ على وَكْنِ

يُقَضِّي بقايا عَيشِهِ وجَناحُهُ ... حَثيثٌ الدَّواعي في الإقامةِ والظَّعْنِ

كأنَّ دُعاءَ الموتِ باسمِكَ نكزةٌ ... فَرَتْ جَسَدي والسمُّ يُنفَثُ في أُذْني

وقوله :

سَأَبكي إذا غنّى ابنُ وَرْقاءَ بَهجَةً ... وإنْ كانَ ما يَعنيهِ ضِدَّ الذي أعني

وَنادِبَةٌ في مَسمَعي كُلُّ قَينَةٍ ... تُغَرِّدُ باللَّحنِ البَريءِ مِنَ اللَّحْنِ

وَأحمِلُ فيكَ الحُزْنَ حَيّاً فإنْ أمُتْ

وألقَكَ لَمْ أسلُكْ طريقاً إلى الحُزْنِ

وبَعْـــدَكَ لا يَهوَى الفُؤادُ مَسَرَّةً

وَإِنْ خانَ في وَصْلِ السُّرورِ فلا يَهني

وتمنى أن يكون أبوه مدفونا في جفنه ، ولم يرض أن يكون قبره في درة ، ولا في الجو ؛ وتحسر عليه من تراب القبر وجنادله . والقصيدة في جملتها مغمورة بالحزن والأسف .

ورثى أمه بقصيدتين ، الأولى : ميمية [١] مطلعها :

سَمِعْتُ نَعِيَّها صَمِّي صَمَـــامِ وَإِنْ قَالَ العَوَاذِلُ لاَ هَمَامِ

وأكبَرَ أن يرثيها لسانه بلفظ يخرج من الفم ، ورثاؤهـــا لعظمه يَهْتِمُ الأنياب ؛ وتمنى أن يصوغ الشهب شعراً فيجعله رثاء لها . ثم بين أن موتها كان في كهولته ، ولكنه لفقدها ظنّ أنه رضيع فارقته أمه . ثم تمنى أن يبلغ روحها سلام طيب الرائحة ، واستدعى الحمام أن تنوح ؛ ولكنه وجد أن النوح لا يشفي عليلا ، ولا يروي غليلا ؛ وإنما الذي يروي الغلة هو اللقاء ، فسأل عنه متى يكون :

سَأَلْتُ مَتَى اللِّقَاءُ فقِيلَ حتَّى يَقومَ الهَامِدُونَ مِنَ الرِّجامِ

وَلَوْ حَدُّوا الفِرَاقَ بِعُمْرِ نَسْرٍ طَفِقْتُ أَعُدُّ أَعْمَارَ السِّمَامِ

ولكن لم يُحَدّ له ذلك ، فتمنى أن تقوم القيامة ليكون فيها اللقاء :

فَلَيْتَ أَذِينَ يومِ الحشْرِ نَادَى فَأَجْهَشَتِ الرِّمَامُ إِلى الرِّمَامِ

ثم التفت الى الحياة ، فرأى أن الناس كلهم صائرون الى الفنـــاء ، ولكن لكل واحد وقت محدود ؛ فعبّر عن ذلك بقوله :

وَنحْنُ السَّفْرُ فِي عُمُرٍ كَمَرْتٍ تَصَافَنَ أَهْلُهُ جُرَعَ الحِمَامِ

---

(١) عدد أبياتها أربعة وستون بيتــاً ، انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص. ١٤٥٣ — ١٥١٥ .

والتفت إلى نفسه فرأى أن الزمان يصرفه ويغيره من حالة الى أخرى ، كما تصرّف الكلمة من صيغة الى صيغة ، وأن عاقبة أمره أن يُحذف من الوجود ويدغم في القبر :

فَصَرَّفَني فَغَيَّرني زَمَــانٌ سَيُعقِبُني بِحَذْفٍ وادّغامِ

لأن الدهر سيهلك كل مخلوق ضعيفاً كان أمْ قويا ؛ فلا يفوته الأسد الذي يفترس ؛ ثم وصف الأسد . ولا يبقي على الأفاعي التي يتقى بأسهـا ، ثم وصفها . ووصف قبائل بني عامر بن صعصعة ؛ ووصف أهوال الليل ؛ ووصف السيف وصفاً رائعاً . ثم عاد الى تعداد نعم أمه عليه وعجزه عن شكرها فقال :

وَلَوْ أنَّ النَّخِيلَ شَكِيرُ جِسْمي ثَنَاهُ حَمْلُ أنْعُمِكِ الجِسَامِ

كَفَاني رِيُّها عَنْ [1] كُلِّ رِيٍّ إلى أنْ كِدْتُ أُحسَبُ في النَّعَامِ

ثم مدح إباءها ، ودعا لها أن تسقيها الغاديات مطراً غزيراً كالبحار .

الثانية : قصيدة لامية [2] مطلعها :

حُلُوُّ فُؤادِي بِالمَوَدَّةِ إِخــلالُ وَإِبلاءُ جِسْمِي في طِلاَبِكِ إِبلالُ

وذكر فيها أنه يتمنى الموت ليلحق بأمه ، ولا يبالي إن كان قبرَ بالشام أم بريمان ، لأن قلبه يأنس بأن يدفن بجنب قبر أمه . وتمنى أن يكون مات قبلها ، لأنه بعد موتها صار كالرضيع الذي فقد حاضنته . ثم ذكر أنه رأى في نومه أنه أصيب بناجذ ، فكان تأويل رؤياه أنْ ماتت أمه ؛ فأنكر على الأحلام أن تشبه أمه التي لا نظير لها ولا خلف

---

(١) في شروح السقط : « من » .

(٢) عدد أبياتها عشرة ، انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٢٥ ـ ١٧٣١ .

بفرسه الذي في فمه أمثال له . وأن بين الموت والنوم نسبة وقربى ، ولكن النوم علة والموت شفاء ، فهما يختلفان من هذه الجهة . ثم قال : إنه اذا نام رأى أحبابه الذين ماتوا منذ شهور وأعوام .

الفخر

الفخر غرض من أغراض الشعر العظيمة في عصر أبي العلاء والذي قبله ؛ وهو عبارة عن مدح المرء نفسه وقومه ، سواء أكان بالحسب التليد أو الطريف . وللشعراء مذاهب فيما يمدحون به أنفسهم من الشجاعة ، والجود ، والمروءة ، والحمية ، وما شاكلها من الصفات المحمودة عند عامة الناس . ومنهم من كان يتمدح بالتعهّر والفجور وشيء من الأخلاق المذمومة عند العقلاء .

وأبو العلاء طبع في فخره على غرار الأعفاء العقلاء . وله في ديوانه (سقط الزند) قصيدة لامية في الفخر من جيّد شعره عدد أبياتها واحد وأربعون بيتاً [١] افتخر فيها بأن أفعاله كلها في سبيل المجد ؛ وبيّن أن تلك الأفعال : عفاف ، وإقدام ، وحزم ، ونائل . وأنه جرب الأمور الخفية فضلاً عن الظاهرة فلا يصدق واشيا ، ولا يخيب سائلاً وأن لا ذنب له إلا العلى والفواضل . ثم أخبر عن اشتهار ذكره ، وعما يحتمله من الزمان وأهله ، وعن عبقريته وتفوقه بقوله :

وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي البِلاَدِ فَمَنْ لَهُمْ ... بِإِخْفَاءِ شَمْسٍ ضَوْؤُهَا مُتَكَامِلُ

يَهُمُّ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرٌ ... وَيُثْقِلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلُ

---

(١) مطلعها :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل ... عفاف وإقدام وحزم ونائل

انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥١٩ — ٥٥٢ .

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الأَخِيرَ زَمَانُهُ لآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأَوَائِلُ

وعن مضائه فيا يقصده بقوله :

وَأَغْدُو وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمٌ وأَسْرِي وَلَوْ أَنَّ الظَّلامَ جَحَافِلُ

وبين أن اختياره العزلة لم يفقده الخلال المحمودة ، بل هو مستعد لجلب كل كريمة ، ودفع كل كريهة بقوله :

وَإِنِّي جَوَادٌ لَمْ يُحَلَّ لِجَامُهُ وَنِضْوٌ يَمَانٍ أَغْفَلَتْهُ الصَّيَاقِلُ(١)

وأنه لايضيره أن يكون لباسه غير فاخر إذا كانت صفاته طاهرة وأخلاقه فاخرة ، لأن قيمة السيف بجوهره لا بغمده وحمائله :

وَإِن كانَ فِي لِبْسِ الفَتَى شَرَفٌ لَهُ فَمَا السَّيْفُ إِلا غِمْدُهُ والحَمَائِلُ

ثم افتخر بمنطقه وأنه لجودته لا يرضى لصاحبه أن يكون منزله بين السماكين ، بل يطلب ما هو أعلى من ذلك ، ولم يحدد له غاية :

ولِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرضَ لِي كُنْهَ مَنْزِلِي عَلَى أَنَّنِي بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ نَازِلُ

ولما كان قوله هذا يوهم أن منزله الحاضر ليس بعالٍ ولا كريمٍ ، دفع هذا الوهم وبيّن أن موطنه الآن يصبو اليه كل عظيم فلا يستطيع أن يبلغه :

لَدَى مَوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْمُتَنَاوِلُ

---

(١) رواية البيت في الفروح :

واني جواد لم يحل لجامه ونضو يمان أغفله الصياقل

ووصف نفسه بالعلم ، ولكن لما رأى الجهل فاشياً في الناس تجاهل حتى يكون كأهل زمانه ؛ وتعجب من ادعاء الناقص الفضلَ بقدر ما أسف من إظهار الفاضل النقصَ ، وأمضّه كيد حساده على علو منزلته ، حتى إن يومه الذي يكون فيه ينافس اليوم الذي قبله لمفارقته إياه ، وآصاله تحسد عليه أسحاره .

وقد جرب الزمان وصروفه ، فأورثته التجارب أن لا يبالي بمن هلك ، ولا يجزع لفقد أحد ؛ فلو بان عضده ما أسف عليه منكبه ، ولو مات زنده ما بكته أنامله وإن كانت لا تستطيع أن تعمل شيئاً بدونه . ويجوز أن يكون مراده أن هذه حالة أهل عصره ، وأضاف ذلك الى نفسه وهو يريد الناس عامة لأنه واحد منهم .

ثم عرض صورة من تلون الدهر ، وانعكاس الحقائق فيه ، وبيّن أن كل ناقص يعيّر غيره ما فيه من عيب ، ويسلبه محاسنه ويدعيها لنفسه فقال :

إِذَا وَصَفَ الطَّائيَّ بِالبُخْلِ مَادِرٌ ... وَعَيَّرَ قُسّاً بِالفَهَاهَةِ بَاقِلُ

وَقَالَ السُّهَا لِلشَّمْسِ أَنْتِ خَفِيَّةٌ ... وَقَالَ الدُّجَى يَا صُبْحُ لَوْنُكَ حَائِلُ

وَطَاوَلَتِ الأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً ... وَفَاخَرَتِ الشُّهْبَ الحَصَى وَالجَنَادِلُ

وإذا كانت الأمور على ما ذكر ، فالعاقل لا يحمد الحياة على هذا الشكل ، ويعد عمل الدهر هزلا ، ويكلف نفسه أن تجدّ فيما يعنيها أو في الرحيل عن زمن هو وأهله على ما وصفه :

فَيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ ... وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ

ثم افتخر بشجاعته ، فزعم أنه يغتدي في آخر الليل على فرس كالربع في سرعته ، فيقطع ليلا كأنه البحر في أهواله ، ويجتاب فلوات مخيفة يؤنسه فيها الليل وحده . ثم اختتم القصيدة بأبيات من الحِكَم الرائعة منها قوله :

إذَا أنتَ أُعطِيتَ السَّعَادَةَ لَمْ تُبَلْ   وَإنْ نَظَرَتْ شَزْراً إليكَ القَبَائلُ

وقوله :

فَإنْ كُنْتَ تَبْغي العِزَّ فَابْغِ تَوَسُّطاً

فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ المُتَطَاوِلُ (١)

تَوَقَّى البُدُورُ النقصَ وَهْيَ أهِلَّةٌ   وَيُدْرِكُهَا النقْصَانُ وَهْيَ كَوامِلُ

وقد ذكر البطليوسي في (شرح سقط الزند ج ١ ص ٨٥) أن البُدَيَّة موضع بالشام كان أبو العلاء جاور فيه قوماً فلم يحمدهم ، وفي بعضهم يقول شعره الذي في أوله :

ألاَ في سَبيلِ المَجْدِ مَا أنَا فَاعِلُ   . . . .

وقال في (ج ٢ ص ٥١٩) عند شرح قصيدته « ألا في سبيل المجد » :

« وقال من قصيدة خاطب بها بعض أهل الشام وكان نزل عليه فأساء معاملته (٢) ، ونسبه إلى التعطيل وهو الذي أشار إليه بقوله :

---

(١) رواية البيت في شروح السقط :

وإن كنت تهوى العيش فابغ توسطاً   . . . .

(٢) عدد أبياتها واحد وثمانون بيتاً ، ومطلعها :

أعنْ وخد القلاص كشفتِ حالا   ومن عند الظلام طلبت مالا

انظر الشروح ق ١ ص ٢٥ — ١١٣ .

صَحِبْنَا بالبَدَّيةِ مِنْ حُصَيْنٍ   وَحِصْنٍ شرَّ مَن صَحِبَ الرِّجالاَ(١)

وله قصيدة في (سقط الزند) عدد أبياتها ستون بيتاً ومطلعها (٢) :

أرَى العَنْقَاء تَكْبُرُ أن تُصَادَا   فَعَانِدْ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا

ذكر فيها أنه لم يكف عن طلب ما يريده من معالي الأمور ، ولكن الأيام لم تساعده . ثم تصدى الى خبرته أحوال الناس وما توجبه من الارتياب بهم واجتنابهم بقوله :

فَظُنَّ بِسَائِرِ الإخوانِ شَرّاً   وَلاَ تَأْمَنْ عَلَى سِرٍّ فُؤَادَا

فَلَوْ خَبَرْتَهُمُ الجوْزَاء خُبْرِي   لَمَا طَلَعَتْ مَخَافَةَ أنْ تُكَادَا

أما هو فقد تجنبهم ، ونزل على حكم الزمان لعجزه عن مقاومته ، وهوّن على نفسه الخطوب لأنه ألفها :

تَجَنَّبْتُ الأَنَامَ فَلاَ أُوَاخِي   وَذُدْتُ عَنِ العَدُوِّ(٣) فَلاَ أُعَادَى

وَلَمَّا أنْ تَجَهَّمَني مُرَادِي   جَرَيْتُ مَعَ الزَّمَانِ كَمَا أرَادَا

وَهَوَّنْتُ الخُطوبَ عَلَيَّ حَتَّى   كَأَنِّي صِرْتُ أمْنَحُها الوِدَادَا(٤)

ثم بين السبب في عدم اختياره صديقاً من الناس يصطفيه ، ومكانا من الأرض يحمد الإقامة فيه . وذلك كناية عن فساد الناس والزمان ؛ وكنّى عن ذلك بقوله :

---

(١) رواية البيت في الشروح :

صحبنا بالبدية في شتاء   وعلى شرّ . . . . .

(٢) انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٥٣ ــ ٦٠١ .

(٣) في الشروح : « وزدت » .

(٤) في الشروح : « . . . ودادا » .

فَأيُّ النَّاسِ أجعَلُهُ صَدِيقاً ... وأيُّ الأرضِ أسلُكُهُ(١) ارتِيَادَا

وَلَوْ أنَّ النُّجومَ لَدَيَّ مَالٌ ... نَفَتْ كَفَّايَ أكثَرَها انتِقَادَا

ثم بدأ يفتخر بخلاله خلة بعد خلة ، فذكر ارتفاع شأنه وسيرورة ذكره ، وعظم منزلته في الدهر ، وأن الناس لم يستطيعوا فهم حقيقته ؛ فالدهر يكرر ذكره حتى يفهمه من لا يفهمه :

كَأنّي في لِسَانِ الدَّهرِ لَفظٌ ... تَضَمَّنَ مِنْهُ أغرَاضاً بِعَادَا

يُكَرِّرُني لِيَفْهَمَنِي رِجَالٌ ... كَمَا كَرَّرْتَ مَعنًى مُستَعَادَا

وذكر أن الدهر اختصه بمنزلة عالية ، وسجايا فاضلة ، قصر عنها أبناء الزمان ؛ فأصبح لانفراده بها كأنه منفرد عن الناس ؛ وأشار الى أنه لا يحب الاختصاص بنعمة ، ولا الانفراد بكرمة ، وإنما يحب أن يشاركه الناس عامة في كل خير :

وَلَوْ أنّي حُبِيتُ الخُلْدَ فَرْداً ... لَمَا أحبَبْتُ بالخُلْدِ انفِرَادَا

فَلاَ هَطَلَتْ عَلَيَّ وَلاَ بأرضي ... سَحَائِبُ لَيسَ تَنْتَظِمُ البِلاَدَا

وهذا غاية ما بعدها غاية في حب المساواة ، وكراهية الاستئثار بالنعمة ؛ وهو على كرهه الانفراد والاستئثار بالمراتب العالية بلغ مكانة لا يدرك غايتها طالب :

وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ أمَدِي سَيَلْقَى ... دُوَيْنَ مَكَانِيَ السَّبْعَ الشِّدَادَا

(١) في الشروح : « . . . أسلكها . . . » .

وذلك لأن مواهبه دون مواهبي فهو :

يُؤَجِّجُ في شُعَاعِ الشمسِ نَاراً وَيَقْدَحُ في تَلَهُّبِهَا زِنَادَا

وإذا حاول ذلك وقصر عنه انبرى ينتقصني ويكاثرني بقليله ، وينافسني بخسيسه :

وَيطْعَنُ في عُلاَيَ وإنَّ شِسْعي لَيَأْنَفُ أنْ يَكُونَ لَهُ نِجَادَا

وهو لجبنه وضعفه يرائيني :

وَيُظْهِرُ لِي مَوَدَّتَهُ مَقَــالاً وَيُبْغِضُنِي ضَمِيراً واعْتِقَـادَا

وأنا قد بلغت غاية الكمال :

فَلاَ وَأَبِيكَ مَا أَخْشَى انتِقَاصاً وَلاَ وأبِيكَ مَا أَرْجُو ازْدِيَادَا

وليس لي الشرف الذي أفضل به الناس فقط وإنما :

لِيَ الشَّرفُ الذي يَطَأُ الثُّرَيَّا مَعَ الفضْلِ الذِي بَهَرَ العِبَادَا

وَكَمْ عَيْنٍ تُؤَمِّلُ أنْ تراني وَتفْقِدُ عِنْدَ رُؤْيَتِيَ السَّوَادَا

وَلَوْ مَــلأَ السُّهَا عَيْنَيْهِ مني أَبَرَّ عَلَى مَدَى زُحَلٍ وَزَادَا

ثم افتخر بشجاعته بقوله :

أَفُلُّ نَوَائِبَ الأَيامِ وَحدِي إِذَا جَمَعَتْ كَتَائِبَهَا احْتِشَادَا

وَقَدْ أَثبتُّ رِجْلِي في رِكَابٍ جَعَلْتُ مِنَ الزَّمَاعِ لَهُ بِدَادَا

ثم وصف الركاب والليالي التي سار فيها ، والطرق التي سلكها ؛ وعاد إلى الفخر فبين منزلته ، وأنه إذا فارق مكانا لا يعود اليه ، وذلك قوله :

وَبعضُ الظَّاعِنِينَ كَقَرْنِ شَمْسٍ ... يَغِيبُ فَإِنْ أَضَاءَ الفَجْرُ عَادَا

وَلكِنِّي الشَّبابُ إِذَا تولّى ... فَجَهْلٌ أَنْ تَرُومَ لَهُ ارْتِدَادَا

ولا يشق عليه أن يفارق أوطانه وأخدانه ، لأنه ألف ذلك وهوّنه عليه اختباره الناس والزمان والمكان :

وأَحسِبُ أنّ قَلْبِي لَوْ عَصَانِي ... فَعَاوَدَ مَا وَجَدْتُ لَهُ افتِقَادَا

وهو وإن كان لا يأسف على مفارقة أحد ولا يتذكر من فارقه ، تذكر إقامته في البادية في أناس وصفهم بالشجاعة والجود وفصاحة اللسان في الشعر ؛ وأنه قصد أحسنهم وجها ، وأوهبهم طريفا أو تلاداً ، وأطولهم قناة ، وأرفعهم عمادا . ثم وصفه بأنه يهب الفضة الخالصة ، ويفتك بالأعداء ؛ وقد لزم الغزو شابا وكهلا ، وعود أن يسود ولا يساد ؛ وأنه جهول بالمناسك ، طموح لا يخشى الله ولا القيامة ، وأنه يرد عنه النكباء بترسه ، ويجعل درعه مهاداً له . ثم ذكر أنه رأى ذئباً جائعاً فنبذ اليه عصاماً وهو جلد يشد به فم القربة فأكبره ومر به لجوعه ؛ وأنه صاحب رجلا نحيفاً برته كثرة الأسفار . وختم القصيدة بقوله :

وَلي نَفْسٌ تَحُلُّ بِيَ الرَّوابي ... وَتَأْبَى أن تَحُلَّ بِيَ الوِهَادَا

تَمُدُّ لِتَقْبِضَ القَمَرَيْنِ كَفّاً ... وَتَحمِلُ كي تَبُذَّ النَّجْمَ زَادَا

ولم يتبين لنا من هم البداة الذين أقام عندهم ، ولا من هما الحيّان اللذان عهد لأحسنهم وجهاً .

وله قصيدة استهلها بالفخر في حلمه وشجاعته وجلده منها قوله[١] :

جَهِلْتُ فَلَمَّا لَمْ أرَ الجَهْلَ مُغْنِياً ... حَلُمْتُ فأوْسَعْتُ الزَمَانَ وَقَارَا

إلى كَمْ تَشَكَّاني إليَّ رَكَائِبِي ... وَتُكْثِرُ عَتْبِي خِفْيَةً وَجِهَارَا

أسِيرُ بِهَا تَحْتَ المَنَايَا وَفَوْقَهَا ... فَيَسْقُطُ بي شَخْصُ الحِمَامِ عِثَارَا

وَكُنَّ إذَا لاقَيْنَنِي لِيَرِدْنَنِي ... رَجَعْنَ كَمَا شَاءَ الصَّدِيقُ حِرَارَا

فَلِلَّهِ طَعْمِي مَا أمَرَّ مَذَاقَهُ ... وِلله عِيسِي ما أقَلَّ نِفَارَا[٢]

ثم أخذ يصف الليل الذي سار فيه ، والإبل التي أقلته ، والأمكنة التي قطعها .

وافتخر بشعره بقوله من قصيدة : — وقد تقدم —

تَذُودُ عُلاَكَ شُرَّادَ المَعَانِي ... .[٣]

وبقوله من قصيدة أخرى : — وقد تقدم أيضاً

وَلَقَدْ غَصَبْتُ اللَّيْلَ أحْسَنَ شُهْبِهِ ... .[٤]

وافتخر بعلو منزلته ، وترفعه عن إجابة أعدائه بقوله :

---

(١) مطلع رائيته هذه :

تحيرت جهدي لو وجدت خياراً ... وطرت بزمي لو أصبت مطارا

انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦١٨ .

(٢) رواية البيت في الشروح :

فلله طعمي ما أمر مذاقه ... ولله عذني . . . .

(٣) انظر الشروح : ق ١ ص ٣٢١ والقصيدة دالية .

(٤) انظر الشروح : ق ١ ص ٤١٢ والقصيدة سينية .

تَعَاطَوْا مَكَانِي وَقَدْ فُتُّهُمْ فَمَا أَدْرَكُوا غَيْرَ لَمْحِ البَصَرْ[1]
وَقَدْ نَبَحُونِي وَمَا هِجْتُهُمْ كَمَا نَبَحَ الكَلْبُ ضَوْءَ القَمَرْ

الهجاء

لم نعثر في (سقط الزند) على قصيدة مستقلة بالهجاء ، ولا أبيات هجا بها شخصاً معيّناً ؛ وإنما وجدنا له أبياتاً يبلغ عددها اثني عشر بيتاً[2] مطلعها :

وَرَائِي أَمَامٌ وَالأَمَامُ وَرَاءُ إِذَا أَنَا لَمْ تُكْبِرْنِيَ الكُبَرَاءُ

وفيها يقول :

بِأَيِّ لِسَانٍ ذَامَنِي مُتَجَاهِلٌ عَلَيَّ وَخَفْقُ الرِّيحِ فِيَّ ثَنَاءُ
تَكَلَّمَ بِالقَوْلِ المُضَلَّلِ حَاسِدٌ وَكُلُّ كَلَامِ الحَاسِدِينَ هُرَاءُ
وَمَنْ هُوَ حَتَّى يُحْمَلَ النُّطْقُ عَنْ فَمِي إِلَيْهِ وَتَمْشِي[3] بَيْنَنَا السُّفَرَاءُ
وَإِنِّي لَمُثْرٍ يَا ابْنَ آخِرِ لَيْلَةٍ وَإِنْ عَزَّ مَالٌ فَالقُنُوعُ ثَرَاءُ
وَمُذْ قَالَ إِنَّ ابْنَ اللَّئِيمَةِ شَاعِرٌ ذَوُو الجَزْلِ مَاتَ الشِّعْرُ وَالشُّعَرَاءُ
تُسَاوِرُ فَحْلَ الشِّعْرِ أَوْ لَيْثَ غَابِهِ سَفَاهاً وَأَنْتَ النَّاقَةُ العُشَرَاءُ

ثم أورد أبياتاً يفتخر بها بأنهم أمراء على كل من يقول الشعر ، ولا تمشي القوافي تحت غير لوائهم ؛ وأنهم قادرون على تغيير كل خطب عظيم

---

(١) انظر الشروح : ق ٢ ص ٦٤٩ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٩٢ ـ ٤٠١ .
(٣) في الشروح : « ويمشي . . . » .

ينوب أهل بلادهم ؛ ولم تستطع قبيلة أن تسلبهم العز ، ولا أن تأمر أحداً منهم ؛ وأن السحاب ذا البرق لا يستطيع أن يسير في عرض السماوة، إن لم يكن له خفراء من قومه ؛ وأنهم غير فقراء إلى من يهجوهم ، بل هؤلاء فقراء الى معروف قومه . ولم يشر في الأبيات المذكورة إلى مهجو معين ؛ فلعله تخيل رجلا وقومه وأفرغ المعاني التي يريدها في الأبيات الأول ، ثم أردفها بأبيات من الفخر .

وله أبيات من قصيدة مطلعها :

أفوقَ البَدْرِ يُوضَعُ لي مِهَادَ . . . . (١)

وفيها يقول :

رُوَيْدَكَ أيّها العَاوِي وَرَائي لِتُخْبِرَني مَتَى نَطَقَ الجَمادُ

سَفَاهٌ ذَادَ عَنْكَ النَاسَ حِلْمٌ وَغَيٌّ فِيهِ مَنْفَعَةٌ رَشَادُ

ويمكن أن يقال : إن حظ الهجاء من شعره قليل ، وإن وقع في كلامه أبيات يهجو بها خصوم ممدوحيه ويصفهم بالبخل والجبن ونحوهما ؛ إلا أننا لم نجد هجاء معيناً لرجل معين .

الوصف

أبو العلاء وصّاف ماهر ، بل رسام بارع ، يصف لك الشيء المحسوس فيصوره لك حتى كأنك تراه ، ولا يفوته شيء من الدقائق التي تجعل الموصوف صورة مطابقة لأصله ، وقد يزيد الموصوف جمالاً على أصله بما يضيفه اليه من المبالغة ، أو الحس ، أو الحركة ، أو الحياة أو الصور الخيالية

---

(١) انظر ما سبق ص ١١٠٠ الحاشية ٣ .

التي لم تكن له في الحقيقة أو بما يصحبه من الحكم الرائعة أو بما يفرغه فيه من الأساليب الساحرة . ولا يفوته في وصفه شيء من الألوان الدقيقة أو الحركات الخفية ونحوها .

وإذا أراد الإنسان أن يعلم قدرته في هذا الغرض ، فانه لا يستطيع أن يدرك كنهه حتى يعترض جميع ما في كلامه من نوع الوصف ؛ وهذا أمر ليس باليسير . وقد قدمنا بعضاً من أبياته ؛ ونحن هنا نورد قسما منها وقسما مما لم نذكره ، ونكتفي بذكر البيت أو البيتين لندل القارىء على الموطن الذي يجد فيه كل ما يبتغيه من هذا الغرض .

وصف الخيل :

وصف الخيل وصفاً رائعاً حسياً ومعنوياً في مواطن من شعره منها قوله [١] :

وَلَمَّا لَمْ يُسَابِقْهُنَّ شَيْءٌ　　مِنَ الحَيوَانِ سَابَقْنَ الظِّلَالَا

تَرَى أَعْطَافَهَا تَرْمِي حَمِيماً　　كَأَجْنِحَةِ البُزَاةِ رَمَتْ نُسَالَا

. . . . الأبيات ، ووصفها بقوله [٢] :

تَخُبُّ بِكَ الجِيَادُ كَأَنَّ جَوْناً　　عَلَى لَبَّاتِهِنَّ الأُرْجُوَانُ

. . . . الأبيات ، وقوله [٣] :

تُرِيكَ لَهُ سَمَاءً فَوْقَ أَرْضٍ　　فُرُوجَ قَوَائِمٍ يُعْدَدْنَ لُوحَا

. . . . الأبيات ، وقوله [٤] :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤٦ — ٧ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٠٠ .
(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٥١ .
(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٠٣ .

أَقَائِدَهَا تُنِصُّ الجَوَّ نَقْعاً ... وَفَوْقَ الأَرْضِ مِنْ عَلَقٍ جِسَادُ

. . . . الأبيات ، وقوله من قصيدة فيها أوصاف متعددة للخيل والغبار [١] :

صَاغَ النَّهَارُ حُجُولَهُ فَكَأَنَّمَا ... قَطَعَتْ لَهُ الظَّلْمَاءُ ثَوْبَ الأَدْهَمِ

قَلِقَ السِّمَاكُ لِرَكْضِهِ وَلَرُبَّمَا ... نَفَضَ الغُبَارَ عَلَى جَبِينِ المِرْزَمِ

. . . . الأبيات ، وقوله [٢] :

إِذَا أُفْرِغَتْ مِنْ ذَاتِ نِيقٍ حَسِبْتَهَا ... تُفِيضُ عَلَى أَهْلِ الوُهُودِ بِحَارَا

وَإِنْ نَهَضَتْ مِنْ مُطْمَئِنٍّ ظَنَنْتَهُ ... يَجِيشُ جِبَالاً أَوْ يَمُجُّ حِرَارَا

. . . . الأبيات ، وقوله [٣] :

وَخَيْلاً لَوْ جَرَتْ وَالرِّيحَ شَأْواً ... ظَنَنَّا الرِّيحَ أَوْثَقَهَا إِسَارُ

غَدَتْ وَلَهَا حُجُولٌ مِنْ لُجَيْنٍ ... وَرَاحَتْ وَهْيَ مِنْ عَلَقٍ نُضَارُ

. . . . الأبيات ، وقوله [٤] :

يَكَادُ يُذِيبُ اللُّجْمَ تَأْثِيرُ حِقْدِهَا ... فَيَمْنَعُهَا مِنْ ذَاكَ بَرْدُ المَنَاهِلِ

ووصف الغبار الذي تثيره حوافر الخيل بصورة بديعة ، منها قوله من قصيدة :

وَبَنَتْ حَوَافِرُهَا قَتَاماً سَاطِعاً ... لَوْلا انْقِيَادُ عِدَاكَ لَمْ يَتَهَدَّمِ [٥]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٤٣ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٤٢ — ٣ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧١٧ — ٨ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٦٧ وفيها : « . . . نار حقدها » .

(٥) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٤٦

إلى آخر الأبيات . . . وقوله من قصيدة :

كَأنّ تُرَابَ الأرْضِ لَمْ يَرْضَ عِزَّهَا
فَأَصْعَدَ يَبْغِي فِي السَّماءِ جِوَارَا [١]

. . . . .

يَغولُ سِبَاعَ الطيرِ ضَنْكُ غُبَارِهَا [٢]
فَيُسْقِطُ مَوْتَى أعْقُبَاً وَنِسَارَا

وَيَجْثِمُ فِيهِ السِّيدُ رُعْباً فَكُلَّمَا	أضَاءَتْ لِعَيْنَيْهِ القَوَاضِبُ سَارَا

وقوله من قصيدة :

بِيَوْمٍ كَأنّ الشَّمْسَ فِيهِ خَرِيدَةٌ	عَلَيْهَا مِنَ النَّقْعِ الأحَمِّ لِثَامُ [٣]

وصف الإبل :

ووصف الإبل أوصافاً بديعة في مواطن من شعره ، منها قوله من قصيدة :

وَكَانَتْ كَالنَّخِيلِ فَظَلَّ كُلٌّ	وَمُشْبِهُهُ مِنَ الضُّمْرِ الإِهَانُ [٤]

وَقَدْ دَقَّتْ هَوَادِيهِنَّ حَتَّى	كَأنَّ رِقَابَهُنَّ الخَيْزُرَانُ

وقوله من قصيدة أخرى :

عَلَى شَدْقَمِيَّاتٍ كَأنَّ حُدَاتَهَا	إذَا عَرَّسَ الرُّكْبَانُ شُرَّابُ مُرْقِدِ [٥]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٣٦

(٢) في الشروح : « تلاها . . » .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٠٦ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٨٠ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٦٧ . والعدقيات : منسوبة إلى شدقم وهو فحل من الابل .

الأبيات . . . . وقوله من قصيدة :

سَرَتْ بِيَ فِيهِ نَاجِيَاتٌ مِيَاهُهَا ... تَجُمُّ إِذَا مَاءُ الرَّكَائِبِ غَارَا[1]

. . . .

وَلَيْسَتْ تُحِسُّ الأَرْضُ مِنْهَا بِوَطْأَةٍ

فَتُفْزِعَ[2] سِرْبًا أَوْ تَرُوعَ صُوَارَا

الأبيات . . . . وقوله من قصيدة :

بِعِيسٍ تَجُوبُ الدَّهْرَ جَوْنًا كَأَنَّهَا ... مُفَتَّشَةٌ أَحْشَاؤُهُ عَنْ كِرَامِهِ[3]

. . . .

وَلَوْ وَطِئَتْ فِي سَيْرِهَا جَفْنَ نَائِمٍ ... بِأَخْفَافِهَا لَمْ يَنْتَبِهْ مِنْ مَنَامِهِ

الأبيات . . . . وقوله من قصيدة :

إِذَا مَا أَنَخْنَا حُرَّةً فَوْقَ حُرَّةٍ ... بَكَى رَحْمَةَ الوَجْنَاءِ مِنْهَا وَجِينُهَا[4]

الأبيات . . . . وقوله :

طَرِبْنَ لِضَوْءِ البَارِقِ المُتَعَالِي ... بِبَغْدَادَ وَهْنًا مَالَهُنَّ وَمَالِي[5]

الأبيات . . . . وقوله :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٢٢ .

(٢) في الشروح : « فتذعر » .

(٣) الشروح : ق ٢ ص ٤٩٠ . وفيها : « بعيس تخطّى الدهر جوباً » . .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٩٠ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٦٢ .

عَلَى عُشَرٍ كَالنَّخْلِ أَبْدَى لُغَامُهَا
جَنَى عُشَرٍ مِثْلَ السَّبِيخِ الْمُوَضَّعِ (١)

الأبيات . . . .

الغور :

وصف أبو العلاء الغور وصفاً أجاد فيه غاية الإجادة ؛ من ذلك الأبيات التي يقول فيها :

وَمَزِيرِهَا الغَوْرَ الذي لَوْ سَلَّمَتْ رِيحٌ عَلَى أَرْجَائِهَا لَمْ تَسْلَمِ (٢)

الخَرْق والفلاة :

ووصف الخَرْق وهو الفلاة الواسعة وصفاً أتى فيه بصور خيالية رائعة . من ذلك الأبيات التي يقول فيها :

وَتَكْتُمُ فِيهِ العَاصِفَاتُ نُفُوسَهَا فَلَوْ عَصَفَتْ بِالنَّبْتِ لَمْ يَتَأَوَّدِ (٣)

الغَلَل :

وهو الماء الذي يجري في أصول الأشجار ، ولقد أجاد في وصفه بقوله :

وَمِنْ غَلَلٍ تَحِيدُ الرِّيحُ عَنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يُمَزِّقَهَا القَتَادُ (٤)

المنهل :

ووصف منهلاً بين ريف الشام والكرخ ، فأبدع وأجاد بقوله :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٤٢ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٣١ ، وفيها : « . . على أرجائه »

(٣) انظر الشروح : ق : ١ ص ٣٧٧ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣١٣ .

كأنّ الصّبا فيه تُراقِبُ كامِناً . . . . (١)

وسيأتي في (خياله) .

السيف :

وقد وصف أبو العلاء السّيف أوصافاً رائعة يقصّر عن مثلها البصراء ؛ منها الأبيات التي يقول فيها :

وَدَبّتْ فَوْقَهُ حُمْرُ المَنَايا وَلَكِنْ بَعْدَمَا مُسِخَتْ نِمَالاً (٢)

ومنها الأبيات التي يقول فيها :

وُكُلّ أبيَضَ هِنْدِيّ بِهِ شُطُبٌ مِثْلُ التَكَسُّرِ في جارٍ بِمُنْحَدَرِ (٣)

والأبيات التي يقول فيها :

كأنّ المَنَايا جيشُ ذَرٍّ عَرَمْرَمٌ تَخِذْنَ إلى الأرْوَاحِ فِيهِ مَسَارَا (٤)

والأبيات التي يقول فيها :

عَلَيْهِ لِبَاسُ الخُلْدِ حُسْناً وَنَضْرَةً

وَلَمْ يَرْبُ إلا في الجَحِيمِ مِنَ الصُّنْعِ (٥)

---

(١) عجزه : « . . يسور إليها من خلال إكامه » .
شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٤٩٨ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٠٤ .

(٣) انظر الشروح : ق ١ ص ١٠٦ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٤٧ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٥٨

والأبيات التي يقول فيها :

تَرَدَّدَ ماؤُهُ عُلْواً وَسُفْلاً وَهَمَّ فما تمكّنَ أنْ يَسِيلاَ [١]

والأبيات التي يقول فيها :

لَهُ ثِقْلُ الحدائِدِ فَهوَ راسٍ وَإصعادُ التَّلَهُّبِ فَهوَ نامِ [٢]

والأبيات التي يقول فيها :

مِنْ كُلِّ أبيَضَ مُهْتَزٍّ ذَوَائِبُهُ
يُمسِي وَيُصْبِحُ فِيهِ الموْتُ مَسْؤُونَا [٣]

الرمح :

ووصف الرمح في مواطن من شعره ، ولكنه أقل من وصف السيف عدداً وإجادة . من ذلك قوله من أبيات :

وَذي ظَمَأٍ وَلَيسَ بِهِ حَياةٌ تَيَقَّنَ طُولَ حامِلِهِ فَطالاَ [٤]

وقوله :

دَعِ اليَرَاعَ لِقَوْمٍ يَفْخَرُونَ بِهِ وبالطِّوالِ الرُّدَيْنِيّاتِ فافْتَخِرِ [٥]

وقوله :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٩٠ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٠٤ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٩٩ والمسؤون : المخزون .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٠٥ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٥٦ .

كَأَنَّ كُعُوبَهَا مُتَنَاثِرَاتٍ نَوَى قَسْبٍ تُرَضِّخُ لِلْمَوَاجِي [١]
مُمَوَّهَةٌ كَأَنَّ بِهَا ارْتِعَاشاً لِفَرْطِ السِّنِّ أَو دَاءِ اخْتِلاجِ

إلى آخر الأبيات .

الدرع :

وقد أولع أبو العلاء بوصف الدرع ، وافتنّ فيه ، وجعل منه ديواناً مستقلاً أو شبه مستقل ؛ وقد أتى في وصفها بصور بارعة لم يسبقه اليها أحد ، ولم يلحقه أحد ، من ذلك قوله في (السقط) :

عَلَيْنَا اللاَّبِسُونَ لِكُلِّ هَيْجٍ بُرُوداً غُمْضٌ لاَ بِسِهَا سُهَادُ [٢]
كَأَثْوَابِ الأَرَاقِمِ مَزَّقَتْهَا فَخَاطَتْهَا بِأَعْيُنِهِنَّ الْجَرَادُ

وقوله فيه من أبيات :

إِذَا أُلْقِيَتْ فِي الأَرْضِ وَهْيَ مَفَازَةٌ
إِلَى المَاءِ خِلْتَ الأَرْضَ يَجْرِي مَعِينُهَا [٣]

إلى آخر الأبيات . وفي قصائده الدرعيات أمثلة رائعة تدل على براعته وتفننه في وصف الدرع ، من ذلك الأبيات التي يقول فيها :

إِذَا طُوِيَتْ فَالقَعْبُ يَجْمَعُ شَمْلَهَا وَإِنْ نُثِلَتْ سَالَتْ مَسِيلَ ثِمَادِ [٤]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٧٢ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٠٥ .
(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٩٩
(٤) انظر الشروح : ق ٤ ص ١٧٥٥ .

والأبيات التي يقول فيها :

غَدِيرٌ نَقَّتِ الخِرْصانُ فيهِ نَقِيقَ عَلاَجِمٍ واللَّيْلُ دَاجِ (١)

والأبيات التي منها قوله :

هَيْنَمَةُ الخِرْصَانِ في عِطْفِهَا هَيْنَمَةُ الأَعْجَمِ للأَعْجَمِ (٢)

. . . .

لَوْ أُمْسِكَتْ مَا زَلَّ عَنْ سَرْدِهَا لأُبْصِرَ الدَّارِعُ كالشَّيْهَمِ

والأبيات التي يقول فيها :

يَدُ المَنَايَا إِذَا تُصَافِحُهَا أَعْيَا بِهَا مِنْ يَدَيْنِ في رَحِمِ (٣)

مَعَابِلُ الرَّمْيِ عِنْدَهَا عَبَلٌ مُلْقًى وَسُحْمُ النِّصَالِ كالسَّحَمِ

والأبيات التي يقول فيها :

كَهِلاَلِ الحَيَاةِ أَوْ كَقَمِيصٍ لِهِلاَلِ الحَيَّاتِ غَيْرِ مَجُوبِ (٤)

. . . .

مِثْلُ وَشْيِ الوَلِيدِ لاَنَتْ وَإِنْ كَا نَتْ مِنَ الصُّنْعِ مِثْلَ وَشْيِ حَبِيبِ

والأبيات التي يقول فيها :

تَرَى المَرْءَ فِيهَا يَحْمِلُ المَاءَ جَامِداً وَإِمَّا عَلاَهَا مِغْفَرٌ فَهْوَ قَامِسُ (٥)

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٦٤ ، والخرصان : واحدها خرص وهو الرمح . والعلاجم : الضفادع .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٠١ ، ١٨٠٥ . والشيهم : ذكر القنافذ

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٩٠٠ .

(٤) الشروح : ق ٤ ص ١٩٢٣ — ٢٤ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ١٩٩٢ ، ١٩٩٦ .

إذَا قَارَبَتهَا للرّماحِ ثَعَالِبُ
ضَغَتْ فَتَنَادَى القَوْمُ تِلكَ الهَجَارِسُ

. . . .

لَهَا حلَقٌ ضَيقٌ لَوآنَّ وَضِينَهُ فُؤَادُكَ لَمْ يخطرْ بقلبكَ هَاجِسُ

الليل والظلام :

ووصف الليل بأبيات ، منها قوله :

وَجُنْحٍ يَملأُ الفَوْدَيْنِ شَيْباً وَلَكِنْ يَجْعَلُ الصّحْرَاء خَالاَ[1]

وقوله :

لَيْلَتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزِّنْـ ـجِ عَلَيْهَا قَلاَئِدٌ مِنْ جُمَانِ[2]

ومنه الأبيات التي يقول فيها :

وَيُؤْنِسُني في قَلْبِ كُلِّ مَخُوفَـةٍ
حَلِيفُ سُرىً لَمْ تصْحُ مِنْهُ الشّمَائِلُ[3]

مِنَ الزّنْجِ كَهْلٌ شَابَ مَفْرِقُ رَأْسِهِ وَأُوثِقَ حَتَّى نَهْضُهُ مُتَثَاقِلُ

والأبيات التي يقول فيها :

تَعْجَبُ مِنْ تَغَشْمُرِهَا لَيَالٍ تُبَارِينَا كَوَاكِبُهَا سُهَادَا[4]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٧٢ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤٢٩ .
(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٤٥ .
(٤) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٧٤ تغشمر : أي ركب رأسه لا يبالي ما صنع .

كَأَنَّ فِجَاجَهَا فَقَدَتْ حَبِيباً فَصَيَّرتِ الظَّلامَ لَهَا حِدَادَا

والأبيات التي يقول فيها :

وَأَسْوَدَ لَمْ تَعْرِفْ لَهُ الإِنْسُ وَالِداً كَسَانِيَ مِنْهُ جُلَّةً وَخِمَارَا [١]

والأبيات التي يقول فيها :

كَأَنَّمَا هِيَ إِذْ لاَحَتْ كَوَاكِبُهَا
خَوْدٌ مِنَ الزِّنْجِ تُجْلَى وُشِّحَتْ خَضَضَا [٢]

والأبيات التي يقول فيها :

كَأَنَّ الدُّجَى نُوقٌ عَرِقْنَ مِنَ الوَنَى وَأَنْجُمُهَا فِيهَا قَلاَئِدُ مِنْ وَدْعِ [٣]

والأبيات التي يقول فيها :

وَلَيْلٍ كَـذِئْبِ القَفْرِ مَكْراً وَحِيلَةً أَطَلَّ عَلَى سَفْرٍ بِحُلَّةِ أَدْرَعِ [٤]

والأبيات التي يقول فيها :

وَكُنَّ يَرَيْنَ نَارَ الزَّنْدِ فِيهِ فَلَمْ يُبْصِرْنَ إِذْ وَرَتِ الزِّنَادُ [٥]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ١٢٢ وفيه : « لم يعرف » .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٧ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٦٣ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٦٠ . وفيهـا : « كذئب الغبر » .
وحلة أدرع : من قولهم : ليلة درعاء إذا اسود أولها وابيض آخرها بالقمر .

(٥) الشروح : ق ١ ص ٣١٣ .

والأبيات التي يقول فيها :

حَنَادِسُ تُغشِي المَوْتَ لَوْلا انْجِيَابُهَا
عَنِ المَرْءِ مَا هَمَّ الرَّدَى بِاخْتِرَامِهِ (١)

النجوم :

ووصف النجوم في مواطن ، منها قوله :

كَأَنَّها سِرْبُ حَمَامٍ وَاقِعٍ   فِي شَبَكٍ مِنَ الظَّلامِ تَنْتَزِي (٢)

ومنها قوله :

وَكَأَنَّ الهِلالَ يَهْوَى الثُّرَيّا   فَهُمَا لِلْوَدَاعِ مُعْتَنِقَانِ (٣)
وَسُهَيْلٌ كَوَجْنَةِ الحِبِّ فِي اللَّوْ   نِ وَقَلْبِ المُحِبِّ فِي الخَفَقَانِ

ومنها قوله :

وَلَيْلَةٍ بِتُّ فِيها وَابنُ مُزْنَتِهَا   كَمَيِّتٍ عادَ حَيّاً بَعْدَ مَا قُبِضَا (٤)

ومنها قوله :

كَأَنَّ الثُّرَيَّا وَالصَّبَاحُ يَرُوعُهَا   أَخُو سَقْطَةٍ أَوْ ظَالِعٌ مُتَحَامِلُ (٥)

ومنها قوله :

يُلَامُ سُهَيْلٌ تَحْتَهُ مِنْ سَآمَةٍ   وَيُنْعَتُ فِيهِ الزِّبْرِقَانُ بِأَسْلَعِ (٦)

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ٥٠٠ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤١٧ . وفيها : « .. ينتزي » .
(٣) الشروح : ق ١ ص ٤٣٠ ، ٤٣٣ .
(٤) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٧ وفيها : « وليلة سرت » .
(٥) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥١٧ .
(٦) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٦٢

وصف الهلال :

ووصف الهلال في مواضع متعددة من شعره ، منها الأبيات التي يقول فيها :

فَصِيمٌ نِصْفُهُ في المـاء بَادٍ   وَنِصْفٌ في السَّمَاءِ بِهِ تُزَانُ[1]

وقوله :

وَلاَحَ هِلاَلٌ مِثْلُ نُونٍ أَجادَهـــا
بِجاري النُّضَارِ الكَاتِبُ ابنُ هِلاَلِ[2]

ووصف البرق في مواطن منها قوله :

إِذَا مَا اهْتَاجَ أَحمَرَ مُستَطِيراً   حَسِبْتَ اللَّيْلَ زِنجِياً جَرِيحَا[3]

وقوله :

مِثْلُ السُّيوفِ هَزَّهُنَّ عَارِضٌ   وَالسَّيفُ لاَ يَرُوعُ إِنْ لَمْ يُهْزَزِ[4]

وقوله :

أَيْلِي كَمَا قُصَّ الغُرَابُ خِلاَلَهُ   بَرقٌ يُرَنِّقُ دَأْبَ نَسْرٍ حَائِمِ[5]

وصف الطبيعة :

ووصف الطبيعة وصفاً متعدداً في كثير من القصائد ، منها قوله في الأرض :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢١١ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٩٧ .
(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٤٠ .
(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤١٥ .
(٥) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٢٢ .

وَالخِلُّ كَالمَاءِ يُبْدِي لِي ضَمَائِرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ الكَدَرِ

. . . .

وَاقْتَتَم في اخْتِلَافٍ مِنْ زَمَانِكُمُ
وَالبَدْرُ في الوَهْنِ مِثْلُ البَدْرِ في السَّحَرِ

. . . .

فَالعَيْنُ يَسْلَمُ مِنْهَا مَارَأَتْ فَنَبَتْ عَنْهُ وَتَلْحَقُ مَا تَهْوَى مِنَ الصُّوَرِ

. . . .

مَا جَتْ نُمَيرُ فَهَاجَتْ مِنْكَ ذا لبد وَاللَّيْثُ أَفْتَكُ أَفْعَالًا مِنَ النَّمِرِ

. . . .

والنجمُ تَسْتَصْغِرُ الأَبْصَـــارُ رُؤْيَتَه[1]
وَالذَّنْبُ للطَّرْفِ لا لِلنَّجْمِ في الصِّغَرِ

. . . .

وَالمَرْءُ مَا لَمْ تُفِدْ نَفْعـــاً إِقَامَتُهُ
غَيْمٌ حَمَى الشَّمْسَ لَمْ يُمْطِرْ وَلَمْ يَسِرِ

. . . .

أَفْنَى قُوَاهَا قَلِيلُ السَّيْرِ تُدْمِنُهُ وَالغَمْرُ يُفْنِيهِ طُولُ الغَرْفِ بِالغُمَرِ

. . . .

والكِبْرُ والحَمْدُ[2] ضِدَّانِ اتِّفَاقُهُمَا مِثْلُ اتِّفَاقِ فَتَاءِ السِّنِّ والكِبَرِ

. . . .

---

(١) في العروح : ق ١ ص ١٦٢ : الأبصار صورته .
(٢) في العروح : والحمد والكبر .

خَفَّ الوَرَى وَأَقَرَّ تكُمْ حُلومُكمُ ... والجمرُ تَعْدَمُ[1] فيهِ خِفَّةَ الشَّرَرِ

. . .

وَعيشَتِي الشَّبَابُ وَلَيسَ مِنْها ... صِبايَ وَلا ذَوا ثِبِيَ الهِجَانُ[2]

وكالنَّارِ الحَيَاةُ فَمِنْ رَمادٍ ... أَوَاخِرُها وأَوَّلُهَا دُخانُ

. . . .

وَلَوْ طَرِبَ الجَمادُ لَكانَ أَوْلَى ... شُرُوبِ الرَّاحِ بالطَّرَبِ الدِّنانُ

. . . .

وَسائِلْ مَنْ تَنَطَّسَ في التَّوَقِّي ... لِأَيَّةِ عِلَّةٍ مَاتَ الجَبَانُ

. . . .

وَيُعْدَمُ عِنْدَهُ في الجُودِ مَطْلٌ ... وَمَفْقُودٌ مَعَ العُتْقِ الحِرَانُ[3]

. .

وَمَا لِلمِسْكِ في أَنْ فَاحَ حَظٌّ ... وَلَكِنْ حَظُّنَا في أَنْ يَفُوحا[4]

. . .

سَفَاهٌ ذَادَ عنكَ النَّاسَ حِلْمٌ ... وَغَيٌّ فيهِ مَنْفَعَةٌ رَشادُ[5]

. . . .

فَأُطْعِمُها لِأَجْعَلَها طَعَامِي[6] ... وَرُبَّ قَطِيعَةٍ جَلَبَ الوِدَادُ

. . .

---

(١) في الشروح : « والجمر يعدم . . » .
(٢) القصيدة في الشروح : ق ١ ص ١٧٢ ـ ٢٢٣ .
(٣) في الشروح : « ومعدوم مع العتق . » .
(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٦٩
(٥) القصيدة في الشروح : ق ١ ص ٢٨١ ـ ٣٢٦ .
(٦) في الشروح : « طعاماً » .

وَالخِلُّ كَالمَاءِ يُبدِي لِي ضَمَائِرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخفِيهَا مَعَ الكَدَرِ

. . . .

وَاْفَقْتَهُمْ فِي اخْتِلافٍ مِنْ زَمَانِكُمُ
وَالبَدْرُ فِي الوَهْنِ مِثْلُ البَدْرِ فِي السَّحَرِ

. . . .

فالعَيْنُ يَسْلَمُ مِنْهَا مَارَأَتْ فَنَبَتْ عَنْهُ وَتَلْحَقُ مَا تَهْوَى مِنَ الصُّوَرِ

. . . .

مَاجتْ نُمَيرٌ فهاجتْ مِنْكَ ذَا لبد وَاللّيْثُ أَفتَكُ أَفعَالاً مِنَ النَّمِرِ

. . . .

والنجمُ تستَصغِرُ الأَبصَارُ رُؤْيَتَه[1]
وَالذَّنبُ للطَّرْفِ لا لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ

. . . .

وَالمرْءُ مَا لم تُفِدْ نَفْعاً إِقَامَتُهُ
غَيْمٌ حَمَى الشَّمْسَ لَمْ يُمطِرْ وَلَمْ يَسِرِ

. . . .

أفنَى قُوَاهَا قَلِيلُ السَّيْرِ تُدْمِنُهُ وَالغَمْرُ يُفْنِيهِ طُولُ الغَرْفِ بِالغُمَرِ

. . . .

والكِبرُ والحَمدُ[2] ضِدَّانِ اتفَاقُهُمَا مِثْلُ اتفَاقِ فَتَاءِ السِّنِّ والكِبَرِ

. . . .

---

(١) في العروح : ق ١ ص ١٦٢ : الأبصار صورته .
(٢) في العروح : والحمد والكبر .

خفَّ الورَى وأقرَّ تكُمْ حُلومُكمُ ... والجمرُ تُعدَمُ[١] فيه خِفَّةُ الشَّرَرِ

. . .

وَعيشَتِي الشَّبَابُ وَليسَ مِنْها ... صِبايَ وَلاَ ذَوا ثِبيَ الهِجَانُ[٢]

وكالنَّارِ الحيَاةُ فَمِنْ رَمادٍ ... أوَاخِرُهَا وأوَّلُهَا دُخانُ

. . . .

وَلوْ طَرِبَ الجمَادُ لكانَ أوْلَى ... شُرُوبِ الرَّاحِ بالطَّرَبِ الدِّنانُ

. . . .

وَسائِلْ مَنْ تَنَطَّسَ في التَّوَقِّي ... لِأَيَّةِ عِلَّةٍ مَاتَ الجبَانُ

. . . .

وَيُعْدَمُ عِنْدَهُ في الجودِ مَطْلٌ ... وَمَفْقُودٌ مَعَ العُتْقِ الحِرَانُ[٣]

. . .

وَمَا لِلمِسْكِ فِي أنْ فَاحَ حَظٌّ ... وَلكِنْ حَظُّنَا في أنْ يَفُوحَا[٤]

. . .

سَفَاهٌ ذَادَ عنكَ النّاسَ حِلمٌ ... وَغيٌّ فِيهِ مَنْفَعَةٌ رَشادُ[٥]

. . . .

فَأُطْعِمُهَا لأَجْعَلَهَا طَعَامِي[٦] ... وَرُبَّ قَطِيعَةٍ جَلَبَ الوِدَادُ

. . .

---

(١) في الشروح : « والجمر يعدم . . » .

(٢) القصيدة في الشروح : ق ١ ص ١٧٢ — ٢٢٣ .

(٣) في الشروح : « ومعدوم مع العتق . » .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٦٩

(٥) القصيدة في الشروح : ق ١ ص ٢٨١ — ٣٢٦ .

(٦) في الشروح : « طعاماً » .

ثلاثةُ أيامٍ هي الدّهرُ كُلُّهُ
وَمَا هُنّ غيرُ الأمسِ واليومِ والغدِ[1]

. . . .

فلاَ تحسَبِ الأقمارَ خلقاً كثيرةً فَجُملتُها مِنْ نيّرٍ مُتَرَدِّدِ

. . . .

وَقدْ يُجتَدَى فضلُ الغَمَامِ وَإنما
مِنَ البَحرِ فيمَا يَزعُمُ الناسُ يَجتَدِي
وَيَهدِي الدّليلُ القومَ واللّيلُ مُظلِمٌ
وَلكِنّهُ بالنجمِ يَهدِي وَيَهتَدِي

. . .

كذاكَ اللّيالي لاَ يَجُدْنَ بِمَطلَبٍ لِخلْقٍ وَلاَ يُبقِينَ شَيئاً على عَهدِ[2]

. . .

رُبّ لَيلٍ كأنّهُ الصُّبحُ في الحُسْـــنِ وَإنْ كَانَ أسوَدَ الطَّيلَسَانِ[3]

. . . .

كَمْ أرَدْنَا ذَاكَ الزّمَانَ بِمَدْحٍ فَشُغِلْنَا بِذَمّ هَذَا الزّمَانِ

. . .

---

(١) شروح سقط الزند: ق ١ ص ٣٥٠ ــ ٣٨٩ . وفي الشروح: خلق، بالرفع على أنها فاعل تحسب .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٩١ .

(٣) البيتان من قصيدة في الشروح : ق ١ ص ٤٢٦ ، ٤٢٨ .

إذا أنتَ أُعطِيتَ السَّعادَةَ لَم تُبَلْ ... وإنْ نَظَرَتْ شَزْراً إليكَ القَبائلُ[1]

الى آخر الأبيات في هذه القصيدة .

. . .

أرَى العَنْقَاءَ تَكْبُرُ أنْ تُصَادَا ... فَعَانِدْ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا[2]

. . . .

إذَا مَا النَّارُ لَمْ تَطْعَمْ ضِرَاماً ... فَأَوْشِكْ أنْ تَمُرَّ بِهَا رَمَادَا

فَظُنَّ بِسَائِرِ الإخْوَانِ شَرّاً ... وَلاَ تَأْمَنْ عَلَى سِرٍّ فُؤَادَا

. . . .

فأيُّ الناسِ أجْعَلُهُ صَدِيقاً ... وأيُّ الأرْضِ أسْلُكُهُ ارْتِيَادَا

وَلَوْ أنَّ النُّجُومَ لَدَيَّ مَالٌ ... نَفَتْ كَفَّاي أكْثَرَهَا انْتِقَادَا

. . .

وَقَدْ تَنْطِقُ الأشْيَاءُ وَهْيَ صَوَامِتٌ ... وَمَا كُلُّ نُطْقِ المُخْبِرِينَ كَلاَمُ[3]

. . . .

وَحُبُّ الفَتَى طُولَ الحَيَاةِ يُذِلُّهُ ... وَإنْ كَانَ فِيهِ نَخْوَةٌ وَعُرَامُ

وكُلٌّ يُرِيدُ العَيْشَ والعَيْشُ حَتْفُهُ ... وَيَسْتَعْذِبُ اللَّذَّاتِ وَهْيَ سِمَامُ

. . .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٤٨ وما بعدها .

(٢) القصيدة في الشروح : ق ٢ ص ٥٥٣ وما بعدها .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٠٧ وما بعدها .

إذا الفتى ذمّ عيشاً في شبيبته ... فما يقول إذا عصر الشباب مضى[1]
وقد تعوّضت عن كلٍّ بمشبهه ... فما وجدت لأيام الصبا عوضا

. . . .

جرّبت دهري وأهليه فما تركت
لي التجارب في ودّ امرئ غرضا

. . .

فربما ضرّ خِلٌّ نافعٌ أبداً
كالريق يحدث منه عارض الشرق[2]

. . . .

فإن توافق في معنى بنو زمن ... فإن جلّ المعاني غير متفق
قد يبعد الشيء من شيء يشابهه ... إن السماء نظير الماء في الزرق

. . .

والنفس تحيا بإعطاء الهواء لها ... منه بمقدار ما أعطته من نفس[3]

. . . .

ولا يفيدون نفعاً في كلامهم ... وهل تفيدك معنى نغمة الجرس

. . .

---

(١) القصيدة في الشروح : ق ٢ ص ٦٥٤ وما بعدها .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٨٧ وما بعدها ، وفيها : يحدث عنه .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٨٩ وما بعدها .

وَالنَّخْلُ مَا عَكَفَتْ عَلَيْهِ طَيْرُهُ إِلاَّ لِمَا عَلِمَتْهُ مِنْ أَرْطَابِهِ [١]

. . . .

وَالنَّحْلُ يَجْنِي الْمُرَّ مِنْ نَوْرِ الرُّبَى فَيَعُودُ شُهْداً فِي طَرِيقِ رُضَابِهِ

. . . .

وَالسَّمْهَرِيَّةُ لَيْسَ يَشْرُفُ قَدْرُهَا حَتَّى يُسَافِرَ لَدْنُهَا عَنْ غَابِهِ

وَالعَضْبُ لاَ يَشْفِي امْرَءاً مِنْ ثَأْرِهِ إِلاَّ بِفَقْدِ نِجَادِهِ وَقِرَابِهِ

. . . .

عُرِفَتْ جُدُودُكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَالَمَا لَغَطَ القَطَا فَأَبَانَ عَنْ أَنْسَابِهِ

. . .

إِنَّ البَخِيلَ إِذَا يُمَدُّ لَهُ المَدَى فِي الجُودِ هَانَ عَلَيْهِ وَعْدُ السَّائِلِ [٢]

. . .

لاَ وَضْعَ لِلرَّحْلِ إِلاَّ بَعْدَ إِيضَاعِ

فَكَيْفَ شَاهَدْتِ إِمْضَائِي وَإِزْمَاعِي [٣]

. . .

هَلْ أَنْتِ إِلاَّ بَعْضُهُنَّ وَإِنَّمَا خَيْرُ الحَيَاةِ وَشَرُّهَا أَرْزَاقُ [٤]

. . .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧١٩ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٣٣ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٤١ .

(٤) المصدر السابق ص ٧٦٥ .

وَلَيسَ يُزَادُ فِي رِزْقٍ حَرِيصٌ ... وَلَو رَكِبَ العَوَاصِفَ كَي يُزَادَا[1]

. . . .

وَلَوْ أنَّ السَّحَابَ هَمَى بِعَقْلٍ ... لَمَا أَرْوَى مَعَ النَّخْلِ القَتَادَا

وَلَوْ أَعْطَى عَلَى قَدْرِ المَعَالِي ... سَقَى الهَضَبَاتِ وَاجْتَنَبَ الوِهَادَا

. . . .

وَمِثْلُكَ للأَصَادِقِ مُسْتَقِيدٌ ... وَشَرُّ الخَيْلِ أَصْعَبُهَا قِيَادَا

. . .

وَلَنْ يُحْوَى الثَّنَاءُ بِغَيْرِ جُودٍ ... وَهَلْ تُجْنَى مِنَ اليَبْسِ الثِّمَارُ[2]

وَلَمْ تَلْفِظْكَ حَضْرَتُهُ لِزُهْدٍ ... وَلَكِنْ ضَاقَ عَنْ أَسَدٍ وِجَارُ

. . . .

وَلِلْمَاءِ الفَضِيلَةُ كُلَّ وَقْتٍ[3] ... وَلاَ سِيَمَا إِذَا اشْتَدَّ الأُوَارُ

. . . .

وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي جَرْيِ المَذَاكِي ... رِكَابٌ فَوْقَهُ ذَهَبٌ نُمَارُ

وَرُبَّ مُطَوَّقٍ بِالتِّبْرِ يَكْبُو ... بِفَارِسِهِ وَلِلرَّهَجِ اعْتِكَارُ

وَزَنْدٍ عَاطِلٍ يَحْظَى بِمَدْحٍ ... وَيُحْرَمُهُ الذي فِيهِ السِّوَارُ

. . .

---

(١) شروح سقط الزند ص ٨٠٢ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق : ق ٢ ص ٨١٣ وما بعدها .

(٣) في الشروح : « كل حين » .

فَالنَّفْسُ تَبْغِي الْحَيَاةَ جَاهِدَةً ... وَفِي يَمِينِ الْمَلِيكِ مِقْوَدُهَا[1]

فَلاَ اقْتِحَامُ الشُّجَاعِ مُهْلِكُهَا ... وَلاَ تَوَقِّي الْجَبَانِ مُخَلِّدُهَا

لِكُلِّ نَفْسٍ مِنَ الرَّدَى سَبَبٌ ... لاَ يَوْمُهَا بَعْدَهُ وَلاَ غَدُهَا

. . .

مَا أَنْتَ فِي عِدَّةِ مَنْ يُتَّقَى ... بَلْ أَنْتَ فِي عِدَّةِ مَنْ يُرْحَمُ[2]

وَالْقَوْمُ كَالأَنْعَامِ إِنْ عُوتِبُوا ... تَسْمَعُ مَا قِيلَ وَلاَ تَفْهَمُ

. . .

وَالْعِيسُ أَقْتَلُ مَا يَكُونُ لَهَا الصَّدَى ... وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ[3]

. . .

إِذَا غُيِّبَ الْمَرْءُ اسْتَسَرَّ حَدِيثُهُ ... وَلَمْ تُخْبِرِ الأَفْكَارُ عَنْهُ بِمَا يُغْنِي[4]

. . . .

وَخَوْفُ الرَّدَى آوَى إِلَى الْكَهْفِ أَهْلَهُ
وَكَلَّفَ نُوحاً وَابْنَهُ عَمَلَ السُّفْنِ

. . .

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مِرَاراً ... ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأَضْدَادِ[5]

. . . .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٢٧ وما بعدها .
(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٦١ .
(٣) المصدر السابق ص ٨٨٠ .
(٤) المصدر السابق ص ٩١٦ وما بعدها .
(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٧٦ وما بعدها .

تَعَبٌ كُلُّهَا الحَيَاةُ فَمَا أَعْـــجَبُ إِلاّ مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ
إنّ حُزْناً في سَاعَةِ المَوْتِ أَضْعَا ... فُ سُرُورٍ في سَاعَةِ المِيلاَدِ

. . . .

زُحَلٌ أَشْرَفُ الكَوَاكِبِ دَاراً ... مِنْ لِقَاءِ الرَّدَى عَلَى مِيعَادِ

. . . .

كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبْتَنِي الوَرْ ... قَاءُ وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ العِمَادِ

. . .

وَالشَّيْءُ لاَ يَكْثُرُ مُدَّاحُهُ ... إِلا إِذَا قِيسَ إِلى ضِدِّهِ [١]

. . . .

لَيْسَ الذي يُبْكَى عَلَى وَصْلِهِ ... مِثْلَ الذي يُبْكَى عَلَى فَقْدِهِ [٢]

. . . .

إِنْ لَمْ يَكُنْ رُشْدُ الفَتَى نَافِعاً ... فَغَيُّهُ أَنْفَــعُ مِنْ رُشْدِهِ

. . . .

لو عَرَفَ الإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ ... لَمْ يَفْخَرِ المَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ

. . . .

أَفْضَلُ مَا فِي النفسِ يَغْتَالُهَا ... فَنَسْتَعِيذُ اللهَ مِنْ جُنْدِهِ
وَآفَــةُ العَاشِقِ مِنْ طَرْفِهِ ... وَآفَةُ الصَّارِمِ مِنْ حَــدِّهِ
كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهُ ... سُلِّطَتِ الأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ

. . .

(١) المصدر السابق ص ١٠٠٨ وما بعدها .
(٢) في الفروح : « . . على صده » .

لاَ بُدَّ للحَسْناء مِنْ ذَامٍ وَلا ذَامَ لِنَفسِي غَيرَسَيِّيءِ بَخْتِهَا [١]

. . .

وَلاَ بُدَّ للإِنْسَانِ مِنْ سُكْرِ سَاعَةٍ تَهُونُ عَلَيْهِ غَيرَها السَّكَرَاتُ [٢]

ألا إِنَّما الأَيَّامُ أبنَـاءُ وَاحِدٍ وَهَذي اللَّيالي كُلُّها أخواتُ

فَلاَ تَطْلُبَنْ مِنْ عِنْدِ يَومٍ وَلَيْلَةٍ خِلاَفَ الذي مَرَّتْ بِهِ السَّنَوَاتُ

. . .

وَكَيفَ يَجُرُّ الجَيشَ يَطْلُبُ غَارَةً أَسِيرٌ لِمَجْرورِ الذُّيولِ كَحِيلِ [٣]

. . .

فَإِنَّ أَبا الأَشْبَالِ يَخْشَاهُ مِثْلُهُ وَيأْمَنُ مِنْهُ آرِضٌ وَنِمَالُ [٤]

. . .

لِأَمْرٍ أُحِلَّ الزُّجُّ فِي عَقِبِ القَنَا وَرُفِّعَتِ الخِرْصَانُ فَوْقَ العَوَامِلِ [٥]

. . . .

وَمَنْ كَانَ يَسْتَدْعِي الجَمَالَ بِحِلْيَةٍ أَضَرَّ بِهِ فَقْدُ البُرَى وَالمَرَاسِلِ

. . . .

فَلَيْتَ اللَّيالِي سَامَحَتْنِي بِنَاظِرٍ يَرَاكَ وَمَنْ لِي بالضُّحَى فِي الأَصَائِلِ

. . .

---

(١) انظر ما سبق ص ١٠٨٥ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٣٨ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٤٥ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٦٤ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٧٣ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٤ .

رُدِّي كَلامَكِ مَا أَمْلَلْتِ مُسْتَمِعاً وَهَلْ يُمَلُّ مِنَ الأَنْفَاسِ تَرْدِيدُ[١]

. . .

فَيَا دَارَهَا بِالحَزْنِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ[٢]

. . . .

سَيَطْلُبُنِي رِزْقِي الذي لَوْ طَلَبْتُهُ لَمَا زَادَ وَالدُّنْيَا حُظُوظٌ وَإِقْبَالُ

إِذَا صَدَقَ الجَدُّ افْتَرَى العَمُّ لِلفَتَى مَكَارِمَ لا تُكْرِي وَإِنْ كَذَبَ الخَالُ

. . .

وَالرَّاحُ إِنْ قِيلَ ابْنَةُ العِنَبِ اكْتَفَتْ

بِأَبٍ عَنِ الأَسْمَاءِ وَالأَوْصَافِ[٣]

. . .

وَمَن يَتَرَقَّبْ صَوْلَةَ الدَّهْرِ يَلْقَهَا

وَشِيكاً وَهَلْ تَرْضَى الأَسَاوِدُ بِالوَكْعِ[٤]

. . .

تَأَمَّلْنَا الزَّمَانَ فَمَا وَجَدْنَا إِلَى طِيبِ الحَيَاةِ بِهِ سَبِيلاَ[٥]

ذَرِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَحْظَ مِنْهَا وَكُنْ فِيهَا كَثِيراً أَوْ قَلِيلاَ

---

(١) اللزوميات هـ ص ٩٤ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٢٨ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٠٢ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٤٦ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨٩ .

وَأَصْبحَ وَاحِدَ الرَّجلَيْنِ إِمَّا مَلِيكاً في المَعَاشِرِ أَوْ أَبِيلاَ

. . . .

أرَى الحيوَانَ مُشْتَبِهَ السجَايا كَأَنَّ جميعه عـدِمَ العُقُولاَ

. . . .

وَمَنْ تَعلَقْ بِهِ حُمَةُ الأَفَاعِي يَعِشْ إِنْ فَاتَهُ أَجَلٌ عَلِيلاَ

. . .

وَنَحْنُ السَّفْرُ في عُمُرٍ كَمَرْتٍ تَصَافَنَ أَهْلُهُ جُرَعَ الحِمَامِ[1]

. . .

دَعِ الطَّيْرَ فَوْضَى إِنمَا هِيَ كُلُّهَا طَوَالِبُ رِزْقٍ لاَ تَجِيءُ بِمُقْطِعِ[2]

. . . .

أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَنِّي تَفَرَّدتُ بَعْـدَكُمْ
عَنِ الإِنْسِ مَنْ يَشْرَبْ مِنَ العِدِّ يَنْقَعِ

. . .

وَالمَوْتُ أَحسَنُ بِالنَّفْسِ الَّتِي أَلِفَتْ عِزَّ القَنَاعَةِ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ القُوتَا[3]

. . .

وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لَيسَ يَبْسُطُ شُكْرَهُ
عَلَى القَلِّ إِنَّ الخَيْرَ نَاقَتُهُ بِسْطُ[4]

. . .

(١) انظر ما سبق ص ١٠٩٠.
(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٣٠ ، ١٥٨٨ .
(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦١٠ .
(٤) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٩٥ .

وَحبلُ الشمسِ مُذْ خُلِقَتْ ضَعِيفٌ ... وَكَمْ فَنِيَتْ بِقُوَّتِهِ حِبَالُ [1]

. . . .

وَيُلْفَى المرءُ في الدُّنيا صَحِيحاً ... كَحَرْفٍ لا يُفَارِقُهُ اعْتِلاَلُ

. . . .

وَهَلْ يَثِقُ الفَتَى بِنَمَاءِ وَفْرٍ ... إِذَا لَمْ تَنْلُ أَيْنُقَهُ فِصَالُ

وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ الليثُ شِبلٌ ... وَمَبْدَأُ طَلْعَةِ البَدْرِ الهِلاَلُ

. . .

فَلاَ تَحْسَبُوا دَمْعِي لِوَجْدٍ وَجَدْتُهُ

فَقَدْ تَدْمَعُ الأَحْدَاقُ مِنْ كَثْرَةِ الضَّحْكِ [2]

. . .

قَبُولُ الهَدَايَا سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ ... إِذَا هِيَ لَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَ تَحَابِ [3]

. . .

وَكَانَ العَارُ مِثْلَ الحَتْفِ يَأْتِي ... عَلَى نَأْيِ المَنَازِلِ وَالخِلاَجِ [4]

فَإِنَّ [5] بَنِي نُوَيْرَةَ أَدْرَكَتْهُمْ ... مَسَبَّتُهُمْ بِعَبْدِ أَبِي سُوَاجِ

. . .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٩٨ ، ١٧٠٠ ، ١٧١٨ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٢٤ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٣٢ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٨٣ .

(٥) في الشروح : « كأن . . » .

أَبلُّ مِنَ الأَمْرَاضِ وَالعِلْمُ وَاقِعٌ ... بِعِلَّةِ يَوْمٍ جَانَبَتْ كُلَّ إِبْلَالِ[1]

. . . .

وَمَنْ سَرَّهُ ثَوبٌ يَعِزُّ بِلُبْسِهِ ... فَلَا تَجْرِ مِنْهُ أُمُّ دَفْرٍ عَلَى بَالِ

. . . .

بَنُو الوَقْتِ إِنْ غَرُّوكَ مِنْهُمْ بِحِكْمَةٍ ... فَمَا خَلْفَهَا إِلَّا غَرَائِزُ جُهَّالِ

• • •

وَلَا يُعْجِزُ الأَيَّامَ أَخْضَعُ وَاحِدٌ ... وَلَا أَهْلُ عِزٍّ كُلُّهُمْ مُتَشَاوِسُ[2]

• • •

وَالشَّمْسُ عِنْدَ شُرُوقِهَا ... عَلِمَ اللَّبِيبُ زَوَالَهَا[3]

• • •

وَفَضِيلَةُ النَّوْمِ الخُرُوجُ بِأَهْلِهِ ... عَنْ عَالَمٍ هُوَ بِالأَذَى مَجْبُولُ[4]

• • •

إِلَى اللهِ أَشْكُو أَنَّنِي كُلَّ لَيْلَةٍ ... إِذَا نِمْتُ لَمْ أَعْدَمْ طَوَارِقَ أَوْهَامِ[5]

فَإِنْ[6] كَانَ شَرًّا فَهْوَ لَا بُدَّ وَاقِعٌ ... وَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَهْوَ أَضْغَاثُ أَحْلَامِ

فهذه الأبيات مائة وثلاثة وعشرون بيتاً من أبيات (سقط الزند)[7] المشتملة على حكمة ، ومنها ما هو صالح للمثل ، وفي السقط كثير غيرها .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٧٩ ، ١٨٨٠ .
(٢) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠١٢ .
(٣) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٦١ .
(٤) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٦٦ .
(٥) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٧٠ وفيها : « خواطر أوهامي » .
(٦) في الشروح : « وإن . . . » .
(٧) الحق أن واحداً منها هو من اللزوميات . انظر ما سبق ص ١١٢٨ الحاشية ١ .

الأغراض التي في السقط غير ما ذكر

وفي (السقط) أبيات تتعلق بأغراض غير ما ذكرناها ، كذم الدنيا ، والتحذير منها ، والتزهيد فيها ، وتقلبها من حال إلى حال ، كقوله :

أَرَى أُمَّ دَفْرٍ أُخْتَ هَجْرٍ وَلاَ أَرَى ... لَهَا سَالِياً مَا غَيَّبَتْهُ الرَّوَامِسُ (١)

وكقوله :

دُنْيَاكَ تَحْدُو بِالْمُسَا ... فِرِ وَالْمُقِيمِ جِمَالَهَا (٢)

وكذم المرأة ، والتحذير منها ؛ كقوله من أبيات :

وَتَوَقَّ أَمْرَ الغَانِيَاتِ فَإِنَّهُ ... أَمْرٌ إِذَا خَالَفْتَهُ لَمْ تَنْدَمِ (٣)

وقوله من أبيات يصف فيها النساء اللاتي يؤلفن بين الخاطب والمخطوبة ، وعددها واحد وعشرون بيتاً (٤) :

فَحِنَّ إِلَى الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي ... وَلاَ تُثْقِلْ مَطَاكَ بِعِبْءِ حَنَّهْ

وكذم الناس ، والابتعاد عنهم ، وفشو الجهل فيهم ، وقلبهم للحقائق ، وإساءة الظن بهم جميعا وكذم الخمر ، والتحذير منها في مثل قوله :

فَإِيَّاكَ وَالكَأْسَ الَّتِي بِتَّ نَاعِتاً ... فَمَا شُرْبُهَا إِلاَّ السَّفَاهَةُ وَالإِثْمُ (٥)

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠١١ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٥٩ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٢٧ .

(٤) مطلعها :

عليك السابغات فإنهن ... يدافعن الصوارم والأسنه

انظر شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٤١ — ٢٠٤٧ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٥٤ .

وكعدم اعتقاده بالطيرة في مثل قوله :

دَعِ الطَّيْرَ فَوضَى إنما هِيَ كُلُّها   طَوَالِبُ رِزْقٍ لا تجيءُ بمُفْظِعِ[1]

وقوله :

وَلَيْسَ غِرْبَانِي بِمَزْجُورَةٍ   مَا أَنَا مِنْ ذِي الخِفَّةِ الأَسْحَمِ[2]

وكوصفه الحروب والفتن التي قامت في الشام بين الفرات والنيل ، وقد أشار اليها في مواطن منها قوله :

وَلاَ فِتْنَةٌ طَائِيَّةٌ عَامِرِيَّةٌ   يُحَرِّقُ فِي نِيرَانِهَا الجَعْدُ وَالسَّبْطُ[3]

وَقَدْ طَرَحَتْ حَوْلَ الفُرَاتِ جِرَانَهَا

إِلَى نِيلِ مِصْرٍ فالوَسَاعُ بِهَا تَقْطُو

وكتشوقه الى بلاده وهو في بغداد ، وحنينه الى بغداد بعد عودته منها .

وكاعتقاده الحشر وما فيه من حساب وجنة ونار وغيرها .

واعتقاده بالله تعالى ، وإقراره بالرسل والملائكة والجن ؛ وبالكتاب العزيز ، وعدم اعتقاده نسبة المطر الى الأنواء في مثل قوله :

وَلَسْتُ بالنَّاسِبِ غَيْثاً هَمَى   إِلَى السِّمَاكَيْنِ وَلاَ المِرْزَمِ[4]

وكحبه العزلة ، وتذمره من آفات الحياة وطولها .

ونحو ذلك من الأغراض التي تقدمت الإشارة الى كثير منها في أقواله .

---

(١) انظر ما سبق ص ١١٢٩ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٠٩ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٧٥ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٠٨ .

وقد ألمع في كلامه الى كثير من الحوادث التاريخية ، والنكت الأدبية ، في مثل قوله في الدرع :

وَلَوْ أَنَّهَا أَضْحَتْ لِكَعْبٍ حَقِيبَةً

لَأَرْوَى الفَتَى النَّمْرِيَّ مِنْ غَيْرِ تَسْآلِ (١)

يشير الى كعب بن مامة الإيادي حين آثر صاحبه النمري بالماء حتى مات عطشاً . وكقوله يصف نساء الأعراب :

لَيْسَتْ كَزَعْمِ جَرِيرٍ بَلْ لَهَا مَسَكٌ

يَرْفَضُّ عَنْهُ ذَكِيُّ المِسْكِ مَفْتُوتَا (٢)

يشير الى قول جرير في هجاء أم البعيث :

تَرَى العَبَسَ الحَوْلِيَّ جَوْناً بِكُوعِهَا

لَهَا مَسَكٌ مِنْ غَيْرِ عَاجٍ وَلَا ذَبْلِ (٣)

وقد أكثر من هذا النوع في شعره .

وجملة القول : ان أبا العلاء نظم (سقط الزند) في جميع الأغراض التي كان ينظم فيها شعراء عصره ، وزاد عليهم بما ذكرناه مجملاً ، لأن تفصيله يفضي الى الإطالة المملة .

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٦١ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٠٣٩ .

(٣) ديوانه ط الصاوي ، ص ٤٦٣ وفيه : مسكا ، وهي رواية .

خيال أبي العلاء في شعره في سقط الزند :

إذا استمسكنا بعرى الإنصاف ، وسلكنا سبيل الاستقراء العادل ، ظهر لنا أن أبا العلاء أوسع الكتاب والشعراء مدى في الخيال ، وأكثرهم افتناناً فيه . وقد سبق الكلام في خياله في نثره .

أما شعره ففيه كثير من الصور القصيرة الدالة على طول باعه وإبداعه في اختيارها وتنسيقها ، وإن كان فيها مبالغة يحيلها العقل ، وعلى حذقه بتضمين النكت والاشارات الدالة على مدح أو ذم أو غيرهما . وإنك إذا تأملت وصفه الغبار ، رأيته كالجبل الشامخ الرامي باضت فيه النسور ، وترعرعت أفراخها . ثم ارتقى حتى خالط السحاب فكدّر ماءه ؛ وهذا الغبار أثارته خيل أجاد في وصفها وأشار إلى ظفرها بأعدائها ثم قال :

وَبَنَتْ حَوَافِرُهَا قَتَاماً سَاطِعاً ... لَوْلاَ انقِيادُ عِداكَ لَمْ يَتَهَدَّمِ [1]

بَاضَ النسُورُ بِه وَخَيَّمَ مُصْعِداً ... حَتَّى تَرَعْرَعَ فيه فَرخُ القَشْعَمِ

وَسَمَا إلى حَوْضِ الغَمَامِ فَمَاؤُهُ ... كَدِرٌ بِمُنْهَالِ الغُبَارِ الأَقْتَمِ

وإذا عجت ببصرك على الغور الذي زارته تلك الخيل ، وجدته محفوفاً بالمخاطر لو مرّت به الريح ما نجت من هوله ، بعيد القعر لو نزل عليه مطر في أول الربيع انقضى الربيع ولم يبلغ أرضه . ولبعده لا تظهر فيه الشهب ، وإنما يظهر البدر كالدرهم :

وَمُزِيرِها الغَوْرَ الذي لَوْ سَلَمَتْ ... رِيحٌ عَلَى أَرْجَائِهِ لَمْ تَسْلَمِ [2]

---

(١) انظر ما سبق ص ١٠٥٠ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٣١ ـ ٢ ، وانظر ما سبق ص ١٠٠٨ .

ورواية البيت الثالث في الشروح : « لا تنين به النجوم ثانياً . . . » .

أَوْ بَكرَ الوَسْمِيِّ يَطْلُبُ ارْضَهُ نَفِدَ الرَّبِيعُ وَتُرْبُهَا لَمْ يُوسَمِ
لاَ تَسْتَبِينُ الشهُبُ فِيهِ تَنَائِياً وَيَلُوحُ فيهِ البَدْرُ مثلَ الدِّرْهَمِ

وإذا التفت الى الخرق ـ الفلاة الواسعة ـ الذي وصفه وقد أرخى الليل عليه سدوله ، رأيته قاتم الأطراف ، واسع الأكناف ، يخيف ما لا يخاف :

وَلَوْ نَشَدَتْ نَعْشاً هُنَاكَ بَنَاتُهُ
لَمَاتَتْ وَلَمْ تَسْمَعْ لهُ صَوْتَ مُنْشِدِ [١]

وَتَكْتُمُ فِيهِ العَاصِفاتُ نُفُوسَهَا فَلَوْ عَصَفَتْ بالنبْتِ لَمْ يَتَأَوَّدِ
وَلَمْ يَثْبُتِ القُطْبَانِ فِيهِ تَخَيُّراً وَمَا تِلْكَ إلاّ وَقْفَةٌ عَنْ تَبَلُّدِ

وإذا انعمت النظر في منهل وصفه بين ريف الشام والكرخ رأيته قد صور لك أهواله حتى :

كأَنَّ الصَّبَا فِيهِ تُرَاقِبُ كَامِناً يَسُورُ إِلَيْهَا مِنْ خِلاَلِ إِكَامِهِ [٢]
يَمُرُّ بِهِ رَادُ الضُحَى مُتَنَكِّراً مَخَافَةَ أن يَغْتَالَهُ بِقَتَامِهِ

ومثل لك من حلكته وظلمته ما لا يمكن أن يمثل بأعظم من قوله :

بِلاَدٌ يَضِلُّ النَّجمُ فيهَا سَبِيلَهُ وَتَثْنِي دُجَاهَا طَيْفَهَا عَنْ لِمَامِهِ [٣]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٧٥ ــ ٨ .

(٢) انظر ما سبق ص ١١٠٨ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٤٩٩ ــ ٥٠١ ، وفيها : ويثني .

حَنَادِسُ تُغشِي الموْتَ لَوْلاَ انجِيَابُهَا
عَنِ المَرْءِ مَا هَمَّ الرَّدَى باخْتِرَامِــــهِ
رَجا الليلُ فِيهاأنْ يَدُومَشبَابُهُ فَلما رَآهاشابَ قَبلَ احْتِلاَمِهِ

وإذا شخصت ببصرك نحو السماء رأيتَ سهيلا يسرع اللمح في احمرار، مستبداً كأنه الفارس المعلم . . ؛ قدماه وراءه ؛ الى غير ذلك من الصور البديعة الرائعة .

وإذا تأمل المنصف مثل قوله :

وَتَكْتُمُ فيهِ العَاصِفَاتُ نُفُوسَهَا . . . .

وقوله :

يمرّ بِهِ رَأْدُ الضُّحَى مُتَنَكِّرَاً . . . .

وقوله :

حَنَــادِسُ تُغشِي المَوْتَ . . . .

وقوله :

وَمِن غَلَلٍ تَحِيدُ الرِّيحُ عَنهُ . . . .

إلى آخر الأبيات ومـــا شاكل ذلك تبين له أن هذا النمط من الكلم هو الموجز المعجز ، ولا يستطيع شاعر غير أبي العلاء أن يجمع ذلك المعنى الكثير والخيال المظم الرائع في مثل هذا اللفظ القليل المنسجم . وقد ذكرنا أمثلة من ذلك في الوصف والمبالغة ، وفي مواطن أخرى .

لزوم ما لا يلزم

نشأته وتدرجه الى عصر ابي العلاء :

أصل هـذا اللفظ اسم لنوع من البديع ، وهو أن يلتزم الشاعر (أو الناثر) حرفاً أو أكثر قبل حرف الروي وهذا ما لا يلزمه ، لأن الشعر يكون صحيحاً جيداً بدونه ، ويقال له : الالتزام ، والإعنات ، والتضييق ، والتشديد ، والتضمين .

نشأته : العصر الجاهلي :

وهذا النوع وجد قبل أبي العلاء ؛ فقد رويت للشنفرى قصيدة قالها حين قَتَل حراماً قاتل أبيه أولها :

أرَى أمَّ عَمْرٍو أزْمَعَتْ فَاسْتَقَلَّتِ ... وَمَا وَدَّعَتْ جِيرَانَهَا إِذْ تَوَلَّتِ

وقد التزم فيها اللام قبل التاء في خمسة عشر بيتاً ، ولكنه لم يلتزمها في القصيدة كلها . وكذلك رويت للنابغة قصيدة التزم فيها النون قبل النون ، ومطلعها :

عَرَفْتُ مُنَازِلاً بِعُرَيْتِنَاتٍ ... فَأَعْلَى الجِزْعِ لِلْحَيِّ الْمُبِنِّ[1]

وهي نحو ثلاثة وعشرين بيتاً . ورويت أبيات للأعشى أولها :

فِدًى لِبَنِي ذُهْلِ بنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي ... وَرَاكِبُهَا يومَ اللِّقَاءِ وَقَلَّتِ

والمذكور منها في ديوانه المطبوع ، سبعة أبيات في (ص ٣٤) .

---

(١) مختار الشعر الجاهلي ١ / ١٩٩ وفيه : « غشيت منازلاً . . » .

وأبيات لعمرو بن معدي كرب على رويّ أبيات الشنفرى ووزنها ، وفيها يقول :

وَلما رَأَيتُ الخيلَ زُوْراً كأنها جَداوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلتْ فَٱسْبَطَرَّتِ

وروى القالي في (أماليه ج ١ ص ٨١) أحد عشر بيتاً أولها :

حَلّتْ تُمَاضِرُ غُربةً فٱحتَلّتِ فَلْجاً وَأَهْلُكَ باللِّوَى فالحِلّةِ

التزم فيها اللام قبل التاء ونسبها الى سُلْمِيّ بن ربيعة ونسبها في الأصمعيات إلى علباء .

وربما لزموا اللام أو غيرها من الحروف في مثل : « فعالك وجالك » مع تذكير الكاف أو التأنيث ، كقول أبي الأسود :

زُهيرُ بنُ مسعودٍ أحقُّ بِمَا أتى وَأنتَ بِمَا تأتي حَقِيقٌ بِذٰلِكَا

وَخبّرني مَنْ كنتُ أرْسَلْتُ إنّمَا أخذتُ كتابي مُعْرِضاً بِشِمَالِكَا

وقد لزم اللام قبل الكاف . وقد يجيئون بها على غير لزوم كقول طرفة :

قِفِي قَبلَ وَشْكِ البَيْنِ يا ابنَةَ مالِكِ

وَعُوجِي عَلَينَا مِنْ صُدُورِ جِمَالِكِ

فإنه لم يلتزم اللام في قصيدته بل جاء فيها بمثل « مالك وبارك » .

العصر الأموي

ووقع منه كثير في شعر الأمويين ؛ منه قول جميل بن معمر المتوفى سنة ٨٢ هـ :

أَنَختُ جَدِيلاً عِنْدَ بَثْنَةَ ليلةً   وَيَوماً أَطالَ اللهُ رغْمَ جَدِيلِ

فإنه التزم الياء قبل اللام في ستة أبيات . ومنه قول عبد الله بن الدمينة :

وَإِذَا عَتَبْتِ عَلَيَّ بِتُّ كأَنَّني   بِالليلِ مُسْتَحَرُ الفُؤادِ سليمُ[1]

وقد التزم الياء قبل الميم في سبعة أبيات ، وكذلك قوله :

سَقى اللهُ الدوَافِعَ مِنْ حَفيرٍ   وما يُغْنِينَ مِنْكَ وان سُقِينا[2]

التزم فيه الياء قبل النون في اثني عشر بيتاً . وقد التزم اللام مع كاف التأنيث في تسعة عشر بيتاً أولها :

قِفِي يَا أُمَيمَ القَلْبِ نَقضِ لُبَانَةً

وَنَشكُ الهَوَى ثمَّ افْعَلي مَا بَدَا لَكِ[3]

ولم يلتزمها في البيت الثاني من هذه القصيدة وهو قوله :

سَلي البَانَةَ الغَنَّاء بالأَبطَحِ الذِي   بِهِ الماء هَلْ حَيَّيْتُ أَطْلاَلَ دَارِكِ

وكذلك فعل ذو الرمة المتوفى سنة ١١٧ هـ في قصيدته :

اما استحلبت عَيْنَيْكَ الأحالَةُ   بجُمهورِ حُزْوَى أَوْ بجرعاء مالكِ

---

(١) ديوانه طبعة دار العروبة ، تحقيق أحمد راتب النفاخ ، ص ٤٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣ ، والقصيدة كاملة فيه ص ١٦٥

وفي قصيدته :

أقولُ لأَطلاحٍ برى هَطَلانُها بناعن حواني دأْبِهَا المتَلاحِك

فإنه ذكر في قوافي الأولى « البوائك » و « المبارك » وغيرها . وذكر في الثانية « رحالك » و « حارك » و « الضرائك » و « السنابك » وغيرها . ولم يلتزم اللام في كلتيها .

ووقع منها أيضاً في العصر الأموي مثل قول محمد بن سعيد الكاتب :

سَأشكُرُ عَمْراً إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي أيادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جلّتِ (١)

فَتىً غَيْرَ محجوبِ الغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ
وَلاَ مظهر الشَّكْوَىَ إِذَا النَّعْلُ زَلَّت

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا
فَكَانَتْ قَذَىَ عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّت

---

(١) هذه الأبيات رواها القالي ج ١ ص ٤٠ عن ابن دريد لبعض الأعراب : ورواها المبرد في الكامل ج ٢ ص ١٦ ولم يسم قائلها ، ورواها في الحماسة لمحمد ابن سعيد الكاتب : وقيل لعمرو بن كيل في عمرو بن ذكوان ؛ ونسبها ابن خلكان الى ابراهيم بن العباس الصولي ؛ ورواها في معاهد التنصيص ص ٤٨٩ لعبد الله بن الزبير الأسدي في عمرو بن عثمان بن عفان ، وذكر سببها أن عبد الله بن الزبير أتى عمرو بن عثمان ، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثاً ، فدعا وكيله وقال له : اقترض مالاً ! فقال : هيهات ! ما يعطينا التجار شيئاً ، قال : فأربحهم ما شاءوا ، فاقترض له ثمانية آلاف درهم بأثني عشر ألفاً ، فوجه بها إليه مع تخت ثياب ، فقال عبد الله هذه الأبيات وكان عبد الله هذا في عهد عبد الملك بن مروان (ع) .

ولكثيّر عَزَّةَ قصيدة طويلة من هذا النوع ، مطلعها :

خَلِيلَيَّ هذا رَبعُ عَزَّةَ فاعْقِلاَ قَلُوصَيكُمَا ثُمَّ ابكيَا حيثُ حلّتِ

وهي في (أمالي القالي ج ٢ ص ١٠٨) .

وقد أشار اليها أبو العلاء في اللزوم حيث يقول :

كُثَيِّرٌ أنا في حَرْفي أَهبْتُ لَهُ في التّاءِ يلزَمُ حَرْفاً ليسَ يلتزِمُ [١]

يُريد حرف اللام الذي التزمه كثيّر قبل التاء في هذه القصيدة ، ووقع لغيره من شعراء العصر الأموي كثير من الأبيات التي التزم فيها مالا يلزم .

العصر العباسي

وأما الشعراء العباسيون ، فقد أكثروا من هذا النوع ، وجعلوه نوعاً من البديع . وأكثر ما جاء منه في المثنيات والمقطّعات . وقد جاء منه في شعر البحتري تسعة أبيات التزم فيها الياء قبل الميم وأولها :

إِذَا شِئْتَ فَانْدُبْنِي الى الرَّاحِ وَانْعَنِي إِلى الشّرْبِ مِنْ ذِي خِلَّةٍ وَنَدِيمِ [٢]

وجاءت عشرة أبيات التزم فيها العين قبل الكاف المقيدة أولها :

مِنْ نِعْمَةِ الصَّانِعِ الذي صَنَعَكْ صَاغَكَ لِلْمَكْرُمَاتِ وَابْتَدَعَكْ [٣]

وجاء اثنان وأربعون بيتاً التزم فيها الواو قبل الألف أولها :

لَنَا أبدا بَثٌّ نُعَانِيهِ في أرْوَى

وَحُزْوَى وَكَمْ أَدْنَتْكَ مِنْ لَوْعَةٍ حُزْوَى [٤]

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٣٣ .

(٢) ديوانه ط . بيروت ، ص ٢٧٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٣١١ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٠٧ . وحزوى مضمومة الأول في القاموس وغيره ، مفتوحة في الديوان .

فان جعل الروي الألف فقد لزم الواو فيها ، كما قـال أبو العلاء في (المقدمة ص ٤١) [١] .

وابن الرومي أكثر من هذا النوع ، فقد التزم الياء قبل البـاء في قصيدة مطلعها :

شَابَ رَأْسِي وَلَاتَ حِينَ مَشِيبِ   وَعَجِيبُ الزَّمَانِ غَيْرُ عَجِيبِ [٢]

وهي نحو من مائة وستة عشر بيتاً . والتزم الواو قبل الباء أيضـاً في قصيدة مطلعها :

سَيِّدِي أَنْتَ شَاخِصٌ مَصْحُوبُ   وَضَيَاعِي إِلَيْكُمْ مَنْسُوبُ [٣]

وهي نحو من مائة وواحد وخمسين بيتاً ، والتزم الراء قبل الجيم في ثمانية أبيات أولها :

يَـا بَانِيَ الدرجِ الَّذي   أَوْلَى بِـهِ هدمُ الدرَجْ [٤]

والتزم الفاء قبل الألف في ثمانية أبيات أولها :

سَبَغَتْ نِعْمَةٌ وَدَامَ صَفَـاءُ   وَوَقَاكَ الحَوَادِثَ الأَكْفَاءُ [٤]

وأحياناً يلتزم حرفاً واحداً في معظم القصيدة ، كما فعل في القصيدة التي أولها :

لاَ أَسْتَزِيـدُ لِقَـاسِمٍ   مِنْ رَبِّهِ غَيْرَ البَقَـاءِ [٤]

---

(١) مقدمة اللزوميات ط عزيز زند وانظر اللزوميات ٥ ص ١٨ .

(٢) ديوانه طبعة الكيلاني ، ص ١٧٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٥٨ .

(٤) ليست الأبيات في ديوانه ، طبعة الكيلاني .

فانه التزم القاف قبل الألف في أحد عشر بيتاً ، وأتى بعدها ببيت جعل فيه الفاء بدلاً من القاف . ثم جاء أبو العلاء ، فالتزم هذا الاعنات ، كما التزم كثيراً من التشديد والتضييق في كل ضرب من ضروب حياته . وهو أكثر الشعراء التزاماً في هذا النوع ، وليس في شعراء العربية عامة من نظم ديواناً يحتوي على أحد عشر ألف بيت والتزم في جميعها ما لا يلزم غيره . وفيه قصائد يبلغ عدد أبياتها أكثر من تسعين بيتاً . وابن الرومي أتى بأبيات أكثر من هذا ، إلا أنه التزم فيها حرف الردف كما رأيت .

وأبو العلاء التزم حرفاً واحداً كقوله :

أَرْوَاحُنَا مَعَنَا وَلَيْسَ لَنَا بِهَا عِلْمٌ فَكَيْفَ إِذَا حَوَتْهَا الأَقْبُرُ (١)

وحرفين كقوله :

مَنْ يُوقَ لاَ يُكْلَمْ وَإِنْ عَمَدَتْ لَهُ نَبْلٌ تُغَادِرُ جِسْمَهُ كَالقُنْفُذِ (٢)

وثلاثة أحرف كقوله :

كُلْ وَاشْرَبِ النَّاسَ عَلَى خِبْرَةٍ فَهُمْ يَمُرُّونَ وَلاَ يَعْذُبُونْ (٣)

وأربعة أحرف كقوله :

إِذَا دَارَتِ الكَأْسُ فِي دَارِهِمْ فَقَدْ رَحَلَ الدِّينُ عَنْ دَارِهِمْ (٤)

وخمسة أحرف كقوله :

يَا أُمَّةً فِي التُّرْبِ هَامِدَةً تَجَاوَزَ اللهُ عَنْ سَرَائِرِكُمْ (٥)

---

(١) اللزوميات ‍هـ ص ١٢٦ .

(٢) اللزوميات ‍هـ ص ١١٧ وفيها وفي طبعة زند ١ / ٣٠٥ : « تغادر شخصه » .

(٣) اللزوميات ‍هـ ص ٢٨٥ .

(٤) اللزوميات ‍هـ ص ٢٥٩ .

(٥) اللزوميات ‍هـ ص ٢٥٨ وفيها وفي طبعة زند ٢ / ٣٢٦ : « في التراب » .

مقدمة لزوم ما لا يلزم

افتتح أبو العلاء ديوانه (لزوم ما لا يلزم) بمقدمة ذكر فيها أموراً :

١ — أنه أنشأ أبنية أوراق ، توخى فيها الصدق ، ونزهها عن الكذب ، فمنها ما هو تمجيد لله ؛ وبعضها تذكير للناسين ، وتنبيه للغافلين ، وتحذير من الدنيا .

٢ — أنه وضع أشياء من العظة ، وأفانين على حسب ما تسمح به الغريزة ؛ فان جاوز المشترط الى سواه فان الذي جاوز اليه قول عري من المين .

٣ — لقب هذا الكتاب الذي جمع فيه ما ذكره (لزوم ما لا يلزم) . وخشي أن يقع إلى قليل المعرفة بلوازم القافية ؛ فذكر حروف القافية ، وحركاتها ، وعيوبها ، بأسلوب جامع يدل على تمكن في علم القافية .

٤ — ذكر أن التزام ما لا يلزم إنما يفعله الشاعر لقوّته ، ولو تركه لم يدخل عليه ضعف .

٥ — أنه تكلف في هذا التأليف ثلاث كُلف :

الأولى : أن ينتظم حروف المعجم عن آخرها .

الثانية : أن يجيء رويه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك .

الثالثة : أنه التزم مع كل روي فيه شيئاً لا يلزم من باء أو تاء أو غير ذلك من الحروف . وقد قدمنا أنه التزم حرفا ، وحرفين ، وثلاثة وأكثر .

٦ — أنه قسم القوافي إلى ثلاثة أقسام :

آ — الذُلُل : وهي ما كثر على الألسن ، وهي عليه في القديم والحديث .

ب — النُفُر : ما هو أقل استعمالاً من غيره ، كالجيم ، والزاي ونحو ذلك .

حـ — الحُوش : وهي اللواتي تهجر فلا تستعمل ، ومثّل لذلك بقول الشاعر :

كأنّيَ لَمْ أرْكَبْ جوادًا لِلَذَّةٍ   وَلَمْ أتبطّنْ كَاعِبًا زانَها الخَلْخَلْ

فانه لا يعلم شيء من الشعر القديم جاء فيه الطويل الأول مقيدا ، ولا يوجد في دواوين الفحول من أهل الإسلام .

٧ً — أنه كان قال في كلام له قديم : إنه رفض الشعر ، فبين أن المراد بذلك الشعر ما استجيز فيه الكذب ، واستمين على نظامه بالشبهات ، فأما ما كان عظة للسامع ، وإيقاظاً للمتوسّمن ، وأمراً بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جبلوا على الغش والمكر ، فهو مما يلتمس به الثواب .

٨ً — أن من سلك في هذا الأسلوب ضعُفَ ما ينطق به لأنه يتوخى الصدق ، ويطلب البر . والشعر — كما قال الأصمعي — باب من أبواب الباطل ، فاذا أريد به غير وجهه ضعف .

٩ً — أنه وجد الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب ، وزينوا ما نظموا بالغزل ، ووصف النساء ، والخيل ، والإبل ، والخمر ، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب .

١٠ً — أنه رتب النظم على مائة وثلاثة عشر فصلاً لأن حروف الهجاء ما عدا الألف ثمانية وعشرون حرفاً وقد جعل لكل حرف منها أربعة فصول على حسب حالات الروي من ضم وفتح وكسر وسكون . وأما الألف وحدها فلها فصل واحد ، لأنها لا تكون إلا ساكنة فالمجموع ١١٣ فصلا .

هذه خلاصة ما جاء في هذه المقدمة الممتعة . ومنها يتضح لنا :

١ً — أن أبا العلاء لم يجر في هذا الكتاب على طريقة الشعراء في استباحة الكذب ، والاسترسال مع الهوى والخيال ؛ وإنما احتذى فيه على مثال الواعظ المذكّر ؛ فهو يتقيّد بالصدق حتى فيما جاوز المشترط ،

وهذا حق واضح ، لأن هذا الكتاب أشبه بكتب الفلسفة والوعظ منه بدواوين الشعراء ، وإن توفر فيه كل ما يحسن في الشعر ويزين الشعر .

٢ — أنه التزم ما لا يلزم ليدل على قوته ؛ لأن الشاعر إنما يفعل ذلك لأجل هذه الدلالة .

٣ — أنه عارف بأن في الكتاب ما جاوز المشترط ، ولكنه بريء من الكذب في اعتقاده .

٤ — أنه شاعر بأن كتابه هذا في باب الخير الذي من طبيعته أن يكون الشعر فيه جافاً لخلوه من الخيال الذي يورث الشعر طلاوة وجمالاً إلا قليلا .

ترتيب لزوم ما لا يلزم

لم يرتب أبو العلاء (لزوم ما لا يلزم) على حسب المواضيع والأغراض . لتعذر ذلك عليه ؛ لأنه لم يفرد لكل غرض على حدة أبياتاً مختصة به في غالب شعره ، بل ربما تناول في القصيدة الواحدة أو القطعة الواحدة أغراضاً متعددة .

وإنما رتبه على حروف الهجـاء ، فابتدأ بحرف الهمزة ، ثم الألف بعدها ، ثم بالباء ، فالتاء ، فالثاء ، فالجيم ، إلى آخر حروف الهجاء على حسب ترتيبها المشهور . وقد قال عند ذكره فصل الألف : « هذا الفصل يحتمل وجهين ، أحدهما : أن يكون على ما رتبْتُ ، والآخر : أن يكون الرويّ ما قبل الألف ، ويكون الألف وصلا »[١] اهـ .

وهذا صحيح ، إلا أننا إذا جعلنا الروي ما قبل الألف ، لم يبق في

---

(١) اللزوميات ص ٢٧ .

الأبيات لزوم ما لا يلزم ، لأنه لم يلتزم قبل الحرف الذي قبل الألف حرفاً آخر في جميع أبياته بل جاء فيها مثل قوله :

قَضَى اللهُ أنَّ الآدميَّ مُعَذَّبٌ ... إلى أنْ يَقُولَ العَالِمونَ بهِ قَضَى [١]

فَهَنِّئْ وُلاةَ المَيْتِ يَوْمَ رَحِيلِهِ ... أصَابُوا تُراثاً واسْتَرَاحَ الذي مَضَى

فإننا إذا جعلنا الألف وصلا ، والضاد التي قبلها روياً ، لم يبق في البيتين لزوم ما لا يلزم ؛ لأن الحرف الذي قبل الضاد في البيت الأول قاف ، وفي الثاني ميم . فتأمل .

وقد رتب كل حرف من حروف الهجاء على ترتيب الحركات ، فيبدأ أولاً بالحرف المحرك بالضم ، ثم بالفتح ، ثم بالكسر ، ثم بالسكون . وقد التزم هذا في جميع الحروف التي تقبل الحركة . وترتيب الكتاب على الحروف والحركات على الوجه المذكور يقرّب على الباحث عن أبيات الكتاب العثور على ما يريده منها بسهولة . وزعم بعض المعاصرين [٢] أن أبا العلاء رتب الكتاب ترتيباً آخر ولم ينبّه له ؛ وذلك أنه جعل الأوزان في كل فصل مرتبة على ترتيب الدوائر والأبحر عند العروضيين . ومراده بذلك أن أبا العلاء إذا نظم في الحرف المتحرك بالضم مثلاً أبياتاً من أبحر متعددة ، فانه يرتب الأبحر في كتابه على حسب ترتيبها في دوائر العروض ؛ فيذكر الطويل أولا ، ثم المديد ، ثم البسيط ، ثم الوافر ، فالكامل ، فالهزج ، فالرمل إلى آخر البحور . ويظهر للمتأمل

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٨ .

(٢) هو الدكتور عبد الوهاب عزّام . قال ذلك في كلمة ألقاها في المهرجان الألفي لأبي العلاء وهي في الصفحة ٢٥٢ من الكتاب الذي طبعه المجمع العلمي في دمشق ، وسماه المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري سنة ١٣٦٤ هـ و ١٩٤٥ م (ج) .

في (لزوم ما لا يلزم) أن هذا الترتيب لم يلتزمه أبو العلاء في جمع كتابه ، ولو التزمه لنبه له ؛ وإنما وقع كثيراً في بعض الفصول ، والدليل على هذا أنه ذكر في الهمزة المفتوحة أبياتاً أولها :

رُوَيْدَكَ قدْ غُرِرْتَ وَأنْتَ حُرٌّ بِصَاحِبِ حِيلَةٍ يَعِظُ النِّسَاء (١)

ثم ذكر بعدها بيتين أولهما :

نَرْجُو الحَيَاةَ فَإنْ هَمَّتْ هَوَاجِسُنَا بالخَيْرِ قَالَ رَجَاءُ النَّفْسِ إرْجَاء (٢)

والأبيات الأولى من البحر الوافر ، وهو من الدائرة الثـانية دائرة المؤتلف ، وهو البحر الرابع بحسب ترتيب العروضيين . والبيتان الأخيران من البسيط ، وهو من الدائرة الأولى دائرة المختلف ، وهو البحر الثالث بحسب ترتيب العروضيين . وكذلك ذكر في الهمزة المكسورة قوله :

إِذَا صَاحَبْتَ فِي أَيَّامِ بُؤْسٍ فَلاَ تَنْسَ المَوَدَّةَ فِي الرَّخَاءِ (٣)

ثم ذكر بعده قوله :

أَوْصَيْتُ نَفْسِي وَعَنْ وُدٍّ نَصَحْتُ لَهَا

فَمَا أَجَابَتْ إِلَى نُصْحِي وإِيصَائِي (٣)

والأول من الوافر ، والثاني من البسيط . وكذلك ذكر في فصل الألف قوله :

---

(١) اللزوميات ١ ص ٢٥ .

(٢) اللزوميات ١ ص ٢٥ .

(٣) اللزوميات ١ ص ٢٦ .

حَيَاةٌ عَنَاءٌ وَمَوْتٌ عَنَـــا فَلَيْتَ بَعِيدَ حِمَامٍ دَنَا [١]

ثم ذكر بعده :

بِعِلْمِ إِلٰهِي يُوجَدُ الضَّعْفُ شِيمَتِي فَلَسْتُ مُطِيقاً لِلْغُدُوِّ وَلاَ الْمَسْرَا [١]

والأول من المتقارب ، وهو الخامس عشر ومن الدائرة الخامسة ؛ والثاني من الطويل وهو البحر الأول من الدائرة الأولى وكذلك ذكر في البـاء المكسورة قوله :

مَعَـــاصٍ تَلُوحُ فَأُوصِيكُمُ بِهِجْرَانِهَـــا لاَ بِإِغْبَابِهَا [٢]

ثم ذكر بعده قوله :

تُحِلُّ إِذَا اسْتَرَبْتُ بِكَ اهْتِضَامِي وَأَنْتَ فَعَلْتَ أَفْعَالَ الْمُرِيبِ [٣]

والأول من المتقارب ، وهو من الدائرة الخامسة ، دائرة المتفق ، وهو البحر الخامس عشر . والثاني من الوافر ، وهو من الدائرة الثانية ، والبحر الرابع كما تقدم . وأمثال هذا كثير فيه .

متى نظم لزوم ما لا يلزم ؟

لم يبين لنا التاريخ الزمن الذي ابتدأ فيه أبو العلاء نظم اللزوم ، ولا أشار أبو العلاء في شيء مما وقفنا عليه من كلامه إلى شيء من هذا ؛ ولا نستطيع أن نجزم بأنه كله مما نظم بعد رجوعه من بغداد لأسباب جمة منها :

---

(١) اللزوميات هـ ، ص ٣٠ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٥٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٥ .

١ — أن ذلك يفتقر الى نص تاريخي ، وليس لدينا ذلك .

٢ — أن أبا العلاء ذكر في شعره في غير (لزوم ما لا يلزم) كثيراً من المصطلحات العلمية ، والدينية ، واللغوية ، والفلسفية ، وغيرها . وهذا يدل على أن ذكر المصطلحات والمسائل العلمية في شعره لا يختص بما كان منه بعد رجوعه من بغداد ، ولا بما في (لزوم ما لا يلزم) .

٣ — أن لأبي العلاء أبياتاً في غير (لزوم ما لا يلزم) التزم فيها ما لا يلزم ، منها قوله في ملقى السبيل :

يَدُومُ القَدِيمُ إِلَهُ السَّمَاء ... وَيَفْنَى بِأَقْدَارِهِ مَا حَدَثْ [1]

وَما أَرْغَبَ المرْءَ في عَيشِهِ ... وَلَكِنْ قُصَارَاهُ سُكْنَى الجَدَثْ

وقوله فيه أيضا :

أَيَحْتَرِسُ المرْءُ مِنْ حَتْفِهِ ... وَمَا حَادَ عَنْ يَوْمِهِ المحْتَرِسْ [2]

هَلِ النَّاسُ إِلا نَظِيرُ السَّوَامِ ... وَآجَالُهُمْ أُسُدٌ تَفْتَرِسْ

يَحُل الرُّبَى وَيَحُلّ الوُهُودَ ... وَلاَ بُدّ لِلرَّبعِ أن يَنْدَرِسْ

ومنها قوله في (سقط الزند) من أبيات ثمانية التزم فيها كلها الباء قبل الياء المشددة :

ذَلَّتْ لِمَا تَصْنَعُ أَيامُنَا ... نُفُوسُنَا تِلْكَ الأَبِيَّاتُ [3]

---

(١) ملقى السبيل تحقيق كامل كيلاني ص ٢٣١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٨ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٣٦ .

وقوله في الدرعيات :

عَلَيْكَ السَّابِغَـــاتِ فَإِنَّهُنَّهْ ‌ ‌ ‌ يُدَافِعْنَ الصَّوَارِمَ وَالأَسِنَّهْ[١]

فقد التزم النون المشددة في القصيدة كلها ، وهي سبعة وعشرون بيتاً ، وكذلك قوله فيها :

عَبَّ سِنَانُ الرُّمْحِ فِي مِثْلِ النَّهَرْ ‌ ‌ ‌ مِمَّا يُعَدُّ لِلْمِرَاسِ وَالقَهَرْ[٢]

التزم الهاء قبل الروي في الأبيات الخمسة .

فهذه الأمور لا نستطيع معها أن نجزم بأن كل شعر له فيه مسائل علمية ، أو فيه التزام ما لا يلزم يجب أن يكون في الطور الأخير أي بعد رجوعه من بغداد ، أو في (لزوم ما لا يلزم) . على أننا عرفنا زمن بعض القصائد التي في اللزوم كما ذكرنا ذلك في موضعه .

* * *

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٤١ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠١٤ وفيها : « بعد في المراس » .

شخصية أبي العلاء في المقدمة
وفي لزوم ما لا يلزم

في المقدمة

من استقرى ما وصل إلينا من آثار أبي العلاء نظماً كان أم نثراً ، يتضح له بأجلى صورة أن أبا العلاء ذكي فطن ، وباقعة لبق ، وجريء حذر ؛ وأنه عالم واسع الاطلاع والخيال ، طويل الباع في الابتكار والاختراع وأنه عميق التفكير ، كثير التحقيق والتمحيص ، شديد الاعتداد بنفسه ، قوي الوثوق بعلمه ، كثير التعويل والاعتماد على عقله ، كثير الانتقاد لمن كان في عصره أو لمن تقدمه . وأنه حر في آرائه ، جريء على قول الحق ؛ وانه في كل أثر من آثاره لابد من أن يعرض نفسه في كل مظهر من هذه المظاهر المذكورة ، ويبرز شخصيته في كل موطن يدل على تبحّره وذكائه وحصافة رأيه . وفي هذه المقدمة تجلى في كل ناحية بصورة تمثل لنا أنه في أعظم منزلة في تلك الناحية وهذا يدل على لباقة ودهاء وجرأة .

الدليل على سعة علمه

أما الدليل على سعة علمه واطلاعه ، فمثل قوله في (ص ١١)[١] : « لكان ذلك عند أهل العلم جائزاً ، وذلك قليل في الاستعمال » ، وقوله في

---

(١) انظر هذه القول في مقدمة لزوم ما لا يلزم ط عزيز زند ويقابلها في ط ه الصفحات : ٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٢ ، ١٣ .

(ص ١٥) : « ويجوز أن يكون الردف والرويّ من كلمة واحدة ومن كلمتين ، ولا اختلاف في ذلك » وفي (ص ١٧) : « ولا يكون الخروج آخر حرف في البيت » . وفي (ص ١٩) : « أكثر ما أسس من أشعار العرب إنما يكون بعد ألفه كسرة »، وفي (ص ٣١) قوله إنه « لا يعلم في شعر امرىء القيس شيئاً على الطاء ، ولا الظاء ، ولا الشين ، ولا الخاء » وإن « ديوان النابغة ليس فيه روي بني على الصاد ، ولا الضاد ، ولا الظاء » . وإنه « لا يعلم فى شعر البحتري شيئاً على الخاء ، أو الغين ، أو الثاء . . . » ويدل على ذلك أيضاً ما ذكره في (ص ١٧ و ١٩) وغيرهما من أقوال علماء هذا الفن كالخليل ، وابن مسعدة ، والجرمي ، والفراء ، وخلف بن حيان ، وأبي عبيد القاسم بن سلاّم ، وأبي بكر بن السراج وما ذكره من أسماء الشعراء والرجاز المتعددين وما أورده من أشعارهم .

الدليل على ابتكاره

وأما الدليل على ابتكاره وابتداعه فما جاء في المقدمة من تقسيم القوافي إلى : ذُلُل ، ونُفُر ، وحُوش ؛ ثم ترتيب النظم على ١١٣ فصلاً وتقسيم منازل الحركات على الوجه الذي ذكرناه ، فإني لا أعلم أحداً قبل أبي العلاء سبقه إلى شيء من ذلك كله .

اعتداده بنفسه

وأما الاعتداد بنفسه والوثوق بعلمه ، فإنه يتجلى في مثل قوله (ص ١٢) [1] : « فهذا رأي المتقدمين ، ولا يمتنع في حكم الغريزة ... فلو جاءت بعد ذلك الخضارم ونحوها ، لكان عندي غير قبيح » . وما

(١) من مقدمة اللزوميات ط عزيز زند وانظر اللزوميات هـ الصفحات : ٣ ، ٤ ، ٧ ، ١٥ ، ١٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ .

ذكره في (ص ٢٠) في حركة الإشباع ، واستدلاله على وضع هذا الاسم وتحقيقه . وقوله (ص ٢٤) : « وقد وجدت في أشعار قريش شعراً ... قد جعل الواو فيه روياً .. فإنْ صح ذلك فليس بابعد مما بني على الألف وذلك نادر ... » . ثم قوله : « وذلك مفقود في أشعار الفصحاء .. » ثم قوله : « ولا أعرف لأحد من الفصحاء مثل أبيات مروان ... » وقوله (ص ٤٠) : « ولا يعلم شيء من الشعر القديم جاءفيه الطويل الأول مقيّدا ...فمثل هذا لم يأت في الشعر القديم ، ولا في دراوين الفحول ». وقوله في(ص ٢٣) : « ولم يفرقوا بين المقيد المطلق . . . وأنا أفرق بين المطلق والمقيد . . » وفي (ص ٢٥) : « ولم يفرقوا بين المقيّد المجرد ، والمقيد المؤسس ؛ وهو عندي في المؤسس أقبح » وقوله في (ص ٣٠) : « وقد كان بعض المتأخرين . . يجعل تاء التأنيث وكاف الإضمار وصلا . . وذلك ينتقض عند العلماء بأحكام القوافي . . » .

التعويل على عقله

وأما التعويل على عقله فيظهر في مثل قوله في (ص ٣١)[١] : « والغريزة تشهد بما زعموه ، وقياس أقوال المتقدمين يوجب أن الروي الهاء . . . » . وقوله (ص ٢٥) : « وقد جاءت أشياء في الشعر القديم ، بعضها منصوب ، وبعضها مرفوع أو مخفوض ؟ وإنما يحمل ذلك على الوقف لأنه يبعد أن يقول عربي فصيح . . » . وقوله في (ص ٣٧) : « والقياس لا يمنع أن تجعل هذه الواو رويّا ، لأنها سنخ وهي قوية . . » .

---

(١) الصفحات من اللزوميات ط عزيز زند والنظر اللزوميات ه الصفحات : ١٢ ، ١٠ ، ١٦ .

الانتقاد

وأما الانتقاد فيظهر في مثل قوله في (ص ٣٢) [١] : « وقد وجدت الذين ألفوا دواوين المحدثين على حروف المعجم ، خالفوا فيما وضعوه مذهب الخليل وأصحابه ؛ وما أحمل ذلك منهم إلا على قلة حفل بتلك الأشياء ؛ فمن ذلك أنهم يجعلون ما قافيته « هديّة وبليّة » في باب الهاء ، وهذا وهم . . . وكذلك يجعلون ما قافيته « ثناياها ، وعطاياها » في جملة الألف ، وإنما ينبغي أن تكون في باب الهاء ، لأنها الروي . ويجعلون مثل « يديه وعليه » في باب الياء ، وكذلك ما يبنى على « محييها وفيها » وإنما ينبغي أن يكون النسب في هذا كله الى الهاء » .

وفي (ص ٣٣) ذكر أن كلام ابن السراج يدل على أن الروي الياء في قول الشاعر :

. . . . مِنَ الثعالي وَوُخزٌ مِنْ ارَانيهَا

ثم قال : « وهذا يشبه مذاهب المؤلفين ، ويجوز أن يكون مذهباً لابن السراج أو وهما منه لقلة عنايته بهذا النوع » . ثم نقل ما قاله أبو الحسن العروضي في أبي إسحق الزجاج حين زعم أن الروي في قول الشاعر — البحتري — :

مِيلوا إلَى الدّارِ مِنْ لَيلَى نُحَيِّيهَا . . . . [٢]

هو الياء » . ثم قال : شاهدت بعض المتحققين بالأدب ببغداد يجعل الروي الياء في قول الشاعر :

. . . . فَلْتَقْطِفْ قَوَافيهـا

وما احسب هذا ممن قاله إلا وهما . . » .

---

(١) الصفحات من المصدر السابق وانظر اللزوميات هـ الصفحات : ١٣ ، ١٤ .

(٢) عجزه : نعم ونسألها عن بعض أهليها . ديوانه ط بيروت ، ص ٢٦ .

لزوم ما لا يلزم

أسلوبه في لزوم ما لا يلزم ، طول القصائد وقصرها

كان أبو العلاء يحب الاختصار والإيجاز في جمله ؛ أما في شعره فإنه لم يلتزم طريقة معينة ، وإنما يختلف شعره في كثرة الأبيات وقلتها بحسب الأغراض والمواضيع .

سقط الزند

أما سقط الزند فقد كان يحذف من قصائده بعض الأبيات ، ولم نعرف المقدار الذي حذفه مما حذف منه ؛ ولذلك يصعب الحكم عليه حكما صحيحا ، إلا أن الباقي من شعره بعد الحذف يدل على أنه كان طويل النفس في المدح والرثاء والفخر والتهنئة ونحوها فله في ذلك قصائد تقارب الثمانين بيتا .

لزوم ما لا يلزم

وأما لزوم ما لا يلزم ، فالغالب عليه الايجاز ويكثر فيه التوسط ؛ وفيه قصائد جاوزت التسعين بيتا ، ولعل سبب ذلك أمران :

الاول : أن التزام ما لا يلزم يضيّق على الشاعر القوافي في كثير من الحروف .

الثاني : أن أكثر مواضيع الكتاب وأغراضه حقائق ؛ والغالب في مثل ذلك أن يؤدّى بعبارات مجردة عن المجاز ، والمبالغة ، والخيال ، ونحو ذلك من الأمور التي تفسح المجال للشاعر فيطيل المقال . وقد قدمنا الكلام في أسلوبه في جمله في (سقط الزند) .

وأما اسلوبه في (لزوم مالا يلزم) في جمله فالغالب عليه المتانة ، وقوة الأسر ، والجزالة .

كقوله :

أرى الأرْيَ تغشاهُ الخطوبُ فينثني ... مُرّاً فهل أبصرتَ من مَقِرٍ يحلُو[1]

وقوله :

عرفتُ سجايا الدهرِ أمّا شرورُهُ ... فنقدٌ وأمّا خيرُهُ فوُعودُ[2]

وفيه كثير من السهل الممتنع كقوله :

وما ذنبُ الضراغِمِ حين صِيغت ... وصُيِّرَ قوتُها مِمّا تُدَمِّي[3]

وقوله :

لو نُخِلَ العيشُ لما حصّلتْ ... شيئاً سوى الموتِ يدُ الناخلِ[4]

وقوله :

أرواحُنا معنا وليس لنا بها ... عِلمٌ فكيفَ إذا حوتْها الأقبُرُ[5]

اللغة

قلنا : إن أبا العلاء كان واسع الاطلاع على اللغة ونوادرها ، وشواذها وفصيحها ؛ وإنه كان يحفظ كثيراً من شعر الجاهليين وغيرهم ؛ وإنه كان

---

(١) اللزوميات ه ص ١٩٤ وفيها : « فهل شاهدت » .
(٢) اللزوميات ه ص ٩٠ .
(٣) اللزوميات ه ص ٢٥١ .
(٤) اللزوميات ه ص ٢٢٢ .
(٥) اللزوميات ه ص ١٢٦ .

يحب الجناس بأقسامه ، والتورية ، ومراعاة النظير ، وغيرها من الصناعة البديعية . وقد التزم في (لزوم ما لا يلزم) أن يكون ما قبل حرف الروي واحداً في البيتين والقطعة والقصيدة . وإنه أحياناً يلتزم حرفاً واحداً كقوله :

أَمسَى النِّفَاقُ دُرُوعاً يُستَجَنُّ بِهَا ... مِنَ الأَذَى وَيُقَوِّي سَرْدَهَا الحَلِفُ[1]

أُفنِي زَمَانِي بِأَنفَاسٍ كَمَا قَطَعَتْ ... مَدىً بَعِيداً مَوَاشٍ فِي السُّرَى دُلُفُ

وأحياناً يلتزم أكثر من حرف كقوله

كَأَنَّا فِي سَجَايَانَا نُقُودٌ ... كَثِيرَاتُ البَهَارِجِ وَالزُّيُوفِ[2]

وَهَذِي الأَرضُ لِلمَلِكِ المرجى ... نُلِمُّ بِهَا كَإِلمَامِ الضُّيُوفِ

وقوله :

كُلْ وَاشْرَبِ النَّاسَ عَلَى خِبْرَةٍ ... فَهُمْ يَمُرُّونَ وَلَا يَعْذُبُونْ[3]

وَلَا تُصَدِّقْهُمْ إِذَا حَدَّثُوا ... فَإِنَّهُمْ مِنْ عَهْدِهِمْ يَكْذِبُونْ

وَإِنْ أَرَوْكَ الوُدَّ عَنْ حَاجَةٍ ... فَفِي حِبَالٍ لَهُمُ يَجْذِبُونْ

وكان فوق ذلك يحب أن يظهر ثروته اللغوية ، وقدرته على التصرف بالألفاظ القليلة التداول ، وجعل الوحشي منها مأنوساً متداولا . وقد قضى عليه مجموع هذه المؤثرات أن يستعمل في كلامه بعض الكلمات التي يعدها غيره غريبة ، ولم يكن يتعمد ذلك ليخفي أغراضه ومقاصده .

---

(١) اللزوميات ج ص ٢٩٢ .

(٢) اللزوميات ج ص ٢٩٦ .

(٣) انظر ما سبق ص ١١٤٤ .

وإذا تأمل الباحث تبيّن له أنّ بعض الكلمات التي عدّوهـا غريبة تحمل في مطاويها معانيَ أو خصائص لا يجد الإنسان بسهولة في الألفاظ المتداولة ما يقوم مقامها ، وأحياناً يجد ما يسد مسدها ، ولكنها لا تطاوعه فيما يريده من جناس ، أو تورية ، أو لزوم ما لا يلزم ، أو نحو ذلك من الصناعات والمقاصد . وقد يكون لبعضها من الجرس المستعذب ، والنغمة المطربة ما لم يكن للمأنوس . مثال ذلك قوله :

وَقَدْ شَهِدَ النَّصَارَى أَنْ عِيسَى ... تَوَخّتْـهُ اليَهُودُ لِيَصلِبُوهُ (١)

وَمَا أَبِهُوا وَقَدْ جَعَلُوهُ رَبّاً ... لِئَـلاَّ يَنقُصُوهُ وَيَجْدِبُوهُ

ففي وسع الشاعر أن يقول : « ويثلبوه » بدلاً من « يجدبوه » ولكن معنى « يجدب » يعيب ويذم ، ومعنى « يثلب » يعيب ويلوم ، والمعنى الأول أليق هنا وإن جاز استعمال كل منهما في معنى يعيب على سبيل المجاز .

وكذلك قوله :

تَقُولُ الهِنْدُ آدَمُ كَانَ قِنَّاً ... لَنَـا فَسَرَى إِلَيْهِ مُخَبِّبُوهُ

يقال : خبب العبدَ : إذا أفسده وخدعه . وربما تعسّر وجود كلمة في الألفاظ المتداولة كثيراً تدل على ما تدل عليه كلمة « خبب » مع مراعاة لزوم ما لا يلزم فيها ؛ وإن أمكن مع شيء من التأويل والتلفيق أن تفيد سيّب وهرّب ونحوهما شيئاً مما تفيده خبب .

وقوله في ذم الدنيا :

كَالغُولِ غَالَتْكَ بِتَلْوِينِهَـا ... بَيْنَ تَقَدِّيهَـا وَتَبْنِيسِهَـا (٢)

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٣٣٣ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٣٢٤ .

التقدي : السرعة . والتبنيس : التأخر . وقد اضطره اليها المطابقة ولزوم ما لا يلزم .

وكثيراً ما يأتي باللفظ المشترك ، ثم يبين المراد منه في النظم كقوله :

فَلاَ يُمْسِ فَخَّاراً مِنَ الْفَخْرِ عَائِدٌ   إِلَى عُنْصُرِ الفَخَّارِ لِلنَّفْعِ يُضْرَبُ[١]

. . . .

وَفَوَائِدُ الأَسْفَارِ جَمْعِ السَّفْرِ فِي الـ   ـدُّنْيَا تَفُوقُ فَوَائِدَ الأَسْفَارِ[٢]

اللحن

لا أتذكر أني رأيت في (لزوم ما لا يلزم) لحناً في الإعراب ، إلا أن يكون خطأ من طابع الديوان . أما من جهة الاشتقاق والصيغ فقد ذكر لفظ « تلاف » بمعنى تلف في مواطن من شعره منها قوله :

تَلاَفَيْنَاهُمُ بِالقَوْلِ فِيهِ   فَجَاءَهُمُ التَّلاَفِي بِالتَّلاَفِ[٣]

وقوله :

وَهَلْ أُلِمَّ وِدَاداً رُمَّ مِنْ شَعَثٍ   وَقَدْ لَمَحْتُ تَلاَفِي فِي تَلاَفِيكَا[٤]

وقوله :

لَوْ كَانَ جِسْمُكَ مَتْرُوكاً بِهَيْئَتِهِ   بَعْدَ التَّلاَفِ طَمِعْنَا فِي تَلاَفِيهِ[٥]

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٣١ .

(٢) اللزوميات س ﻫ ١٦٢ .

(٣) اللزوميات ﻫ س ٢٩٦ .

(٤) اللزوميات ﻫ س ١٨٦ .

(٥) اللزوميات ﻫ س ٢٤٠ .

وقوله :

تَلاَفَ أمْرَكَ مِنْ قَبْلِ التَّلاَفِ بِهِ ... فَغَايَةُ النَّاسِ في دُنْيَاهُمُ التَّلَفُ (١)

وقد رجعت الى (المصباح) و (والأساس) و (النهاية) و (الفائق) و (مفردات الراغب) و (المجمل) و (الصحاح) و (اللسان) و (تاج العروس) وغيرها مما لديّ من كتب اللغة فلم أجد في شيء منها « التلاف » بمعنى التلف ، وأنا أستبعد أن يكررها أبو العلاء في مواطن من شعره من غير أن يثق بصحتها .

قوة التأليف والطلاوة والانسجام

في (لزوم ما لا يلزم) أبيـــات جمعت حسن الرّصف ، إلى قوة الأسلوب وطيب الجرس ؛ وأبيات هي غاية في الطلاوة . وهي في اللزوم أكثر من أن تحصى ؛ ويزيد بعضها جمالاً ما فيه من التلميح لحـادثة أو مزعم أو نحو ذلك ، أو ما فيه من الاكتفاء بالإشارة الى المعنى ، وإرسال المثل أو ما أشبه هذا من التفنن . وانظر الى مثل قوله وهو أول بيت افتتح به اللزوم :

أُولُو الفَضْلِ في أوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ ... تَشِذُّ وَتَنْأَى عَنْهُمُ القُرَبَاءُ (٢)

وقوله :

أرَى جُرَعَ الحَيَاةِ أمَرَّ شَيْءٍ ... فَشَاهِدْ صِدْقَ ذَلِكَ إذْ تُقَاءُ (٣)

---

(١) اللزوميات هـ س ٢٩٠ .

(٢) اللزوميات هـ س ٢٠ .

(٣) اللزوميات هـ س ٢٣ .

وقوله :

عُمْرِي غَدِيرٌ كُلُّ أَنْفَاسِي بِهِ   جُرَعٌ تُغَادِرُهُ كَأْسِ النَّاضِبِ (١)

وقوله :

وَإِنَّا منَ الغَبْرَاء فَوْقَ مَطِيَّةٍ   مُذَلَّلَة مَا أَمْكَنَتْ يَدَ حَارِبِ (٢)

وقوله :

وَمَا ٱلنَّعْشَ إلا كَالسَّفِينَةِ رَامِياً

بِغَرْقَاهُ في مَوْجِ الرَّدَى المُتَرَاكِبِ (٣)

وقوله :

وَقَدْ يُخْطِىءُ الرَّأْيَ امْرُؤٌ وَهْوَ حَازِمٌ

كَمَا اخْتَلَّ في وَزْنِ القَرِيضِ عَبِيدُ (٤)

وقوله :

كُنْ مَنْ تَشَاءُ مُهَجَّناً أَوْ خَالِصاً   وَإِذَا رُزِقْتَ غِنىً فَأَنْتَ السَّيِّدُ (٥)

وَاصْمُتْ فَمَا كَثُرَ الكَلَامُ مِنَ امْرِىءٍ   إِلاَّ وَظُنَّ بِأَنَّــهُ مُتَزَيِّدُ

وقوله :

وَلَوْ يُرْتَجَى مَعَ الشُّرَكَاء خَيْرٌ   لَمَا كَانَ الإِلَهُ بِلاَ شَرِيكِ (٦)

---

(١) اللزوميات ﻫ س ١٠ .

(٢) اللزوميات ﻫ س ٤٥ .

(٣) اللزوميات ﻫ س ٤٦ .

(٤) اللزوميات ﻫ س ٩١ .

(٥) اللزوميات ﻫ س ٩٧ .

(٦) اللزوميات ﻫ س ١٨٩ . وفيها : « فلو يرجى .. » .

التشبيه

وفي (اللزوم) أنواع من التشبيه المحسوس وغيره ، تدل على براعة فائقة في كلا النوعين كقوله :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ النجُومَ كَأَنَّهَا   دُرٌّ طَفَا مِنْ فَوْقِ بَحْرٍ مَائِجِ [(١)]

وقوله :

ولَاحَتِ النارُ كَالشَّقْرَاءِ يَحْبِسُهَا   عَنْ مُهْرِهَا القَيْدُ وَهْناً فَهِيَ لَا تَقِرُ [(٢)]

بَدَتْ بِلَيْلٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَنْ شَحَطٍ

أَوْ عُرْفِهِ بِمَحَلٍّ دُونَهُ أُقُرُ

وقوله في الخمر :

وَكَأَنَّمَا هِيَ مِنْ ذَكَاءِ نُطفة   صَفَّفْتِهَا وَبِلُؤْلُؤٍ أَطْمَيْتِهَا [(٣)]

وقوله في مغنّية :

بَيْنَهُمُ كَالغَمَامِ شَادِيَةٌ   تُومِضُ فِي مَلْبَسٍ كَقَوْسِ قُزَحْ [(٤)]

وقوله :

تَوَقَّوْا سَبِيلَ الغَانِيَاتِ فَكُلُّهَا

كَلَيْثِ الشَّرَى وَالطِّيبُ فِيهَا فُرَانِقُ [(٥)]

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٧٩ .

(٢) اللزوميات ﻫ س ١٢٢ . وتقر : تسكن .

(٣) اللزوميات ﻫ س ٧٠ .

(٤) اللزوميات ﻫ س ٨٦ .

(٥) اللزوميات ﻫ س ٢٩٩ .

وقوله :

فَالْمَيْن مَيْتَةُ مُضطَرٍ أَلَمْ بِهَا
وَالْحَقُّ كَالْمَاءِ يُجْفَى خِيفَةَ السَّقَمِ[١]

الاستعارات

وفي اللزوم صور رائعة من الاستعارات بأقسامها ؛ مع أن المسائل العلمية ، وأبيات الحكمة ، والحقائق الواقعة ، تتطلب ألفاظاً مجردة عن المجاز . ولكن أبا العلاء استطاع أن يفرغ تلك القضايا في أسلوب أدبي موشى بشية المجاز والصناعة البديعية ، مثال ذلك قوله :

وَمَغْفِرَةُ اللهِ مَرْجُوَّةٌ إِذَا حُبِسَتْ أَعْظُمِي فِي الرَّمَمْ[٢]
مُجَاوِرَ قَوْمٍ تَمَشَّى الْفَنَاءُ مَا بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَالْقِمَمْ

وقوله :

رَكِبْنَا عَلَى الأَعْمَارِ وَالدَّهْرُ لُجَّةٌ
فَمَا صَبَرَتْ لِلْمَوْجِ تِلْكَ السَّفَائِنُ[٣]

وقوله :

أَحَاضِنَةَ الْغُلَامِ ذَمَمْتِ مِنْهُ أَذَاكِ فَأَرْضِعِي حَنَشاً وَضُمِّي[٤]

. . . .

رَأَيْتُ الْحَقَّ لُؤْلُؤَةً تَوَارَتْ بِلُجٍّ مِنْ ضَلَالِ النَّاسِ جَمِّ

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٤٨ .
(٢) اللزوميات هـ ص ٢٥٩ .
(٣) اللزوميات هـ ص ٢٥٩ .
(٤) اللزوميات هـ ص ٢٥١ .

الكنايات

وفي اللزوم صور من الكنايات هي غاية في الإحكام والروعة ؛ وآية في الطلاوة والبراعة . من ذلك قوله يكني عن صغر نفسه :

مَا لِنَفْسي بَيْنَ النفوسِ مُعَنَّا ةٌ إذَا لَمْ تَفُزْ بِطَوْقٍ وَسَلْسِ[1]
لَوْ يُنَادَى في كُلِّ سُوقٍ عَلَيْهَا مَا اشْتَرَاهَا أخو رَشَادٍ بِفَلْسِ

وقوله :

لَوْ قَالَ سِيدٌ غَضاً بُعِثْتُ بِمِلَّةٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي قَالَ بَعْضُهُمُ نَعَمْ[2]

وقوله :

وَلَوْ طَارَ جِبْرِيلٌ بَقِيَّةَ عُمْرِهِ
مِنَ الدَّهْرِ مَا اسْطَاعَ الخُرُوجَ مِنَ الدَّهْرِ[3]

المعاني

في هذا الديوان افتن أبو العلاء في المعاني ، وأتى منها بضروب يقصر عن إدراكها المتطاول ؛ والغالب على معانيه فيه أنها تحتاج الى تأمل وإمعان ، لدقتها وارتفاعها عن مستوى العامة . وفيها ما يتوقف فهمه على دراسة علم ، واطلاع واسع على التاريخ ؛ لأنه يكثر التلميح الى العقائد ، والحوادث التاريخية ، والإشارة الى رجال لهم وقائع مذكورة ، وحوادث مشهورة .

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٣٢٥ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٦٠٦ . والسيد : الذئب . والغضا : شجر .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ١٤٦ . وفيها : « عن الدهر ... » .

وهذه أمثلة من كلامه الذي يحتاج إلى تأمل :

غَلَتِ الشرورُ ولو عقلنا صيَّرت ... دِيَةُ القتيلِ كرامةً للقاتلِ [(١)]

وقوله :

أتعلمُ الأرضُ وهيَ أمٌّ ... خفَّ زمانٌ وما ازدهاها [(٢)]

بأيِّ جُرمٍ وأيِّ حُكمٍ ... سُلِّطَ ليثٌ على مَهاها

وَعُذِرَتْ حاجةٌ بعُسرٍ ... على عَليلٍ قدِ اشتهاها

وظالمٌ عِندَهُ كنوزٌ ... مِنْ أمِّ دَفرٍ وَمِنْ لُهاها

ومن كلامه الذي يتوقف على معرفة علم قوله :

سَما نَفَرٌ ضَرْبَ المِئِينَ وَلَمْ أزَلْ

بِحَمْدِكَ مِثْلَ الكَسْرِ يُضْرَبُ في الكَسْرِ [(٣)]

وقوله :

مالي غدوتُ كقافِ رُؤْبةَ قُيِّدَتْ ... في الدهرِ لم يُقدرْ لها إجراؤُها [(٤)]

أُعلِلْتُ عِلَّةَ قالَ وَهْيَ قديمةٌ ... أعيا الأطبةَ كلَّهم إبراؤُها

وقوله :

نَطَقَتْ ألسُنُ الحِمامِ وبالإيـ ... ـجازِ جاءتْ وكثرةِ الإطنابِ [(٥)]

---

(١) اللزوميات هـ س ٢٢١ .

(٢) اللزوميات هـ س ٣٣٧ . وفيها : « خف زمان فا ... » .

(٣) اللزوميات هـ س ١٤٦ .

(٤) اللزوميات هـ س ٢٣ .

(٥) اللزوميات هـ س ٥٤ .

ومن كلامه الذي يتوقف فهمه على معرفة التاريخ قوله :

وَإِنَّ القَتْلَ فِي أُحدٍ وَبَدْرٍ ... جَنَى القَتْلَيْنِ فِي نَهرٍ وَطَفِّ (١)

وقوله :

لَعَمْرُكَ مَا أُسَرُّ بِيَوْمِ فِطْرٍ ... وَلاَ أَضْحَى وَلاَ بِغَدِيرِ خُمِّ (٢)

وَكَمْ أَبْدَى تَشَيُّعَهُ غَوِيٌّ ... لِأَجْلِ تَنَشُّبٍ بِبِلاَدِ قُمِّ

وقوله :

وَالمُلْكُ يَفْنَى وَلاَ يَبْقَى لِمَالِكِهِ ... أَوْدَى ابنُ عَادٍ وَأَوْدَى نَسْرُهُ لُبَدُ (٣)

وقوله :

مَضَى الوَاقِفُ الكِنْدِيُّ وَالسِّقْطُ غَابِرٌ

وَصَاحَتْ دِيَارُ الحَيِّ أَيْنَ لَبِيدُ (٤)

تكرير المعاني في شعر أبي العلاء

عاب جماعة من الأدباء أبا العلاء المعري ، لأنه يأتي بالمعنى الواحد غير مرة في شعره ؛ وعدّ ذلك من أمارات العي والضعف . ولا ننكر أن أبا العلاء كرر كثيراً من المعاني في شعره ، ولكنه لم يسلك طريقاً واحداً في تكريره ؛ بل كان أحياناً يأتي بالمعنى في البيت وفيه زيادة

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٢٩٥ .

(٢) اللزوميات ﻫ س ٢٥١ .

(٣) اللزوميات ﻫ س ٩٣ .

(٤) اللزوميات ﻫ س ٩١ .

بسيطة عما جاء في البيت الآخر ، وأحياناً يأتي بزيادة تزيد اللفظ والمعنى رونقاً وجمالاً ، فمن الأول قوله :

نُقَلِّمُ لِلنُّسْكِ أَظْفَارَنَـــا وَطَوَّلَتِ الهِنْدُ أَظْفَارَهَــا [١]

وقوله :

وَأَعُدُّ قَصَّ الظُّفْرِ شِيمَةَ نَاسِكٍ وَالهِنْدُ بَعْدُ مُطِيلَةٌ أَظْفَارَهَا [٢]

فإن الزيادة والنقص في كلا البيتين ليس فيهما كبير فائدة .

ومن الثاني قوله :

يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ المَمَاتِ وَكَوْنِهِ إِرَاحَةَ جِسْمٍ أَنَّ مَسْلَكَهُ صَعْبُ [٣]

وقوله :

وَيَدُلُّنِي أَنَّ المَمَاتَ فَضِيلَةٌ كَوْنُ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ غَيْرَ مُيَسَّرِ [٤]
لَوْلَا نَفَاسَتُهُ لَسَهَّلَ نَهْجَهُ كَأَذَى الضَّعِيفِ عَلَى لَئِيمِ المَكْسِرِ

وقوله :

تَكَادُ سُيُوفُهُ مِنْ غَيْرِ سَلٍّ تَجِدُّ إِلَى رِقَابِهِمُ انْسِلَالَا [٥]

وقوله :

---

(١) اللزوميات هـ س ١٤٥ .

(٢) اللزوميات هـ س ١٤٣ .

(٣) اللزوميات هـ س ٣٠ .

(٤) اللزوميات ﻫ س ١٥٨ .

(٥) البيت في السقط وليس من لزومياته ؛ انظر شروح سقط الزند ق ١ س ٤٤ .

سُيُوفُهُ تَعْشَقُ الرِّقَابَ فَمَا يُنْجِزُ حَتَّى اللِّقَاءِ مَوْعِدُهَا[١]
يَكَادُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُجَرِّدَهَا يَعْتَنِقُ الدَّارِعِينَ مُغْمَدُهَا

فإنه استدل في البيت الأول على فضل الموت وعلى أن فيه إراحة للجسم بصعوبة طريقه ؛ واستدل في البيتين اللذين ذكرا بعده على فضل الموت ونفاسته بصعوبة الطريق ؛ وليس في البيت الأول تشبيه سهولته بأذى الضعيف على لئيم الأصل ، ولا في البيت الثاني والثالث ذكر لإراحة الجسم .

والبيت الأول يدل دلالة عامة شاملة لكل أحد ؛ والثاني يدل المتكلم فقط ، كما تقتضيه صيغة « يدلني » .

وكذلك البيت الرابع يدل على أن سيوفه تكاد تصل الى رقاب أعدائه من غير أن تسل من أغمادها . والبيت الخامس والسادس يدلان على أن السيوف تعشق الرقاب . . وتكاد تعتنق الدارعين من غير سل . وفيهما زيادة جميلة حسنها ذكر العشق ، وتجوز الموعد واللقاء ، والاعتناق والدارعين .

وكذلك قوله :

كَأَنَّمَا الخَيْرُ مَاءٌ كَانَ وَارِدَهُ
أَهْلُ العُصُورِ فَمَا أَبْقَوا سِوَى العَكَرِ[٢]

وقوله :

كَأَنَّ دُنْيَاكَ مَاءُ حَوْضٍ آخِرُهُ آجِنٌ خَبِيطُ[٣]

---

(١) البيتان كسابقيهما ، هما في السقط ؛ انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٣٠ .
(٢) اللزوميات هـ ص ١٥١ .
(٣) اللزوميات هـ ص ١٧٦ .

فإن البيت الأول في الخير فقط ، والثاني في الدنيا كلها ؛ وبين البيتين فرق كبير في إيجاز اللفظ ، وحسن الأداء ، وعموم المعنى . ومن هذا القبيل قوله :

كَمْ بُودِرَتْ غادَةٌ كَعَابُ ... وَغُودِرَتْ أُمُّهَا العَجُوزُ (١)

وقوله :

لَيْسَ بالسِّنِّ تُسْتَحَقُّ المَنَايا ... كَمْ نَجَا بَازِلٌ وَعُوجِلَ بَكْرُ (٢)

فإن في البيت الثاني زيادة ، وهي قوله : « ليس بالسن . . » وهي كزيادة العقد النفيس في الجيد الجيِّد . وإذا تأملت أكثر الأبيات التي قيل : إنها مكررة في شعره تجد بين البيت والثاني فروقاً دقيقة في اللفظ والمعنى ؛ ولا أذكر له بيتاً كرر معناه من غير زيادة أو إيجاز مستحسن ؛ وهذا لا يضير أبا العلاء ولا يخالف سنة البلغاء ، فقد أجازوا للشاعر أن يأخذ من معاني شعر غيره ، وإذا أجاد جعلوا ذلك من المستجاد ، وفضلوه على سابقه . يدلنا على ذلك أن بشار بن برد قال :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ ... وَفَازَ بالطَّيِّبَاتِ الفَاتِكُ اللَّهِجُ

وهو بيت شريف المبنى صحيح المعنى . ثم جاء سلم الخاسر فتصرف فيه وقال :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمّاً ... وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الجَسُورُ

فاستحسن الناس قوله لأنه أوجز لفظا ، وأرشق تأليفا ، وأكثر طلاوة ،

---

(١) سقط السيل تحقيق كامل كيلاني .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٣٤ .

وأوفر مبالغة . وفضلوه على قول بشار ؛ وكتب لبيت سلم الرواج والشهرة والسيرورة في الآفاق ، وكتب لبيت بشار الإهمال والإخمال . وأمثال هذا كثير في الشعر العربي . وإذا كان هذا شأن المعنى من شعر شاعرين مختلفين فهل يضير أبا العلاء أن يأخذ من شعره معنى ويفرغه في قالب آخر من اللفظ ، ويكون بين الأول والثاني شيء من الفروق التي ذكرنا بعضها ؟ .

وعلى هذا لا نستطيع أن نثبت المكرر في شعر أبي العلاء ، ولا أن نعيبه بما توهمنا أن فيه تكرارا .

المبالغة في شعره في اللزوم

من طبيعة الأغراض والمقاصد التي ألم بها في (لزوم ما لا يلزم) أن تكون بعيدة عن المبالغة والإغراق والغلو ؛ ولكن أبا العلاء تأثر بهذه الطريقة التي كان أهل عصره عامة ينهجونها ويستعذبونها ، فلم يخل شعره منها في المواطن التي يجد فرصة لها . من ذلك قوله :

إِذَا حَانَ وَقْتِي فَالْمُثَقَّفُ طَاعِنِي بِغَيْرِ مُعِينٍ وَالْمُهَنَّدُ ضَارِبِي (١)

وقوله :

لَوْ قَامَ أَمْوَاتُ الْعَوَاصِمِ وَحْدَهَا مَلأُوا الْبِلاَدَ حُزُونَهَا وَسُهُولَهَا (٢)

وقوله :

مَـا فِي بَنِي آدَمٍ غَنِيٌّ بَلْ كُلُّهُمْ مُقْتِرٌ عَدِيمٌ (٣)

---

(١) اللزوميات هـ ص ٤٥ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٠٧ .

(٣) اللزوميات هـ ص ١٣٤ .

وقوله :

فَصَمْتاً إنْ أرَدْتُمْ أوْ مَقَالاً ... فَمَا فِي هَذِهِ الدُنْيَا تَقِيّ[1]

ومن هذا القبيل قوله : « مـا في البرية جيد » . « ويفقد في الأنام الطاهر » . « ما كان في الأرض من خير ولا كرم » . وامثال ذلك مما سيأتي .

البديع في شعره في لزوم مالا يلزم

ذكرنا فيما تقدم أن لأبي العلاء ولعاً شديداً بالصناعات البديعية ، ولا سيما الجناس ، والطباق والمقابلة ، والتورية ، ومراعاة النظير وغيرها . وهذه أمثلة من كلامه :

حسن المطلع : وهو أول بيت من أول قصيدة في لزوم ما لا يلزم :

أُولُو الفَضْلِ فِي أوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ ... تَشِذُ وتَنْأَى عَنْهُمُ القُرَبَاءُ[2]

الالتفات :

صَدَقَ الطَّبِيبُ عَنِ الطَّعَا ... مِ وَقَالَ مَأْكَلُهُ يَضُرُّ[3]

كُلْ يَا طَبِيبُ وَلاَ خَلاَ ... صَ مِنَ الرَّدَى فَلِمَنْ تَغُرُّ

الجناس التام :

لاَ يَصْبِرَنَّ فَقِيرٌ تَحْتَ فَاقَتِهِ

إنَّ السَّبَارِيتَ جَابَتْهَا السَّبَارِيتُ[4]

---

(١) اللزوميات ه‍ ص ٢٤٣ .

(٢) اللزوميات ه‍ ص ٣٠ .

(٣) اللزوميات ه‍ ص ١٣٣ .

(٤) اللزوميات ه‍ ص ٥٩ .

السباريت الأولى : جمع سُبْروت أو سِبْريت : الأرض التي لا ينبت فيها شيء ؛ والفلاة التي لا شيء بها . والسباريت الثانية : جمع سُبْروت أو سِبْريت : الرجل الفقير المحتاج .

الجناس المطلق

وَمَا تَمْنَعُ الْخَوْدَ الْحَصَانَ حُصُونُهَا ... وَلَوْ أَنَّ أَبْرَاجَ السَّمَاءِ بُرُوجُهَا[1]

الجناس المركب :

زَوَانِيَ خَوْفُ الْمَقَامِ الذَّمِيـ ... ـمِ عَنْ أَنْ أَكُونَ خَلِيلَ الزَّوَانِي[2]

وهذا النوع كثير في شعره .

الجناس اللفظي :

وقوله :

جَيْبُ الزَّمَانِ عَلَى الآفَاتِ مَزْرُورُ

مَا فِيهِ إِلَّا شَقِيُّ الْجَدِّ مَضْرُورُ[3]

الجناس المصحف :

أَسِيتُ إِذْ غَابَتِ الْأَحْجَالُ وَالْغُرَرُ ... وَإِنَّمَا النَّاسُ فِي آيَامِهِمْ غُرَرُ[4]

الجناس المذيل :

وَكَمْ جَنَتِ الْمَعَاصِمُ مِنْ مَعَاصٍ ... تَعُودُ بِهَا الْمَعَاضِدُ مُعْصَمَاتِ[5]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٧٤ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٢ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ١٢٣ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ١٢١ .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ٦٨ وطبعة زند ص ١٩١ وفي الأصل : المعاضد مُعْضَدَاتِ .

الجناس المطرف :

بَوارِقُ لِلْحابِ لا لِلسَّحابِ   طَرِبْتُ إِلَى ضَوْءِ لَمّاحِها [١]

. . .

كأنّكَ عن كَيْدِ الحَوادِثِ راقدٌ   وَمَا أَمِنَتْهُ في السَّماءِ الفراقِدُ [٢]

الجناس المضارع :

لمْ يَكُنْ لي عَرْشٌ فَيُثْلَمَ عَرْشي   كَمْ جُرُوحٍ جُرِحتُها ذاتِ أَرْشِ [٣]

الجناس اللاحق :

هي المُنْتَهَى والمُشْتَهَى وَمَعَ السُّهَا   أمانِيُّ مِنْها دُونَهُنَّ العَظائِمُ [٤]

التسميط :

مُحصي الجرائمِ فَعّالِ العَظائِمِ ضَـــارِ الهَضائِمِ جازٍ غَيرِ ظَلّامِ [٥]

التصدير :

قَدْ بَدَّلَ العَالَمُ عَادَاتِهِمْ   بَلْ قَدَّرَ مِنْ فَوقِهِمْ بَدَلاَ [٦]

التورية :

يُهَوِّدُ باغِي الحاجِ واللَّيلُ مُسْلِمٌ   عَلَى كُفْرِهِ والأرْضُ في زِيِّ رَاهِبِ [٧]

. . .

إذا قُتِلَتْ خافَ الرَّشادُ جِنايَةً   فكانَ مِنَ الفِتْيانِ أوّلَ هارِبِ [٨]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٨٦ .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ٩٠ .
(٣) اللزوميات ﻫ ص ٣٢٨ .
(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٣٠ .
(٥) اللزوميات ﻫ ص ٢٥٠ .
(٦) اللزوميات ﻫ ص ٢٠٨ .
(٧) اللزوميات ﻫ ص ٤٧ .
(٨) اللزوميات ﻫ ص ٤٦ .

الطباق :

اُصْدُقْ إلى أنْ تَظُنَّ الصِّدقَ مَهلَكةً
وبَعْدَ ذَلِكَ فاقْعُدْ كاذباً وَقُمِ [1]

المقابلة :

يَظَلُّ نَبيهٌ غَائباً مِثْلَ شاهِدٍ وَخامِلُ قَومٍ شاهِداً مِثلَ غائبٍ [2]

* * *

وَلِجسْمي إلى التُّرَابِ هُبُوطٌ وَلِرُوحي إلى الهَواء صُعُودُ [3]

التلميح :

شِيَعٌ أجلَّتْ يومَ خُمٍّ وانْثَنَتْ أُخْرَى تُعارِضُها بيَوْمِ الغَارِ [4]

التسهيم :

إنَّ أذَاهَا مِثْلُ أفعالِنَا مَاضٍ وَفي الحالِ وَمُستَقْبَلُ [5]
أجبلَتِ الأبحُرُ في عَصْرِنَا هَذَا كَمَا أبحَرَتِ الأجبُلُ

تجاهل العارف :

أيُوجَدُ في الوَرَى نَفَرٌ طَهَارَى أمِ الأقوامُ كُلُّهُمُ رُجُوسُ [6]

---

(١) اللزوميات هـ س ٢٤٨ وفيها : « وعند ذلك . . . » .
(٢) اللزوميات هـ س ٤٦ .
(٣) اللزوميات هـ س ١٠١ .
(٤) اللزوميات هـ س ١٦٤ .
(٥) اللزوميات هـ س ٢٠٠ .
(٦) اللزوميات هـ س ٢١٤ .

التصريع :

لا تُحْدِثِ القَطعَ في كَفٍ ولا قَدَمِ
وَلا تعَرّضْ مَدَى الدُّنيـا لِسَفْكِ دَمِ [١]

مراعاة النظير :

أوَمَا قرأتَ سِجِلّ دَهْرِكَ نَاطِقًا بالهُلْكِ يُشْكَلُ بالخُطُوبِ ويُنْقَطُ [٢]

. . .

وكَمْ أنذرَتْنَا بالسُّيولِ صَوَاعِقٌ وكَمْ خَبَّرَتْنَا بالغَمامِ رُعُودُ [٣]

معاتبة المرء نفسه :

لا تُطيعِي هَوَاكِ أيّتُها النَّفْـــسُ فَنُعْمَى المَليكِ فِينا رَبِيبَهْ [٤]

التذييل :

وَلاَ تجْلِسْ إلى أهْلِ الدَّنَايَا فإنّ خَلاَئِقَ السُّفَهاءِ تُعْدِي [٥]

. . .

لا حظّ في الدُّنيا لِعَالي هِمّةٍ والوَحْشُ أفْضَلُ صَيدِها الأعْيارُ [٦]

---

(١) اللزوميات هـ س ٢٤٧ .
(٢) اللزوميات هـ س ١٧٧ .
(٣) اللزوميات هـ س ٩٠ .
(٤) اللزوميات هـ س ٤٢ .
(٥) اللزوميات هـ س ١١١ .
(٦) اللزوميات هـ س ١٣١ .

المشاكلة :

جَسَدي خِرْقَةٌ تُخَاطُ إلى الأرْ ضِ فَيَا خَائطَ العَوالِمِ خِطْني [١]

التغاير :

وَيَدُلُّني أنَّ المَمَاتَ فَضِيلَةٌ كَوْنَ الطَّريقِ إليه غيرَ مُيَسَّرِ [٢]

لَولا نَفَاسَتُه لَسُهِّلَ نَهجُهُ كأذى الضَّعيفِ على لَئيمِ المَكْسِرِ

الاستدراك :

تُحَطِّمُنا الأيَّامُ حَتَّى كَأنَّنَا زُجَاجٌ وَلكِنْ لا يُعادُ لَنَا سَبْكُ [٣]

• • •

مَا لِباسُ التَّقْوَى على النَّاسِ لَكِـــنْ ثياباً على الخَنَا مَزْرُورَهْ [٤]

الكلام الجامع :

إذَا نَزَلَ المِقْدَارُ لَمْ يَكُ لِلْقَطَا نُهُوضٌ وَلا لِلْمُخْدَرَاتِ إبَاءُ [٥]

ارسال المثل :

هذا النوع كثير في (لزوم ما لا يلزم) ، منه قوله :

قَدْ شُيِّدَ القَصْرُ لِسُكَّانِهِ وَغَيْرُ مَنْ يَسْكُنُهُ الشَّائِدُ [٦]

• • •

(١) اللزوميات ، ص ٢٨١ .

(٢) اللزوميات ، ص ١٥٨ .

(٣) اللزوميات ، ص ١٨٢ . وفيها : « يحطمنا ريب الزمان كأنَّنا » . « ... له سبك »

(٤) اللزوميات ، ص ١٤٥ .

(٥) اللزوميات ، ص ٢٠ .

(٦) اللزوميات ، ص ١٠٠ .

مَنْ يُدْنِ للشّاكَةِ أثوابَهُ   يُصِبْهُ مِنها غُصُنٌ هارِدُ[١]

. . .

والشَّرُّ يَجْلِبُهُ العَلاءُ وكَمْ شَكا   نبأً عَليٌّ ما شَكاهُ قَنْبَرُ[٢]

سلامة الاختراع :

في (لزوم ما لا يلزم) كثير من المعاني التي ابتكرها أبو العلاء ، ولم يسبقه اليها سابق ؛ منها قوله :

وَلَوْ يُرجَى مَعَ الشُّركاءِ خَيْرٌ   لَمَا كانَ الإِلَهُ بلا شَرِيكِ[٣]

وقوله :

أرَى جُرَعَ الحَياةِ أمَرَّ شَيْءٍ   فَشاهِدْ صِدْقَ ذَلِكَ إذْ تُقَاءُ[٤]

وقوله :

عُمْرِي غَديرٌ كُلُّ أنفاسي بِهِ   جُرَعٌ تُغادِرُهُ كأَمْسِ النّاضِبِ[٥]

وقوله :

أرواحُنا مَعَنا ولَيسَ لَنا بِها   عِلْمٌ فكَيفَ إذا حَوَتْها الأَقْبُرُ[٦]

وقوله :

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٠٠ .

(٢) انظر ما سبق ص ٩٤٢ .

(٣) انظر ما سبق ص ٩٤٢ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٣ .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ٥١ .

(٦) انظر ما سبق ص ١١٤٤ و ١١٥٨ .

أحسِنْ جِوارًا للفَتاةِ وعُدَّها   أُختَ السِّماكِ على دُنُوِّ الدارِ[1]
كَتَجاوُرِ العَيْنَيْنِ لَنْ تَتَلاقَيا   وحِجازُ بَيْنِهما قَصِيرُ جِدارِ

وقوله :

احذَرْ سليلَكَ فالنـــارُ التي خَرَجَتْ
مِنْ زَنْدِها إنْ أصابَتْ عُودَهُ احترَقا[2]

وقوله :

بَدْءُ السَّعادَةِ أنْ لَمْ تُخلَقِ امرأةً
فهَلْ تَوَدُّ جُمادَى أنَّها رَجَبُ[3]

نسخ لزوم ما لا يلزم التي وصلت إلينا

مرت أيام طويلة ، كانت نسخ هذا الديوان فيها أعز من الأبلق العقوق ، وأعز من بيض الأنوق ، وأندر من الكبريت الأحمر ؛ بل كانت كالعنقاء لا يعرف غير اسمها . ثم قيض الله رجلاً من أدباء الهند فطبع منه نسخة[4] ، فانتشرت في بعض الأصقاع العربية . رأحب جماعة من أدباء مصر أن يطبع هذا الديوان طبعاً جيدا ، فكلفوا رجلاً يقال له : عزيز زند ؛ فوقف على طبعه ، وشرح كثيراً من أبياته ورأى النسخة الهندية طافحة بالخلل والزلل ، فلم يقتصر عليها ، وحصل على نسخة خطية قديمـــة من سنة ٦٣٣ هـ أضبط وأحكم من النسخة الهندية ؛ فجاء هذا الكتاب على ما يرام . هذه خلاصة ما قاله الطابع والشارح في مقدمة الطبع .

(١) اللزوميات هـ ص ١٦٤ .
(٢) اللزوميات هـ ص ٣٠٣ .
(٣) اللزوميات هـ ص ٣٢ .
(٤) هي النسخة التي نحيل عليها ، ونرمز لها بحرف هـ ، وقد صححها — عن مخطوطة كتبت سنة ٦٣٩ هـ — أمين بن حسن الحلواني المدني ، وكتبها الميرزا حسين البهائي ، وطبعت على الحجر في بمباي بالهند في المطبعة الحسينية سنة ١٣٠٣ هـ .

وقد اطلعت على النسخة الهندية فرأيتها كما وصف . واطلعت على النسخة المطبوعة في مصر ، فوجدتها طافحة بالأغلاط ، جامعة لصور مختلفة من التحريف والزيادة والنقص ، مكتظة بألوان غريبة من الخطأ والعبث في ضبط الألفاظ . وقد زادها ضغثاً على إبالة تفسير الشارح بعض الألفاظ تفسيراً لا يتفق مع معانيها اللغوية ، ولا مع ما يريده أبو العلاء منها .

الزيادة :

وقد جاءت أبيات فيها زيادة في الوزن : إما زيادة حرف ، كقوله في (ج ١ ص ٣٧٣)[1] :

وَلَـمْ يَصْنَعُوا (أشياء) وَلَكِنْ تَنَازَعُوا
أباطِيلَ تُضحي مثلَ هَامِدَةِ الجَمْرِ

وقوله في (ج ١ ص ٣١٠) :

وَكَنْزُكَ في الغَبْراء (و) لا بُدَّ ضَائِعٌ . . . .

وقوله في (ج ٢ ص ١٣٧) :

إِن (تشكو) قَطْعَ طَرِيقٍ . . . .

وإما زيادة كلمة ، كقوله في (ج ١ ص ٣٠١) :

تَعَمَّدْهُ يُغْنِكَ بالهَـدْيِ أن تُدرِّسَ مُغْنِيَهُمْ (ولا) العُمَدَ

وقوله في (ج ٢ ص ٢٢٢) :

وَقَدْ ضَنَنْتَ بشاة وَهْيَ فارِدَةٌ عَلى أزلَ فقيدِ المالِ (قوت) عَيَالِ

---

(١) من اللزوميات ط عزيز زند التي وصفها المؤلف آنفاً وقد طبعت بمطبعة « المحروسة » بمصر سنة ١٨٩١ — ١٨٩٥ م ، وكان قد آزر في اخراج هذه الطبعة بابي نونس وسلطان زنجبار وغيرهما .

والصواب في البيت الأول : « يصنعوا شيئاً ولكن [١] » أو « يصنعوا أشياء لكن . . » وفي الثاني : « في الغبراء لا بد . . » وفي الثالث : « مغنيهم والعمد » وفي الرابع : « فقيد المال عـال » .

النقص :

وجاءت أبيات فيها نقص في الوزن : إما نقص حرف ، كقوله في (ج ١ ص ٣١١) :

سَمَاحُكَ (مجهلٌ) ونُخلُكَ واضحٌ . . . .

وإما نقص كلمة ، كقوله في (ج ٢ ص ١٢٠) :

يُخادِعُ مَلْكُ (الأرضِ إذا) أتتْ مَنِيَّتُهُ لم تُغْنِ عَنْه مَخَارِقُهْ

وقوله في (ج ١ ص ٣٥١) :

وإنْ سألوا عَنْ مذهبي (..) خَشْيَةٌ مِنَ اللهِ لا طَوْقاً أَبُثُّ ولا جَبْرَا

والظاهر أن الأول « مجهول » [٢] . وأن الوزن والمعنى إنما يستقيمان في البيت الثاني بمثل « حتى إذا أتت » [٣] وفي البيت الثالث : بمثل « فهو خشية » [٤] .

وأما التحريف :

فكقوله في (ج ٢ ص ٢٠٠) : « جَرْمُكَ يا ثُعالَهْ » والصواب « جَرْوُكَ » .

وقوله في (ج ١ ص ٣٧٦) :

(رَفِيقُكَ) أسرى في يَدَيْكَ فَلاَ تَكُنْ . . . .

وكقوله في (ج ٢ ص ٢٧٠) :

و(النون) في حُكْمِ الخَواطِرِ مُحْدَثٌ . . . .

---

(١) هي كذلك في اللزوميات هـ ص ١٤٦ .

(٢) هي كذلك في اللزوميات هـ ص ١٢٠ .

(٣) هي كذلك في اللزوميات هـ ص ٢٩٩ .

(٤) هي كذلك في اللزوميات هـ ص ١٣٦ .

والصواب في البيت الأول : « رقيقك » وفي الثاني : « والنور في » .

وأما التصحيف : فكقوله في (ج ١ ص ٢٥٨) :

يَشْدُو مزاميرَ داوُدٍ وَيَفصلُه . . . .

وقوله في (ج ٢ ص ١٤٣) :

دَعِ النّاسَ واصْحَبْ واخْشَ بَيْداءَ قَفْرَةً . . . .

والصواب في الأول : « ويفضله » وفي الثاني : « واصحب وحش بيداء . . » .

وأمثال هذا كثير ؛ منه قوله في (الجزء الأول ص ٢٥٠) : ما أوْتادها وَتِدٌ . والصواب : « من أوتادها . . » .

وقوله في (ج ١ ص ٣١٦) : والشرُّ في الإنسِ مَثْبُوتٌ . والصواب : مبثوث .

وقوله في (ج ١ ص ١١٤) : أهيثما جرت . . . والصواب : « أهشيا » .

وقوله في (ج ص ١٢٧) : برق جليبب . . . والصواب : « جليب » .

وتجد أمثال ذلك في (الجزء الأول ص ١٤٤ و ١٧٧ و ١٨٤ و ١٩٥ و ٢٠٥ و ٢١٦ و ٢١٨ و ٢٤٤ و ٢٥٨ و ٢٧٢ و ٣٣٢ و ٣٥٧ و ٣٩٧ و ٤٠١ و ٤٣١) .

ومنه قوله في (الجزء الثاني ص ٢٤١) : الزنجيل ، والصواب : « الزنجبيل » .

وقوله في (الجزء الثاني ص ٣٥٠) : أخَذْتُ اللب ، والصواب : « أخذْن » .

وقوله في (الجزء الثاني ص ٣٢٨) : القواعد والمدغم ،والصواب : « المدعم » .

وقوله في (الجزء الثاني ص ٣٧٦) : في فَمِ الحَيَاةِ ،والصواب:«الحيات».

وتجد كثيراً من أمثال هذا في الجزء المذكور في (ص ٨ و ٢٤ و ٤٠

و ٦٤ و ٩٣ و ١٠٩ و ٢٣٠ و ٢٣٣ و ٢٤٧ و ٢٥٨ و ٢٧٢ و ٢٧٨ و ٢٩٥ و ٣٣٤ و ٣٨٣ و ٤١٤ و ٤٣٠) .

وقد يجوز أن يكون التحريف أو الزيادة أو النقص من خطأ المطبعة أو الناسخ ، ولكن هناك كلمات قبلها الشارح وشرحها شرحاً أبعدها عن مطابقة الحقيقة ، وعن موافقة مراد الشاعر كقوله في (ج ٢ ص ٢٨٣) :

أَقْتَاتُ مِنْ طَيِّبِ النُّهَاتِ وَهَلْ يَسْلَمُ عُودُ الفَتَى مِنَ الأُبَنِ

ولعل الصواب : « من طيب النبات . . » . ولكن الشارح رواها النهات[١] ، وقال : النهات : النهاق ، والأسد ، والزّحار هكذا رواه وهكذا شرحه . والنهاق : الحمار ، والزحار : جاء لمعان منها : إخراج الصوت بأنين ، واستطلاق البطن ، وداء يأخذ البعير فيزحر منه حتى ينقلب سرمه . فانظر الى هذا الشارح كيف جعل قوت أبي العلاء حماراً ، أو أسداً أو زحاراً ؛ وهو يعلم أن أبا العلاء لا يأكل حيواناً مهما كان ولا ما تولد من حيوان .

الشرح والتفسير

لشارح (لزوم ما لا يلزم)[٢] في شرح الكلمات وتفسير الأبيات وما يتعلق بها آيات هن غايات في الغرابة والبعد عما يريده الشاعر . منها قوله في (الجزء الأول في ص ٥٠) : « الإقواء اختلاف إعراب القوافي » ثم قوله في (ص ٥١) : « الإكفاء هو الإقواء بعينه وقد مر تفسيره » . وكلاهما غير صحيح ، لأن الإقواء : اختلاف حركة الروي المطلق بالكسر والضم فقط ، وكلامه يشمل غيرهما . والإكفاء : اختلاف الروي بحروف متقاربة في المخارج . وقد ذكر ذلك أبو العلاء في المقدمة (ص ١٩ و ص ٢٥)[٣] .

وقوله في (ج١ ص ٦٤) :

خذُوا حَذَراً مِنْ أَقْرَبِينَ وَجَانِبٍ . . . .

---

(١) وكذلك اللزوميات ﻫ ص ٢٨١ .

(٢) عزيز زند في طبعة القاهرة ١٨٩١ ــ ١٨٩٥ م .

(٣) من طبعة عزيز زند ، أما في طبعة ﻫ ففي ص ٧ و ١٠ .

قال الشارح : « الجانب الذي لا ينقاد ، جمعه جنّاب والمعنى : احترسوا من لدغات الأقارب والصعب الجانب . . » . والمراد بالجانب هنا الغريب ، قال في اللسان : ورجل جانب وجنب غريب ، وهو المقابل للأقربين .

وقوله في (ج ١ ص ١٦٥) : « الظبيات : بفتح الباء جمع ظبي » . وهو خطأ لأنه جمع ظبية . وقوله في (ج١ ص ٧٠) :

أقيمي لا أعُدُّ الحجّ فرضاً   على عَجُزِ النّساء ولا العَذارَى

ضبط عجز بفتح فضم . . ثم قال : « والعجز : العجيزة وهو المراد هنا » وما أبعد هذا المعنى عن مراد الشاعر هنا . والعُجُز هنا بضمتين : جمع عجوز وهي المرأة الشيخة الهرمة ، وهذا المعنى هو الموافق لمقابلة العذارى .

وقوله في (ج ١ ص ١٤٣) : تَقْضي لِنَاعيها عَلَى زريابها . قال : «الزرياب .. الذهب . . » . وزرياب علي بن نافع المغني المشهور مولى المهدي ومعلم ابراهيم الموصلي ، وكان شاعراً مطبوعاً وأستاذاً في الموسيقا ، وعنه أخذ الناس . وهو مراد أبي العلاء هنا ليقابل الناعي .

وقوله في (ج ١ ص ٩٦) :

قد يَحوز الخب الشحيحُ جَبَا الما   ء ولا يستحِقُّ نَضحَ لَبَاتِه

قال الشارح : « الخب : بفتح الخاء الجبل من الرمل اللاطىء بالأرض ، وسهل بين حَرَّتَيْن تكون فيه الكمأة » . وقوله : الجبل ، خطأ والصواب : الحبل من الرمل ، بالحاء والباء . وهذا لا يوافق مراد الشاعر ، لأن مراده أن الخِب أي الخبيث الخداع يحوز حوض الماء وهو لا يستحق أن يبل لهاته منه .

وقوله في (ج ١ ص ٢٠٥) :

جماجِمُ أمثالُ الكُراتِ هَفَتْ بها   سُيوفٌ ثناها الضربُ وَهْيَ صَوالِجُ

قال الشارح : « جمع صولج وهو الفضة » . وهذا المعنى لا يناسب هنا ، وإنما يلائم المقام أن تكون صوالج جمع صولجان أو صولج ، وهي عصا يعطف طرفها وتضرب بها الكرات على الدواب .

وقوله في (ج ١ ص ٢١٢) :

لا فرقَ بين الأَسَكِّ الجونِ أُطلِقُهُ وجونِ كِندةَ أمسى يعقِدُ التاجا

[كِلاهُما يتوقّى والحياةُ لهُ حبيبةٌ ويرومُ العيشَ مُهتاجا]

قال الشارح : « الجون هنا : الأبيض وكندة اسم بلد ، والمراد بجون كندة الدرهم » . وهذا كله خطأ ، لأن المراد بالجون الأسكّ البرغوث ، وبالجون الثاني لقب معاوية بن حجر بن عمرو بن الحرث . . . بن ثور بن كندة وهو أبو بطن منهم ، وهذا يتأتى منه التوقي وحب الحياة وطلب العيش .

وقوله في (ج ١ ص ٢٧٩) :

وما الناسُ إلا كالخا تفو اللهِ وحدَهُ إذا وقعَ النمّيّ في كفّ ناقدِ

قال الشارح : « هكذا في الأصل ، ولم نر في القاموس النمي ، لكن رأينا أنميًا وهو حشية فيها تبن » اهـ والنمي : الفلس بالرومية ، وقال بعضهم : ما كان من الدراهم فيه رصاص أو نحاس فهو نُمّيّ . وكانت بالحيرة على عهد النعمان بن المنذر . وهذا المعنى يلائم كف الناقد أكثر من حشية التبن . وقد ذكره في القاموس في نمم وفي نمى وذكرها الشارح نفسه في (ج ١ ص ٣٤١) فتأمل .

وقوله في (ج ١ ص ٣٠٦) :

لِقاؤكَ ما فيهِ لِمثليَ خيرةٌ ولا لكَ فانظرْ أينَ يُلتمسُ الشبرُ

قال الشارح : « الشبر النكاح »[1] ولا ننكر أن النكاح من جملة معاني الشبر ، ولكنه لا يلائم ما قبله من الأبيات ولا يوائم حالة أبي العلاء ، لأنه لا ينكح

(١) وكذلك جاء في هامش اللزوميات ه س ١١٨ .

ولا يطلب منه أن ينكح . وللشبر معان أخر منها الخير والعطية ؟ ومن الخير حمله على الخير ليستقيم المعنى .

وقوله في (ج ١ ص ٣٠٩) : وفي سمعِهِ وقْرُ ؟ قال الشارح : « الوقر الحمل الثقيل » . والصواب : الوقر الثقل في السمع أو ذهابه كله[1] .

وقوله في (ج ١ ص ٣٦٥) :

نأى عنهُ النَّسيسُ فقدْ تساوَى ❊ لهُ لمسُ الحديدةِ والحريرَهْ

قال الشارح: « نسيس الإنسان مجهوده » والأحسن هنا أن يراد بالنسيس بقية الروح.

وقوله في (ج ١ ص ٣٧١) :

أدفئوا بالطِّعانِ بينَ التراقي ❊ والحوايا أسِنَّةً مقرورَهْ

قال الشارح : « قوله : مقرورة ، الظاهر أنه من قر القدر إذا صب فيها الماء » . وليس هذا الظاهر بظاهر ، بل الظاهر أن معنى مقرورة أصابها القر أي البرد ، أي باردة ، وهو الملائم لقوله : « أدفئوا » ، إلى غير ذلك مما يجده الباحث في الجزء الأول .

وأما الجزء الثاني فليس بأقل من الأول نصيباً من تلك الغرائب ، فمن ذلك قوله في (ج ٢ ص ٤٠) :

. . . . ❊ ونوى الأوانِسِ غايةُ الإيناسِ

جعل الشارح الأوانس جمع أنيسة ، والصواب : أنه جمع آنسة .

وقوله في (ج ٢ ص ١١٦) :

وُجوهُكُمْ كُلُفٌ وأفواهُكُمْ عِدَى ❊ وأكبادُكُمْ سُودٌ وأعينُكُمْ زُرْقُ

قال : « العِدى : كل خشبة بين خشبتين ، وحجر رقيق يسد به الشيء » . ولا يلائم هذا المعنى بقية البيت .

---

(١) في الصفحة ٣٠٩ من ج ١ المشار إليها هنا جاء بيت عجزه « على ملكه إلا وعسكره وقر » فقال الشارح : الوقر الحمل الثقيل أو دائم ؛ ثم جاء بيت آخر عجزه « وفي لبه ضعف وفي سمعه وقر » فقال الشارح : مصدر وقرت اذنه إذا ثقلت أو ذهب سمعه كله وصمّت . فلعل المؤلف رحمه الله قد وهم في نقده الشارح هنا .

وقوله في (ج ٢ ص ٢٤٤) :

وَيُغْنِيكَ عَنْ طَرْحٍ فَالِ يَعُو دُ بِالْيُمْنِ طَعْنُكَ في الفَائِلِ

قال الشارح : « أي في الطير الذي تفاءلت به » . ولا يناسب المقام هذا المعنى إن صح . والظاهر أن المراد بالفائل عرق في الفخذ ، أو اللحم الذي على خُرْب الورك .

وقوله في (ج ٢ ص ٢٥٨) في الديك :

وَرِثْتَ هُدَى التَّذْكارِ مِنْ قَبْلِ جُرْهُمٍ

أوانَ تَرفَّتْ في السَّماءِ النَّعَائِمُ

قال الشارح : « النعائم : النعام ، ورفّ الطائر بسط جناحيه ، وهو غير مستعمل ، وإنما المستعمل « رفرف » وأرفت الدجاجة على بيضها بسطت جناحيها عليه . » . ولا أعلم ما يتحصل من المعنى على هذا الشرح . وأظن أن ترفّت بالفاء خطأ والصواب : « ترقت »[1] .والنعائم : من منازل القمر ، ثمانية كواكب كأنها سرير معوج ، ويقال لها النعام ، وهي المرادة هنا . وفي هذه الصفحة فسر « التوائم » و « تريك نعام » بما لا يوافق المقام .

وقوله في (ج ٢ ص ٣٩٢) :

ظَنَّ ارْتِقَاءً بِكُمْ جَاهِلٌ وكُلُّكُمْ في ضَبِبٍ تَهبِطُونْ

قال الشارح : « يقال : مكان ضبب : أي فيه ضباب كثيرة » . ولا معنى له هنا ، وأظن أن الصواب : في صبب بالصاد المهملة ، أي موضع منحدر . قال في (اللسان) والصبب : تصوّب نهر أو طريق يكون في حدور .

---

(١) هي كذلك (ترقت) بالقاف في طبعة هـ ص ٢٣٠ .

وقوله في (ج ٢ ص ٤١٦) :

فَخُذْ مِنْهَـــا بِمَا أَدَّاهُ لُبٌ   وَلاَ يَغْمِسْكَ جَهْلٌ فِي صَرَاهَا

قال الشارح : « الصرى : ما اجتمع من الماء واللبن . . . » .والصرى : الماء إذا طال مكثه وتغيّر ، والصرى أيضاً : اللبن يترك في ضرع الناقة فلا تحلب ، فيصير ملحاً ذا رياح . وكلا المعنيين خير من قوله ، وإن كان أولهما أولى . وأمثال هذا كثير ، ولكننا نكتفي بهذا القدر ، فإن فيه مقنعاً للمرتاب ، وغنية لذوي الألباب .[1]

* * *

(١) بعد هاتين الطبعتين — من اللزوميات — اللتين أشار إليهما المؤلف ، رحمه الله ، ظهرتْ طبعتان أخريان ، إحداهما في بيروت ، والثانية في القاهرة مشروحة .

شخصية المعري في لزوم ما لا يلزم

ذكرنا غير مرة أن لأبي العلاء خصائص لا يخلو منها أثر من آثاره ، إما بطريق التصريح ، وإمـا بطريق الإشارة . ومعظم هذه الخصائص اجتمع في (لزوم ما لا يلزم) بالنسبة لما رأينا من آثاره . ومنها :

تواضعه

وقد أورده في اللزوم بصور مختلفة ، وأساليب متعددة ، حيث أنكر تسميته أحمد بقوله :

وَأَحْمَدُ سَمَّانِي كَبِيرِي وَقَلَّمَا فَعَلْتُ سِوَى مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ الذَّمَّا[1]

وتكنيته بقوله :

دُعِيتُ أبا العَلاءِ وَذاكَ مَيْنٌ وَلكِنَّ الصَّحيحَ أبو النُّزُولِ[2]

وانتهى به ذلك إلى أن جعل نفسه صفقة خاسرة وسلعة كاسدة :

لَوْ يُنَادَى فِي كُلِّ سُوقٍ عَلَيْهَا مَا اشْتَرَاهَا أخو رَشَادٍ بِفَلْسِ[3]

وأنه ليس عنده شيمة حسنة :

يُؤَمِّلُ القَوْمُ عِنْدِي شِيمَةً حَسُنَتْ

وَشِيمَةُ الدَّهْرِ أنْ لاَ تَحْسُنَ الشِّيَمُ[4]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٣٨ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢١٩ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٣٢٥ .

(٤) اللزوميات هـ ص ٢٣٤ .

وشهد على نفسه أنه ناقص ، ولا يوصف بجميل :

أَشْهَدُ أَنِّي رَجُلٌ نَاقِصٌ   لا أَدَّعِي الفَضْلَ وَلا أَنْتَحِلْ[١]

جِئْتُ كَمَا شَاءَ الذي صَاغَنِي   وَمَنْ يَصِفْنِي بِجَمِيلٍ يُحِلْ

ونفى عن نفسه العلمَ في مثل قوله :

يُظَنُّ بِيَ اليُسْرُ والدِّيَانَةُ وَالْـ   ـعِلْمُ وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا حُجُبُ[٢]

وقوله :

مَاذَا تُرِيدُونَ لا مَالٌ تَيَسَّرَ لِي   فَيُسْتَمَاحُ وَلا عِلْمٌ فَيُقْتَبَسُ[٣]

وعلى هذا فإن من يطلب منه نحواً أو لغة يرجع بالخيبة :

مَنْ يَبْغِ عِنْدِيَ نَحْوًا أَوْ يُرِدْ لُغَةً

فَمَا يُسَاعَفُ مِنْ هَذَا وَلا هَذِي[٤]

وكذلك من يطلب الأدب ، لأنه أفلس فيه :

أَطَلَبْتُمُ أَدَبًا لَدَيَّ وَلَمْ أَزَلْ   مِنْهُ أُعَانِي الحَجْرَ وَالتَّفْلِيسَا[٥]

وكتاب (لزوم ما لا يلزم) طافح بمثل هذه المعاني .

تعفف

يعتقد أبو العلاء أن الله تعالى تكفل بأرزاق عباده ، وأن الرزق

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٢٥ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٣٧ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ٢٩٣ .

(٤) اللزوميات ٥ ص ١١٧ . وفي الأصل : « فلا يساعف . . . » .

(٥) اللزوميات ٥ ص ٢٩٧ .

يأتي إلى صاحبه من غير سعي وطلب ؛ وعلى هذا الاعتقاد صان ماء وجهه فلم يتبذله بسؤال ، وعفّ فلم يمد كفه لمعروف . وأشار إلى هذا في مثل قوله :

وَالرِّزْقُ يَأْتي وَلَمْ تُبْسَطْ إليه يَدي

سِيَّانِ في ذَاكَ إِدْنائي وَإِقْصائي [١]

وقوله :

وَيا بَنَانِيَ لا تُبْسَطْ لِعَارِفَةٍ   وَيا لِسَاني بِغَيْرِ الصِّدْقِ لا تَجُلِ [٢]

وقوله :

وَيرْزُقُني اللهُ الَّذي قَامَ حُكْمُهُ   بِأَرْزَاقِنَا في أَرْضِهِ مُتَكَفِّلا [٣]

كرمه

وكان على قلة ماله يجود بالموجود ، ولا يدخر قوتا ، ولا يكنز ذهبا ولا فضة ؛ وأشار إلى ذلك في مواطن من شعره ، منها قوله :

فَمَا دِرْهَمِي إِنْ مَرَّ بي مُتَلَبِّثاً

وَلا طِفْلَ لي حَتَّى تَرَى الشَّمْسُ مُطْفِلا [٤]

وقوله :

لَعَمْرُ أَبيكَ مَا خَالي بِخَالٍ   لِشَانِئِهِ وَلا شُهْدي بِهِفِّ [٥]

(١) اللزوميات هـ ص ٢٦ .
(٢) اللزوميات هـ ص ٢١٤ .
(٣) اللزوميات هـ ص ٢٠٣ .
(٤) اللزوميات هـ ص ٢٠٣ .
(٥) اللزوميات هـ ص ٢٩٥ .

فإنْ أُعطَ القَليلَ يَكُنْ هَنيئاً   يجيء المُستَميحَ بغيرِ شَفّ

إذَا وَرَدَ الفقيرُ عَلَى احتِيَاجي   أغثتُ لَهيفَهُ بالمُستَـدِفّ

وَلوْ كَانَ الكَثيرُ لَقَلَّ عِنْدي   وَاهْوِنْ بالطَّفِيفِ المُستَطِفّ

تذمره من قلة المال

وكان يحب أن يكون ذا سعة ، فينفق من مـاله في وجوه الخير ما يريد ؛ ولكن الأيام جاءته على غير ما يريد ، فكان يتذمر من قلة المال . ونرى من هذا النوع صوراً في كلامه كقوله :

قَدْ غَدَا القَوْمُ لِلنُّضَارِ فَنَالُو   هُ وَبِتْنَا وَمَنْ لَنَا بالزُّيُوفِ [١]

تذمره من اتهامه بالغنى

كان بعض الناس يرون أو يسمعون ما كان عليه أبو العلاء من سعة العلم والجاه ؛ فكانوا يظنون أنه مليء موسر ؛ ويطلبون منه ما يطلب من الموسرين ، فكان يتذمر من هذه التهمة ، لأنه لا يستطيع أن يسعف كل طالب بما طلب ؛ وقد ألم إلى ذلك في مثل قوله :

واتّهامي بالمَالِ كَلَّفَ انْ يُطْـ   ـلَبَ مِنّي مَا يَقتَضي التّمويلُ [٢]

وَيقُولُ الغُواةُ خَوّلكَ اللّـ   ـهُ كَذَبْتُمْ لِغَيْـرِيَ التّخْويلُ

---

(١) اللزوميات هـ س ٢٩٧ .

(٢) اللزوميات هـ س ٣٠٢ .

تذمره من قلة حظه

وكذلك كان يتذمر من قلة حظه فيقول :

مَا بَالُ حَظيَ عَنّي قَاعِداً أَبَداً
إِنْ كَانَ مِنْ نبتِ أَرْضٍ فَاسْمُهُ البُرَكُ (١)

قناعته في مطعمه وملبسه

الطعام :

قنع أبو العلاء من متع الدنيا ولذاتها بما يقيم صلبه مما تنبته الأرض ، وترفع عن أكل الحيوان وما تولد منه ، إذ لا يوصل الى ذلك إلا بايلام الحيوان أو حرمانه قوته ؛ وقد ألمع إلى ذلك في مثل قوله :

يُقْنِعُني بُلْسُنٌ يُمارَسُ لي وَإِنْ أَتَتْني حَلاوَةٌ فَبَلَسْ (٢)

وقوله :

أَبى اللهُ أَخذِي دَرَّ ضَأنٍ وَمَاعِزٍ
وإِدْخالِيَ الأَمْرَ المُضِرَّ عَلَى السَّخْلِ (٣)

اللباس :

واكتفى من مظاهر الزينة بما يستر جسمه ، كما قال :

لِبَاسِيَ البِرْسُ فَلاَ أَخضَرٌ وَلاَ خَلُوقِيٌّ وَلاَ أَدكَنُ (٤)

---

(١) اللزوميات هـ س ١٨٣ .

(٢) اللزوميات هـ س ٣٢٦ .

(٣) اللزوميات هـ س ٢١٠ . و ط . زند ٢/٢١٠ وفي الأصل: « أبى الله أكلي ... »

(٤) اللزوميات هـ س ٢٦٣ .

وكان يلبس ثوباً له ظِهارة وليس له بطانة ، فيتحمل أذى البرد على حد قوله :

أُجَاهِدُ بالظِّهارَةِ حِينَ أشتُو وَذَاكَ جِهَادُ مِثْلِي والرِّبَاطُ[1]

ولم تكن نفسه لتطمح إلى أن يحيا حياة المترفين ؛ كما يدل على ذلك قوله :

فَمَا أَتَمَنَّى أنَّنِي كَأجلِّكُمْ وَلكِنْ أُضاهِي المُقْتِرِينَ الصَّعَالِكَا[2]

ولم تحدثه قط أن يدخل على قوم فينال من طعامهم أو شرابهم ؛ وقد أشار إلى هذا في مثل قوله :

مَا أَنَا بِالوَاغِلِ يَوْمًا عَلَى الـ ـشُرْبِ وَلاَ مِثْلِيَ بِالوَارِشِ[3]

عدم قبوله نعمة من أحد

توهم بعض المعاصرين فظن أن أبا العلاء كان ينال من أخواله شيئاً من الأموال ، وأنه كان يقبل شيئاً من الهدايا . وقد بينا بطلان ذلك فيما سبق . وقوله في (لزوم ما لا يلزم) :

ولم يَحْبُنِي أَحَدٌ نِعْمَةً وَلَكِنْ مَوْلَى المَوالي حَبَا[4]

صريح في أنه لم يطلب نعمة من أحد إلا الله تعالى .

تذمره من اعتلال جسمه

ألح السقم على أبي العلاء ، فلا يكاد يودع علة حتى يستقبل أخرى ؛

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٧٧ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٨٥ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٣٢٨ . والوارش : الذي يدخل على القوم وهم يأكلون .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٤٤ .

ولذلك ترى صوراً من تألمه وتذمره في مثل قوله :

وَدِدْتُ أنِّيَ مِثْلُ السَّيْفِ لَيْسَ لَهُ حِسٌّ إذا فُلَّ أوْ رَثَّتْ لهُ خِلَلُ (١)

وقوله :

مُهْجَتِي ضِدٌّ يُحَارِبُنِي أنا مِنِّي كَيْفَ أحْتَرِسُ (٢)

وقوله :

شَخْصِي هَذَا غَرَضٌ للرَّدَى وَلَمْ يَزَلْ مَعْدِنَ عِصْيَانِ (٣)
مِنْ كُلِّ فَنٍّ فيهِ أُعْجُوبَةٌ كَأنَّهُ جَامِعُ سُفْيَانِ

وقوله :

وَأخْلَقَنِي مَرُّ الزَّمَانِ وَكَدُّهُ فَصَارَ أدِيمِي كالسِّقَاءِ المُرَمَّمِ (٤)

تذمره من العمى

عمي أبو العلاء صغيرا ، فحال عماه بينه وبين متع الحياة ومشاهد الطبيعة التي لا تدرك إلا بالبصر ؛ ولذلك عدّ العمى سجناً ، ويتمثل تبرمه به في مثل قوله :

عَمَى العَيْنِ يَتْلُوهُ عَمَى الدينِ والهُدَى
فَلَيْلَتِيَ القُصْوَى ثَلاثُ لَيَالِ (٥)

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٩٦ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٣١١ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٨١ .

(٤) اللزوميات هـ ص ٢٤٥ .

(٥) اللزوميات هـ ص ٢١٢ .

وقوله :

عَجِبْتُ مِنَ الصُّبْحِ المُنِيرِ وَضِدِّهِ   عَلَى أَهْلِ هَذِي الأَرْضِ يَطَّلِعَانِ[١]

وَقَدْ أَخْرَجَانِي بِالكَرَاهَةِ مِنْهُما   كَأَنَّهُمَا لِلضِّيقِ مَا وَسِعَانِي

تبرمه بالجدري

في كلامه كثير من الأبيات التي تفيض بالحسرات واللوعة من الجدري الذي شان وجهه وذهب ببصره ، يتمثل ذلك في مثل قوله :

وَشِقْوَةٌ غَشِيَتْ وَجْهِي بِنَضْرَتِهِ   أَبَرُّ بِي مِنْ نَعِيمٍ جَرَّ إِشْحَابِي[٢]

ونحو ذلك من الأبيات التي تقدم بعضها .

تضجره من ذهاب أسنانه

فَمِي أَخَذَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي وَإِنَّنِي   لأَشْرَبُ مِنْهُ فِي إِنَاءٍ مُثَلَّمِ[٣]

وَأَوْدَى بِظَلْمِ الثَّغْرِ صُبْحٌ وَحِنْدِسٌ   مَتَى يَنْظُرَا فِي نَيِّرِ العَيْنِ يُظْلِمِ

ولكثرة ما كان ينتابه من الأرزاء والعلل الموجعة تمنى أن يكون صخرة لا تحس ولا تتألم . وقد أشار إلى هذا في مثل قوله :

تَمَنَّيْتُ أَنِّي مِنْ هِضَابِ يَلَمْلَمٍ   إِذَا مَا أَتَانِي الرُّزْءُ لَمْ أَتَأَلَّمِ[٣]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٧١ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٤٩ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٤٤ .

تضجره من الدنيا

نظر أبو العلاء إلى كل شيء في الدنيا ، وإلى عاقبته ، وإلى تصرف الدنيا برفع الوضيع ووضع الرفيع وإسعاد الجاهل وإشقاء العاقل ، وإلى غلبة خيرها على شرها ؛ ونحو ذلك من الأمور التي إذا تأملها العاقل استخف بالدنيا ونقم عليها فأبغضها وأعرض عن لذاتها اللاتي لا تلبث أن تزول وتبقى تبعاتها في الدنيا والآخرة ؛ وقد أكثر في (لزوم ما لا يلزم) من تحقير شأنها والحض على الزهد فيها ، وعدم الاغترار بها ؛ وإنك لترى ألواناً مختلفة من ذلك تتمثل في مثل قوله :

وَوَجدْتُ دُنْيانَا تُشَابِهُ طَامِثاً ... لا تَستَقِيمُ لِنَاكِحٍ أَقْرَاؤُهَا[١]

وقوله :

وَكَيْفَ أُقَضِّي سَاعَةً بِمَسَرَّةٍ ... وأَعْلَمُ أنَّ المَوْتَ مِنْ غُرَمَائي[٢]

قوله :

مَنْ يَغْتَبِطْ بِمَعِيشَةٍ فَأَمَامَهُ ... نُوَبٌ تُضِيلُ عَنَاءَهُ فَجَعَاتِهَا[٣]

تبرمه بالحياة

عرف أبو العلاء أن الحياة كلها تعب ، وأن الحي بين عاملين يتجاذبانه ، إما عفاف عن الدنيا ومتعها ، وإما افتتان فيها ؛ وكلا الحالين يعقبه الموت ، وبعد الموت يؤول العفيف إلى الجنة ، والمفتون إلى النار ؛ ولكن

---

(١) اللزوميات « ص ٢٣ . وفي ط زند ١/٨٦ . وفي الأصل « لا تستقر لناكح ... »

(٢) اللزوميات « ص ٢٦ .

(٣) اللزوميات « ص ٦١ .

النفس أمّارة بالسوء ، والدنيا غرارة مغرية بمتعها ونعيمها ، ولا يستطيع أن يكبح جماح نفسه إلا النزر اليسير . وانظر الى قوله :

وَهِيَ الحياةُ فعيفةٌ أو فِتنَةٌ ... ثُمّ المماتُ فجنّةٌ أو نارُ [١]

وإلى قوله :

أرَى جُرَعَ الحياةِ أمرَّ شيءٍ ... فَشاهِدْ صِدْقَ ذلك إذْ تُقاءُ [٢]

وقوله :

ألْعَيْشُ أدّى إلى ضُرٍّ ومَهْلَكَةٍ ... لَوْلا الحياةُ لكانَ الجِسْمُ كالصَّنَمِ [٣]

ونحو ذلك من الأبيات يتبين لك أن أبا العلاء ناقم من الحياة ، متبرم بها ، وأنه يفضل الموت عليها ، لأن فيه راحة للجسم من عناء لا ينقطع ، وبلاء كلما نفد تجدّد ، ويشير الى ذلك في مثل قوله :

والعَيْشُ داءٌ وموتُ المرءِ عافيةٌ ... إنْ داوَهُ بتواري شَخْصِهِ حُسِما [٤]

وزاد على ذلك فجعل الموت فضيلة في قوله المتقدم :

وَيَدُلُّني أنّ المماتَ فَضيلةٌ ... .

واستدل على هذا بقوله :

لَوْلا نَفاسَتُهُ لَمَا عُجِّلَ نَجْمُهُ ... .

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٣٢ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٣ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢١٨ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٤١ .

ضجره من طول الحياة

من الطبيعي أن يسأم من طول الحياة إذا كان سئم منها ؛ وفي أقواله كثير مما يدل على حبه الخلاص منها ؛ لأنه يجد فيه راحة من عناء يمكن الاستغناء عنه أو الإقلال منه ، ووصولاً الى غاية لا بد منهـا . وقد لمح الى ذلك في مواطن مثل قوله :

قَدْ طَالَ عُمْرِيَ طُولَ الظُّفْرِ فاتَّصَلَتْ
بِهِ الأَذَاةُ وَكَانَ الحظُّ أوْ قَلِمَا [1]

صبره وما هوّنه عليه قلة المال وكثرة الأرزاء

من عاش عيشة أبي العلاء ، وقضى عمره في مثل ما قضاه من الفاقة والعسر ، والعمى والضر ، وتتابع الكوارث ، وقلة المساعد ؛ مِنْ حقه أن يضجَر ويتبرم ، وأن يستكبر ما هو فيه ، ويملأ الدنيـا شكوى وسخطا ؛ ولكنه نظر الى حاله نظر عقل فرأى أن القسم بيد الله ، وأن المآل الى الإعدام والفقر ؛ وأن قلة العيال أحد اليسارين ؛ وأن عدم الوارث يخفف من الكوارث ، فصبر على ما جرى به القدر ، ورضي بما جرى به القضاء . وقد ألمع الى هذا في مثل قوله :

صَبَرْنَا لِحُكْمِ اللهِ والنَّفْسُ حُرَّةٌ
وَقَدْ عَلِمَتْ فَضْلَ التَّفَاوُتِ فِي القَسْمِ [2]

وقوله :

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٤٢ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢٤٤ .

وَهَوَّنَ إِعْدامِي عَليَّ تَحَقُّقِي ... بِأَنـي وإِنْ طَالَ التَّمَكُّثُ أَعْدَمُ [١]

وقوله :

وَهَوَّنَ أَرْزَاءَ الحَوَادِثِ أَنني ... وَحِيدٌ أُعَانِيهَا بِغَيْرِ عِيالِ [٢]

وقوله :

إِذَا تَخَلَّفْتُ أَوْ خُلِّفْتُ عَنْ أَمَلٍ ... سَلَّى هُمُومِي أَني لَيْسَ لِي خَلَفُ [٣]

تجلده حتى لا يشمت به خصومه

كان أبو العلاء محسوداً على فضله ومنزلته ، وكان حساده وخصومه يتربصون به السوء ، ويلتقطون زلاته وعيوبه ، ليشوهوا سمعته ويطفئوا شمعته ؛ فكان يحترس منهم ويتجمل لهم ، ويريهم البأساء نعماء . وقد أشار الى ذلك في كثير من أقواله ؛ منها قوله :

إِنـي أُوَارِي خَلَّتِي فَأُرِيهِمُ ... رِيشاً وفي سِرِّ الفُؤَادِ أُوَارُ [٤]

عدم أسفه على النسل

ولم يكن أبو العلاء ليأسف على عدم النسل . لأنه يعتقد أن إبقاءهم في الظهور كرامة لهم ، وأن العدم يقيهم من المصائب التي يسببها الوجود ؛ فأراد في إبقائهم في العدم إراحتهم مما يعانيه غيرهم ، وأنه لو أنسل لجاء

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٢٩ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢١٢ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ٢٩٢ .

(٤) اللزوميات ٥ ص ١٢٠ .

بنسل خسيس ، وجنى على بنيه . وقد ذكرنا شيئاً من أبياته الدالة على ذلك مثل قوله :

وإذا أردْتُم للبَنِينَ كَرَامَةً فَالحَزْمُ أَجمَعُ تَرْكُهُمْ في الأَظْهرِ [1]

وقوله :

وَأَرَحتُ أولادي فَهُمْ في نِعْمَةِ الـــعَدَم . . . .

وقوله :

لَوَأَنَّ بَنِيَّ أَفضَلُ أَهلِ عَصْرِي لَمَا آثَرْتُ أَنْ أَحظَى بِنَسْلِ [2]

فَكَيْفَ وَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ مِثْلِي خَسِيسٌ لاَ يَجِيء بِغَيْر فَسْلِ

وقوله :

أَبُوكَ جَنَى شَرّاً عَلَيْكَ وَإِنَّما

هُوَ الضَّبُّ إذْ يُسْدِي العُقُوقَ إِلى الحِسْلِ [3]

تذمره من ولاة الأمر

أكثر أبو العلاء من التضجر والشكوى من الحكام وجورهم وتجاوزهم حدود ما وضع لهم البشر وما شرعه الله ؛ وقد ذكرنا كثيراً من الأمثلة الدالة على ذلك كقوله :

مُلَّ المُقَامُ فَكَمْ أُعَاشِرُ أُمَّةً أَمَرَتْ بِغَيْرِ صَلاحِهَا أُمَرَاؤهَا [4]

---

(١) اللزوميات ، ص ١٦٧ .

(٢) اللزوميات ، ص ٢١٨ .

(٣) اللزوميات ، ص ٢١١ .

(٤) اللزوميات ، ص ٢٣ .

وقوله :

وُلَاةُ العَالَمِينَ ذِئابُ خَتْلٍ   تَكُونَ مِنَ الشَّقَاء رُعَاةَ فِزْرِ[1]

تضجره من العلماء الفقهاء

وهذا كثير في شعره كقوله :

وَلَمْ آمَنْ عَلى الفُقَهَاء حَبْساً   إِذَا مَا قِيلَ للأُمَنَاء جُوزُوا[2]

. . .

وَكَمْ مِنْ فَقِيهٍ خَابِطٍ فِي ضَلَالَةٍ
وَحُجَّتُهُ فِيهَا الكِتَابُ المُنَزَّلُ[3]

تبرمه بالنساء

سيأتي رأيه في المرأة ، وإسرافه في سوء الظن بها ؛ ويكفيك من أقواله المتعددة في ذلك قوله :

بَذِهِ السَّعَادَةِ أنْ لَمْ تُخْلَقِ امْرأَةٌ   فَهَلْ تَوَدُّ جُمَادَى أنَّهَا رَجَبُ[4]

تبرمه بالأصحاب

لقد جرب أبو العلاء دهره وأهليه ، فما تركت له التجارب غرضاً في مودة أحد منهم ، ولم يرض عن صاحب اختبره . وأشار إلى هذا في مثل قوله :

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٥٤ . والفزر : القطيع من الغنم .
(٢) اللزوميات هـ ص ١٧٣ .
(٣) اللزوميات هـ ص ١٩٥ .
(٤) انظر ما سبق ص ١١٨٠ .

أمّا الأَنامُ فقدجرّبتُهمْ زمَنًا   فمارَضِيتُ مِنَ الخُلاّنِ مَصْحُوبَا[١]

تبرمه بالناس

وشاهد أصنافاً من الناس فلم يرَ في أحد منهم ما يحمده :

لعَمْرِي لَقَدْ شَاهَدْتُ عُجْماً كَثِيرةً
وَعُرْباً فَلا عُجْماً حَمِدْتُ وَلا عُرْبَا[٢]

ولم تعجبه شيمة لأحد من الناس على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم كما قال :

وَمَا أعْجَبَتْنِي لابنِ آدمَ شِيمَةٌ   على كُلِّ حالٍ مِنْ مَسُودٍ وَسَائِدِ[٣]

وقد خبر البرايا وعرض سجاياهم وما هم فيه على محك العقل ، فلم يرَ فيهم غنياً حقيقة :

وَجدْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ فَقيراً   وَيُعدَمُ في الأَنامِ الأغْنِيَاءُ[٤]

ولا وجد فيهم كريماً إلا في الاسم :

وَيُقَالُ الكرامُ قَوْلاً وَمَا في الـ   ـدَّهْرِ إلا الشُّخُوصُ والأَسمَاءُ[٥]

بل تجاوز إلى أبعد من هذا المدى فقال :

---

(١) اللزوميات « ص ٤٠ .

(٢) اللزوميات « ص ٣٨ .

(٣) اللزوميات « ص ١٠٥ .

(٤) اللزوميات « ص ٢٢ .

(٥) اللزوميات « ص ٢٤ ، وفيها : « وما في العصر ... » .

مَا كَانَ فِي الأَرْضِ مِنْ خَيْرٍ وَلاَ كَرَمٍ
فَضْلٌ مَنْ قَالَ إِنَّ الأَكْرَمِينَ فَنُوا[1]

ولا رأى فيهم طاهراً من أدناس النقائص ، وأرجاس الرذائل ، وإن من يسمى طاهراً تكون تسميته من باب تسمية الشيء بضده :

وَكَذَاكَ يُدْعَى طَاهِراً مَنْ كُلُّهُ نَجَسٌ وَيُفْقَدُ فِي الأَنَامِ الطَّاهِرُ[2]

ولقد توسع في هذا الغرض ، وفصله تفصيلاً دل على استقراء واستقصاء ؛ وأجمل القول في مواطن منها قوله :

وَسُكَّانُ الأَرْضِ كُلُّهُمُ ذَمِيمٌ صَرِيحُهُمُ المُهَذَّبُ والسَّبِيُّ[3]

وقوله :

بَنِي الأَرْضِ مَا فَوْقَ التُّرَابِ مُوَفَّقٌ
لِرُشْدٍ وَلاَ تَحْتَ التُّرَابِ سِوَى فَسْلِ[4]

نظرة في البلاد

خبر أبو العلاء البلاد كما خبر أهلها ، وتقرّى طبائعها ، وسَبَرَ أهلها ، فلم ير بلداً يحمده بل :

كُلُّ البِلاَدِ ذَمِيمٌ لاَ مُقَامَ بِهِ وَإِنْ حَلَلْتَ بِلاَدَ الوَبْلِ والرِّهَمِ[5]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٦١ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٢٧ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٣٤٣ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢١٠ .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ٢٤٧ . و ط زند ٢/٢٠١ . وفي الأصل: « ولو حللت . . » .

وقد دلته التجارب على أن الشام شؤم ، واليمن ليس فيها يمن ، والحجاز محتجز عن الخيرات ، وأن العراق تتقد فيه نار الفتن والحروب ؛ وأرشده البحث مع التجارب إلى أن مصر والحجاز والعراق والشام لا تستطيع أن تحمي ملكا من عادية الأعداء الجارجين ، لاشتغالها بالفتن والحروب الداخلية ، كما أشار إلى ذلك في مواطن من شعره : وتبين له أن الإنس هم سبب الفتن في كل مكان :

وَخَيْرُ بِلادِ اللهِ مَا كانَ خَالِيـــاً
مِنَ الإِنْسِ فَاسْكُنْ في القِفَارِ البَسَابِسِ (١)

تبرم بالناس ومصاحبتهم

ورأى أبو العلاء فوق هذه الأسباب أن الناس يصاحبون على دَخَل ؛ وأن المرء منهم يلقى أخاه بالبشر والطلاقة ، ويضمر له الخديعة والمكر ، ولا يدخر وسعاً في إيصال الأذى إليه حاضراً كان أم غائباً ، يتمثل لك هذا في مثل قوله :

أرَاهُمْ يَضحكُونَ اليَّ غِشّاً وَتَغْشَانِي المَشَاقِص والخِطَاء (٢)

ورأى أن قربهم داء والبعد عنهم دواء :

بُعْدي مِنَ النَّاسِ بُرْءٌ مِنْ سَقَامِهِمُ
وَقُرْبُهُمْ للحِجَى والدِّينِ أَدْوَاء (٣)

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٩٨ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢٢ . المشاقص : نصال طول . والخطاء : نبال صغار .

(٣) المصدر السابق : وفي الأصل : « بعدي عن الناس ... » .

لأنهم

لا بُدَّ مِنْ أنْ يَذُمُّوا كُلَّ مَنْ صَحِبُوا
وَلَوْ أراهُمْ حَصَى ٱلْمَعْزَاء ياقُوتا[١]

وتبين له أنه لا يستطيع أن يألفهم ولا يأتلف :

فَلَسْتُ لَهُمْ وإنْ قَرُبُوا أليفاً كَمَا لَمْ تَأْتَلِفْ ذَالٌ وَظَاء[٢]

وستأتي في أغراض شعره أمثلة تدل على تبرمه بالخطباء ، والوعاظ ، ورؤساء المذاهب ، والنحل المختلفة ؛ كما تدل على إنكاره كثيراً من المعتقدات والمزاعم التي يزعمها الناس كلا أو بعضا ، ونحو ذلك مما يدل على أنه لا يتبع إلا العقل ، ولا يعوّل إلا على دليل ؛ ويكره أن يحمل الباطل في صورة الحق .

ومنها رفقه بالإنسان وعطفه عليه

يختلف نظر أبي العلاء الى الإنسان ، ويختلف حكمه عليه بحسب الجهة التي ينظر منها اليه ؛ فإذا نظر اليه من جهة أخلاقه ، أعماله صبّ عليه نقمته وتمنى له ناراً تحرقه أو ماء يغرقه ، وحذر منه وأنذر ، وعدد مساوئه ، وحض على اجتنابه ؛ كما رأيت وسترى في أقواله التي فضل فيها الحيوان الأعجم على الإنسان ، بل فضل الصخر الجامد على الإنسان .

وإذا نظر اليه من جهة أخرى رأى أنه حي يحرص على حياته ، ويشعر بما يؤلمه ؛ وهو مع ذلك ضعيف في بنيته ، تقتله البعوضة وتميته الذبابة ؟ وقد جاء الى هذه الدنيا على غير رضى واختيار ، وتأتيه الحوادث

---

(١) اللزوميات ٥ س ٦٣ .

(٢) اللزوميات ٥ س ٢٢ .

بغير رضى ولا طلب ، ويعجز عن دفعها ويجهد نفسه في التماس شيء فيخفق ؛ كل ذلك لضعفه وعجزه .

فإذا نظر اليه من هذه الجهة وأشباهها عطف عليه ، وحض على مؤازرته وتخفيف مصائبه ؛ كما تشعر بذلك أقواله الدالة على الرفق بالرقيق :

رَقِيقُكَ أَسْرَى في يَدَيْكَ فَلا تَكُنْ
غَلِيظاً عَلَيْهِمْ واتَّقِ اللهَ في الأَسْرِ (١)

وأبياته الدالة على الإحسان الى البائس ومشاركته في النعمة :

كَيْفَ لاَ يَشْرَكُ الْمَضِيقِينَ في النِّعْـــمَةِ قَوْمٌ عَلَيْهِمُ نَعْمَاءُ (٢)

وما شاكل ذلك من أقواله الدالة على بر الوالدين ، والعطف على المرأة ، وترك الحروب ، والنهي عن الظلم ، ومضارّة النساء .

الرفق بالحيوان

بالغ أبو العلاء في الرفق بالحيوان ، وحض الناس على العطف عليه ، وأسرف في ذلك حتى جعل إطلاق البرغوث أبرّ من إعطاء الإنسان المحتاج درهما ؛ وستأتي أمثلة من قوله في ذلك عند الكلام على أغراض شعره .

إيمانه وتقاه

وقد تقدم ، وسيأتي شيء من أبياته الدالة على إيمانه وتقاه ، وإخلاصه وصدقه وحبه الخير ، وما شاكل ذلك من الخصال المحمودة .

---

(١) اللزوميات ﻫ س ١٤٨ .

(٢) اللزوميات ﻫ س ٢٤ ، وفي الأصل : « عليهم النعماء » .

وقاره

كان أبو العلاء رزيناً وقورا ، ولم يؤثر عنه ما يدل على خفة أو طيش أو غيرهما في أعماله ؛ وأما في أقواله فقد كان كثير الوقار ، كما يشعر به قوله :

وَتُؤثِرُ حَالَةَ الزِّمِّيتِ نَفسِي   وَأكرَهُ شِيمَةَ الرَّجُلِ المِفَنِّ[١]

وبعد هذا البيت أبيات تدل على إكباره نفسه كقوله :

حَسِبْتُكَ لَوْ تُوَازِنُ بِي ثَبِيراً   وَرَضْوَى في المَكَارِمِ لَمْ تَزِنِّي

اعتزازه بنفسه

كان أبو العلاء على كثرة تواضعه ، ومحاولته إخفاء نفسه شديد الاعتداد بها ، حتى طغى ذلك على فلتات لسانه ، وفي (لزوم ما لا يلزم) كثير من الصور الدالة على هذا ، كقوله :

خُذُوا سِيَرِي فَهُنَّ لَكُمْ صَلاَحٌ   وَصَلُّوا في حَيَاتِكُمُ وَزَكُّوا[٢]

وقوله :

فَاسمَعْ كَلاَمِي وَحَاوِلْ انْ تَعِيشَ بِهِ
فَسَوْفَ أُعْوِزُ بَعْدَ اليَوْمِ طُلاَّبِي[٣]

* * *

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٧٨ .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٨٤ .
(٣) اللزوميات ﻫ ص ٤٨ .

سرقة الشعراء أقواله

يعتقد أبو العلاء أن أقواله ، نظما كانت أو نثرا ، بلغت من الجودة والندرة إلى درجة بعيدة ، حتى إن بعض الناس كانوا يغيرون على ألفاظه فيسرقونها . وقد بيّن ذلك في مثل قوله :

إذا ما قُلْتُ نَثْراً أوْ نَظِيماً تَتَبَّعَ سَارِقُو الأَلْفَاظِ لَفْظِي[1]

ولقد نظر إلى الناس بلحظ الغيب فلم يخطىء ؛ لأن كثيراً من الشعراء وغيرهم أغاروا على ألفاظه أو معانيه أو كليهما ؛ منهم الطغرائي في لاميته ، فإنه أخذ قوله :

والشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كالشَّمْسِ في الطَّفَلِ

من قول أبي العلاء :

والبَدْرُ في الوَهْنِ مِثْلُ البَدْرِ في السَّحَرِ[2]

ومنهم عمر بن الوردي ، فقد أكثر من الإغارة على ألفاظ أبي العلاء ومعانيه ، من ذلك قوله في (ص ٢٧٥)[3] :

تَعَبٌ كُلُّهَا الحَياةُ فَمَا أَعْـ ـجَبُ إِلاَّ مِنْ رَاغِبٍ في المزِيدِ
إنَّ حُزْناً في سَاعَةِ العَزْلِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ في حَالَةِ التَّقْلِيدِ

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٨١ وفيها وفي الأصل : ساراوا .
(٢) شروح سقط الزند ق ١ ص ١٤٢ .
(٣) من ديوان ابن الوردي طبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ هـ .

وقوله في (ص ٢٨٠) :

لَو حَطَّ رَحْلِيَ فَوقَ النَّجْمِ رَافِعُهُ
أَلْفَيتُ ثَمَّ خَيالاً مِنكِ يَنتَظِرُ

وقوله في (ص ٢٩٦) :

فَهَلْ أَنا إلا قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابِكُمْ   وَلَوْ كُنْتُ فِي الإِعْرَابِ كالعَلَمِ الفَرْدِ

وقوله في (ص ٣٠٥) :

رَفَعتُ كَلِّي عَنِ الأَصحابِ كُلِّهِمِ   فَلا أُثَقِّلُ فِي مَالٍ وَلا جَاهِ

وقوله في (ص ٣١٠) :

قَالُوا فُلانٌ جَيِّدٌ   فَأَجَبْتُ أَيْنَ الجَيِّدُ
إِمَّا غَنِيٌّ بَاخِلٌ   أَوْ مُعْسِرٌ يَتَصَيَّدُ

وقوله في (ص ٣١٥) :

أَنَا بَدْرٌ وَقَدْ بَدَا الصُّبْحُ فِي رَأْ   سِكَ وَالصُّبْحُ طَارِدٌ لِلْبُدُورِ

وقوله في (ص ٣٤١) :

غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ مَنْ يَكُنْ   فِيهِ ذَا مَالٍ هُوَ المَوْلَى الأَجَلّْ

فالبيتان الأولان مأخوذان من بيتي أبي العلاء المشهورين[1] بتغيير كلمتي القافية ، وإبدال الموت بالعزل .

---

(١) البيتان :

تعب كلها الحياة فما أعـــجب إلا من راغب في ازدياد
إن حزناً في ساعة الموت أضعـــا ف سرور في ساعة الميلاد

انظر ما سبق ص ١٠٧٣ .

والبيت الثالث مأخوذ بذاته إلا أنه بدّل «منتظري» بقوله : «ينتظر»[١].

والرابع مأخوذ من قصيدة أجاب بها ابن نصر :

وَمَا أنَا إلاَّ قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابِهِ ... وَلَوْ أنَّني صَنَّفْتُ ألْفَ كِتَابِ[٢]

والخامس من قوله في قصيدة كتبها إلى أبي حامد الأسفرائيني :

وَلاَ أثْقَلُ في جَاهٍ وَلاَ نَشَبٍ ... وَلَوْ غَدَوْتُ أخَا عُدْمٍ وَإدْقَاعِ[٣]

والسادس مأخوذ من قوله :

قَالُوا فُلانٌ جَيِّدٌ فَأجَبْتُهُمْ ... لاَ يَكْذِبُوا مَا في البَرِيَّةِ جَيِّدُ[٤]

والثامن من قوله :

أنَا بَدْرٌ وَقَدْ بَدَا الصُّبْحُ في رَأْ ... سِكَ والصُّبْحُ يَطْرُدُ الأقْمَارَا[٥]

والتاسع من قوله :

كُنْ مَنْ تَشَاءُ مُهَجَّناً أوْ خَالِصاً ... وَإذَا رُزِقْتَ غِنًى فأنْتَ السَّيِّدُ[٦]

وفي كلام ابن الوردي كثير من هذا مثل قوله :

أبَا الإسْكَنْدَرِ المَلِكِ اقْتَدَيْنَا ... فَلَيْسَ نُطِيلُ في أرْضٍ مُقَامَا[٧]

---

(١) انظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ١١٩ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٣٣ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٦ ، وفيها : ولو عددت أخا ...

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٩٧ وفيها : « ... جيد لصديقه ... » .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٢ .

(٦) اللزوميات ﻫ ص ٩٧ .

(٧) ديوانه ط الجوائب ص ٢٣٠ .

وهو من قول أبي العلاء في قصيدة كتبها إلى خاله يقول فيها :

آباً لإسكندر الملك اقتديتم فما تضعون في بلد وسادا[1]

وكذلك قوله :

فليس يزاد في رزق حريص ولو جاب المهامه والإكاما[2]

من قول أبي العلاء :

وليس يزاد في رزق حريص ولو ركب العواصف كي يزادا[3]

وأمثال هذا كثير في شعره ، ولكننا اجتزأنا بهذا القدر .

وقد شاركت هؤلاء فأخذت قولي :

بكت بختها حين جاءت بأنثى ونَاحت عليها بعيد الممات

فقيم البكاء عليها ومنها ودفن البنات من المكرمات

من قول أبي العلاء :

ودفن والحوادث فاجعات لإحداهن إحدى المكرمات[4]

وهو أخذه من حديث رواه الخطيب عن النبي ﷺ : « دفن البنات من المكرمات » وقد تكلم فيه وفي رجاله ، ولفظي أقرب الى لفظ الحديث من لفظ أبي العلاء .

وكذلك أخذت آخر شطر من قولي هذا :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٨٣ .

(٢) ديوانه ط الجوائب ص ٢٣٠ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٠٢ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٦٨ .

إِذَا حَاوَلْتَ أَن يَبْقَى صَحِيحًا … وِدَادُكَ لا يُخَامِرُهُ فَسَادُ

فَلاَ تُكْثِرْ بِمَنْ تَهْوَى اتِّصَالاً … وَلاَ يَكْثُرْ جَفَاؤُكَ والبِعَادُ

فَرُبَّ قَطِيعَةٍ جَلَبَتْ وِدَاداً … وَرُبَّ قَطِيعَةٍ جَلَبَ الوِدَادُ

من قول أبي العلاء :

وأَرْضٍ بِتُّ أَقْرِي الوَحْشَ زَادِي … بِهَا لِيَثُوبَ لِي مِنْهُن زَادُ[1]

فَأُطْعِمُهَا لِأَجْعَلَهَا طَعَامِي … وَرُبَّ قَطِيعَةٍ جَلَبَ الوِدَادُ

وقد أكثر جماعة من المعاصرين الإغارة على ألفاظه ومعانيه ، أو أحدهما . منهم أحمد شوقي المصري فإنه أخذ قوله :

لِعُلاكَ الْمُذكَّرَاتُ عَبِيدٌ … خُضَّعٌ وَالْمُؤَنَّثَاتُ إِمَاءُ

من قول أبي العلاء :

لِلْمَلِيكِ الْمُذَكَّرَاتُ عَبِيدٌ … وَكَذَاكَ الْمُؤَنَّثَاتُ إِمَاءُ[2]

وأخذ قوله :

وَمَهْدُ الْمَرْءِ فِي أَيْدِي الرَّوَاقِي … كَنَعْشِ الْمَرْءِ بَيْنَ النَّائِحَاتِ

من قول أبي العلاء :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣١٦ وفيها : لأجعلها طعاماً .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٤ .

وَشَبِيهٌ صَوْتُ النَّعِيِّ إذا قِيـــسَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ في كُلِّ نَادِ[1]

وأخذ قوله :

والجاعِلُونَ سُيُوفَ الهِنْدِ أَلْسُنَهُمْ

والكاتِبُونَ بأطْرافِ القَنَا السُّلُبِ

من قول أبي العلاء :

دَعِ اليَرَاعَ لِقَوْمٍ يفْخَرُونَ بِهِ وبالطِّوالِ الرُّدَيْنِيَّاتِ فَافْتَخِرِ[2]

فَهُنَّ أَقلامُكَ اللاتي إِذَا كَتَبَتْ مَجْداً أَتَتْ بِمِدَادٍ مِنْ دَمٍ هَدَرِ

وغير ذلك من الأبيات المذكورة في ديوانه .

ومنهم جميل الزهاوي العراقي فإنه أخذ قوله :

ظَنَّهُ النَّاسُ لِلْفَنَاءِ وَإِنِّي مَعَ نَقْصِي حَسِبْتُهُ لِلْبَقَاءِ

وقوله :

فَيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الحَيَاةَ تَعَاسَةٌ[3]

وَيَا نَفْسُ جُودِي إِنَّ دَهْرَكِ يَبْخَلُ

---

(١) شروح سقط الزند ق ٣ ص ٩٧١ .

(٢) شروح سقط الزند ق ١ ص ١٥٦ .

(٣) كذا (ج) .

وقوله :

إنّ لِلْعَالَمِ الذي نَحْنُ جُزْءٌ مِنْهُ كَوناً مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

وقوله :

عَلَّ مَا يُحْثَى مِنْ تُرَابٍ عَلَيْنَا بَعْضُ أجدَادِنَا بِكَفِّ الحَاثِي

وقوله :

يُطفِىءُ الموتُ مَا تُضيءُ الحَيَاةُ . . . .

من قول أبي العلاء :

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسِبُونَها لِلْنَّفَادِ (١)

وقوله :

فَيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الحَيَـــاةَ ذَمِيمَةٌ

وَيا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ (٢)

وقوله :

وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَــرُّ بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ (١)

وقوله :

---

(١) انظر ما سبق الصفحات : ١٠٧٤ ـ ١٠٧٦ ، حيث دراسة المؤلف لدالية أبي العلاء .

(٢) شروح سقط الزند ق ٢ ص ٥٣٨ .

خَفِّفِ الوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْـ ـأَرْضِ إِلاَّ مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ
وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ العَهْـ ـدُ هَوَانُ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ

وقوله :

أَرَى قَبَساً فِي الجِسْمِ يُطْفِئُهُ الرَّدَى
وَمَا دُمْتَ حَيّاً فَهُوَ ذَا يَتَلَهَّبُ [1]

سعة علمه

استعمل أبو العلاء في (لزوم ما لا يلزم) كثيراً من المسائل العلمية من علوم مختلفة ، وأشار إلى كثير مما اصطلح عليه العلماء في فنون كثيرة في باب التشبيه والتلميح والتورية وغيرها ، فمما أشار اليه من علم اللغة قوله :

مَفْعُولُ خَيْرِكَ فِي الأَفْعَالِ مُفْتَقَدٌ كَمَا تَعَذَّرَ فِي الأَسْمَاءِ فَعْلُولُ [2]

وقوله :

وَأَتَتْ عَلَى الأَكْوَارِ جَمْعِ الكَوْرِ وَالْـ ـكُورِ المُسَرَّحِ هَذِهِ الأَكْوَارُ [3]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٣٢ .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٩٧ .
(٣) اللزوميات ﻫ ص ١٣٠ .
الكور : بفتح فسكون هو عند المنجمين ستة وثلاثون الف سنة . والكور : بضم أوله وفتحه القطيع العظيم من الابل والبقر .

ومن علم الصرف قوله :

إِذَا مَا دَعِيُّ القَوْمِ ضَاهَى صَرِيحَهُمْ
فَلاَ تُنْكِرَنْ وَاعْدُدْهُ آخِرَ عَبْدَلِ [(١)]

ومن النحو قوله :

وَتُرْفَــعُ أَجْسَادٌ وَتُنْصَبُ مَرَّةً
وَتُخْفَضُ فِي هَذَا التُّرَابِ وَتُجْزَمُ [(٢)]

ومن علوم البلاغة قوله :

نَطَقَتْ أَلْسُنُ الحَمَامِ وَبِالإِيــجَازِ جَاءَتْ وَكَثْرَةِ الإِطْنَابِ [(٣)]

وقوله :

وَلَيْسَ عَلَى الحَقَائِقِ كُلُّ قَوْلِي وَلَكِنْ فِيهِ أَصْنَافُ المَجَازِ [(٤)]

ومن العروض قوله :

خَبَرَ الحَيَاةَ شُرُورَهَا وَسُرُورَهَا مَنْ عَاشَ عِدَّةَ أَوَّلِ المُتَقَارِبِ [(٥)]

ومن القوافي قوله :

كَالبَيْتِ أُفْرِدَ لاَ إِيطَاءٌ يُدْرِكُهُ وَلاَ سِنَادٌ وَلاَ فِي اللَّفْظِ إِقْوَاءُ [(٦)]

---

(١) اللزوميات ه س ٢١١ .
(٢) اللزوميات ه س ٢٢٨ .
(٣) اللزوميات ه س ٥٤ .
(٤) اللزوميات ه س ١٧٤ .
(٥) اللزوميات ه س ٥٣ .
(٦) اللزوميات ه س ٢٢ .

ومن الفقه قوله :

يَا ابْنَتَ آدَمَ كَانَ طَلَّقَ أُمَّهُمْ   أوْ كَانَ حَرَّمَهَا عَلَيْهِ ظِهَارُ[١]

ومن الفرائض قوله :

والأمُّ بالسُّدْسِ بَاءَتْ وَهيَ أَرْأَفُ مِنْ

بِنْتٍ لَهَا النِّصْفُ أَوْ عِرْسٍ لَهَا الرُّبُعُ[٢]

وستأتي أمثلة من أقواله التي تشتمل على مسائل ومصطلحات من علوم أخرى ، كالحساب ، والهندسة ، والطبيعيات ، والمنطق ، والفلسفة ، والنغم ، وغيرها ؛ وأمثلة تشير إلى مسائل ومصطلحات تتعلق بالتاريخ والعقائد .

النقد

لا نعلم في شعراء العربية من هو أوسع علماً وأرهف حساً وأجرأ قلباً من أبي العلاء ؛ فقد تناول في شعره نقد كثير من المتقدات والمزاعم المختصة بالمسلمين والعامة لهم ولغيرهم من الأمم في عصره وفي العصور التي قبله . وسبيله في النقد لا يكاد يعدو أموراً ثلاثة ، أحدها : أن يقيم الدليل على بطلان القضية . والثاني : أن يردها على سبيل التهكم والاستخفاف . الثالث : أن يكذبها أو يأتي بما يدل على تكذيبها .

فالأول كقوله :

لَمْ يَسْقِكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ حُسْنِ فِعْلِكُمُ

وَلاَ حَمَاكُمْ غَمَاماً سُوءُ أعْمَالِ[٣]

---

(١) اللزوميات هـ . ص ١٣١ ، والظهار : قول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمي .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٨٢ وفيها : « والأم بالسدس عادت » .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢١٥ .

وَإِنَّمَا هِيَ أَقْدَارٌ مُرَتَّبَةٌ مَا عُلِّقَتْ بِإِسَاءَاتٍ وَإِجْمَالِ
دَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ الْحُرَّ أَعْوَزَهُ قُوتٌ وَأَنَّ سِوَاهُ فَازَ بِالْمَالِ

• • •

وَقَدْ يُشْبِهُ الإِنْسَانُ جَاءَ لِرُشْدَةٍ بَعِيداً وَيَغْدُو شِبْهُهُ الْخَالَ وَالْعَمَّا[١]
وَلَسْتُ أَرَى فِي مَوْلِدٍ حُكْمَ قَائِفٍ
وَكَمْ مِنْ نَوَاةٍ أَنْبَتَتْ سُحُقاً عُمَّا

والثاني كقوله :

قَالَتْ رِجَالٌ عُقُولُ الشُّهْبِ وَافِرَةٌ لَوْ صَحَّ ذَلِكَ قُلْنَا مَسَّهَا خَرَفُ[٢]

وقوله :

مَضَى قَيْلُ مِصْرَ إِلَى رَبِّهِ وَخَلَّى السِّيَاسَةَ لِلْخَائِلِ[٣]
وَقَالُوا : يَعُودُ فَقُلْنَا : يَجُوزُ بِقُدْرَةِ خَالِقِنَا الآئِلِ
إِذَا هَبَّ زَيْدٌ إِلَى طَيِّئٍ وَقَامَ كُلَيْبٌ إِلَى وَائِلِ

والثالث كقوله :

قَدْ عِشْتُ عُمْراً طَوِيلاً مَا عَلِمْتُ بِهِ حِسّاً يُحَسُّ لِجِنِّيٍّ وَلَا مَلَكِ[٤]

• • •

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٣٩ . والسحق : مفردهـا سحوق وهي النخلة الطويلة ، وكذلك النخلة العميمة : الطويلة ، وجمعها عُمّ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٩٠ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٢٤ . والآئل فاعل من آل ، وآل الرعيةَ : دبر أمورها .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٨٩ .

وقوله :

مَا أقبَحَ المَيْنَ قُلتُمْ لَمْ يشِبْ أحَدٌ
حَتَّى أتى الشيبُ إبراهِيمَ عنْ أمَمِ [1]

كَذَبتُمُ ونجومُ اللَّيلِ شاهِدَةٌ   إنّ المَشِيبَ قديماً حلّ في اللِّمَمِ

هَذا البَيَاضُ رَسُولَ الموتِ يَبعَثُهُ   في كلّ عصرٍ إلى الأجيالِ والأُمَمِ [2]

الحكم والأمثال

أكثر أبو العلاء من الحكم والجمل الجارية مجرى الأمثال في (لزوم ما لا يلزم) كقوله :

إذَا أُلِفَ الشَّيْءُ اسْتَهانَ بِهِ الفَتَى   فَلَمْ يَرَهُ بُوسَى تُعَدُّ ولا نُعمَى [3]

وقوله :

وَقَدْ يُلْفَى البَعِيدُ عَلَى نَوَاهُ   أعزّ عَلَيْكَ مِنْ خَالٍ وَعَمِّ [4]

وقوله :

مَنْ يَفقِدِ الحِسّ لاَ يُعرَفْ بِمُخزِيَةٍ
إنّ الذُّبَابَ مَتَى يَغلُو الجَنَى يَنِمِ [5]

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٤٨ .

(٢) في الأصل : « هذا المشيب رسول ... » .

(٣) انظر ما سبق ص ٩٣٥ .

(٤) اللزوميات ٥ ص ٢٥١ .

(٥) اللزوميات ٥ ص ٢٤٨ .

ابتكار المعاني

وفي (لزوم ما لا يلزم) كثير من المعاني التي اخترعها أبو العلاء ولم نعرفها لأحد ممن تقدمه ، كقوله :

وَلَوْ يُرْجَى مَعَ الشُّرَكَاءِ خَيْرٌ ... لَمَا كَانَ الإلَهُ بِلاَ شَرِيكِ [١]

وقوله :

كَتَجَاوُرِ العَيْنَيْنِ لَنْ تَتَلاَقَيَا ... وَحِجَازُ بَيْنِهِمَا قَصِيرُ جِدَارِ [٢]

وقوله :

كَمْ أحرَزَ المَالَ المُقِيمُ بِجَدِّهِ ... وَسَعَى الحَرِيصُ فَعَادَ غَيرَ مُمَوَّلِ [٣]

وَرَأَيتُ شَرَّ الجَارِ يَشْمَلُ جَـــارَهُ ... كَرَحَى الفَمِ انْتُزِعَتْ بِذَنْبِ المِقْوَلِ

الخيال

من طبيعة الأغراض التي نظم فيها (لزوم ما لا يلزم) أن يقل فيها الخيال ، لأن أكثرها في تمجيد الله ، والموعظة ، والتحذير من الدنيا وأهلها ، والبحث في العقائد ، والعادات ، ونقدها ، وما أشبه ذلك . وهذه لا سبيل فيها إلى الخيال ؛ ومع هذا فإن في (لزوم ما لا يلزم)

---

(١) انظر ما سبق ص٩٤٢ .

(٢) انظر ما سبق ص٩٤١ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ٢٢٠ .

أبياتاً كثيرة تشتمل على صور خيالية بديعة . منها الأبيات القافية :

قُلْ لِلْحَمَامَةِ قَدْ أصْبَحْتِ شَادِيَةً ⠀⠀ فَهِجْتِ لِلذَّاكِرِ المَحْزونِ تَشْوِيقَا[1]

والأبيات الميمية :

أيَا دِيكُ عُدَّتْ مِنْ أيَاديكَ صَيْحَةٌ

بَعَثْتَ بِهَا مَيْتَ الكَرَى وَهْوَ نَائِمُ[2]

والأبيات الميمية :

أعِكْرِمَ إنْ غَنَّيْتِ ألْفَيْتِ نَادِباً ⠀⠀ فَلَا تَغْنَيْ في الأصَائِلِ عِكْرِمَا[3]

والأبيات الميمية :

لَوْ كَانَ يَدْرِي أُوَيْسٌ مَا جَنَتْ يَدُهُ

لَاخْتَارَ دُونَ مُغَارِ الثَّلَّةِ العَدَمَا[4]

******

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث وهو الأخير

وأوله : فلسفة أبي العلاء المعري

---

(١) اللزوميات هـ ص ٣٠٤ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٣٠ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٤٠ . والعكرمة : الحمامة .

(٤) اللزوميات هـ ص ٢٤١ . أويس : اسم الذئب . والمغار : الإغارة . والثلة : بالفتح جماعة الغنم ، وبالضم جماعة الناس .

فهرس الكتاب (*)

(*) سيطبع كتاب (الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره) في ثلاثة أجزاء ، وقد رأينا أن نثبت فهارسه العامة التفصيلية في ذيل الجزء الأخير منه ، واقتصرنا في هذا الجزء على فهرسة أبوابه وفصوله موجزة ، كما فعلنا في الجزء السابق .

استدراك

١ — عند الكلام على كتاب : زجر النابح ، في الصفحة ٧٩٠ فاتنا أن نعلق على ما كتبه المؤلف بما يلي :

عثر الدكتور أمجد الطرابلسي على جزء صالح من هذا الكتاب على هامش إحدى نسخ اللزوميات الموجودة في المتحف البريطاني ، وتحدث عن هذا الجزء ونشر صفحات منه في مؤتمر المستشرقين المنعقد في بريطانيا . ونرجو أن يُتم تحقيق ما عثر عليه وينشره كاملاً في وقت قريب .

٢ — في الصفحة ١٠٣٢ س ٤ :

. . . . اليك الأماني ما حَلَمْتَ بِهَائِلِ

كذا جاء في الشروح . ولكن رواية التنوير على السقط : (ما حَلُمْتَ بِغَائِلِ) ولعلها الصواب .


الناشر

